أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ

تأليف

أحمد بن يوسف القرماني
(ت ١٠١٩ هـ - ١٦١٠ م)

دراسة وتحقيق

الدكتور أحمد حطيط   الدكتور فهمي سعد

المجلد الثاني

عالم الكتب

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

أخبار الدول وآثار الأول
في التاريخ

بسم الله الرحمن الرحيم

عالم الكتب

بيروت - المزرعة، بناية الإيمان - الطابق الأول - ص.ب ٨٧٢٣-١١
تلفون: ٣٠٦١٦٦-٣١٥١٤٢-٣١٣٨٥٩ - برقيا: نابعلبكي - تلكس: ALAMKO ٢٣٣٩٠

الباب الخامس
في ذكر خلفاء بني أمية
ومن وصف منهم بأخلاق سنية

وهم قسمان:

القسم الأول: الخلفاء المقيمون بالشام وعددهم أربعة عشر خليفة، ومدة خلافتهم نيف وثمانون سنة وهي ألف شهر.

والقسم الثاني:

الخلفاء الذين أقاموا بالمغرب.

فأما الخلفاء المقيمون بالشام ففيهم عدة فصول.

الفصل الأول

في ذكر [خلافة] معاوية بن أبي سفيان(١)

ابن صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. / ولد بالخيف ١٠٩/أ
من منى. وأمه هند بنت(٢) عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، وكنيته أبو عبد الرحمن: أسلم قبل أبيه وقيل: أسلم هو وأبوه يوم فتح مكة.

وشهد حنيناً، وكان من المؤلّفة قلوبهم.

وكان رجلاً طويلاً أبيض جميلاً مهيباً(٣)، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينظر إليه فيقول: هذا كسرى العرب.

كان نقش خاتمه «رب اغفر لي»(٤)، وكان أحد كتّاب الوحي.

(١) تاريخ الخلفاء ٢١٢، والمحبر ١٩، وتاريخ خليفة ٢٠٢ ، ٢٢٦، والمعارف ١٥٠، ونسب قريش ١٢٤، والأخبار الطوال ٢١٨، وتاريخ محمد بن يزيد ٢٧، وتاريخ الطبري ١٦٢/٤ ـ ٣٣٨، وتاريخ اليعقوبي ٢١٦/٢، والعقد الفريد ٣٧٢/٤، ومروج الذهب ٣/٢، والتنبيه والاشراف ٢٦١، والاستيعاب ٣٩٥/٣، والكامل في التاريخ ٢٠٣/٣ ـ ٢٦٣، والإصابة ٤٣٣/٣، ومختصر التاريخ ٨١، ونهاية الأرب ٣٦٤/٢٠، وسير أعلام النبلاء ١١٩/٣، والبداية والنهاية ١١٧/٨، والجوهر الثمين ٧٣/١، وتاريخ الخميس ٢٩١/٢، ٢٩٦، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٤١ ـ ٦٠هـ) عهد معاوية ولا سيما ٣٠٦ ـ ٣٠٧، والفخري في الآداب السلطانية ١٠٣، وتاريخ مختصر الدول ١٠٩، والمختصر في أخبار البشر ١٨٤/١، والتبيين في أنساب القرشيين ٢٠٥، ودول الإسلام ٢٧، ٣٦.

(٢) في (ب): هند ابنة عتبة.

(٣) الجملة: وكان من المؤلفة قلوبهم... ساقطة من (ب).

(٤) في (أ) و (ج): كان، بسقوط واو العطف.

وفي مختصر التاريخ ٨٢، كان نقش خاتمه «لكل عمل ثواب». وفي الجوهر الثمين ٧٥/١: كان نقش خاتمه «لكل عمل ثواب» وقيل: «لا قوة إلّا بالله». وفي التنبيه والأشراف «لا قوة إلّا بالله». وفي نهاية الأرب: «لكل عمل ثواب». وقيل: لا حول ولا قوة إلّا بالله».

روي له عن النبي ﷺ مابة حديث وثلاثة وستون حديثاً[١]. روى عنه من الصحابة: ابن عباس، وابن عمر[٢]، وابن الزبير، وأبو الدرداء، وجرير البجلي، والنعمان بن بشير، وغيرهم.

وقد ورد في فضله أحاديث قل ما ثبتت، أخرجها الترمذي وحسنها.

عن عبد الرحمن بن أبي عميرة الصحابي، عن النبي ﷺ أنه قال لمعاوية: «اللهم اجعله هادياً مهدياً». وأخرج أحمد في مسنده عن العرباض بن سارية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم علّم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب»[٣].

أخرج ابن أبي شيبة في[٤] «**المصنف**» والطبراني في «**الكبير**» عن عبد الملك بن عميرة قال: قال معاوية: ما زلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله ﷺ: «يا معاوية إذا ملكت فأحسن».

ولما خلع الحسن رضي الله عنه نفسه من الخلافة، استقام له الملك وَصَفت له الخلافة، وكان قد بويع له بالخلافة يوم التحكيم، بايعه أهل الشام واختلف عليه[٥] أهل العراق إلى أن صالحه الحسن رضي الله عنه، وسلم إليه الخلافة في شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين، فسمّي عام الجماعة، لأن الأمة اجتمعت على إمام واحد فبايعوه.

وكان قبل ذلك عاملاً لعمر رضي الله عنه استعمله على إمارة دمشق فلم يزل

---

(١) في (ب): ورُوي له ... مابة وثلاثة وستون حديثا.
(٢) وابن عمر، ساقطة من (ب).
(٣) الحديث عن العرباض ساقط من (ب).
والأحاديث الثلاثة التي أوردها المصنف هنا، أوردها السيوطي في تاريخ الخلفاء: ٢١٣.
(٤) في (ب): أخرج ابن أبي في المصنف، بسقوط كلمة (شيبة).
(٥) في (ب): واختلف عنه أهل العراق.

متولياً على الشـام[1] عشرين سنة، وذلك بقية خلافة عمر وعثمان رضي الله عنهما. وفي خلافة علي رضي الله عنه، لما عزله صار متغلباً عليها.

وكان متنعماً في مأكله ومشربه وملبسه.

وكان من الموصوفين بالدهاء والحلم، وكان يضرب بحلمه المثل. وقد أفرد ابن أبي الدنيا وأبو بكر/ بن عاصم تصنيفاً في حلمه منهـا[2]: أنه حج سنة /١٠٩ب إحدى وخمسين، فلما قدم المدينة لقيه أبو قتادة الأنصاري فقال له معاوية: تلقاني الناس كلهم غيركم[3] يا معشر الأنصار! قال: لم يكن لنـا دواب. قال: فـأين النواضح؟ قال: عقرناها في طلبك وطلب أبيك يوم بدر. ولـه أخبار كثيـرة في الحلم[4].

ولم نذكر في هذا الكتاب ما شجر بينه وبين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهـه[5]، لما يتطرق للنفوس الضعيفة وأهل الأهواء، من البغض لمعاوية رضي الله عنه[6]، ونسكت عن حرب الصحابة[7]، فالذي جرى بينهم كان اجتهـاداً مجردا.

توفي بـدمشق[8] في نصف رجب سنـة ستين، وصلّى عليه الضحـاك الفهريّ، لغيبة ابنه يزيد ببيت المقدس، ودفن بين باب الجابية وباب الصغير.

وكان عنده شيء من شعر رسول الله ﷺ، وقلامـة أظفاره، فأوصى أن يجعل

(١) في (ب): فلم يزل مستولياً عليها.
(٢) في (ب): في حلمه.
(٣) في (ب): تلقاني كلهم غيرك.
(٤) في (ب): والأخبار كثيرة في الحلم.
(٥) في (ب): رضي الله عنه.
(٦) في (ب): رضي الله عنهما.
(٧) في (أ): ونسكت عن ذكر الصحابة.
(٨) في (ب): وتوفي بدمشق.

ذلك في فمه وعينيه، وأن يكفن بثوب رسول الله ﷺ وقال: افعلوا ذلك وخلوا بيني وبين أرحم الراحمين.

قيل[١]: إنه عاش سبعاً وسبعين سنة، وكانت مدة خلافته بعد أن خلص له الأمر، تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام. وكان أميراً وخليفة أربعين سنة، ولم يملك أحد من هذه الأمة مقدار ما ملكه [معاوية][٢].

(١) في (ب): وقيل.
(٢) ما بين الحاصرتين من (ب).

الفصل الثاني

في ذكر [خلافة] يزيد بن معاوية عليه ما يستحق

ولد سنة خمس أو ست وعشرين. وكان ضخماً كثير اللحم، كثير الشعر. وأمه ميسون بنت بحدل الكلبية(١).

خاتمه من فضة نقشه: «ربنا الله»(٢).

بويع له بالخلافة يوم مات أبوه باستخلافه له، وكتب إلى الأقاليم بذلك فبايعوه، ولم يبايعه الحسين بن علي رضي الله عنهما، ولا عبد الله بن الزبير، واختفيا من عامله وأقاما مصرين على [الخلاف و](٣)الامتناع، إلى أن قتل الحسين رضي الله عنه بكربلاء، وكان قتله يوم عاشوراء كما مرّ في ذكر الحسين رضي الله عنه.

ودعا ابن الزبير إلى نفسه بمكة، وعاب يزيداً بشرب الخمر واللعب بالكلاب والتهاون بالدين، فبايعه أهل تهامة والحجاز.

---

(١) توافق مع تاريخ الخلفاء ٢٢٤، وانظر أخباره في: المحبر ٢١، والمعارف ١٥٣، وتاريخ خليفة ٢٣١، ٢٥٣، ٢٥٥، والأخبار الطوال ٢٢٧، والبداية والنهاية ١٤٦/٨، ٢٢٦ - ٢٢٧، وتاريخ محمد بن يزيد ٢٨، وتاريخ الطبري ٤٩٩/٥، وتاريخ مختصر الدول (ابن العبري) ١١٠، وتاريخ اليعقوبي ٢٤١/٢، وجمهرة ابن حزم ١١٢، وسير أعلام النبلاء ٣٥/٤، وتاريخ الخميس ٢٩٧/٢، ٣٠٠، والعقد الفريد ٢٧٥/٤، والفخري ١١٣ - ١١٧، والمختصر في أخبار البشر ١٨٩/١، ومروج الذهب ٤١/٢ - ٥٦، والتنبيه والإشراف ٢٦٢ - ٢٦٥، ونهاية الأرب ٣٧٦/٢٠، وما بعدها، وأنساب الأشراف ٣٢٨/٤، والتبيين في أنساب القرشيين ٢٠٧، ودول الإسلام ٣٧.

(٢) في التنبيه والاشراف، وفي نهاية الأرب ٤٩٨/٢٠.

(٣) زيادة من (ب).

فلما بلغ يزيد ذلك ندب إلى حربه الحصين بن نمير السكوني[1]، وروح بن
١١٠/أ زنباع الجذامي، وضم إلى كل واحد جيشاً[2]، / واستعمل على الجميع مسلم بن عقبة المزني، وجعله أمير الأمراء، وأمرهم بمحاربة ابن الزبير. فلما ودعهم قال: يا مسلم، إجعل طريقك على المدينة، فإن حاربوك فحاربهم، فإن ظفرت بهم فأبحها ثلاثاً.

فسار مسلم ومن معه حتى نزل الحرة، وخرج أهل المدينة فعسكروا بها، فدعاهم مسلم ثلاثاً، فلم يجيبوا فقاتلهم، فقتل أمير المدينة عبد الله بن حنظلة وسبعماية من المهاجرين والأنصار، ولم يبق بدري بعد ذلك من قريش، ومن سائر الناس من الموالي والعرب والتابعين عشرة آلاف[3]. وكانت الوقعة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين ودخل مسلم المدينة وانتهبها ثلاثة أيام، وافتض فيها ألف عذراء، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد جاء في الحديث عنه ﷺ: «من أخاف أهل المدينة أخافه الله، وكانت عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»؛ رواه مسلم.

ثم شخص بالجيش إلى مكة وكتب إلى يزيد بما صنع بالمدينة، فلما بلغ مسلم هرشاً[4]، اعتل ومات. فتولى أمر الجيش الحصين بن نمير، فسار حتى وافى مكة فتحصن منه ابن الزبير في المسجد الحرام بجميع من كان معه، فنصب الحصين المنجنيق على أبي قبيس، ورمى به الكعبة المعظمة، وذلك في صفر سنة أربع وستين، واحترقت من شرارة نيرانها أستار الكعبة وسقفها وقرنا الكبش الذي فدى به اسماعيل، وكانا في السقف. فبينما هم كذلك إذ ورد على الحصين بموت يزيد بن معاوية، فأرسل إلى ابن الزبير يسأله الموادعة، فأجابه إلى ذلك، وفتح الأبواب واختلط العسكران يطوفان بالبيت، ثم انصرف بمن معه إلى الشام.

(١) في (ب): الحصين السكوني.
(٢) في (ب): وأخذ جيشاً.
(٣) الخبر في تاريخ الخلفاء بهذه الصيغة، وانظر: التنبيه والاشراف ٢٦٤.
(٤) في أنساب الأشراف: ٣٣١/٤: عقبة هرش.

سُئل: إلْكيا الهرّاسي الفقيه الشافعي عن يزيد بن معاوية: هل هو من الصحابة أم لا وهل يجوز لعنه؟ فأجاب: إنه لم يكن من الصحابة، لأنه ولد في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وأما قول السلف، ففيه لكل واحد من أبي حنيفة ومالك وأحمد قولان(١): تصريح وتلويح، ولنا قول واحد: التصريح دون التلويح. فكيف لا يكون كذلك(٢)، وهو المتصيد بالفهد واللاعب بالنرد ومدمن الخمر؟ ومن شعره في الخمر(٣):

أقول لصحب ضمت الكاس شملهم ... وداعي صبابات الهوى يترنم
خذوا بنصيب من نعيم ولذةٍ ... فكل وإن طال المدى يتصرم

وكتب فصلاً طويلاً أضربنا عن ذكره ثم قلب الورقة وكتب: ولو مددت ببياض لأطلقت العنان وبسطت الكلام على مخازي هذا الرجل.

١١٠/ب وقد أفتى الغزالي / في هذه المسألة بخلاف ذلك، فإنه سئل عمن صرح بلعن يزيد بن معاوية هل(٤) يحكم بفسقه أم يكون ذلك مرخصاً فيه؟ وهل كان مريداً قتل الحسين رضي الله عنه أم كان قصده الدفع؟ وهل يسوغ(٥) الترحم عليه أم السكوت عنه أفضل؟ فأجاب: لا يجوز لعن المسلم أصلاً، ومن لعن المسلم فهو الملعون، وقد قال ﷺ: «المسلم ليس بلعّان»، وكيف يجوز لعن المسلم وقد ورد النهي عن ذلك وحرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة بنص من النبي ﷺ(٦). ويزيد صح إسلامه وما صح قتله للحسين رضي الله عنه، ولا أمره ولا أرضاه

---

(١) في (ب): قولا.
(٢) في (ب): ذلك.
(٣) في (ب): وقيل في ذلك.
(٤) في (ب): وهل.
(٥) في (ب): وهل يجوز الترحم عليه.
(٦) في (ب): لا يجوز لعن مسلم أصلاً... وحرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة، بسقوط الجملة اللاحقة.

ذلك[١]. وإذا لم يصح ذلك عنه لم يجز أن يظن ذلك به، فإن إساءة الظن أيضاً بالمسلم حرام[٢]، ومع هذا[٣]، لو ثبت على مسلم أنه قتل مسلماً فمذهب أهل الحق أنه ليس بكافر والقتل ليس بكفر بل هو معصية، وإذا مات القاتل فربما مات بعد التوبة، والكافر لو تاب من كفره لم يجز لعنه، فكيف من تاب عن قتل؟ ولم يعرف أن قاتل الحسين رضي الله عنه مات قبل التوبة، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده. فإذاً لا يجوز لعن أحد ممن مات من المسلمين، ومن لعنه كان فاسقاً عاصياً لله عز وجل ولو جاز لعنه فسكت لم يكن عاصياً بالإجماع، بل لو لم يلعن إبليس طول عمره لا يقال له في القيامة: لِم لم تلعن إبليس؟ ويقال للّاعن: لم لعنت؟ ومن أين عرفت أنه ملعون؟ والملعون هو المبعد من الله تعالى، وذلك لا يعرف إلا فيمن مات كافراً، فإن ذلك علم بالشرع. وأما الترحم عليه فجائز، بل يستحب، بل داخل في قولنا: اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، فإنه كان مؤمناً.

قال نوفل بن أبي الفرات: كنت عند عمر بن العزيز فذكر رجل يزيد فقال: قال أمير المؤمنين يزيد بن معاوية: فقال: تقول أمير المؤمنين؟ وأمر به فضرب عشرين سوطاً[٤].

أخرج الرؤياني في «مسنده»[٥]، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أول من يبدل سنتي رجل من بني أمية يقال له يزيد».

مات يزيد في شهر ربيع الأول سنة أربع وستين بذات الجنب بحوران، وحمل إلى دمشق، وصلّى عليه أخوه خالد، وقيل: ابنه معاوية، ودفن بمقبرة باب
١١١/أ الصغير، وقبره الآن مزبلة،/ وقد بلغ سبعاً وثلاثين سنة، وكانت خلافته ثلاث سنين وتسعة شهور[٦].

---

(١) في (ب): ولا كان ذلك برضاه.
(٢) في (ب): فإن اساءة الظن بالمسلم حرام.
(٣) ومع هذا، لو ثبت على مسلم... فضرب عشرين سوطاً، ساقطة من (ب).
(٤) الخبر أورده السيوطي في تاريخ الخلفاء ٢٢٨.
(٥) أخرج الرؤباني في مسنده في (أ) فقط.
(٦) في (ب): وتسع شهور.

الفصل الثالث

في ذكر خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان

وهو المعروف بمعاوية الأصغر[1]، بويع له الخلافة يوم موت أبيه.

وكان شاباً صالحاً، ذا عقل ودين. وأمه أم خالد بنت هشام بن عتبة.

نقش خاتمه: «الدنيا غرور»[2].

وكان زاهداً في الدنيا، راغباً في الآخرة. نظر في الأمر، فإذا ليس يصلحه إلا السيف[3]، فجمع الناس وخطبهم على منبر دمشق، بعدما حمد الله [تعالى][4] وأثنى عليه فقال[5]: معاشرَ الناس، إني قد نظرت في أمركم، وإني قد ضعفت عن القيام لكم[6]، والساخط عليّ أكثر من الراضي وما كنت لأتحمل

(١) أخباره في المحبر ٢٢، والمعارف ١٥٤، وتاريخ خليفة بن خياط ٢٥٥، وتاريخ محمد بن يزيد ٢٨ ـ ٢٩، وتاريخ اليعقوبي ٢/٢٥٤، والتنبيه والإشراف ٢٦٥، ومروج الذهب ٢/٥٧، ونسب قريش ١٢٨، وحذْف من نسب قريش ٣١، والعقد الفريد ٤/٣٩١، والفخري ١١٨، والمختصر في أخبار البشر ١/١٩٣، وسير أعلام النبلاء ٤/١٣٩، وتاريخ الخميس ٢/٣٠١، وتاريخ الخلفاء (للسيوطي) ٢٣٠، ونهاية الأرب ٢٠/٤٩٩ ـ ٥٠١، ومحاضرة الأبرار ٢/٦٧ ـ ٦٨، والجوهر الثمين ١/٨١، والتبيين في أنساب القرشيين ٢٠٧، ودول الإسلام ٣٩.

(٢) في التنبيه والإشراف: ٢٦٥، «بالله ثقة معاوية»، وفي مختصر التاريخ: «الدنيا غرور»، وفي نهاية الأرب: «الدنيا غرور».

(٣) في (ب): نظر في الأمر، فإذا لم يصلحه غير السيف.

(٤) ما بين الحاصرتين من (ب).

(٥) خطبة يزيد في مسامرة الأخيار ٢/٦٧ ـ ٦٨، وفي أنساب الأشراف ٤/٣٥٩ مختلفة عما أورده المصنف، وهي أيضاً مختلفة عما ورد هنا في نهاية الأرب ٢٠/٥٠٠.

(٦) في (ب): وإني قد ضعف عن القيام لكم.

آثامكم، ولا[1] يراني الله جلت قدرته متقلداً أوزاركم، وألقاه بتبعاتكم، فشأنكم أمركم فخذوه، ومن رضيتم به عليكم فولّوه، فلقد خلعت بيعتي من أعناقكم، والسلام.

واجتمعت إليه[2] بنو أمية وقالوا له: إعهد إلى من تريد، فقال: ما أصبت من حلاوتها، فلا أتحمل من مرارتها[3].

ودخلت عليه أمه فوجدته يبكي فقالت له: ليتك كنت حيضة ولم أسمع بخبرك. فقال: [وددت والله ذلك. ثم قال: ويلي إن لم يرحمني ربي.

ثم إن بني أمية قالوا لمعلمه عمر القوصي: أنت علمته هذا وصدرته عن الخلافة وحملته على ما وسمنا به من الظلم، وحسنت له البدع حتى نطق بما نطق، وقال ما قال! فقال][4]: والله ما فعلته، ولكنه مجبول ومطبوع على حب علي بن أبي طالب [رضي الله عنه][5]، فلم يقبلوا منه ذلك وأخذوه ودفنوه حيا حتى مات.

قيل: توفي معاوية بعد خلعه نفسه بأربعين ليلة، وكان عمره ثلاثاً وعشرين سنة، وصلّى عليه أخوه عبد الرحمن، ودفن خارج باب الجابية.

في «**المسامرة**»[6]: صلّى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، فلما كبر تكبيرتين مات قبل أن يقضي صلاته، فصلّى عليه مروان بن الحكم ودفن الوليد

---

(١) في (ب): فلا يراني.
(٢) في (ب): فاجتمعت إليه.
(٣) في (ب): وكنت متحملاً مرارتها.
(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من (أ) و (ب).
وفي أنساب الأشراف ٣٥٩/٤: فقالت له أمه أم هاشم: لوددت يا بني أنك كنت نسياً منسياً وأنك لم تضعف هذا الضعف، فقال: وددت والله أني كنت نسياً منسيا ولم أسمع بذكر جهنم.
(٥) زيادة من (ج).
(٦) المسامرة ٦٨/٢.

المذكور بجنب معاوية بن يزيد، وكانت خلافته ثلاثة أشهر واثنين وعشرين يوماً.
وتمثل مروان بن الحكم على قبره [1]:

إنـي أرى فئـة تغـلي مـراجـلهـا والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا[2]

وظهر أبو أنيس الضحاك بن قيس الفهري ودعا الناس إلى بيعته، فخرج عليه مروان بن الحكم في بني أمية، فقتله بمرج راهط [3].

(١) البيت في طبقات ابن سعد ٥/٣٩، وروايته فيه:
إني أرى فتناً تغلي مراجلها
وفي أنساب الأشراف ٤/٣٥٦، وروايته فيه:
لا تُخدعن فإن الأمر مختلف
وانظر تخريج البيت في هامش أنساب الأشراف.

(٢) تشير المصادر إلى تسمية معاوية بن يزيد بأبي ليلى، لأنه اعتبر ضعيفاً، ويشير البلاذري إلى أنه كان يظهر التأله، وكان ضعيفاً في أمر دنياه، فكني أبا ليلى.

(٣) في (ب): فقتله، بسقوط كلمتي: بمرج راهط.

الفصل الرابع

في ذكر /خلافة مروان بن الحكم

/١١١ب

ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف[١]. بويع له بالخلافة بالجابية، ثم دخل الشام، فأذعن له أهلها بالطاعة. ثم دخل مصر بعد حروب كثيرة فبايعه أهلها.

وكان يقال له: الطريد، لأن النبي ﷺ كان طرده إلى الطائف، فرده عثمان رضي الله عنه حين وُلّي، وكان كاتب السر له، وبسببه جرى عليه ما جرى كما تقدم قريباً[٢]. وقد كان لحق النبي ﷺ وهو صبي، وولي المدينة ونيابتها مرّات. وهو قاتل طلحة أحد العشرة رضي الله عنه.

وروى الحاكم في «**كتاب الفتن والملاحم**» من «**المستدرك**» عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أنه قال: كان لا يولد لأحد ولد إلا أُتي به إلى النبي ﷺ فيدعو له، فأُدخل عليه مروان بن الحكم فقال: «هذا الوزغ ابن الوزغ، الملعون ابن الملعون»[٣].

ثم روى الحاكم عن عمرو بن مرة الجهني رضي الله عنه قال: إن الحكم بن أبي العاص استأذن على رسول الله ﷺ فعرف صوته فقال ﷺ: «ائذنوا له لعنة الله

(١) طبقات ابن سعد ٥/٣٥، المحبر ٢٢، تاريخ محمد بن يزيد ٢٩، أسماء المغتالين ١٧٤، المعارف ١٥٤، تاريخ خليفة بن خياط ٢٥٣، ٢٥٩، تاريخ الطبري ٥/٥٣٠، ٦١٠، الأخبار الطوال ٢٨٥، العقد الفريد ٤/٣٩٤، مروج الذهب ٢/٦٦، التنبيه والاشراف ٢٦٦، الكامل في التاريخ ٤/٣٢٦، ٣٤٧، سير أعلام النبلاء ٣/٤٧٦، والبداية والنهاية ٨/٢٢٩، ٢٥٧، مختصر التاريخ ٨٨، نهاية الأرب ٢١/٨١، الجوهر الثمين ١/٨٢، وفوات الوفيات ٤/١٢٥، وتاريخ الخلفاء ٢٢٨، تاريخ الخميس ٢/٣٠٦، والتبيين في أنساب القرشيين ١٨٣، ودول الإسلام ٣٩، وتاريخ الإسلام (٦١ - ٨٠هـ) ٢٢٧.

(٢) في (ب): كما تقدم. لسقوط لفظ (قريباً).

(٣) المستدرك ٤/٤٧٩.

عليه وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمن منهم وقليل ما هم يشرفون في الدنيا ويوضعون في الآخرة، ذوو مكر وخديعة، يعطون في الدنيا وما لهم في الآخرة من خلاف[1]».

رأى مروان أنه بال في محراب رسول الله ﷺ أربع مرات فعبر ابن سيرين وقال: إن صدقت رؤياك انه سيقوم من أولادك أربعة في المحراب، ويقلدون الخلافة بعدك، فكان كذلك، وهم: الوليد وسليمان وهشام ويزيد.

مات مروان[2] مطعوناً، وقيل: وثبت عليه زوجته لكونه شتمها فوضعت على وجهه مخدة كبيرة وهو نائم وقعدت وجواريها[3] فوقها حتى مات؛ وصلّى عليه ابنه وولي عهده عبد الملك، ودفن بدمشق خارج باب الجابية.

/١١٢أ وكان عمره يوم مات ثلاثاً وستين سنة، وكانت مدة ولايته/ تسعة أشهر وثمانية عشر يوماً.

نقش خاتمه: «ثقتي ورجائي الله»[4].

قال الذهبي: إن مروان لا يعد في امراء المؤمنين، بل هو باغ خارج على ابن الزبير، ولا عهده إلى ابنه بصحيح، وإنما صحت خلافة ابنه عبد الملك من حين قتل ابن الزبير[5].

وكان داره في ناحية حجر الذهب قبليّ باب الخضراء[6].

---

(١) المستدرك ٤/٤٨١.
وروايته: يشرفون في الدنيا، ويضعون في الآخرة، ذوو مكر وخديعة...

(٢) في (ب): ومات مروان.

(٣) في الأصول: وجوارها.

(٤) في (ب): «رجائي الله». وفي الجوهر الثمين ٨٣: «آمنت بالله مخلصاً». وفي مختصر التاريخ ٨٨: «الله ثقتي ورجائي»، وفي التنبيه والاشراف: «العزة لله، وقيل: آمنت بالله، وقيل: آمنت بالله العزيز الحكيم، وقيل: آمنت بـالعزيز الحكيم»، وفي نهاية الأرب ٩٧/٢١: «الله ثقتي ورجائي».

(٥) منقول عن تاريخ الخلفاء ٢٣١.

(٦) الخضراء: قصر معاوية في دمشق.

الفصل الخامس

في ذكر خلافة أبي الوليد عبد الملك بن مروان

ولد سنة ست وعشرين[1]. وأنه ولد لستة أشهر. وأمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة، وتعرف بالبيضاء.

بويع له بالخلافة يوم موت أبيه مروان.

وكان طويلاً أقنى الأنف رقيق الوجه، مشدود الأسنان بالذهب.

نقش خاتمه: «آمنت بالله مخلصاً»[2].

وكان شديد البخل يلقب «برشح الحجر» لبخله، ويلقب أيضاً بأبي ذباب لبخره، قيل له «أبو ذباب» لأنه[3] كان إذا مر الذباب على باب فمه يموت من شدة نتنه.

وكان مقداماً على سفك الدماء، وكذلك كان عماله الحجاج بالعراق والمهلب بن أبي صفرة بخراسان وهشام بن إسماعيل بمصر[4]، وموسى بن نصير

(١) طبقات ابن سعد ٢٥٣/٥، المحبر ٢٣، والمعارف ١٥٥، وتاريخ خليفة بن خياط ٢٦١، ٢٩٢، وتاريخ محمد بن يزيد ٣٠، وتاريخ الطبري ٤١٨/٦، والأخبار الطوال ٢٨٦، والعقد الفريد ٣٩٨/٤، التنبيه والإشراف ٢٧٠، ومروج الذهب ٧١/٢ ـ ٩٥، وسير أعلام النبلاء ٢٤٦/٤ ـ ٢٤٩، ومختصر التاريخ ٨٩، والكامل في التاريخ ١٠٢/٤، البداية والنهاية ٦١/٩، نهاية الأرب ٢٧٨/٢١، والعقد الثمين ٨٤/١، وفوات الوفيات ٤٠٢/٢، وتاريخ الخميس ٣٠٨/٢، ٣١١، ودول الإسلام ٤٠ ـ ٥٠.

(٢) في التنبيه والإشراف: «آمنت به مخلصاً»، وفي مختصر التاريخ: مطابق لما أورده مصنفنا، وفي نهاية الأرب ٢٧٩/٢١ مطابق أيضاً.

(٣) في (ب): ويلقب أيضاً بابن الذباب لبخره، قيل له أبو ذباب. وفي (ج): قيل انه إذا مرّ الذباب...

(٤) في نهاية الأرب ٢٧٩/٢١: هشام بن إسماعيل اللخمي بالمدينة، وعبدالله ولده بمصر، وأورد=

بالمغرب، ومحمد أخو الحجاج باليمن، ومحمد بن مروان بالجزيرة، وكل من هؤلاء ظلوم غشوم جائر.

وهو أول من تسمى بعبد الملك في الإسلام، وأول من ضرب الدنانير والدراهم بسكة الإسلام وكتب عليها القرآن[1]، وكتب فيه: «ضرب بمدينة كذا»[2] والتاريخ. وكان قبل ذلك على الدنانير نقش بالرومية وعلى الدراهم نقش بالفارسية. وهو أول من غدر في الإسلام، وأول من نهى عن الكلام بحضرة الخلفاء، وأول من نهى عن الأمر بالمعروف[3].

وكان قبل الخلافة متعبداً ناسكاً، عالماً، فقيهاً، واسع العلم، وكان يلقب بحمامة المسجد.

ذكر السيوطي في «تاريخه» نقلاً عن بكر[4] بن عبد الله المزني قال: أسلم يهودي اسمه يوسف، وكان ممن قرأ الكتب المنزلة، فمرّ بدار مروان فقال: ويل لأمة محمد من أهل هذه الدار، فقلت له: إلى متى؟ قال: حتى تجيء[5] رايات سود من قبل خراسان.

وكان صديقاً لعبد الملك بن مروان/ فضرب يوماً على منكبه وقال: إتق الله ١١٢/ب
في أمة محمد إذا ملكتهم. قال: دعني ويحك، ما شأني وشأن ذلك؟ فقال إتق الله في أمرهم[6].

= خليفة بن خياط في تاريخه ٢٩٣ أسماء عمال عبد الملك فكان هشام بن إسماعيل المخزومي والياً على المدينة منذ ٨٣ هـ. حتى مات عبد الملك. أما عامله على مصر فقد كان عبد الله بن عبد الملك منذ وفاة عبد العزيز بن مروان ٨٤ هـ، فلم يزل والياً حتى مات عبد الملك سنة ٨٦ هـ.

(١) في (أ) و (ج): كتب عليها.
(٢) في (ب): ضرب في مدينة كذا.
(٣) مختصر التاريخ ٨٩، نهاية الأرب ٢١/٩٨، ٢٨٠، تاريخ الخلفاء ٢٣٧ - ٢٣٨.
(٤) في (أ) و (ب): بكير بن عبدالله المزني.
(٥) في (أ): يجيء.
(٦) في (ب): اتق الله في أمة محمد وأمرهم.

سبعة عشر رجلاً؛ ولي الخلافة منهم أربعة، وصلّى عليه ابنه الوليد[1]، ودفن بين باب الجابية وباب الصغير.

وكانت خلافته إحدى وعشرين سنة وخمسة عشر يوماً، منها ثماني سنين مزاحماً لابن الزبير، ثم انفرد بمملكة الدنيا إلى أن مات، سامحه الله[2].

(١) في (أ) و (ج): صلى عليه ابنه الوليد.
(٢) في (ب): إلى أن مات، بسقوط ما بعدها.

وأما عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه[١]

/١١٣أ كان/ أبوه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة؛ وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما[٢]، ذات النطاقين؛ وأم أبيه صفيّة عمة رسول الله ﷺ.

ولد بالمدينة بعد عشرين شهراً من الهجرة. وهو أول مولود ولد للمهاجرين بعد الهجرة وفرح المسلمون بولادته فرحاً شديداً لأن اليهود كانوا يقولون: سحرناهم فلا يولد لهم ولد. فحنكه رسول الله ﷺ بتمرة لاكها وسماه عبد الله وكناه أبا بكر، باسم جده الصديق[٣].

وكان صواماً قواماً قسم الدهر ثلاث ليال: ليلة يصلي قائماً حتى الصباح، وليلة راكعاً، وليلة ساجداً حتى الصباح[٤].

رُوي له عن النبي ﷺ ثلاثة وثلاثون[٥] حديثاً. روى عنه جماعة كثيرة. وكان فارس قريش في زمانه وله المواقف المشهودة[٦].

---

(١) وأخباره في تاريخ الخلفاء ٢٣٠، وتاريخ الطبري ٥٦٣/٥، والمعارف ٩٣، وتاريخ خليفة بن خياط ٢٥١، ٢٥٧، وأنساب الأشراف ٣٣٧/٤ وما بعدها، والاستيعاب ٢٩٩/٣، وحلية الأولياء ٣٢٩/١، وتهذيب تاريخ دمشق ٣٩٦/٧، ووفيات الأعيان ٧١/٣، والكامل في التاريخ ٣٣٩/٣ وما بعدها، والبداية والنهاية ٣٣٢/٨، ٣٦٥، والاصابة ٣٠٨/٢، وشذرات الذهب ٧٩/١، وفوات الوفيات ١٧١/٢، والوافي بالوفيات ١٧٢/١٧، وسير أعلام النبلاء ٣٨٣/٣، والمستدرك ٥٤٧/٣، والعقد الثمين ١٤١/٥، وتاريخ الخميس ٣١١/٢، والتبيين في أنساب القرشيين ٢٥، ونسب قريش ٢٣٧، ودول الإسلام ٣٩، وتاريخ الإسلام ٤٥٠.

(٢) في (ب): رضي الله عنه.

(٣) في (ب): وكناه أبا بكر، باسم جده الصديق، رضي الله عنهم أجمعين.

(٤) في (ب): ليلة يصلي قائماً حتى يصبح، وليلة راكعاً ساجداً حتى يصبح.

(٥) في (ب): ثلاث وثلاثون حديثاً.

(٦) في (ب): وصاحب المواقف المشهورة.
والخبر في تاريخ الخلفاء ٢٣٠، ٢٣١.

أخرج أبو يعلى في «مسنده» عن ابن الزبير[1]: أن النبي ﷺ احتجم فلما فرغ[2] قال له: (ياعُبد الله، إذهب بهذا الدم فأهرقه حيث لا يراك أحد. فلما ذهب شربه، فلما رجع قال: ما صنعت بالدم؟ قال: عمدت إلى أخفى موضع علمت، فجعلته فيه. قال: لعلك شربته؟ قال: نعم قال: ويل للناس منك، وويل لك من النـاس). فكانوا يرونُ أن القوة التي به من ذلك الدم.

وهو ممن أبى البيعة ليزيد بن معاوية وفرّ إلى مكة، فبايعه أهل الحرمين واليمن والعراق وخراسان.

وجهز يزيد لقتله جيشاً كما تقدم. ففي أثناء الحرب شاع موت يزيد، ورجع الجيش إلى الشام. فلما تفرقت الكلمة وقع في الوقت خليفتان، أكبرهما ابن الزبير. فجهز عبد الملك لقتاله الحجاج في أربعين ألفاً، فحصره بمكة أشهراً ونصب المجانيق على أبي قبيس وقيقعان[3]، وما زال يحاصره ويضيق عليه مقدار أربعة أشهر.

أخرج ابن عساكر عن محمد بن زيد قال: إني كنت فوق جبل أبي قبيس حين وضع المنجنيق على ابن الزبير، فنزلت صاعقة كأني انظر إليها، تدور كأنها حمار أحمر قد أحرقت أصحاب/ المنجنيق نحو خمسين رجلاً[4]. /١١٣ب

وأصابت نار كسوة البيت فاحترقت ثياب الكعبة فوهى البيت.

فلما قتل عبد الله بن الزبير هدم الحجاج الكعبة وبناها وضيقها وسد بابها الغربي، وعلّى الباب الشرقي، فهي اليوم على ما بناها الحجاج.

(١) الخبر عن أبي يعلى من تاريخ الخلفاء ٢٣٢.
(٢) في (ب): ان النبي صلى الله عليه وسلم لما احتجم قال له.
(٣) في (ب): ونصب المنجنيق على أبي قبيس وقيعيقان.
(٤) في (ب): وعن محمد بن زيـد، بسقوط ما قبلها.
والخبر من تاريخ الخلفاء ٢٣٢.

ولما كان في الليلة التي قتل[1] عبد الله بن الزبير صبيحتها، اغتسل وتحنط، ثم أتى أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها وعن أبويها[2] فقال لها: ما ترين يا أماه؟ فقد[3] فقد خذلني الناس. فقالت: لا يلعب بك صبيان بني أمية؛ عش كريماً ومت كريماً قال: إني أخشى أن يمثل بي وأصلب، قالت: يا ولدي، إن الشاة لا تتألم بالسلخ بعد الذبح[4]. فقبل بين عينيها وودعها وخرج، وأسند[5] ظهره إلى الكعبة وجعل يقاتل وحده فيهزمهم ويخرجهم من أبواب المسجد فبينما هو يقاتل إذ أتاه حجر من حجارة المنجنيق فصرعه، فتبادروا إليه وحملوه إلى الحجاج خذله الله تعالى، فدعا بالنطع وحز رأسه بيده، وبعث به إلى عبد الملك، وصلب جسده منكوساً. وذلك يوم الثلاثاء السبع عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين[6]، ثم أتى إلى أمه يعزيها فيه، فقالت له: يا حجاج، أقتلت عبد الله؟ قال لها: يا ابنة أبي بكر[7]، إني قاتل الملحدين. قالت له: بل أنت قاتل الموحدين، لقد أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك، ولا ضير أن الله أكرمه على يديك، وقد أهدي[8] رأس يحيى بن زكريا إلى بغية من بغايا بني إسرائيل.

وكلم الناس الحجاج أن ينزل جسد ابن الزبير ويدفنه[9]، فحلف أن لا ينزله حتى تشفع فيه أمه، فتم على تلك الحالة سنة، فمرت به أمه يوماً وقد عشّش

---

(١) في (ب): قتل فيها.
والخبر في تاريخ ابن الأثير، وفي نهاية الأرب.

(٢) في (ب): رضي الله عنه.

(٣) في (ب): يا أماه، ما ترين؟

(٤) في (أ): وان الشاة لا تتألم للسلخ بعد الذبح، وفي (ب): ان الشاة لا تتألم بالسلخ بعد الذبح، وهو ما أثبتناه، وفي (ج): وان الشاة لا تتألم بالسلخ بعد الذبح.

(٥) في (أ): أسند ظهره.

(٦) في (ب): لسبع عشر خلت.

(٧) في (ب): يا ابنة أبا بكر.

(٨) في (ب): ولا ضير أن اكرمه الله على يدك، ولقد أُهدي.

(٩) في (ب): أن ينزل جسده.

الطير في صدره فقالت: أما آن لهذا الفارس أن يترجل؟ أو قـالت(١): أما آن لهذا الخطيب أن ينزل من على المنبر؟ فبلغ ذلك الحجاج، قال: هذه شفاعة، فأمر أن ينزل وأن يعطى لأمه. فأخذته وغسلته ودفنته في المدينة، في دار صفية بنت حُيَيّ.

ولما أُتي به إليها حاضت/ ودر اللبن في ثديها(٢)، فقالت: حنت إليه ١١٤/أ
مواضعه ودرت عليه مراضعه. وكانت تقول قبل ذلك: اللهم لا تمتني حتى تقر عيني بجثته. فما أتى عليها بعد ذلك جمعة حتى ماتت رحمها الله تعـالى(٣)، فلما بلغ عبد الملك قتل الحجاج ابن الزبير أنابه على الحرمين.

---

(١) في (ب): فمرّت به أمه يوماً فقالت: أما آن...

(٢) في (ب) و (ج): ودر اللبن من ثديها.

(٣) في (ب): حتى ماتت.

ذكر جُملٍ من أخبار الحجاج وأفعاله القبيحة[١]

ذكر المسعودي في «مروج الذهب»[٢] أن أم الحجاج، وهي الفارعة بنت همام، كانت عند الحارث بن كلدة فدخل عليها في السحر فوجدها تتخلل، فبعث إليها بطلاقها.

فقالت لم بعثت إليّ بطلاقي؟ ألشيءٍ رابك مني؟ قال: نعم، دخلت عليك عند السحر وأنت تتخلّلين، فإن كنت بادرت إلى الغداء، فأنت شرهة، وإن كنت بت والطعام بين أسنانك[٣]، فأنت قذرة.

فقالت: كل ذلك لم يكن، ولكني تخلّلت من شظايا السواك.

فتزوجها بعده يوسف بن أبي عقيل[٤] الثقفي، أبو الحجاج. فولدت الحجاج مشوهاً لا دبر له، فثقب عن دبره، وأبى أن يقبل ثدي أمه أو غيرها، فأعياهم أمره، فيقال: إن الشيطان تصوّر لهم في صورة الحارث بن كلدة، فقال: ما خبركم؟ فقالوا: ابن[٥] ولد ليوسف من الفارعة، وقد أبى أن يقبل ثدي أمّه أو غيرها. فقال: اذبحوا له تيساً، وأولغوه دمه، ثم اذبحوا له أسود سالخاً، فأولغوه[٦]

---

(١) مروج الذهب ٢/٩٧، وتهذيب تاريخ دمشق ٤/٤٨، ووفيات الأعيان ٢/٢٩، والنجوم الزاهرة ١/٢٣٠، والوافي بالوفيات ١١/٣٠٧، والكامل في التاريخ ٤/١٣٢.

(٢) مروج الذهب ٢/٩٧.

(٣) في (ب): في أسنانك.

(٤) في (ب): يوسف بن عقيل.

(٥) في (أ): ابني، وفي (ب): بني.

(٦) في (ب): وأولغوه.

دمه وأطلوا به وجهه فإنه يقبل الثدي. ففعلوا به ذلك ثلاثة أيام فقبل الثدي[1] فكان لا يصبر[2] عن سفك الدماء.

وكان يخبر عن نفسه أن أكبر لذاته سفك الدماء. وكان يرتكب أموراً لا يقدم عليها غيره، ولا يسبق إليها سواه. وكان بدو أمره، أنه كان في خدمة روح بن زنباع، وزير عبد الملك. فلما غلبت الخوارج على البصرة ولاّه عبد الملك العراق فتقلد الإمارة وهو ابن عشرين سنة.

وكان عنف السياسة، أُحصي من قتله بأمره سوى من قتله في حروبه فكانوا مائة ألف وعشرين ألفا[3]، ومات في سجنه خمسون ألف رجل وثلاثون ألف/ مرأة، وكان حبس الرجال والنساء في موضع واحد، ولم يكن لحبسه[4] سقف يستر الناس من الحر والبرد، وعرضت سجونه بعده فوجد فيها ثلاثة وثلاثون ألفا[5]، لم يجب على واحد منهم قطع ولا صلب، فأطلقهم الوليد بن عبد الملك. /١١٤ب

رُوي أنه[6] ركب يوم جمعة فسمع ضجة فقال: ما هذا؟ فقيل: المسجونون يضجون ويشكون مما هم فيه من الجوع. فالتفت إلى ناحيتهم وقال: ﴿**إخسئوا فيها ولا تكلمون**﴾[7]. فما صلّى جمعة بعدها. وقد كفره العلماء بهذا القول.

---

(١) في (ب): فإنه يقبل الثدي، وما بعدها ساقط.
(٢) في (ب): وكان لا يصبر.
(٣) في (ب): مائة وعشرون ألفاً.
(٤) في (ب): لسجنه.
(٥) في (ب): ثلاثاً وثلاثين ألفاً، وفي (ج): ثلاثة وثلاثين.
والخبر في الوافي بالوفيات ١١/٣٨..
(٦) في (ب): وروي.
(٧) سورة المؤمنون، الآية: ١٠٨.

وفي «الكامل» للمبرد: مما كفر به الفقهاء الحجاج أنه رأى الناس يطوفون حول حجرة رسول الله ﷺ فقال[1]: إنما يطوفون بأعواد ورمّة، فإنه [2] صح عند سيّد البشر ﷺ أنه قال: (إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء)؛ خرّجه أبو داود.

وكان شجاعاً مهيباً جباراً عنيداً، إلا أنه كان عالماً فصيحاً مجوداً للقرآن [3].

قال الشعبي: لو جاءت كل أمة بخبيثها وفاسقها، وجئنا بالحجاج وحده لزدنا عليهم [4].

يروى عن عمر بن عبد العزيز قال: رأيت الحجاج في المنام بعد موته، وهو جيفة منتنة، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: قتلني الله بكل قتيل قتلته قتلة واحدة، إلاّ سعيد بن جبير، فإنه قتلني به سبعين قتلة [5] فقلت له: ما أنت تنتظر؟ قال: ما ينتظره الموحدون. فهذا ينفي عنه الكفر، ويثبت أنه مات على التوحيد [6]، وعند الله علم حاله، وهو أعلم بحقيقة أمره.

هلك في رمضان سنة خمس وتسعين في خلافة الوليد بواسط، ودفن فيها، وخفي قبره، وأجريَ عليه الماء.

---

(١) في (ب): قال.
(٢) الحديث ليس في (ب).
(٣) في (ب): كان فصيحا مجودا للقران.
(٤) الخبر عن عمر بن عبد العزيز من نهاية الأرب ٣٣٤/٢١، وفي الوافي بالوفيات ٣٠٨/١١.
(٥) القسم الأول من الخبر في الوافي ٣١٤/١١.
(٦) فقلت له ... ويثبت أنه مات على التوحيد، ساقطة من (ب).

وقيل: لما مات لم يعلم بموته أحد حتى خرجت جنازته وهم يقولون[١]:

اليوم يرحمنا من كان يغبطنا   واليوم نتبع من كانوا لنا تبعا

فعلم موته.

وسمعوه يقول عند الموت: ربّ اغفر لي، فإن الناس يزعمون أنك لا تغفر لي.

وقيل له في مرض موته: إن الناس يحلفون أنك من أهل النار، قال: فبكى وأنشد يقول[٢]:

يا رب قد حلف الأعداء واجتهدوا   أيْمانهم انّني من ساكني النار
أيحلفون على عمياء ويحهم   ما ظنهم بعظيم العفو غفّار

فلما نقل ذلك إلى الحسن البصري رضي الله عنه[٣] قال: والله، إني أخاف[٤] أن يكون قد حاز الدنيا والآخرة.

وكانت مدة خلافة عبد الملك تسع سنين واثنين وعشرين يوماً، وله/ من العمر ثلاث سبعون سنة. /١١٥أ

(١) البيت والخبر في الوافي ١١/٣١٤.
(٢) في (ب): وأنشد.
والخبر والبيتان في الوافي ١١/٣٠٨.
(٣) رضي الله عنه، ليست في (ب) و (ج).
(٤) في (ب): إني خفت.

الفصل السادس

في ذكر خلافة الوليد بن عبد الملك

بويع له بالخلافة يوم توفي والده[1]. وكان أسمر، طويلًا، أفطس، بوجهه أثر جدري، وكان ذميماً سائل الأنف، مختالاً في مشيته[2]، قليل العلم. كان أبواه مرفهين له[3]، فشب بلا أدبٍ. وكان لحاناً، وجبّاراً ظالماً.

وأمه ولادة بنت العباس بن حزن العبسي[4].

نقش خاتمه: «ربي الله لا أشرك به شيئاً»[5].

قال الحافظ ابن عساكر: كان الوليد عند أهل الشام من أفضل خلفائهم، كان يعطي أكياس الدراهم لتفرق على الصالحين، وفرض للمجذومين وقال: لا تسألوا الناس. وأعطى كل مقعد خادماً، وكل أعمى قائداً، وكان يبر حملة القرآن ويقضي عنهم ديونهم.

وبنى الجامع الأموي بدمشق، وهدم كنيسة يوحنا[5] وزادها فيه، وذلك في

(١) المحبر ٢٥، والمعارف ١٥٧، وتاريخ خليفة بن خياط ٢٩٩ ـ ٣٠٩، والأخبار الطوال ٣٢٦، وتاريخ محمد بن يزيد ٣١، وتاريخ الخلفاء ٢٤٢، وتاريخ مختصر الدول ١١٣، والعقد الفريد ٤٢١/٤، والكامل في التاريخ ١٣٧/٤، ومختصر التاريخ ٩١، وخلاصة الذهب المسبوك ١ ـ ١٣، ونهاية الأرب ٢٨١/٢١، والتنبيه والإشراف ٢٧٠، ومروج الذهب ١٢١/٢، والجوهر الثمين ٨٦/١، والبداية والنهاية ١٦١/٩، والعيون والحدائق ١٦/٣، والمختصر في أخبار البشر ١٩٨/٢، وتاريخ الخميس ٣١١/٢، ٣١٤، وتاريخ الطبري ٤٩٥/٦، وسير أعلام النبلاء ٣٤٧/٤، ودول الإسلام ٥١ ـ ٥٦.

(٢) في (ب): في مشيه.

(٣) في (ب): لأن أبواه كانا مرفهين له.

(٤) في (ب): بنت العباس بن حرب العبسي.

(٥) نهاية الأرب ٣٣٧/٢١، كنيسة مار يوحنا.

ذي القعدة سنة ست وثمانين. ذكر أنه كان[١] في الجامع وهو يُبنى اثنا عشر ألف مرخم. وتوفي ولم يتم بناؤه، فأتمه أخوه سليمان. وكان جملة ما أنفق على بنـائه[٢] أربعماية صندوق، وفي كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار، وكان فيه ستماية سلسلة ذهباً للقناديل، وما زالت إلى أيام عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فجعلها في بيت المال، وجعل عوضها صفراً وحديداً[٣].

وبنى قبة الصخرة ببيت المقدس، وبنى المسجد النبوي، ووسعه حتى دخلت الحجرة الشريفة فيه، وله آثار حسنة جداً[٤]، ومع ذلك فقد رُوي أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال: لما أُلْحدت الوليد إذا هو يضرب الأرض برجله، وغلت يداه إلى عنقه. نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة ونسأله خاتمة الخير.

وفي أيامه فتحت بلاد الأندلس، وحملت إليه منها مائدة سليمان بن داود عليهما السلام، وهي من خلطين: ذهب وفضة، وعليها ثلاثة أطواق من لؤلؤ وحمل له كل ما أخذ منها من لؤلؤ وياقوت وزمرد، سوى ما أخفي، وهي ماية وثلاث عشرة عجلة[٥].

/١١٥ب وفي أيامه كان/ طاعـون الجارف، مـات في مدة قليلة ثـلاثمايـة ألف انسان[٦].

وفيها مات الحجاج بواسط.

توفي الوليد في خامس عشر جمادى الآخرة سنة ست وتسعين بدير مرّان،

---

(١) في (ب): وذكر أنه.
(٢) في (ب): وكان ما أنفق على بنائه.
(٣) في (ب): وجعل عوضها نحاساً أصفر وحديداً.
(٤) في (ب): وله آثار حسنة جيدة.
(٥) خلاصة الذهب المسبوك: ١.
(٦) دول الإسلام: ٤٣؛ وفيه: كان الطاعون سنة ٦٩هـ.

وحمل على أعناق الرجال إلى دمشق، وصلّى عليه عمر بن عبد العزيز ودفن بباب الصغير.

وكانت مدة خلافته تسع سنين وثمانية أشهر ونصف، وقد بلغ من العمر تسعة وأربعين عاماً[1]، وخلف أربعة عشر ولداً[2].

(١) ذكر الطبري ٦/٤٩٥ الاختلاف في مدة خلافته ومبلغ عمره.

(٢) في (ب): أربع عشر ولداً.
وفي تاريخ الطبري ٦/٤٩٦: تسعة عشر ولداً.

الفصل السابع

في ذكر خلافة سليمان بن عبد الملك

بويع له بالخلافة[١] وهو بالرملة بعد موت أخيه الوليد بثلاثة أيام، ثم توجه إلى دمشق.

وكان كبير الوجه أحمر مليحاً، مقرون الحاجبين، أبيض مقصوص الشعر مهيباً، وكان به عرج. ومولده سنة ستين.

وأمه أم الوليد.

نقش خاتمه: «آمنت بالله وحده»[٢].

وهو من خيار ملوك بني أمية.

وكان فصيحاً، مفوهاً، موثراً للعدل، محباً للغزو.

ومن محاسنه: أن عمر بن عبد العزيز كان له كالوزير وكان يمتثل أوامره في الخير. قال ابن سيرين: يرحم الله سليمان، افتتح خلافته بإحيائه الصلاة في

(١) توافق مع تاريخ الخلفاء ٢٤٢، وأخباره في المحبر ٢٦، وتاريخ محمد بن يزيد ٣١، والمعارف ١٥٧، وتاريخ خليفة بن خياط ٣١٦، والأخبار الطوال ٣٢٩، وتاريخ الطبري ٦/٥٤٦، والتنبيه والاشراف ٢٧٥، ومروج الذهب ٢/١٣٥، والعقد الفريد ٤/٤٢٤، ووفيات الأعيان ٢/٤٢٠، وسير أعلام النبلاء ٥/١١١، والكامل في التاريخ ٤/١٥١، ومختصر التاريخ ٩٤، وخلاصة الذهب المسبوك ١٣، والبداية والنهاية ٩/١٧٧، والوافي بالوفيات ١٥/٤٠٠، وفوات الوفيات ٢/٦٨، والجوهر الثمين ١/٩١، وتاريخ الخميس ٢/٣١٥، ونهاية الأرب ٢١/٣٣٨، ودول الإسلام ٥٧ ـ ٥٩.

(٢) التنبيه والاشراف: ٢٧٥ وفيه: «آمنت بالله»، وفي مختصر التاريخ: ٩٥، وفي خلاصة الذهب المسبوك: ١٧، ونهاية الأرب ٢١: ٣٥٤: «آمنت بالله مخلصاً».

مواقيتها واختتمها[١] باستخلافه عمر بن عبد العزيز، مع وجود أولاده[٢].

وهو الذي كمل عمارة الجامع الأموي، وجهز أخاه مسلمة بن عبد الملك إلى غزو الروم فانتهى إلى القسطنطينية فنازلها مدة، كما سيأتي في بيانه. ولم يسكن بدار الإمارة بباب الخضراء، وكانت داره[٣] موضع سقاية جيرون.

وكان من الأكلة المذكورين، وكان يأكل كل يومماية رطل شامي.

وفي «**تاريخ نيسابور**»: أن سليمان بن عبد الملك اصطبح في بعض الأيام بأربعين دجاجة مشوية، وأربعماية بيضة، وأربع وثمانين كلوة بشحمها، وثمانين جردقة، ثم أكل مع الناس في السماط.

وأكل في مجلس واحد سبعين رمانة وخروفاً، وست دجاجات ومكوك زبيب طائفي[٤].

وفي أيامه: اصطنعوا الكنافة، فكان يتسحر في ليالي رمضان كل ليلة ثمانين
١١٦/أ رطل كنافة[٥]، وقيل: كان سبب مرضه أنه أكل أربعماية بيضة وثمانماية/ حبة تين وأربعماية كلوة بشحمها وعشرين دجاجة فحمّ[٦]، وكان موته بالتخمة.

ومما يحكى من محاسنه[٧]: أن رجلاً دخل عليه فقال: يا أمير المؤمنين، أنشدك الله والأذان. فقال سليمان: أما الله [تعالى][٨] فقد عرفته، فما الأذان؟ قال:

---

(١) في (ب): وختمها.
(٢) الوافي بالوفيات ١٥/٤٠٣ ـ ٤، تاريخ الخلفاء ٢٤٥.
(٣) في (ج): وكان داره.
والخبر في الوافي ١/٤٠٠.
(٤) الجملة: (وست دجاجات ومكوك زبيب طائفي) ساقطة من (ب).
والخبر في الوافي ١٥/٤٠١.
(٥) في (ب): فكان يتسحر في ليالي رمضان كل ليلة بعشرين رطل. وفي (ج): بثمانين رطل كنافة.
(٦) في (ب): وكان سبب مرضه أنه أكل مائة بيضة وثمانين حبة تين ومائة كلوة وعشرين دجاجة فتخم.
(٧) في (ب): ومما يحكى أن رجلاً دخل عليه.
(٨) ما بين الحاصرتين من (ب) و (ج).

قوله تعالى: ﴿فأذّن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين﴾(١) فقال له سليمان: ما ظلامتك؟ قال: ضيعتي الفلانية، غلبني عليها عاملك فلان. فنزل سليمان عن سريره ورفع البساط، ووضع خده على الأرض وقال: والله لا رفعت خدي عن الأرض حتى يكتب له برد ضيعته. فكتب الكتاب وهو واضع خده على الأرض، لما سمع كلام ربه الذي خلقه، وخوّله في نعمه وخشي على نفسه من لعن الله تعالى وطرده(٢)، رحمه الله.

قيل: إنه خرج من الحمام يوم جمعة فلبس حلة خضراء، ثم نظر في المرآة، وكان جميلاً، فأعجبه جماله، فشمر عن ذراعيه وقال: كان فينا(٣) محمد ﷺ نبياً ورسولاً، وكان أبو بكر صديقاً، وكان عمر فاروقاً، وكان عثمان حييّاً(٤)، وكان عليّ شجاعاً، وكان معاوية حليماً، وكان يزيد صبوراً، وكان عبد الملك سائساً، وكان الوليد جباراً، فأنا الملك الشاب(٥). ثم خرج إلى صلاة الجمعة فوجد حظيّة له في صحن الدار، فأنشدته هذه الأبيات(٦):

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى ... غير أنْ لا بقاء للإنسان
ليس فيما بدا لنا منك عيبٌ ... عابه الناس غير أنك فاني

فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، نعيت إليّ نفسي. فما دارت عليه جمعة أخرى حتى مات(٧).

(١) سورة الأعراف، الآية: ٤٤. الأغاني
(٢) في (ب): وخشي على نفسه من لعنة الله تعالى وطرده.
(٣) في (أ): كان نبينا.
(٤) في (أ) و (ب): حسناً، وما أثبتناه من (ج)، وهو موافق لما ورد في المصادر.
(٥) الخبر في الوافي بالوفيات ١٦/٤٠٢، تاريخ الخلفاء ٢٤٦.
(٦) البيتان في تاريخ الطبري ٦/٥٤٧، والكامل في التاريخ ٤/١٥١، وفيهما اختلاف برواية الثاني، وروايتهما تتفق مع رواية النويري في نهاية الأرب ٢١/٣٥٤.
(٧) في (ب): فما درات عليه جمعة حتى مات.

فلما مرض قال لرجاء بن حيوة: من لهذا الأمر بعدي؟ قال: فمن ترى؟ قال أرى أن تستخلف عمر بن عبد العزيز.

قال: أتخوف من إخوتي، ولا يرضون، قال: فولّ عمر ومن بعده أخاك يزيد بن عبد الملك، واكتب كتاباً واختم عليه، وادعهم إلى البيعة(١) فليبايعوا على ما فيه مختوماً. فخرج وأخبر الناس فقالوا: لا نبايع حتى نعرفه، فرجع إليه
١١٦/ب فأخبره فقال: إنطلق/ إلى صاحب الشرطة والحرس فاجمع الناس ومُرْهم(٢) بالبيعة، فمن أبى فاضرب عنقه، ففعل فبايعوا.

فلما مات سليمان وفتح الكتاب، فإذا فيه العهد لعمر بن عبد العزيز، فتغيّرت وجوه بني أمية، فلما سمعوا وبعده يزيد بن عبد الملك تراجعوا، فأتوا عمر وسلموا عليه بالخلافة فلم يستطع النهوض(٣).

قال ابن خلكان(٤): مات سليمان من التخمة، كما مر. وقيل: إنه مات بذات الجنب، في عاشر صفر سنة ثمان وتسعين، بمرج دابق، من أرض قنسرين. وصلّى عليه عمر بن عبد العزيز وقد بلغ خمساً وأربعين سنة. وكانت مدة خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام، وخلّف أربعة عشر ولداً، والله أعلم.

---

(١) في (أ): وادعهم إلى بيعته.
(٢) في (ب): وأمرهم.
(٣) الخبر في تاريخ الخلفاء ٢٤٦ - ٧.
(٤) وفيات الأعيان ٢/ ٤٢١.

الفصل الثامن

في ذكر خلافة أمير المؤمنين
عمر بن عبد العزيز بن مروان

الخليفة الصالح، خامس الخلفاء الراشدين [١].

وأمه أم عاصم بنت عمر بن الخطاب، فعمر بن الخطاب جده من قبل أمه، وهو تابعي جليل.

ومولده سنة إحدى وستين بقرية حلوان، من أعمال مصر، كان والده أميراً عليها.

وكان بوجهه شجة[٢]، ضربته دابة في وجهه وهو غلام، فجعل أبوه يمسح الدم عنه ويقول[٣]: إن كنت أشج بني أمية، إنك لسعيد[٤].

---

(١) توافق مع تاريخ الخلفاء ٢٤٨، وأخباره في طبقات ابن سعد: ٥/ ٣٣٠، تاريخ ابن يزيد ٣٢. تاريخ خليفة بن خياط ٣١٧، المحبر ٢٧، المعارف ١٥٨، الأخبار الطوال ٣٣١، تاريخ الطبري ٥٦٥/٦، التنبيه والاشراف ٢٧٦، مروج الذهب ١٤٣/٢، الأغاني ١٥١/٨، حلية الأولياء ٢٥٣/٥، الكامل في التاريخ ١٦١/٤، مختصر التاريخ ٩٦، النجوم الزاهرة ٢٤٦/١، نهاية الأرب ٣٥٦/٢١، خلاصة الذهب المسبوك ١٨، سير أعلام النبلاء ١١٤/٥، فوات الوفيات ١٣٣/٣، البداية والنهاية ١٩٢/٩، غاية النهاية في طبقات القراء ٥٩٧/١، الوافي بالوفيات ٥٠٦/٢٢، العقد الثمين ٣٣١/٦، الجوهر الثمين ٩٣/١، وأسماء المغتالين ١٨٠، وتاريخ الخميس ٣١١/٢، ٣١٧، ودول الإسلام ٦٠ ـ ٦١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ ـ ١٢٠ هـ): ١٨٧ ـ ٢٠٥، وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم، وابن الجوزي، سيرة عمر بن عبد العزيز.

(٢) في (ب): خمش.

(٣) في (ب): ويقول له.

(٤) الخبر في طبقات ابن سعد ٣٣١/٥، وتاريخ الإسلام ١٨٨، وتاريخ الخلفاء ٢٤٨.

وكان رضي الله عنه، أبيض مليحاً، جميلاً، مهيباً، نحيف الجسم، حسن اللحية [١].

نقش خاتمه: «عمر يؤمن بالله مخلصاً» [٢].

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: يكون من ولدي رجل بوجهه شجة، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

وكان رضي الله عنه من أعظم الناس، وأكيس الناس وأجملهم في مشيته ولبسه، فلما استخلف قومت ثيابه التي عليه فإذا هن يعدلن اثني عشر درهماً. وكان عفيفاً عابداً زاهداً ناسكاً مؤمناً تقياً صالحاً.

وهو الذي أزال ما كان بنو أمية تذكر به عليّا، فإنهم كانوا يسبّون علياً من سنة إحدى وأربعين إلى أول سنة تسع وتسعين، آخر أيام سليمان بن عبد الملك. فلما ولي عمر بن عبد العزيز أبطل ذلك وكتب إلى نوابه بإبطاله في آخر الخطبة بقراءة[٣] قوله تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل الإحسان﴾ الآية[٤]. /

/١١٧أ وكتب إلى عمّاله أن لا يقيد مسجون بقيد[٥]، فإنه يمنع من الصلاة. وكتب إلى عامله بالبصرة عدي بن أرطاة: عليك بأربع ليال في السنة، فإن الله تعالى يفرغ فيها الرحمة إفراغاً، وهي: أول ليلة من شهر رجب، وليلة النصف من شعبان، وليلتا [٦] العيدين.

---

(١) في (ب): حسن اللحية، نحيف الجسم.

(٢) التنبيه والإشراف: «لكل عمل ثواب» وقيل: «عمر يؤمن بالله مخلصاً»، وفي خلاصة الذهب المسبوك: «الوفاء عزيز»، وفي نهاية الأرب ٣٧٢/٢ «عمر بن عبد العزيز يؤمن بالله»، وفي الوافي ٥٠٩/٢٢ «عمر يؤمن بالله».

(٣) في (ج): وأن يقرأ.

(٤) ما بين الحاصرتين من (ب). ووردت في (أ) و (ج): «إن الله يأمر بالعدل» الآية.
والآية رقم ٩٠ من سورة النحل.

(٥) في (ب): مسجوناً.
والخبر في طبقات ابن سعد ٣٦٨/٥.

(٦) في (ب): وليلة العيدين.

وكتب إلى عماله: إذا دعتكم قدرتكم على الناس إلى ظلمهم، فاذكروا قدرة الله عليكم، ونفاذ ما تأمرون إليهم، وبقاء ما يأتي لكم من العذاب بسببهم.

وذكر السيوطي في **«تاريخ الخلفاء»**: أن بعض عمّال عمر بن عبد العزيز كتب إليه[1]: إن مدينتنا قد خربت، فإن رأى أمير المؤمنين أن يقطع لنا مالاً نرمها به فعل، فكتب إليه عمر: إذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل ونق طرقها من الظلم فإنه مرمتها والسلام.

ذُكر أن[2] عمر بن عبد العزيز لما دفن سليمان بن عبد الملك وخرج من قبره سمع ضجة فقال: ما هذه؟ قيل له: هذه مراكب الخلافة، قدمت إليك يا أمير المؤمنين لتركبها، فقال: ما لي ولها؟ نحوها عني، وقرّبوا إليّ دابتي. فقربت إليه فركبها فقال[3]: إنما أنا رجل من المسلمين.

ثم سار مختلطاً بالناس حتى دخل المسجد فصعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إنه لا كتاب بعد القرآن، ولا نبي بعد محمد ﷺ. إني والله لست بقاض، ولكن منفذ. ولست بمبتدع، ولكني متبع. ولست بخير من أحدكم، ولكني أثقلكم حملاً. وإني ابتليت بهذا الأمر من غير رأي مني فيه، ولا طلبة ولا مشورة، وإني قد حللت أعناقكم من بيعتي، فاختاروا لأنفسكم غيري. فصاح المسلمون صيحة واحدة: قد اخترناك يا أمير المؤمنين.

ثم قال: أيها الناس، من أطاع الله تعالى وجبت طاعته، ومن عصى الله عز وجل فلا طاعة له. أطيعوني ما أطعت الله، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم[4].

---

(١) تاريخ الخلفاء ٢٥٢ ـ ٣.

(٢) في (ب): وقيل: إن.

(٣) في (ب): وقال.

والخبر وارد في معظم مصادر أخباره.

(٤) طبقات ابن سعد ٥/٣٤٠، خلاصة الذهب المسبوك ١٩، وتاريخ الإسلام ١٩٣، وتاريخ الخلفاء ٢٥١، وفيه: لست بفارض، ولكني منفذ.

ثم نزل ودخل دار الخلافة، فأمر بالستور فهتكت، وبالبسط فرفعت. وأمر ببيع ذلك وإدخال أثمانها في بيت المال.

/١١٧ب ولم يسكن في دار الخلافة بباب الخضراء، وسكن شمالي جامع/ دمشق بمكان يعرف اليوم بخانقاه الشميصانية[١]، وهو مسكن الصالحين.

وقال لامرأته فاطمة بنت عبد الملك، وكان عندها جوهر أمرها لها به أبوها لم ير مثله: اختاري، إما أن تردي حليك إلى بيت المال وإما أن تأذني لي في فراقك، فإني أكره أن أكون أنا وأنت وهو في بيت واحد. قالت: لا بل أختارك عليه وعلى أضعافه. فأمر به فحمل حتى وضع في بيت مال المسلمين[٢]. فلما مات عمر واستخلف يزيد قال لفاطمة: إن شئت رددته إليك[٣]، قالت: لا والله، لا أطيب به نفساً في حياته وارجع إليه[٤] بعد موته.

وعن فاطمة زوج عمر[٥] بن عبد العزيز رضي الله عنه أنها قالت: والله ما اغتسل عمر عن جنابة ولا حلم منذ ولي هذا الأمر[٦]. كان نهاره في أشغال الناس ورد المظالم، وليله في عبادة ربه.

قال الشاعر في فاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر بن عبد العزيز[٧]:

بنت الخليفة والخليفة جدها   أخت الخلائف والخليفة زوجها

قال مسلمة بن عبد الملك: دخلت على أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أعوده في مرضه الذي مات فيه، فإذا عليه قميص وسخ فقلت

---

(١) في (ب): بدار خانقاه الشيصانية.
(٢) في (ب): في بيت المال. والخبر في نهاية الأرب ٢١/٣٦٦.
(٣) في (ب): دفعته إليك، وفي (ج): رددت إليك عليك.
(٤) في (أ) و (ب): وأرجع عنه بعد موته. والخبر في تاريخ الخلفاء ٢٥٢.
(٥) في (ب): زوجة عمر.
(٦) في (ب): منذ ولي الخلافة.
والخبر في تاريخ الخلفاء ٢٥٥، وتاريخ الإسلام ١٩٨.
(٧) البيت في تاريخ الخلفاء ٢٦٦.

لفاطمة: اغسلي ثوب أمير المؤمنين، فإن الناس يعودونه. فقالت: والله ما له قميص غيره[1].

قال مالك بن دينار: لما ولي عمر بن عبد العزيز قالت رعاة الشاة[2]: من هذا الصالح الذي قام على الناس خليفة وعدل حتى كفت الذئاب عن شياهنا؟ فلما مات علمت الرعاة بموته لجرأة الذئاب[3].

واعلم أن مناقب عمر بن عبد العزيز كثيرة جداً، فمن أراد معرفة ذلك فعليه بسيرة العمرين والحلية وغيرهما.

ذكر ابن عساكر وغيره: أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، كان شدد على أقاربه وانتزع كثيراً مما غصبوه فسقوه السم[4].

يروى أنه دعا بخادمه الذي سمه فقال له: ويحك ما الذي حملك على أن سقيتني السم[5]؟ قال: ألف دينار. قال: هاتها، فجاء بها، فألقاها/ في بيت المال، وقال: اذهب حيث لا يراك أحد. /١١٨أ

توفي رضي الله عنه لخمس بقين من شهر رجب سنة احدى وماية وهو ابن تسع وثلاثين سنة، وكانت مدة خلافته مدة خلافة أبي بكر[6]، وهي سنتان وخمسة أشهر، ودفن بدير سمعان من أعمال حمص.

---

(١) الخبر في نهاية الأرب ٢١/٣٦٦، وتاريخ الخلفاء ٢٦٦.

(٢) في (ب): قال مالك بن دينار: ولي عبد العزيز، فقالت رعاة الشاة.

(٣) في (ب): فلما مات. والخبر في تاريخ الخلفاء ٢٥٣.

(٤) الوافي ٢٢/٥٠٨.

(٥) في (ب): ربما خادمه... فقال له: ما الذي حملك على ما فعلت. والخبر في تاريخ الخلفاء ٢٦٨، وتاريخ الإسلام ٢٠٣.

(٦) في (أ): مدة أبي بكر، وهي سنتين وخمسة أشهر. والخبر في تاريخ الخلفاء ١٨٨، ٢٠٥-٢٠٦.

وذكر الحافظ ابن عساكر: أنه رضي الله عنه لمّا وضع في قبره بدير سمعان، هبت ريح شديدة فسقطت منها صحيفة مكتوبة بأحسن خط روي فيها[1]: بسم الله الرحمن الرحيم براءة من العزيز الجبار لعمر بن عبد العزيز من النار. فأخذوها ووضعوها في قبره[2]، [رضي الله تعالى عنه][3].

(١) في (ب): بأحسن خط وفيها.
(٢) الخبر في تاريخ الخلفاء ٢٦٧، وتاريخ الإسلام ٢٠٥.
(٣) ما بين الحاصرتين من (ب).

الفصل التاسع

في ذكر خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان

ولي الخلافة(1) بعد موت ابن عمه عمر بن عبد العزيز، بعهد من أخيه سليمان، كما تقدم.

وكان أبيض جسيماً مليح الوجه.

نقش خاتمه: «قني السيئات يا عزيز»(2).

ولد بدمشق سنة احدى وسبعين، وأمه عاتكه بنت يزيد.

قال سليم بن بشير(3): كتب عمر بن عبد العزيز إلى يزيد بن عبد الملك لما احتضر: سلام عليك. أما بعد، فإني لا أراني إلا لما بي، فالله الله في أمّة محمد [ﷺ](4)، فإنك تدع الدنيا لمن لا يحمدك، وتُفضي إلى من لا يعذرك والسلام.

فلما ولي قال: خذوا بسيرة عمر بن عبد العزيز فسار بسيرته(5) مدة، فدخل

---

(1) أخباره في تاريخ خليفة بن خياط ٣٢٢، ٣٣١، والمحبر ٢٨، والأخبار الطوال ٣٣٢، والمعارف ١٥٩، وتاريخ ابن يزيد ٣٣، وتاريخ الطبري ٧/٢١. والتنبيه والإشراف ٢٧٧، ومروج الذهب ٢/١٥٣، والعيون والحدائق ٣/٦٢، والكامل في التاريخ ٤/١٩٠، ومختصر التاريخ ٩٨، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٥، ونهاية الأرب ٢١/٣٧٢، ٣٩٩، والجوهر الثمين ١/٩٦، وتاريخ الخلفاء ٢٦٨، وتاريخ الخميس ٢/٣١٨، وسير أعلام النبلاء ٥/١٥٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٠١ - ١٢٠ هـ): ٢٧٩ - ٢٨١، ودول الإسلام ٦٢.

(2) في التنبيه والإشراف: «قني الحساب»، وفي مختصر التاريخ وخلاصة الذهب المسبوك: «فني الشباب يا يزيد»، وفي نهاية الأرب: «قني السيئات يا عزيز».

(3) من تاريخ الخلفاء ٢٦٨، وتاريخ الاسلام (حوادث ١٠١ - ١٢٠ هـ): ٢٧٩ - ٢٨١

(4) من (ج).

(5) في (أ) فسار سيرته. وما أثبتناه من (ج)، وهو موافق لما ورد في تاريخ الإسلام ٢٨٠، وتاريخ الخلفاء ٢٦٨، وانظر: الجوهر الثمين ١/٩٧.

عليه أربعون رجلاً من مشايخ دمشق، وحلفوا له أن ليس على الخلفاء حساب ولا عقاب في الآخرة. وخدعوه بذلك، فانخدع لهم[1]. وكانت طائفة من جهّال الشاميين يعتقدون ذلك.

وذكر الحافظ ابن عساكر وغيره[2]: أن يزيد بن عبد الملك كان قد اشترى في أيام أخيه سليمان جارية بأربعة آلاف دينار، وكان اسمها حبّابة، فأحبها حباً شديداً فبلغ أخاه سليمان ذلك فقال: هممت أن أحجر على يزيد، فبلغ ذلك يزيد فباعها خوفاً من أخيه.

فلما افضت الخلافة إليه، قالت له زوجته: يا أمير المؤمنين هل بقي في

/١١٨ب نفسك من الدنيا شيء؟ قال: نعم فقالت: وما هو؟ قال: حبابة؛ / فاشترتها وهو لا يعلم، وزينتها وأجلستها من وراء ستر لها[3]، ثم قالت: يا أمير المؤمنين، هل بقي في نفسك من الدنيا شيء؟ قال: أو ما أعلمتك أنها حبابة! فرفعت الستر وقالت له: ها أنت وحبابة، وتركته وإياها.

وحظيت عنده، وغلبت على عقله، ولم ينتفع به في الخلافة[4]. وأنه قال يوماً: إن بعض الناس يقولون: إنه لن يصفو لأحد من الملوك يوم واحد كامل[5] من الدهر، وإني أريد أن أكذبهم في ذلك.

ثم أقبل على لذاته واختلى مع حبّابة وأمر أن يحتجب عن سمعه وبصره كل ما يكره، فبينما هو على تلك الحالة في صفو عيشه وزيادة فرحه وسروره[6]، إذ تناولت حبابة رمانة وهي تضحك فغصّت بها فماتت. فاختل عقل يزيد، وتكدر

(١) في (ب): وانخدع، والخبر في تاريخ الخلفاء ٢٨٠.
(٢) القصة في تاريخ الطبري ٢٣/٧، الأغاني ٣٤٦/٨، نهاية الأرب ٤٠٠/٢١.
(٣) في (ج): سترها.
(٤) في (ب): ولم ينتفع به الخلافة.
(٥) في (ب) و (ج): كاملاً.
(٦) في (أ): صفوة عيشه وزيادة سروره، وفي (ب): في صفو عيشه وزيادة فرح وسرور.

عيشه وذهب سروره[١]، ووجد عليها وجداً شديداً، وتركها أياماً لم يدفنها، بل يقبلها ويرشفها حتى انتنت وجفت[٢]، فأمر بدفنها، ثم نبشها من قبرها، ولم يعش بعدها سوى خمسة عشر يوماً. وكان مرضه بالسل وقال فيها[٣]:

فإن تسلُ عنكِ النفس أو تدع الهوى　　فباليأس تسلو عنك لا بالتجلدِ
وكلّ خليل زارني فهو قائل　　من أجلك هذا هامة اليوم أو غد

توفي يزيد بن عبد الملك بأربد[٤]، من أرض البلقاء، وقيل: بالجولان، وحمل على أعناق الرجال إلى دمشق، ودفن [بتربة] [٥] بين باب الجابية وباب الصغير

وقيل: مات بأذرعات ودفن فيها. وذلك لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة، وله تسع وعشرون سنة.

وكانت خلافته أربع سنين وشهراً.

(١) في (ب): فاختل عقله وتكدر عيشه وذهبت مروته.
(٢) في بعض المصادر: «وجيفت»، وهو الصواب.
(٣) في (ب): وكان مرضه بالسلّ، بسقوط (وقال فيها)؛ والبيتان في تاريخ الإسلام ٢٨٥.
(٤) في (ب): وتوفي، وفي (ج): بأربل.
(٥) الإضافة من (ب).

الفصل العاشر
في ذكر خلافة هشام بن عبد الملك

استخلف[1] بعهد من أخيه يزيد، وكان بمدينة الرصافة على الفرات فسجد وسجد أصحابه لما بشر بها، وسار إلى دمشق.

وكان أبيض جميلاً، سميناً، أحول، يخضب بالسواد.

نقش خاتمه: «الحكم لله»[2].

ولد سنة ست وسبعين. وأمه عائشة[3] بنت هشام بن إسماعيل/ ‎/١١٩أ المخزومي.

وكان حازماً، عاقلاً، ذا رأي ودهاء، وعزم، وقلّة شر. وكانت داره عند سوق الخواصين مكان تربة نور الدين الشهيد[4].

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ٣٣٢، ٣٥٦، والمحبر ٢٩، والمعارف ١٥٩، والأخبار الطوال ٣٣٥، والتنبيه والإشراف ٢٧٩، ومروج الذهب ٢/١٦١، وتاريخ محمد بن يزيد ٣٣، وتاريخ الطبري ٢٠/٧، والعقد الفريد ٤/٤٤٥، والعيون والحدائق ٣/٨١، وتاريخ ابن الأثير ٤/٢٥٤، ومختصر التاريخ ١٠٠، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٦، ونهاية الأرب ٢١/٤٠٢، ٤٦٠، والجوهر الثمين ١/٩٨، وتاريخ الخلفاء ٢٦٩، والبداية والنهاية ٩/٣٥١، وتاريخ الخميس ٢/٣١٨، وسير أعلام النبلاء ٥/٣٥١، وفوات الوفيات ٤/٢٣٨، ودول الإسلام ٦٥. وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ ـ ١٤٠ هـ): ٢٨٢، والنجوم الزاهرة ١/٢٩٦، وشذرات الذهب ١/١٦٣.

(٢) التنبيه والإشراف: «الحكم للحكيم»، وكذا هو في خلاصة الذهب المسبوك، وفي نهاية الأرب ٢١/٤٦١: «الحكم للحكم الحكيم» وكذا هو في مختصر التاريخ.

(٣) فراغ في (أ)، وساقطة من (ب)، وفي نهاية الأرب: فاطمة، وقيل: عائشة.

(٤) الخبر في الجوهر الثمين.
ونور الدين الشهيد، المقصود به نور الدين زنكي.

وفي أيامه قحطت البادية، فقدمت عليه العرب، فهابوا أن يكلموه. وكان فيهم درواس بن حبيب، وهو ابن ست عشرة سنة، له ذؤابة، وعليه شملتان. فوقعت عليه عين هشام فقال لحاجبه: من أراد أن يدخل عليّ فليدخل، فدخل حتى الصبيان فوثب درواس حتى وقف بين يديه مطرقاً، فقال: يا أمير المؤمنين، إن للكلام طيّاً ونشراً، وإنّه لا يعرف ما في طيه إلا بنشره. فإن أذن لي أمير المؤمنين أن أنشره نشرته.

فأعجبه كلامه وقال: انشره، لله درك.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنه أصابتنا سنون ثلاث[1]، سنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة أدقت العظم، وفي أيديكم فضول مال[2]، فإن كانت لله ففرقوها على عباده، وإن كانت لهم، فلا تحبسوها عنهم، وإن كانت لكم، فتصدقوا بها عليهم، فإن الله يجزي المتصدقين.

فقال هشام: ما ترك لنا الغلام في واحدة من الثلاث عذرا. فأمر للبوادي بماية ألف دينار، وله بماية ألف درهم، ثم قال له: أما لك حاجة؟ قال: ما لي حاجة في حاجة نفسي دون عامة المسلمين.

وكان هشام لا يدخل بيت ماله مالاً حتى يشهد أربعون رجلاً أنه أخذ من حقه. ولقد أعطى لكل ذي حق حقه[3]، ويقال: إنه جمع من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبله.

ذكر أنه لما خرج إلى الحج حملت ثيابه على ستماية جمل[4]. فلما مات

---

(١) في (ب): أصابتا سنون ثلاثة.

(٢) في (ب): فضول أموال.

والخبر في عيون الأخبار ٢/٢٣٨، والعقد الفريد ٢/١٠١، ولباب الآداب ٣٥٢، وتهذيب تاريخ دمشق ٥/٢٢٥.

(٣) الخبر في تاريخ الإسلام ٢٨٣.

(٤) الخبر في العقد الفريد ٤/٤٤٦.

احتاط الوليد بن يزيد على ما تركه فما غسل ولا كفن حتى أنتن، لما كان بينه وبين الوليد من المنافرة.

توفي[١] بالرصافة ودفن بها، وقد بلغ احدى وستين سنة، فكانت[٢] خلافته تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وخمسة أيام.

وفي أيامه توفي أبو محمد البطال الغازي[٣] في سنة سبع ومائة، ودفن بمدينته الموسومة اليوم باسمه بالديار الرومية.

(١) في (ب): وتوفي.

(٢) في (ب): وكانت. وما أورده النويري مختلف في شهور وأيام مدة خلافته.

(٣) أبو محمد البطال، عبد الله، ويقال له: أبو يحيى أيضاً. كان أحد الشجعان الموصوفين بالإقدام، كان أحد قادة الجيش في عهد بني أمية، وكان على طلائع مسلمة بن عبدالملك، وكان ينزل بانطاكية. شهد عدة حروب، وأوطأ الروم خوفاً وذلاً، وسارت بذكره الركبان، توفي سنة ١١٣ هـ، وقيل ١٢٢ هـ (الوافي بالوفيات ١٧/٦٩٦). وانظر أخباره في (نهاية الأرب ٢١/٤٥٨): وفيه: هو أبو الحسين عبد الله الانطاكي.

الفصل الحادي عشر

في ذكر خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك [بن مروان][1] /

الخليفة الفاسق. كان من أجمل الناس وأحسنهم شكلاً، وأقواهم، وأجودهم شعراً. ‏/١١٩ب

نقش خاتمه: «يا وليد إحذر الموت»[2].

ولد سنة تسعين. وأمه [بنت أخي] الحجاج بنت محمد بن يوسف الثقفي[3].

بويع له بالخلافة يوم موت عمه هشام، وكان في البرية، فسار من فوره إلى دمشق.

وكان فاسقاً شريباً للخمر، منتهكاً حرمات الله. أراد الحج ليشرب فوق ظهر الكعبة.

(١) ما بين الحاصرتين من (ج).
وأخباره في تاريخ خليفة بن خياط ٣٦٣، المحبر ٣٠، والمعارف ١٦٠، والأخبار الطوال ٣٤٧، وتاريخ محمد بن يزيد ٣٤، وتاريخ الطبري ٢٠٩/٧، والتنبيه والإشراف ٢٨٠، ومروج الذهب ١٦٧/٢، والعقد الفريد ٤٥٢/٤، والعيون والحدائق ١١٢/٣، ومختصر التاريخ ١٠٢، وخلاصة الذهب المسبوك ٤٤، والكامل في التاريخ ٢٦٤/٤، والبداية والنهاية ٦/١٠، ونهاية الأرب ٤٦٢/٢١، ٤٧٣، وتاريخ الخلفاء ٢٧٢، والجوهر الثمين ١٠٠/١، والأغاني ١/٧ ـ ٩٤، وتاريخ الخميس ٣٢٠/٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ ـ ١٤٠ هـ): ٢٨٧، وسير أعلام النبلاء ٣٧٠/٥، وتاريخ ابن خلدون ١٠٦/٣، ودول الإسلام ٧٥.

(٢) مختصر التاريخ ١٠٢، ونهاية الأرب ٤٨٧/٢١، وخلاصة الذهب المسبوك: ٤٤.

(٣) ما بين الحاصرتين من (ج). وضبط الاسم من الأغاني.

نقل عنه أنه دخل يوماً فوجد ابنته جالسة مع مربيتها فبرك عليها وأزال بكارتها فقالت له الداية: هذا دين المجوس، فأنشد[1].

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور

وحكى الماوردي في كتاب[2] «**أدب الدين والدنيا**» أنه تفاءل يوماً في المصحف فخرج له قوله عز وجل ﴿**واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد**﴾[3]. [وتفاءل ثانية] [فخرج له قوله تعالى: ﴿**فوربك لنحشرنهم والشياطين**﴾][4]، فمزق المصحف، ولا زال يضربه بالنشاب حتى خرقه ثم أنشد[5]:

أتوعد كل جبّار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد

إذا لاقيت ربك يوم حشر فقل يا رب مزقني الوليد

وقد ورد في «**مسند أحمد**» حديث: «ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد، هو أشد على هذه الأمة من فرعون لقومه»[6].

يقال[7]: إنه واقع جارية له وهو سكران وجاءه المؤذن يؤذنه[8] للصلاة، فحلف أن لا يصلي بالناس إلا هي، فلبست ثيابه وتنكّرت وصلّت بالمسلمين وهي جنبة سكرانة.

وقيل: إنه اصطنع بركة من خمرٍ، وكان إذا طرب ألقى نفسه فيها وشرب منها حتى يظهر النقص في أطرافها.

---

(١) القصة والبيت في الأغاني ٧/ ٦٠ ـ ٦١. وقد كذب ذلك أبو الفرج الأصبهاني، لأن البيت لسلم الخاسر، ولم يدرك زمن الوليد.

(٢) في (ب) و (ج): آداب الدين والدنيا، والكتاب منشور تحت عنوان: أدب الدنيا والدين.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ١٥.

(٤) ما بين الحاصرتين من (ب). وهي الآية ٦٨ من سورة مريم.

(٥) في (ب): فلا زال يضربه. والقصة والبيتان في الأغاني ونهاية الأرب والجوهر الثمين.

(٦) تاريخ الخلفاء ٢٧٤، وتاريخ الإسلام ٢٨٨.

(٧) في (ب): ويقال.

(٨) في (أ): وجاء المؤذنون يؤذنونه. وما أثبتناه يتفق ورواية الأغاني ٧/ ٤٧.

ذكر صاحب «**كوكب الملك**»، أنه ابتلي بثلاث وثلاثين بلية، أقلها أنه كان يبول من سرّته[(١)].

ولما كثر فسقه مقته الناس، وخرجوا عليه قاطبة، واجتمع أهل دمشق على خلعه وقتله وتولية ابن عمه يزيد الملقب بالناقص[(٢)]، فاستدعوه من البادية، وكان مقيماً بها، لوخم دمشق. وكان الوليد / الفاسق بناحية تدمر في الصيد، /١٢٠أ
فدخل يزيد إلى دمشق ليلاً، واتفق مع الجند وحلفوا له، وجرى بينه وبين الوليد قتال شديداً، في آخره انهزم الوليد وأصحابه[(٣)]، فحاصروه في قصره ودخلوا إليه، وقتلوه أشر قتلة، وصلبوا رأسه على أعلى سور قصره، ثم دفن خارج باب الفراديس[(٤)]، وقد بلغ تسعاً وثلاثين سنة، وكانت خلافته سنة وشهرين واثنين وعشرين يوماً.

---

(١) في (ب): أقلها، كان يبول من سرته. والخبر ذكره في الجوهر الثمين ١٠١/١، عن ابن الجوزي في (منتهى السول في سيرة الرسول).

(٢) في (ب): اجتمع أهل دمشق على قتله وتولية ابن عمه الملقب بالناقص.

(٣) في (أ) و (ب): وجرى بينه وبين الوليد قتال شديد آخره انهزم عنه الوليد.

(٤) في (ب): دفن خارج باب الفراديس، بسقوط (ثم).

الفصل الثاني عشر
في ذكر خلافة أبي خالد يزيد الناقص بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

وثب على الخلافة[1] بعد قتل ابن عمه الوليد.

لقب بالناقص لكونه نقص الجند من عطياتهم[2]. وقيل: لنقصان كان في رجليه.

وكان مظهراً للنسك وقراءة القرآن وأخلاق عمر بن عبد العزيز، وكان ذا دين وورع. إلا أنه لم يمتع [بالخلافة][3]، وأدركته المنية.

نقش خاتمه: «يا يزيد قم بالحق تنصر»[4].

ولد في الكعبة، ولم يولد في الكعبة خليفة غيره.

وأمه أم ولد اسمها طريفة[5]، من بنات فيروز بن يزدجرد بن كسرى، وأم

(١) تاريخ خليفة بن خياط ٣٦٨، المحبر ٣١، المعارف ١٦٠، الأخبار الطوال ٣٤٩، تاريخ محمد ابن يزيد ٣٤، تاريخ الطبري ٢٩٨/٧، والعقد الفريد ٤٦٤/٤، العيون والحدائق ١٤٨/٣، مروج الذهب ١٧٣/٢، الكامل في التاريخ ٢٨٤/٤، نهاية الأرب ٤٨٧/٢١، ٥٠٤، البداية والنهاية ٤٦/١٠، ومختصر التاريخ ١٠٣، خلاصة الذهب المسبوك ٤٥، الجوهر الثمين ١٠٣/١، تاريخ الخلفاء ٢٧٥، وتاريخ الخميس ٣٢١/٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ ـ ١٤٠ هـ): ٣١١، وسير أعلام النبلاء ٣٧٤/٥، ودول الإسلام ٧٦.

(٢) نهاية الأرب ٤٨٧/٢١. وأضاف: ولُقّب بالناقص، لأنه نقص الزيادات التي كان الوليد زادها في أعطيات الناس، وهي عشرة عشرة، وردّ العطاء إلى أيام هشام.

(٣) إضافة من (ج).

(٤) في مختصر التاريخ: «يا يزيد قم بالحق»، وفي خلاصة الذهب المسبوك: «يا يزيد قم بالحق»، ونهاية الأرب ٥٠٤/٢١: «يا يزيد قم بالحق» وقيل: «العظمة لله».

(٥) كذا في (أ) و (ب)، وفي (ج): شاه فريد وكذا هو في تاريخ الخلفاء، وفي تاريخ الطبري والبداية =

فيروز، بنت شيرويه، وأم شيرويه، بنت خاقان ملك الترك، وأم أم فيروز، بنت قيصر عظيم الروم، فلهذا[1] كان يفتخر يزيد ويقول[2]:

أنـا ابن كسـرى وأبي مـروان وقيصر جدي وجـدي خاقـان

قال الثعالبي: هو أعرق الناس في الملك والخلافة من كلا طرفيه[3].

مات بالطاعون من عامه في سابع ذي الحجة، فكانت خلافته ستة أشهر، فما أقامت مدته، وكذا كل من كان سبباً في قطع رزق، لا تطول مدته، وكان عمره خمساً وثلاثين سنة، والله أعلم.

= والنهاية ونهاية الأرب «شاه آفريد»، ولم يذكر ابن عبد ربه اسمها، وذكر المسعودي في مروج الذهب أن اسمها: سارية بنت فيروز.

(١) في (ب): وقد كان يفتخر.

(٢) البيت في نهاية الأرب وتاريخ الإسلام.

(٣) في تاريخ الخلفاء ٢٧٥، عن الثعالبي.

الفصل الثالث عشر

في ذكر خلافة ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

بويع له [بالخلافة] [١] يوم مات أخوه يزيد الناقص، وذلك في ذي الحجة سنة ست وعشرين وماية.

نقش خاتمه: «توكلت على الحي القيوم»[٢].

وأمه أم ولد يقال لها: نعمة

ولم يثبت له في الخلافة أمر، فكان جمعة يسلم عليه بالخلافة، وجمعة
١٢٠ب بالإمارة[٣]، وجمعة لا يسلم عليه لا بالخلافة/ ولا بالإمارة[٤].

وما زالت الأمور مضطربة عليه إلى أن خرج عليه مروان بن محمد[٥] وبويع

(١) ليست في (أ) و (ج).
وأخباره في تاريخ خليفة بن خياط ٣٧٢، والمحبر ٣٢، والمعارف ١٦٠، الأخبار الطوال ٣٥٠، وتاريخ محمد بن يزيد ٣٥، ومروج الذهب ١٧٣/٢، والعقد الفريد ٤٦٥/٤، والعيون والحدائق ١٥٤/٣، والكامل في التاريخ ٢٧٧/٤، ومختصر التاريخ ١٠٤، وخلاصة الذهب المسبوك ٤٦، والبداية والنهاية ٢١/١٠، ونهاية الأرب ٥٠٥/٢١، والجوهر الثمين ١٠٥/١، وتاريخ الخلفاء ٢٧٦، والوافي بالوفيات ١٦٣/٦، وتاريخ الخميس ٣٢٢/٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ ـ ١٤٠ هـ): ٣٧٠، وسير أعلام النبلاء ٣٧٦/٥، ودول الإسلام ٧٧.
٣٢٢/٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ ـ ١٤٠ هـ): ٥٣٣، ودول الإسلام ٧٩.

(٢) خلاصة الذهب المسبوك ٤٧، مختصر التاريخ ١٠٤، وفي تاريخ الخلفاء: «إبراهيم يثق بالله».

(٣) نهاية الأرب، وفيه: كان عليه بالخلافة تارة.

(٤) في (ب): وجمعه لا يسلم عليه بإمارة ولا خلافة.

(٥) وما زالت الأمور... مروان بن محمد، ساقطة من (ب).

له، فهرب إبراهيم ثم جاء [بعد ذلك][1] وخلع نفسه من الأمر وسلمه إلى مروان، وبايع طائعاً.

وعاش إبراهيم بعد ذلك إلى سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وقتل فيمن قتل من بني أمية في وقعة السفاح؛ ومكث في الخلافة سبعين ليلة[2].

(١) ما بين الحاصرتين من (ب).
(٢) في تاريخ الخلفاء مكث سبعين ليلة، وفي الجوهر الثمين: شهرين وأياماً.

الفصل الرابع عشر

في ذكر خلافة مروان بن محمد المنبوز بالحمار

لقب بالحمار[1]، لأنه كان يصبر على مكاره الحرب ولا ينثني، لشجاعته. ويقال في المثل: «فلان أصبر من حمار في الحروب»[2].

ولد بالجزيرة وأبوه متوليها، سنة اثنتين وسبعين. وأمه أم ولد يقال لها: لبابة الكردية.

وكان بطلاً[3]، شجاعاً مهيباً، ذا هيبة، أبيض، ربعة، أشهل، ضخماً، كث اللحية.

نقش خاتمه: «اذكر الموت يا غافل»[4].

وفي أيامه ظهر أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة، وظهر السفاح بالكوفة، فبويع له بالخلافة، وجهز عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس

(١) أخباره في المحبر ٣٢، المعارف ١٦١، الأخبار الطوال ٣٥١، تاريخ محمد بن يزيد ٣٥، تاريخ خليفة بن خياط ٣٧٢، ٤٠٣، تاريخ الطبري ٤٣٢/٧، التنبيه والإشراف ٢٨١، مروج الذهب ١٨٣/٢، العقد الفريد ٤٦٨/٤، العيون والحدائق ١٥٤/٣، تاريخ ابن الأثير ٣٣/٤، مختصر التاريخ ١٠٥، نهاية الأرب ٥٠٨/٢١، البداية والنهاية ٤٦/١٠، خلاصة الذهب المسبوك ٤٧، الجوهر الثمين ١٠٦/١، تاريخ الخلفاء ٢٧٨، وتاريخ الخميس ٣٢٢/٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٢١ ـ ١٤٠ هـ): ٥٣٣، ودول الإسلام ٧٩.

(٢) في (ب): فلان أصبر من حمار. الخبر والمثل في تاريخ الإسلام ٥٣٤، وتاريخ الخلفاء ٢٧٨، وقال الذهبي أيضاً: وقيل: لأن العرب تسمي كل مائة سنة حماراً.

(٣) في (ج): وكان رجلاً.

(٤) خلاصة الذهب المسبوك ٤٨، وفي التنبيه والإشراف: «فوضت أمري إلى الله»، وفي مختصر التاريخ: «اذكر الموت يا غافل»، وكذا هو في نهاية الأرب ٣٨/٢١.

لقتال مروان، فالتقى الجمعان بقرب الموصل، واقتتلوا قتالاً شديداً وأخذت دمشق على يد عبد الله بعد حصار وحروب، وقتل جماعة عدة ألوف من الأمويين وغيرهم، فانهزم مروان إلى مصر وقتل من عسكره ما لا يحصى.

وتبعه عبد الله المذكور إلى أن وصل إلى نهر الأردن فلقي جماعة من بني أمية، وكانوا نيفاً وثمانين رجلاً فقتلهم عن آخرهم ثم أمر عبد الله بسحبهم فسحبوا، وبسط عليهم بُسط وجلس هو وأصحابه فوقهم، واستدعى بالطعام فأكلوا وهم يسمعون أنينهم من تحتهم، فقال عبد الله: اليوم كيوم الحسين رضي الله عنه ولا سواء[1].

وانهزم مروان حتى وصل إلى بوصير، وهي قرية عند الفيوم، فقال: ما اسم هذه القرية؟ قيل: أبو صير[2] فقال: إلى الله المصير. ثم دخل كنيسة فبلغه أن خادماً له نم عليه، فأمر به فقطع رأسه، وسل لسانه، وألقي على الأرض، فجاءت هرة فأكلته. ثم بعد أيام لحقه عامر بن/ إسماعيل المزني الذي كان على مقدمة /١٢١أ صالح بن علي عم السفاح[3]، الذي جهزه بسبب قتله، فهجم على الكنيسة فقاتل [مروان][4] حتى قتل، وقطع رأسه في ذلك المكان، وسل لسانه، وألقي على الأرض، فجاءت تلك الهرة بعينها فأكلته، فقال عامر: لو لم يكن في الدنيا عجب إلا هذا لكان كافياً.

وجلس عامر على فرش مروان، وكان مروان يتعشى لما كبسوه، فلما سمع الوجبة وثب عن عشائه[5] فقتل، فجلس عامر مكانه، وأكل طعامه، ودعا بابنة لمروان، وكانت أسن بناته فقالت: يا عامر، إن دهراً أنزل مروان عن فرشه وأقعدك

(١) رضي الله عنه ولا سواء، ليست في (ب).
(٢) في (ج): بوصير.
(٣) في (ب): صالح بن علي السفاح.
(٤) ما بين الحاصرتين من (ب).
(٥) في (ب): فلما سمع الهجمة وثب من عشائه.

عليه[1] حتى تعشيت بعشائه، واستصبحت بمصباحه، ونادمت ابنته. لقد أبلغ في موعظتك، وأجمل في إيقاظك. فاستحى عامر وصرفها.

وكان قتل مروان في سنة ثلاث وثلاثين ومائة وهو ابن ست وخمسين سنة[2]، وكانت خلافته خمس سنين وعشرة أشهر وسبعة أيام وهو آخر خلفاء بني أمية بالشام.

---

(١) في (ب): وأقعدك مكانه.

(٢) وكان قتل مروان... وهو ابن ست وخمسين سنة، ليست في (ب).

القسم الثاني

في خلفاء بني أمية بالمغرب[1]

[١ ـ عبد الرحمن بن معاوية]:

ولما انتقلت الخلافة إلى بني العباس، وأكثروا في قتلهم فافترقوا[2] في البلاد، فهرب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك[3] إلى المغرب، فبايعه أهل الأندلس سنة تسع وثلاثين ومائة، وأقام والياً ثلاثاً وثلاثين سنة وأربعة أشهر.

وكان أصهب خفيف العارضين طويلاً نحيفاً أعور.

ودعى الناس إلى نفسه فأجابوه وأذعنوا له بالطاعة.

وتوفي في سنة إحدى وسبعين ومائة.

[٢-] وملك بعده ابنه:

هشام بن عبد الرحمن[4].

وكانت مدة ملكه سبع سنين وسبعة أشهر وثمانية أيام.

وتوفي في سنة ثمانين ومائة.

[٣-] واستخلف بعده ابنه:

---

(١) في (ج): من خلفاء بني أمية، الخلفاء الذين أقاموا بالمغرب.

(٢) في (ب): فأفرقوا.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢١٧/٨، تاريخ ابن الأثير ٤٦٢/٤، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ٤٦/٢، نهاية الأرب ٣٣٤/٢٣، ٣٥٢، تاريخ الخلفاء (سيوطي): ٥٥٥، فوات الوفيات ٣٠٢/٢، والوافي بالوفيات ٢٧٩/١٨.

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٢٥/٨، والبيان المغرب ٦١/٢، ونهاية الأرب ٣٥٢/٢٣ ـ ٣٥٩، وتاريخ الخلفاء ٥٥٥ .

الحكم بن هشام[١]:

ولما ولّي خرج عليه عماه سليمان وعبد الله[٢].

وكان الظفر للحكم، فقتل عمه سليمان، فخاف عمه عبد الله، فصالح.

وكانت مدة ملكه ستة وعشرين سنة[٣]، وتوفي سنة ست ومايتين، وخلّف من الأولاد تسعة عشر ذكراً[٤]. /

/١٢١ب [٤ -] وقام بالملك بعده ابنه:

عبد الرحمن بن الحكم[٥]:

وفي أيامه خرجت المجوس في أقاصي بلاد الأندلس من البحر، وجرى بينهم وبين المسلمين عدة وقائع، حتى هزموا المجوس، وأخذوا لهم أربعة مراكب بما فيها، وهرب المجوس في بقية المراكب إلى بلادهم[٦].

---

(١) البيان المغرب ٢/٦٨ - ٨٠، ونهاية الأرب ٢٣/٣٥٩ - ٣٧٥، وتاريخ الخلفاء ٥٥٦، فوات الوفيات ١/٣٩٣، والوافي بالوفيات ١٣/١١٧، وسير أعلام النبلاء ٨/٢٢٥.

(٢) تتحدث المصادر عن خروج سليمان وعبد الله على أخيهما هشام. ذلك أن سليمان كان أكبر من هشام، فيما كان هشام يحدب على عبد الله ويؤثره ويبره، لكنه لم يقنع إلاّ بمشاركة أخيه بالأمر، وتصدى هشام لأخويه، فلجأ سليمان إلى البربر بناحية بلنسية الوعرة، ثم استقرت الحال بينهما على أن يغادر سليمان الأندلس إلى بلاد البربر. أما عبدالله فقد أتى أخاه بغير أمان فأكرمه وأحسن إليه. ويبدو أنه عاد إلى الخلاف في خلافة ابن أخيه، إذ تتحدث المصادر فقط عن نزوله ببلنسية وعقده صلحاً مع ابن أخيه، بعد مقتل أخيه سليمان. وكان سليمان قد خرج على ابن أخيه ونشبت بينهما عدة حروب انتهت بمصرعه. (البيان المغرب ٢/٧٠، نهاية الأرب ٢٣/٣١٢ - ٣١٣).

(٣) في (ب): وكان مدة ملكه ستة وعشرين سنة.

(٤) في (ب): تسعة عشر ذكر وأقام بالملك بعده ابنه.

(٥) البيان المغرب ٢/٨٠ - ٩٣، نهاية الأرب ٢٣/٣٧٥ - ٣٨٧، تاريخ الخلفاء ٥٥٦، الكامل في التاريخ ٥/٢٩٢، فوات الوفيات ٢/٢٧٧، وسير أعلام النبلاء ٨/٢٣١، والوافي بالوفيات ١٨/١٤٠.

(٦) البيان المغرب ٢/٨٧، نهاية الأرب ٢٣/٣٨٣.

وكان عبد الرحمن المذكور اسمر طويلاً، عظيم اللحية، يخضب بالحناء. وكانت مدة ولايته إحدى وثلاثين سنة وثلاثة أشهر، وخلف خمسة وأربعين ولداً.

[٥ ـ] ولما مات ملك بعده ابنه:

محمد بن عبد الرحمن[١]:

وكان فقيهاً، فصيحاً، بليغاً، كثير الجهاد.

وقال ابن الجوزي: هو صاحب وقعة وادي سليط[٢] التي لم يسمع بمثلها.

يقال: قتل فيها من الكفرة ثلاثماية ألف.

توفي محمد المذكور سنة اثنتين وسبعين ومايتين، وعمره نحو خمس وستين سنة.

وكانت مدة ولايته أربعاً وثلاثين سنة وأحد عشر شهراً[٣]، وخلّف ثلاثة وثلاثين ذكراً.

[٦ ـ] ولما مات ولي بعده ابنه:

المنذر بن محمد[٤]:

وتوفي المنذر[٥].

[٧ ـ] وتولى مكانه أخوه:

---

(١) البيان المغرب ٢/٩٣ ـ ١١٣، نهاية الأرب ٢٣/٣٨٧ ـ ٣٩٣، تاريخ الخلفاء ٥٥٦، وسير أعلام النبلاء ٨/٢٣٢.

(٢) كانت وقعة سليط في سنة ٢٤٠ هـ، على ما ورد في نهاية الأرب ٢٣/٣٨٧، وذلك أن أهل طليطلة المتمردين اتفقوا مع ملك جليقية. وانظر: البيان المغرب ٢/٩٤، الكامل في التاريخ ٥/٢٩٤.

(٣) في (ب): وإحدى عشر شهراً.

(٤) البيان المغرب ٢/١١٣ ـ ١٢٠، نهاية الأرب ٢٣/٣٩٣ ـ ٣٩٤، وسير أعلام النبلاء ٨/٢٢٤.

(٥) ترجمة المنذر ساقطة من (ب).

عبد الله بن محمد[1]:

وكان أبيض أصهب يخضب بالسواد.

ولما توفي كان عمره اثنتين وأربعين سنة، ومدة ولايته خمس سنين وأحد[2] عشر شهراً، وخلّف أحد عشر ولداً[3].

[٨ ـ] وتولّى مكانه أخوه[4]:

عبد الرحمن بن محمد[5]:

وهو أول من تلقب[6] بـأمير المؤمنين من الأمويين بالأندلس، وكانوا قبله يسمون بني الخلائف.

وكان أبيض، أشهل، حسن الوجه.

وكان يلقب بالناصر؛ وكانت مدة ملكه خمسين سنة ونصف سنة، وعمره ثلاث وسبعون سنة.

[٩ ـ] ولما توفي تولى مكانه ابنه:

الحكم[7]:

وتلقب بالمنتصر.

وكان فقيهاً، عالماً بالتاريخ وغيره.

---

(١) ساقط من (ب): دون الترجمة. وأخباره في البيان المغرب ٢/١٢٠ ـ ١٥٦، ونهاية الأرب ٢٣/٣٩٤ ـ ٣٩٦.

(٢) في (ج): وإحدى عشر شهراً.

(٣) في (ب): إحدى عشر ولداً.

(٤) في (أ): وتولى مكانه ابن ابنه.

(٥) البيان المغرب ٢/١٥٦، نهاية الأرب ٢٣/٣٩٦ ـ ٣٩٩، وسير أعلام النبلاء ٨/٢٣٥.

(٦) في (ج): أول من لقب.

(٧) البيان المغرب ٢/٢٣٣، ونهاية الأرب ٢٣/٣٩٩ ـ ٤٠٢، وسير أعلام النبلاء ٨/٢٣٩، والوافي بالوفيات ١٥/١١٩.

وكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة وخمسة أشهر، وعمره ثلاث وستون سنة وسبعة أشهر.

[١٠ -] ولما مات عهد إلى ابنه:

هشام بن الحكم[١]:

وعمره عشر سنين، ولقبه المؤيد بالله.

فلما كبر اشتغل بالغزو، حتى بلغت عدة غزواته نيفا وخمسين غزوة[٢].

وكانت مدة ولايته نحو سبع وعشرين سنة.

[١١ -] فخرج عليه ابن عمه محمد بن هشام وقبض على هشام وحبسه في / قرطبة، واستولى على ملكه. /١٢٢أ

واستمر في الملك إلى أن خرج عليه سليمان بن الحكم[٣]، فهرب محمد، واستولى سليمان مكانه.

[١٢ -] وفي سنة أربعماية عاد محمد المهدي إلى الملك وهرب سليمان. ثم اجتمع كبار العسكر وقبضوا على محمد المهدي وأخرجوا هشام المؤيد من الحبس، وأعادوه إلى الملك، واحضروا محمد المهدي بين يديه فأمر بقتله فقتل[٤]، واستمر المؤيد في الملك.

ثم بعد ذلك اتفقت البربر مع سليمان السالف ذكره، وأخرج هشام المؤيد من قصره بقرطبة، ولم يتحقق للمؤيد خبر بعد ذلك.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٨/٢٤٠، والبيان المغرب ٢/٢٥٣.
(٢) في (ب): حتى بلغت نيفاً وخمسين سنة.
(٣) في (أ): سلمان بن الحكم.
(٤) فقتل: ساقطة من (ب) و (ج).

[١٣ -] وبويع:
سليمان بن الحكم[١]:

وتلقب بالمستعين بالله.

وفي سنة سبع وأربعماية خرج بالأندلس على سليمان شخص من القواد يقال له: خيران العامري[٢]، وانضم إليه جماعة كثيرة وساروا إلى سليمان بقرطبة وجرى بينهم قتال شديد انهـزم[٣] فيه سليمان وأخذ أسيراً، ثم أمر بقتل سليمان وابنه وأخيه، فقتلوا.

ودامت قرطبة في يده إلى أن قام رجل من بني أمية اسمه:

[١٤ -] عبد الرحمن بن هشام[٤]:

ولقبوه بالمستظهر بالله، وهو أخو المهدي، ثم قتلوه في ذي القعدة من هذه السنة.

[١٥ -] وبويع بالملك:
محمد بن عبد الرحمن[٥]:

ولقب بالمستكفي[٦]، بـالله، ثم خلع بعده سنة وأربعة أشهر، فهرب، وسم في الطريق فمات.

---

(١) البيان المغرب ٣//٩١١ - ٩٥، ١١٣ - ١١٨، الكامل في التاريخ ٦/٢٤٨ - ٩، ٢٦٨، نهاية الأرب ٢٣/٤١٩ - ٤٢٣، ٤٢٩ - ٤٣١، وفوات الوفيات ٢/٦٢، والوافي بالوفيات ١٥/٣٦٩.

(٢) في (أ) و (ج): جبران المقامري، وفي (ب): جبران المقابري، وربما المقصود: المعافري. وصوابه ما أثبتناه، استناداً إلى المصادر. وخيران أحد فتيان المنصور بن أبي عامر المعافري.

(٣) في (ج): فانهزم فيه.

(٤) البيان المغرب ٣/١٣٥ - ١٤٠، والكامل في التاريخ ٦/٢٨٧، ونهاية الأرب ٢٣/٤٣٥.

(٥) البيان المغرب ٣/١٤٠ - ١٤٣، والكامل في التاريخ ٦/٢٨٧، ونهاية الأرب ٢٣/٤٣٥.

(٦) في (ب): وتلقب.

ثم اجتمع أهل قرطبة على طاعة يحيى بن حمود العلوي[1].

ثم خرجوا عن طاعته وبايعوا رجلاً من بني أمية اسمه:

[١٦ -] هشام بن محمد[2]:

ولقبوه بالمقتدر بالله[3].

وجرى في أيامه فتن وشرور يطول شرحها.

ثم خلع، وأقام أهل قرطبة بعده شخصاً من ولد عبد الرحمن اسمه:

[١٧ -] أمية[4]:

فلما أرادوا أن يولوه قالوا له: نخشى عليك أن تقتل، فإن السعادة قد ولت عنكم يا بني أمية. فقال: بايعوني اليوم واقتلوني غداً. فلم ينتظم له أمر واختفى فلم يظهر خبره بعد ذلك.

ثم إن الأندلس وتوابعها اقتسمها أصحاب الأطراف والرؤساء، وصاروا مثل ملوك الطوائف، وانقرضت الدولة الأموية من الأندلس وغيرها.

هذا ما وجد من أخبارهم في كتاب «**البحر الزخار والعيلم التيار**»[5]. /

---

(١) البيان المغرب ١٤٣/٣ ـ ١٤٥، وفيه: يحيى بن علي بن حمود، والكامل في التاريخ ٢٨٨/٦، ونهاية الأرب ٤٣٤/٢٣.

(٢) البيان المغرب ١٤٥/٣ ـ ١٥٠، والكامل في التاريخ ٢٩٠/٤، ونهاية الأرب ٤٣٦/٩ ـ ٤٣٨.

(٣) كذا في الأصول الثلاثة. وفي البيان المغرب: «المعتدّ بالله»، وفي الكامل: «المعتدّ بالله»، وفي نهاية الأرب: «المعتمد على الله».

(٤) البيان المغرب ١٥٠/٣، والكامل في التاريخ ٢٩٠/٦.

(٥) في (ب): والمعلم التيار.

الباب السادس
في ذكر الخلفاء العباسيين
سلالة ذوي التقى والنقى والدين

/١٢٢ب

وهم على قسمين:

القسم الأول: الخلفاء المقيمون بالعراق وعددهم سبعة وثلاثون خليفة، ومدة خلافتهم خمسماية وأربع وعشرون سنة.

والقسم الثاني: الخلفاء الذين أقاموا بمصر وعددهم خمسة عشر خليفة[١]، ومدة خلافتهم مايتا[٢] سنة وخمس وخمسون سنة ونصف سنة.

وأما الخلفاء[٣] الذين أقاموا بالعراق ففيهم عدة فصول[٤]

(١) في (أ) و (ب): وعددهم خمس عشرة خليفة.
(٢) في (ب): مايتين سنة.
(٣) في (ب): فأما الخلفاء.
(٤) في (أ): فيهم عدة فصول، وفي (ب): فهم عدة فصول.

الفصل الأول
في ذكر خلافة عبد الله السفاح[1]

وهو أبو العباس، عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم[2].

بويع له بالكوفة لثلاث ليال خلت من ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومائة[3].

وأمه ريطة بنت عبد الله الحارثي[4].

نقش خاتمه: «الله ثقة عبد الله وبه يؤمن».

وكان جميلاً أبيض مليحاً حسن الوجه[5] واللحية والهيئة. وكان من أسخى

(١) في الأصول الثلاثة: في ذكر خلافة أبي عبد الله السفاح. وصوابه ما أثبتناه. وأخباره في أنساب الأشراف ١٢٨/٣ ـ ١٨٣، وتاريخ خليفة بن خياط ٤٠٩، ٤١٥، والمحبر ٣٣، والمعارف ١٦٢، وتاريخ محمد بن يزيد ٣٦، وتاريخ الطبري ٤٢١/٧، ٤٧٠، والتنبيه والإشراف ٢٩٢، ومروج الذهب ١٩٩/٢، وتاريخ بغداد ٤٦/١٠ ـ ٥٣، والكامل في التاريخ ٣٦/٤، وتاريخ الإسلام (حوادث ١٢١ ـ ١٤٠ هـ): ٤٦٦ ـ ٤٦٨، وسير أعلام النبلاء ٧٧/٦، والبداية والنهاية ٥٢/١٠، ٥٨، ومختصر التاريخ ١١٢، وخلاصة الذهب المسبوك ٥٣، ونهاية الأرب ٣٧/٢٢ ـ ٦٦، وفوات الوفيات ٢١٥/٢، والوافي بالوفيات ٤٣١/١٧، والجوهر الثمين ١١٣/١ ـ ١١٥، وتاريخ الخلفاء ٢٧٩، وشذرات الذهب ١٨٣/١، ١٨٥، والعقد الفريد ١١٣/٥، والمختصر في أخبار البشر ٢١٤/١، ومحاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ٧٤/١، وتاريخ مختصر الدول ١٢٠، ودول الإسلام ٨٢.

(٢) في (ب): وهو أبو العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هشام.

(٣) في (ب) و (ج): سنة اثنين وثلاثين ومائة.

(٤) في (ب): ريطة بنت عبيد الله الحارثي.

(٥) في (أ) و (ب): حسن اللحية والهيئة.

الناس، ما وعد عدة قط وأخّرها عن وقتها[١]، وكان سريعاً إلى سفك الدماء.

قال الطبري[٢]: وكان بدوأمر بني العباس أن رسول الله ﷺ أعلم العباس عمه أن الخلافة تؤول إلى ولده. فلم يزل أولاده يتوقعون[٣] ذلك إلى أن آل الأمر إليهم.

فلما بويع السفاح صلّى بالناس الجمعة وقال في الخطبة: الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه فكرّمه[٤] وشرفه وعظمه، واختاره لنا، وأيدّه بنا، وجعلنا أهله وكهفه وحصنه والقوّامين به[٥]، والذابين عنه[٦].

ثم ذكر قرابتهم [من رسول الله ﷺ][٧] في آيات القرآن إلى أن قال: فلما قبض الله نبيه قام بالأمر أصحابه إلى أن وثب بنو حرب ومروان، فجاروا واستجاروا، فأملى الله لهم حيناً حتى استوفوا، فانتقم منهم بأيدينا[٨]، ورد علينا حقنا، ليمن بنا على الذين استضعفوا في الأرض، وختم بنا كما استفتح بنا، وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله.

ولما بلغ مروان الحمار مبايعة السفاح، خرج لقتاله فانكسر، كما تقدم، ثم قتل، وقتل في مبايعة السفاح من بني أمية وجندهم ما لا يحصى من الخلائق.

وأمر السفاح بنبش قبور بني أمية بدمشق[٩]، فنبش قبر يزيد بن معاوية بن

---

(١) في (أ) و (ج): ما وعد عدة قط فأخرها عن وقتها. وفي (ب): ما وعد عدة وأخرها قط عن وقتها.

(٢) تاريخ الطبري ٧/٤٢١.

(٣) في (ب): فلم يزل أولاده ينتظرون. وفي تاريخ الطبري: يتوقعون.

(٤) في (ب): ثم أكرمه. وفي تاريخ الطبري ٧/٤٢٥: الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تكرمة، وشرّفه وعظمه.

(٥) في الطبري: والقوام به.

(٦) في (ب): والقوامين عنه.

(٧) ما بين الحاصرتين ساقط من (أ) و (ب).

(٨) في (ب): حتى استوقفوا فانتقم الله منهم بأيدينا.

(٩) في (ب): وأمر السفاح بنبش قبور بني أمية وجندهم بدمشق.

أبي سفيان فوجدوه كخط أسود كأنه رمـاد[١]/ فما وجد فيه إلا عظماً واحداً ١٢٣/أ
فأحرقه، ونبش قبر عبد الملك فوجد بعض عظامه فأحرقها، ونبش قبر هشام بن عبد الملك فوجده صحيحاً، فصلبه ثم أحرقه بالنار وذراه، ثم نبش قبر مسلمة بن عبد الملك، ثم قبر سليمان بن عبد الملك من أرض دابق.

وتتبع قتل بني أمية وأولادهم، فلم يفلت منهم غير رضيع أو من هرب إلى الأندلس، وألقى قتلاهم على الطريق، فأكلتهم الكلاب، وتوطأت له الممالك إلى أقصى المغرب.

ذكر المؤرخـون[٢]: في دولة بني العباس افترقت كلمة الإسلام، وسقط اسم العرب من الديوان، وأدخل الأتراك والديلم في الديوان، وصارت لهم دولة عظيمة، وانقسمت ممالك الأرض عدة أقسام، وصار بكل قطر قائم يأخذ الناس بالعسف ويملكهم بالقهر.

وفي سنة أربع وثلاثين وماية انتقل السفاح إلى الأنبـار[٣]، وصيرها دار الخلافة. حكى ابن خلكان في ترجمتـه[٤]. أنه نظر يوماً في المرآة فقال: اللهم إني لا أقول كما قال سليمان بن عبد الملك ولكنني أقول [٥]: اللهـم عمرني طويلاً في طاعتك متمتعاً بالعافية. فما استتم كلامه حتى سمع غلاماً يقول لغلام آخر: الأجل بيني وبينك شهـران[٦] وخمسة أيام. فتطير من كلامه وقال: حسبي

(١) الجملة: معاوية بن أبي سفيان... كأنه رماد، ساقطة من (ج).
(٢) في (ب): وذكر المؤرخون.
(٣) الأنبار: مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ، وكانت الفرس تسميها فيروز سابور، جددها أبو العباس السفاح وبنى بها قصوراً وأقام بها إلى أن مات. والأنبار قيل لأنه كان يجمع بها أنابير الحنطة والشعير، وكان يقال لها الاهراء (معجم البلدان ١/٢٥٧). والمعروف ان السفاح بنى عندها مدينة سماها الهاشمية، وعرفت بهاشمية الأنبار، تمييزاً لها عن هاشمية الكوفة التي بناها خلفه المنصور.
(٤) وفيات الأعيـان المنشور لا يتضمن ترجمة لأبي العباس السفاح.
(٥) (اللهم إني أقول)... الجملة ليست في (ب).
(٦) في (ب): الأجل بيني وبينك شهرين.

الله ولا قوة إلا بالله، عليه توكّلت وبه استعنت. فما مضت الأيام المذكورة حتى أخذته الحمى، فمرض، ومات بعد شهرين وخمسة أيام بالجدري[1] بمدينته التي بناها وسماها الهاشمية[2]. فكانت وفاته يوم الأحد لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومايـة[3]، وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة ونصف سنة.

وكانت مدة خلافته أربع سنين، وتسعة أشهر، ودفن بالأنبار العتيقة [والله أعلم][4].

(١) في (ب): وذلك بالجدري.
(٢) الهاشمية: انظر الهامش الثالث في الصفحة السابقة.
(٣) في (ب): يوم الأحد لثلاث عشرة... ليست في (ب).
(٤) ما بين الحاصرتين من (ب).

الفصل الثاني
في ذكر خلافة أبي جعفر المنصور

واسمه عبد الله[١] بن محمد بن علي بن عبد الله[٢].

بويع له بالخلافة بعد موت أخيه السفاح، وكان قد ولاه إمارة الحج. أتاه خبر الخلافة[٣] بمكان يعرف بالصافية فقال: صفا أمرنا إن شاء الله تعالى. فلما حج بهم ورجع إلى الهاشمية، بايعه الناس البيعة العامة.

وكان فحل بني العباس، وكان طويلاً، أسمر خفيف اللحية، رحب الوجه، كأن عينيه/ لسانان ينطقان. /١٢٣ب

وأمه سلامة بنت بشير البربرية.

نقش خاتمه: «إتق الله تزد فتعلم»[٤].

(١) تاريخ خليفة ٤٢٨، وتاريخ ابن يزيد ٣٧، والمعارف ١٦٤، والمحبر: ٣٤، وتاريخ الطبري ٥٩/٨، وأنساب الأشراف ١٨٣/٣، والتنبيه والإشراف ٢٩٥، ومروج الذهب ٢٢٣/٢، والعقد الفريد ١١٣/٥، والعيون والحدائق ٢١٥/٣، وتاريخ بغداد ٥٣/١٠، وتاريخ ابن الأثير ٤٣/٥ ـ ٤٩، ومختصر التاريخ ١١٤، وخلاصة الذهب المسبوك ٥٩، ووفيات الأء ٢٩٤/٢، وسير أعلام النبلاء ٨٣/٧، ونهاية الأرب ٦٦/٢٢، والبداية والنهاية ٦١/١٠، وفوات الوفيات ٢١٦/٢، والوافي بالوفيات ٤٣٣/١٧، وتاريخ الخلفاء ٢٨٤، والعقد الثمين ١١٦/١، وتاريخ الإسلام (وحوادث ووفيات ١٤١ ـ ١٦٠ هـ) ص ٤٦٥ ـ ٤٧١، ومحاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ٧٥/١، ودول الإسلام ٨٤.

(٢) في (ب): عبد الله بن علي بن محمد، وهو خطأ.

(٣) في (ب): وكان قد ولّاه إمارة الحجاج حين الخلافة.

(٤) التنبيه والإشراف ٢٩٦، ومختصر التاريخ ١١٤: «الله ثقة عبدالله وبه يؤمن»، وخلاصة الذهب المسبوك ٥٩: «ثقة عبد الله وبه يؤمن».

وكان ذا هيبة وشجاعة وجبروت، جماعاً للمال، تاركاً للهو واللعب، كامل العقل.

قتل خلقاً كثيراً حتى استقام ملكه. وأول ما فعل أن قتل أبا مسلم[1] الخراساني، صاحب دعوتهم وممهد مملكتهم. وهو الذي ضرب أبا حنيفة على القضاء ثم سجنه، فمات بعد أيام، وقيل: قتله بالسم لكونه أفتى بالخروج عليه.

وهو الملقب بالدوانيقي لمحاسبة العمال والصناع على الدوانيق والحبات[2]، وهو أبو الخلفاء العباسية كلهم، وهو أول خليفة قرب المنجمين وعمل بأحكام النجوم، وأول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والأعجمية بالعربية، ككتاب «**كليلة ودمنة**»و«**إقليدس**».

قال الذهبي[3]: في سنة ثلاث وأربعين ومائة شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير، فصنّف ابن جريج بمكة، ومالك «**الموطأ**» بالمدينة، والأوزاعي بالشام، وابن أبي عروبة[4] وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة، ومعمر باليمن، وسفيان الثوري بالكوفة، وصنف ابن إسحاق «**المغازي**»، وصنف أبو حنيفة الفقه. ثم بعد يسير كثر تدوين العلم وتبويبه، ودوّنت كتب العربية واللغة والتاريخ.

وفي هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم ويروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة.

---

(١) في (ب): وأول ما فعل قتل أبا مسلم الخراساني.

(٢) الدانق واحد من ستة من الدرهم (١/٦). والحبة، وهي وزن حبة الشعير، والمقصود وزن عملة لا وزن بضاعة. واستناداً إلى معطيات فالتر هنتس فان حبة الذهب في العراق العباسي كانت تساوي ٠,٠٧٠٦ غرام وكانت حبة الفضة تساوي ٠,٠٦٢ (المكاييل والأوزان الإسلامية: ١٠، ٢٥).

(٣) الخبر عن الذهبي من تاريخ الإسلام، حوادث ووفيات ١٤١ ـ ١٦٠ هـ. ص ١٣. أخبار ١٤٣ هـ، ونقله عنه السيوطي في تاريخ الخلفاء ٢٨٥.

(٤) في النسخات الثلاث: ابن أبي عمرويه، وضبط الاسم من تاريخ الإسلام والمصادر.

وفي سنة ثمان وأربعين [ومائة] توطأت الممالك كلها للمنصور، وعظمت هيبته في النفوس، ودانت له الأقطار، ولم يبق خارج عنه سوى جزيرة الأندلس فقط، فإنها غلب عليها عبد الرحمن بن معاوية الأموي، وبقيت في يد أولاده إلى بعد الأربعماية.

وفي سنة تسع وأربعين وماية فرغ من بناء بغداد.

وفي سنة ثمان وخمسين وماية شكى الناس ضيق المسجد الحرام، فاشترى المنازل التي حوله حتى زاد فيه.

وعمّر مسجد الخيف بمنى ورخّم الحجر، وهو أول من رخمه.

وكان سبب وفاته أنه لما عزم على الحج وكان يريد قتل سفيان الثوري، فلما
وصل إلى بئر ميمون/ بعث إليها[1] أناساً فقال لهم: إن رأيتم سفيان الثوري /١٢٤أ
فاصلبوه، فجاءوا ونصبوا له الخشب، وكان جالساً بفناء الكعبة ورأسه في حجر فضيل بن عياض، ورأس فضيل في حجر سفيان بن عيينة فقيل له: يا أبا عبد الله، قم فاختف[2] ولا تشمت بنا الأعداء. فتقدم إلى أستار الكعبة وأخذها ثم قال: برئت منه إن دخلها أبو جعفر ورجع إلى مكانه. فركب أبو جعفر من بئر ميمون، فلما كان بينها وبين الحجون سقط عن فرسه فاندقت عنقه فمات في سابع ذي الحجة وقت السحر سنة ثمان وخمسين وماية، فدفن هناك، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وكانت مدة خلافته إحدى وعشرين سنة وأحد عشر[3] شهراً وأربعة عشر يوماً، والله أعلم.

(١) في (أ) و (ج): بعث إليه، وما أثبتناه من (أ).
(٢) في (أ) و (ب): قم اختفي.
(٣) في (ب): وإحدى عشر شهراً.

الفصل الثالث

في ذكر خلافة محمد المهدي

ابن أبي جعفر المنصور[1] عبد الله بن محمد.

بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه المنصور بعهد منه وهو يومئذ ببغداد.

وكان جواداً ممدّحاً[2]، محبباً إلى الرعية، حسن الخلق والخلق.

وأمه أم موسى بنت منصور الحميري.

نقش خاتمه: «حسبي الله».

وهو أول من أمر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدين، وأفنى منهم خلقاً كثيراً.

وفي سنة ستين ومائة حج المهدي، فلما دخل الحرم شكا إليه حجبة الكعبة أنه تراكبت على البيت كسوة كثيرة أثقلتها ونخشى على جدرانها. فأمر بنزعها فنزعت، واقتصر على كسوته التي كساها، وطلى جدرانها بالمسك والعنبر من أسفلها إلى أعلاها، من داخلها وخارجها، فكانوا يسكبون قوارير ماء الورد مع

---

(١) تاريخ خليفة ٤٣٦، المحبر ٣٦، المعارف ١٦٦، تاريخ محمد بن يزيد ٣٧، تاريخ الطبري ١٦٨/٨، العقد الفريد ١١٥/٥، العيون والحدائق ٢٦٩/٣، مروج الذهب ٢٤٥/٢، التنبيه والإشراف ٢٩٦، الوافي بالوفيات ٣٠٠/٣، الكامل في التاريخ ٥٠/٥ ـ ٧٣، مختصر التاريخ ١١٨، سير أعلام النبلاء ٤٠/٨، وخلاصة الذهب المسبوك ٩٠، وفوات الوفيات ٤٠٠/٣، العقد الثمين ٧٦/٢ ـ ٧٨، وتاريخ الخلفاء ٢٩٦ ـ ٣٠٥، والجوهر الثمين ١١٩/١ ـ ١٢٢، وتاريخ مختصر الدول ١٢٥ ـ ١٢٨، ومحاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ٧٦/١، والبداية والنهاية ١٥١/١٠ ـ ١٥٦، ونهاية الأرب ١٠٨/٢٢ ـ ١٢١، وتاريخ الإسلام (حوادث ١٤١ ـ ١٦٠ هـ) ٣٧٢، ودول الإسلام ٩٦.

(٢) في (ب) و (ج): ممدوحاً.

الغالية الممسكة المطلية على الجدران من الجوانب الأربعة[1]، ثم كسبت ثلاث كساوي من القباطي والخز والديباج[2]، وفرّق على أهالي الحرمين الشريفين أموالاً عظيمة[3].

وكانت الكعبة المعظمة ليست في وسط المسجد، بل في جانب منه، فاشترى دوراً كثيرة وزاد في الحرم من الجانب الشامي واليماني، حتى صار البيت الشريف في وسط الحرم.

وحمل إليه الثلج إلى مكة، ولم يتهيأ ذلك لملك قط.

وأمر بعمارة طريق مكة، وقصر المنابر وصيرها على مقدار منبر رسول الله ﷺ، وهو أول من جهز الصرّ وعينه لأهل الحرمين.

/١٢٤ب توفي بقرية/ من قرى ماسبذان[4]، ساق خلف صيد فدخل خربة فدق ظهره بباب الخربة من قوة سوق الفرس فتلف لوقته.

وقيل بل سمته جاريته، وكانت وضعت السم في الطعام لضرتها، فدخل الخليفة ومد يده فأكل فما جسرت أن تقول له: هو[5] مسموم.

وكانت وفاته لثمان بقين من المحرم سنة تسع وستين ومائة، فلم يوجد له نعش يحمل عليه، فحمل على باب ودفن تحت شجرة جوز، وصلى عليه ولده الرشيد، وله اثنتان وأربعون سنة.

وكانت خلافته عشر سنين وشهراً [والله أعلم][6].

---

(١) في (ب): من الجوانب الأربع.
(٢) القباطي نوع من القماش الكتان، أبيض اللون.
(٣) الخبر في تاريخ الإسلام (١٤١ - ١٦٠ هـ): ٣٧٢.
(٤) في (أ) و (ب): باسيبذان، وما أثبتناه من (ج).
(٥) لفظ «هو» ليس في (ج).
(٦) ما بين الحاصرتين من (ب).

الفصل الرابع

في ذكر خلافة موسى الهادي بن محمد المهدي

بويع له بالخلافة بعد موت أبيه(١)، وكان مقيماً بجرجان يحارب أهل طبرستان(٢)، فبويع له بماسبذان(٣)، ثم أخذ له أخوه الرشيد البيعة العامة ببغداد، فقدم بغداد على خيل البريد.

وكان طويلاً، مليحاً، جسيماً، ذا ظلم وجبروت.

ولد بالريّ(٤) سنة سبع وأربعين ومائة.

وأمه أم ولد بربرية، اسمها الخيزران، وفيها يقول مروان بن أبي حفصة(٥):

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ٤٤٥، والمعارف ١٦٦، والمحبر ٣٧، وتاريخ محمد بن يزيد ٣٨، وتاريخ الطبري ٨/٢٠٥ ـ ٢٢٩، والتنبيه والإشراف ٢٩٧، ومروج الذهب ٢/٢٤٧، وتاريخ اليعقوبي: ٤٠٤ ـ ٤٠٦، والعقد الفريد ٥/١١٦، والعيون والحدائق ٣/٢٨٢، ومختصر التاريخ ١٢١ ـ ١٢٤، والكامل في التاريخ ٥/٧٩ ـ ٨٢، وسير أعلام النبلاء ٨/٤٤١، وفوات الوفيات ٤/١٧٣، وخلاصة الذهب المسبوك ١٠٣، ونهاية الأرب ٢٢/١٢١ ـ ١٢٥، وتاريخ مختصر الدول ١٢٨، والمختصر في أخبار البشر ٢/١٢، ومحاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ١/٧٦، وتاريخ الخلفاء ٣٠٥ ـ ٣٤٥، والجوهر الثمين ١/١٢٣ ـ ١٢٤، ودول الإسلام ١٠١.

(٢) في (ب): وكان مقيماً بجرجان يحار أهل طبرستان.

(٣) في (أ) و (ب): بأسبذان. وصوابه ما أثبتناه.

(٤) الري: قصبة بلاد الجبال، بينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخاً. جددها المهدي ـ ١٥٨ هـ. انظر (معجم البلدان ٣/١١٦ وما بعدها).

(٥) مروان بن أبي حفصة (١٠٥ ـ ١٨٢ هـ)؛ هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة، يزيد، شاعر من الطبقة العالية، نشأ باليمامة ثم قدم بغداد ومدح المهدي والرشيد وجمع من الجوائز والهبات ثروات واسعة، وكان يتقرب إلى الرشيد بهجاء العلوية (الاعلام ٧/٢٠٨).

يــا خيــزران هنــاكِ ثم هنــاكِ أمسى يســوس العـالمين ابنــاكِ

وهي أم الخلفاء.

نقش خاتمه: «موسى يؤمن بالله»[1].

وكان يسمى موسى أطْبق، وسببه أن شفته العليا كانت تقلص، فكان أبوه وكل به في صغره خادماً كلما رآه مفتوح الفم قال له: موسى أطبق، فيفيق على نفسه ويضم شفتيه، فشهر بذلك[2].

قال الذهبي[3]: وكان يتناول المسكر ويلعب ويركب حماراً فارهاً ولا يقيم أبهة الخلافة.

وهو أول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة والأعمدة والقسيّ الموترة.

وكان إتمام عمارة المسجد الحرام في أيامه.

ومن أخباره ما ذكره المدائني: أنه عزى الهادي رجلاً في ابن له فقال: سرك[4] وهو فتنة وبلية، ويحزنك وهو ثواب ورحمة.

توفي ببغداد في رابع عشر ربيع الأول سنة سبعين ومابة وله أربع وعشرون سنة.

واختلف في سبب موته قيل: / أصابته قرحة، وقيل: سمته أمه الخيزران[5]، لما عزم على قتل أخيه الرشيد. ١٢٥/أ

وكانت خلافته سنة واحدة وخمسة وأربعين يوماً.

(١) في مختصر التاريخ ١٢١: «بالله أثق»، وفي التنبيه والإشراف ٢٩٨: «الله ربي» وكذلك هو في نهاية الأرب ١٢٥/٢٢.
(٢) الخبر في تاريخ الخلفاء ٣٠٥.
(٣) الخبر في تاريخ الخلفاء ٣٠٥ عن الذهبي.
(٤) في (ب): يسرك.
(٥) في (ب): الخيزرانة.

الفصل الخامس

في ذكر خلافة هارون الرشيد

أبي جعفر بن محمد المهديّ[1].

بويع له بالخلافة بعد موت أخيه في الليلة التي توفي أخوه فيها[2]. وولد له في تلك الليلة ولده المأمون. وكانت ليلة عجيبة لم ير مثلها في بني العباس، مات فيها خليفة، وولي فيها خليفة، وولد فيها خليفة.

وكان يكنى أبا موسى، فتكنى بأبي جعفر[3].

وكان أبيض، طويلاً جميلاً مليحاً، عبل الجسم قد وخطه الشيب.

ولد بالري، حين كان أبوه أميراً عليها وعلى خراسان، في سنة ثمان وأربعين وماية.

وأمه الخيزران البربرية، أم الهادي.

نقش خاتمه: «العظمة والقدرة لله عز وجل».

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ٤٤٧، والمعارف ١٦٦، وتاريخ محمد بن يزيد ٣٨ ـ ٣٩، وتاريخ اليعقوبي ٢/٤٠٧، وتاريخ الطبري ٨/٢٣٠ ـ ٣٦٤، والتنبيه والإشراف ٢٩٩، ومروج الذهب ٢/٢٦٧، والمحبر ٣٨ ـ ٣٩، والكامل في التاريخ ٥/٨٢ ـ ١٣٤، ومختصر التاريخ ١٢٥ ـ ١٢٩، وخلاصة الذهب المسبوك ١٠٧، وسير أعلام النبلاء ٩/٢٨٦، وفوات الوفيات ٤/٢٢٥، ومحاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ١/٧٩، ونهاية الأرب ٢٢/١٢٥ ـ ١٦٣، والعقد الفريد ٥/١١٧، والعيون والحدائق ٣/٢٩٠ ـ ٣١٩، والمختصر في تاريخ البشر ٢/١٨ ـ ١٩، وتاريخ الخلفاء ٣٠٧ ـ ٣٢٢، وتاريخ بغداد ١٤/٥ ـ ١٣، والجوهر الثمين ١/١٢٥ ـ ١٢٨، ودول الإسلام ١٠٢.

(٢) في (ب): التي توفي أخيه فيها.

(٣) في (ب): فتكنى بأبا جعفر.

وهو من أجل ملوك الأرض، له نظر في العلم والآداب. وكان يصلي في كل يوم وليلةماية ركعة، ويتصدق من خالص ماله كل يوم بألف درهم.

وكان يحب العلم ويوقر أهله، لما[1] روي عن أبي معاوية الضرير قال: أكلت مع الرشيد يوماً، ثم صب على يدي رجل لا أعرفه. ثم قال الرشيد: أتدري من يصب عليك؟ قلت: لا، قال: أنا، إجلالاً للعلم.

ومن عجيب ما اتفق له: أن أخاه موسى الهادي لما ولي الخلافة سأله عن خاتم عظيم القدر كان لأبيه المهدي، فبلغه أن الرشيد أخذه فطلبه منه، فامتنع من إعطائه، فألحّ عليه فأنكر الرشيد، وهو على جسر بغداد، فرماه في دجلة[2]. فلما مات الهادي وولي الرشيد الخلافة أتى إلى ذلك المكان بعينه ومعه خاتم رصاص، فرماه في ذلك المكان وأمر الغطاسين أن يلتمسوه، ففعلوا، فأخرجوا الخاتم الأول، فعد ذلك من سعادة الرشيد وبقاء ملكه.

قال الجاحظ: اجتمع للرشيد ما لم يجتمع لغيره: وزراؤه البرامكة، وقاضيه أبو يوسف، وشاعره مروان ابن أبي حفصة، ونديمه العباس بن محمد ابن عم أبيه، وزوجته زبيدة، ومغنيّه إبراهيم الموصلي / وحاجبه الفضل بن الربيع، أبهى /١٢٥ب
الناس وأعظمهم[3].

(١) في (ب): وروي، وفي (ج): روي، بسقوط (لما) في النسختين.

(٢) في (ب): فرماه في الدجلة.
والخاتم هو الحبل، وقصته معروفة ومبثوثة في كتب التاريخ والأخبار.

(٣) تحدثت المصادر عن نكبة البرامكة في عهد الرشيد، انظر الطبري وابن الأثير ونهاية الأرب في أحداث ١٨٧ هـ.
أما أبو يوسف، فكان قاضي قضاة الرشيد، وتحاك حول فقهه حكايات لخدمة هارون الرشيد. مشهود له بطول باعه في الفقه الحنفي، وهو صاحب كتاب الخراج الذي وضع لخدمة الرشيد في سياسة الدولة.
أما الموصلي فكان أحد أعلام الغناء والموسيقى، استاذاً، وصاحب مدرسة في هذا الحقل.
أمّا الفضل بن الربيع، وهو وزير مشهور، فتنسب إليه دسائس كثيرة في صراع الموالي في عهدي الرشيد والمأمون، وأسرته وأسرة البرامكة، كانتا ممن عمل في صف العباسيين منذ كانوا أصحاب دعوة سرية.

وكانت أيام الرشيد كلها خيراً كأنها من حسنها أعراس. وأخبار الرشيد يطول[١] شرحها، ومحاسنه جمة، وله أخبار كثيرة في اللهو واللذات.

ومن الحوادث في أيامه: أنه افترى عبد الله بن مصعب الزبيري[٢]، على يحيى بن عبد الله بن حسن العلوي[٣]، أنه طلب إليه أن يخرج معه على الرشيد فباهله يحيى بحضرة الرشيد، وشبك يده في يده وقال: قل: اللهم إن كنت تعلم أن يحيى لم يدعني إلى الخلافة والخروج على أمير المؤمنين هذا، فكلني إلى حولي وقوتي واسحتني بعذاب من عندك[٤] آمين يا رب العالمين. فتلجلج الزبيري[٥] وقالها، ثم قال يحيى مثل ذلك، وقاما فمات الزبيري ليومه. وفي «الطيوريات»[٦]: أن الرشيد دعا أبا يوسف ليلاً وقال: إني اشتريت جارية وأريد أن أطأها الآن قبل الاستبراء فهل عندك حيلة؟ قال: نعم، تهبها لبعض ولدك[٧]، ثم تتزوجها. فأمر له بماية ألف درهم، فقال أبو يوسف: إن رأى أمير المؤمنين يأمر بتعجيلها قبل الصبح فقال: عجلوها. فقال بعض من عنده: إن الخازن في بيته والأبواب مغلقة[٨]. فقال أبو يوسف: قد كانت الدروب مغلقة حين دُعي بي ففتحت. فلم يلبث ساعة إلا وقد أُتي بالمال[٩]، فقبضه وسار.

ومما نقل: أن الرشيد حلف أن لا يدخل على جارية له أياماً، وكان يحبها، فمضت الأيام ولم تسترضه فقال[١٠]:

(١) في (ب): وأخبار الرشيد أمور يطول شرحها.
(٢) الخبر في تاريخ الخلفاء ٣١٢.
(٣) في (أ): يحيى بن حسن العلوي.
(٤) في (ب): واقضي عذاباً من عندك.
(٥) في (أ) و (ب): الزبير. وما أثبتناه من (ج).
(٦) في (ب): وقيل، بسقوط (وفي الطيوريات).
(٧) في (ب): تهبها لبعض أولادك.
(٨) في (ب): والأبواب خلقة.
(٩) في (ب): أتوا لي بالمال.
(١٠) في (أ) ولم تسترضيه.
والخبر والأبيات في تاريخ الخلفاء ٣١٧.

صدّ عني إذ رآني مفتتن ... وأطال الصبر لما إن فطِنْ
كان مملوكي فأضحي مالكي ... إن هذا من أعاجيب الزّمنْ

ثم أحضر أبا العتاهية فقال: أجزهما فقال في الحال:

عزة الحب أرته ذلتي ... في هواه وله وجه حسنْ
فلهذا صرت مملوكا له ... ولهذا شاع ما بي وعلن

وذكر(١) العتبي أن أباناً تغدى مع الرشيد يوماً فجاءوا بهريسة عجيبة وفي وسطها(٢) سكرجة فيها من/ دهن الدجاج قال أبان(٣): فاشتهيت من ذلك /١٢٦أ الدسم ومددت يدي لأغمس فانقلب الدسم نحوي على الهريسة فقال الرشيد: يا أبان(٤)، أخرقتها لتغرق أهلها؟ فقال أبان(٥): لا يا أمير المؤمنين، ولكن ﴿سقناه لبلد ميت﴾(٦)، فضحك الرشيد حتى أمسك صدره. وله أخبار(٧) في اللهو واللذات، سامحه الله تعالى.

وله مناقب لا تحصى ومحاسن لا تستقصى.

منها ما روي أن ابن السماك دخل على الرشيد يوماً، فاستسقى فأُتي بكوز، فلما أخذه قال: على رسلك يا أمير المؤمنين، أترى لو منعت هذه الشربة فبم كنت تشتريها؟ قال: بنصف ملكي. قال له اشرب هنّاك الله. فلما شربها قال: أترى(٨) لو منعت خروجها من بدنك بماذا كنت تشتري خروجها؟ قال: بجميع

(١) في (أ) و (ج): ذكر العتبي.
(٢) في (أ) و (ج): في وسطها.
(٣) أبان بن عبد الحميد اللاحقي (توفي ٢٠٠ هـ) شاعر مكثر، من أهل البصرة، وانتقل إلى بغداد والتحق بالبرامكة ومدحهم وخص بالفضل بن يحيى، وعن طريقهم اتصل بالرشيد، وهجاه أبو نواس (الأعلام ١/٢٧).
(٤) في (ب): يا أبا نواس.
(٥) في (ب): فقال أبو موسى.
(٦) الشاهد من سورة الأعراف، الآية: ٥٧.
(٧) في (ب): وله أخبار حسنة في اللهو.
(٨) في (أ): أسألك.

ملكي. قال: إن ملكاً قيمته شربة أو بولـة[١]، لجدير أن لا يتنافس فيه، فبكى هارون [٢].

وعن الصولي[٣]: قال: خرج الرشيد في السنة التي ولي فيها الخلافـة[٤] إلى أطراف الروم، فغزا أهلها، فظفر وعـاد[٥]، فحج بالناس آخر السنة، وفرق بالحرمين مالاً كثيراً.

وكان رأى النبي ﷺ في النوم فقال له: إن هذا الأمر قد صار إليك في هذا الشهر، فاغز وحج ووسع على أهل الحرمين. ففعل هذا كله في عام واحد. وكان حجه ماشياً على اللبود وتفـرش[٦] له من منزل إلى منزل.

ولما ولي الرشيد قلد جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي وزارته، وكان جعفر من الكرم والعطايا على جانب عظيم، وأخباره في ذلك مشهورة، وفي الكتب مسطورة. ولم يبلغ[٧] أحـد من الوزراء من منزلة [ما] [٨] بلغها من الرشيد. وكان الرشيد يسميه أخي ويدخله معه في ثوبه، وكانت مدة وزارته للرّشيد سبع عشرة سنة، فقال يوماً يحيى لابنه جعفر: يا بني، ما دام قلمك يرعد فأمطره معروفاً.

واختلف الناس في سبب قتل جعفر. والأرجح، أن الرشيد، كان لا يصبر عن جعفر ولا عن أخته عباسة بنت المهدي ساعة واحـدة[٩]، وكانت من أجمل النساء[١٠]، فقال لجعفر: أزوجكها[١١] ليحل لك النظر إليها ولا تمسها. فكانا

---

(١) في (ب) و (ج): شربة ماء.
(٢) تاريخ الطبري.
(٣) في (ب): وقال الصولي.
(٤) في (ب): التي ولي الخلافة.
(٥) في (ب): ودعا.
(٦) في (ب): وكانت تفرش.
(٧) في (ب): ولم يصل أحد.
(٨) ما بين الحاصرتين من (ج).
(٩) في (ب): العباسة بنت المهدي، بسقوط: (ساعة واحدة).
(١٠) في (ب): وكانت أجمل نساء زمانها.
(١١) في (ب): أزوجك بها.

يحضران مجلسه[١]، ثم يقوم/ الرشيد عن المجلس فيمتلآن[٢] من الشراب، /١٢٦ب
وهما شابان، فيقوم إليها جعفر فيجامعها[٣]، فحملت ووضعت غلاماً[٤]، وخافت الرشيد فوجهت الولد مع خواصها إلى مكة.

ولم يزل الأمر مستوراً حتى وقع بين عباسة[٥] وبين بعض جواريها شر[٦] فأنهت أمر الصبي، وأخبرت بمكانه. فلما حج الرشيد أرسل من أتاه بالصبي، فوجد الأمر صحيحاً، فأوقع بالبرامكة.

وقيل: سبب قتله إنه رفعت إلى الرشيد[٧] رقعة لم يعرف رافعها فيها هذه الأبيات:

قل لأمير المؤمنين الرضى ... ومن إليه الحل والعقد
هذا ابن يحيى قد غدا مالكاً ... مثلك ما بينكما بُدُّ
أمرك مردود إلى أمره ... وأمره ليس له ردُّ[٨]
وقد بنى الدار التي ما بنى ... الفرس لها مثلاً ولا الهندُ
الدر والياقوت حصباؤها ... وتربها العنبر والنّدُّ
ونحن نخشى أنّه وارث ... ملكك إن غيّبك اللّحدُ
وهل يباهي العبد أربابه ... إلا إذا ما بطر العبدُ

فلما وقف الرشيد عليها، أظهر له السوء، وأوقع بهم.

وقيل: بل أرادت البرامكة إظهار الزندقة وفساد الملك فقتلهم. وكان قتلهم

(١) في الأصول: وكان يحضران مجلسه، وفي (ب): يحضران مجلسها.
(٢) في (ب): فيثملان.
(٣) في (ب): ويجامعها.
(٤) في (أ): فحبلت وولدت غلاماً. وفي (ج): فحملت وولدت غلاماً. وما أثبتناه من (ب).
(٥) في (ب): العباسة.
(٦) في (ب): سوء.
(٧) في (ب): أنه رفعت إليه رقعة.
(٨) من هذا البيت ساقط من (ب) بمقدار صفحة.

في مستهل صفر سنة سبع وثمانين ومائة. ولما نصب رأس جعفر على الجسر وقف عليه يزيد الرقاشي الشاعر فقال [(١)]:

أمـا والله لـولا خـوف واشٍ ... وعـين لـلخليـفـة لا تـنـامُ
لـطفنا حـول جذعـك واستلمنـا ... كما للنـاس بـالحجـر استـلام
فمـا أبصرت قبلك يـا بن يحيى ... حسـامـاً فلّه السيف الحسـامُ
على اللّذات والـدّنيـا جميعـاً ... لـدولـة آلِ بَـرمـك السلام[(٢)]/

/١٢٧أ فبـلغ الرشيد مقاله فأحضره فقال: ما حملك على ما قلت وقد بلغك ما توعدنا به كل من يقف عليه أو يرثيه؟ قال: كان يعطيني كل سنة ألف دينار، فأمر له الرشيد بألفي دينار وقال: هي لك منا ما دمنا في قيد الحياة.

وروي أن امرأة وقفت على جعفر ونظرت إلى رأسه معلقاً فقالت: أما والله إن صرت اليوم آية، لقد كنت في المكارم غاية.

ولما بلغ سفيان بن عيينة رحمه الله قتل جعفر وما نزل بالبرامكة حوّل وجهه إلى القبلة وقال: اللهم إن جعفراً كان قد كفاني مؤونة الدنيا، فاكفه مؤونة الآخرة.

وفي «**نزهة النفوس**»: إن أخبار البرامكة لكثيرة ينبغي لكل مؤرخ أن يجعل طراز تاريخه ذكر صفاتهم، لأن فيها خمس فوائد:

أولها: إن الكريم إذا سمعها يزيد في كرمه. وثانيها: البخيل يأنف على نفسه ويتكرم. وثالثها[(٣)]: إن الأديب يقتبس من أدبهم. ورابعها: إن المغرور بدنياه يعتبر بما جرى عليهم بعد عز سلطانهم. والخامس: أن يتأسى بهم من دارت عليه دائرتهم والعياذ بالله من مكره [(٤)].

(١) الأبيات ثلاثة في تاريخ الطبري ٣٠١/٨ دون البيت الرابع وينسبها إلى أبي عبد الرحمن العطوي.

(٢) رواية البيت في تاريخ الطبري كما يلي:

على الدنيا وساكنها جميعاً ... ودولة آل برمكٍ السلام

(٣) إلى هنا ينتهي ما سقط من (ب).

(٤) والعياذ بالله من مكره، ساقطة من (ب).

مات الرشيد في الغزو بطوس من خراسان، ودفن بها في ثالث جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة، وله خمس وأربعون سنة، وصلّى عليه ابنه صالح.

قيل[1]: إنه رأى مناماً أنه يموت بطوس، فبكى وقال: احفروا ليّ قبراً، فحفروا له، ثم حمل في قبة على جمل، وسيق به حتى نظر إلى القبر فقال: يا ابن آدم أتصير إلى هذا[2]؟ وأمر قوماً فنزلوا فختموا فيه ختمة، وهو في محفة على شفير القبر وعهد بالخلافة لابنه الأمين، وهو حينئذ ببغداد، وأخذ رجاء الخادم البردة والقضيب والخاتم، وسار على البريد في اثني عشر يوماً من مروٍ حتى قدم بغداد، فدفع ذلك إلى الأمين.

وقال أبو نواس جامعاً بين الهناء والعزاء[3]:

جرت جوارٍ بالسعد والنحس	فنحن في مأتمٍ وفي عرس
القلب يبكي والعين ضاحكة	ونحن في وحشة وفي أنس
يضحكنا القائم الأمين ويبكيـ	ـنا وفاة الإمام بالأمس
بدران بدرٌ أضحى ببغداد في الخلد	وبدر بطوس في الرمس[4]

وكانت مدة ملكه ثلاثاً وعشرين سنة وشهرين ونصف، رحمه الله تعالى.

(١) انظر الخبر في تاريخ الطبري.
(٢) في (أ) و (ج): تصير إلى هذا؟
(٣) الأبيات ليست في ديوان أبي نواس (ط، صادر، بيروت)، وهي في العيون والحدائق ٣١٨ - ١٩ وتاريخ الطبري ٨/٣٦٤، وفيهما بعض الاختلاف برواية بعض الألفاظ.
(٤) في (ج): بدران أضحى ببغداد في الناس. وصوابه ما أثبتناه، وهو ما يتفق ورواية العيون والحدائق وتاريخ الطبري.
والخلد: هو القصر الذي نزله الأمين.

الفصل السادس
في ذكر خلافة محمد الأمين

أبي عبد الله بن هارون الرشيد[1].

١٢٧ب بويع له بالخلافة بعد موت أبيه/ هارون الرشيد[2]، بعهد منه[3].

وكان من أحسن الناس صورة، كان طويلاً أبيض جميلاً بديع الحسن جداً، ذا قوة مفرطة، وبطش وشجاعة، وفصاحة وأدب، وفضيلة.

وكان أشرف الخلفاء أباً وأماً.

وأمّه[4] أمة العزيز، وزبيدة لقبها. وهي بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور.

وكان سيىء التدبير، كثير التبذير، لا يصغي إلى قول المشير.

نقش خاتمه: «لكل عمل ثواب».

(١) تاريخ خليفة بن خياط ٤٦٠، و٤٦٨، والمحبر ٣٩، والمعارف ١٦٧، وتاريخ محمد بن يزيد ٣٩، وتاريخ الطبري ٨/٤٧٨ - ٥٦٢، والعقد الفريد ٥/١١٨، والتنبيه والإشراف: ٣٠٠، ومروج الذهب ٢/٣٢٠، والعيون والحدائق ٣/٣٢٠، وتاريخ بغداد ٣/٣٣٦، والكامل في التاريخ ٥/١٣٤ - ١٧١ ومختصر التاريخ ١٣٠ - ١٣٣، وسير أعلام النبلاء ٩/٣٣٤، وفوات الوفيات ٤/٤٦، وخلاصة الذهب المسبوك ١٧١، ونهاية الأرب ٢٢/١٦٤، ١٨٨، وتاريخ الخلفاء ٣٢٢، ومحاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ١/٧٧، والبداية والنهاية ١٠/٢٤٠، والمختصر في أخبار البشر ٢/٢٠ - ٢١، وتاريخ مختصر الدول ١٣٢، والوافي بالوفيات ٥/١٣٥، والجوهر الثمين ١/١٢٩ - ١٣٠، ودول الإسلام ١٠٩.

(٢) في (ب): بعد موت أبيه هارون.

(٣) في (ب): بعهد إليه.

(٤) في (ب): أمه.

ولم يكن في الخلفاء من أمه هاشمية سواه، وسوى علي بن أبي طالب والحسن والحسين [رضي الله عنهم](١).

وكان مشتغلاً باللهو والقصف والإقبال على اللذات(٢). ومما قيل فيه أبيات:

إذا غدا ملك باللهو مشتغلاً فاحكم على ملكه بالويل والخرب(٣)
أما ترى الشمس في الميزان هابطة لما غدا وهو برج اللهو والطرب

ولما ولي الخلافة فرّق الأموال، وانعكف على الشراب ومنادمة الفساق. وأرسل إلى البلاد فجمع المغاني، وأجرى عليهم الرواتب، واحتجب عن الأمراء والأعيان. ثم قسم الأموال والجواهر في الحظيات والنساء. واشترى عريب(٤) المغنية بمائة ألف دينار، وأخذ جارية ابن عمه بعشرين ألف دينار، ولم يزل يعمل برأيه السقيم، وصمم على ذلك أشد تصميم.

كتب الأمين(٥) يوماً إلى أخيه المأمون هذه الأبيات:

يا ابن التي بيعت بأنذر قيمة بين الورى في سوق هل من زائد (٦)
ما فيك موضع غرزة من إبرة إلا وفيه نطفة من واحد

فأجابه المأمون:

وإنما أمهات الناس أوعية مستودعات وللآباء أبناء
فرب معربة ليست بمنجبة وطالما أنجبت في الخدر عجماء

ثم إن المأمون خلع أخاه الأمين من الخلافة، وجهز لقتاله طاهر بن

---

(١) ما بين الحاصرتين من (ب).
(٢) في (ب): وكان مشتغلاً باللهو والقصف، بسقوط ما بعدها.
(٣) في (ب): والحرب.
(٤) في (أ): واشترى غريبة، وفي (ب): واشترى عربية المغنية. وما اثبتناه من المصادر.
(٥) في (ب): وكتب الأمين.
(٦) في (ب) و (ج): يا ابن التي بيعت بأبخس قيمة.

/١٢٨أ الحسين[١]/ وهرثمة بن أعين[٢]، فسارا[٣] إليه وحصراه ببغداد، وبلغ الخبر إلى الأمين، وهو في جنب حوض ماء مع جواريه يتصيد السمك، وكان وضع في أنف كل سمكة درة نفيسة شبكها بقضيب الذهب، فكل من صادت من جواريه سمكة كانت الدرة لصائدتها، فرفع الأمين رأسه فقال للذي أخبره: ويلك، دعني، فإن الجارية فلانة قد صادت سمكتين، وأنا ما صدت شيئاً بعد[٤].

واستمر القتال بينه وبين أخيه، وفسد الحال، ونفدت الأموال، وكثر الخراب والهدم من القتال حتى درست محاسن بغداد؛ ودام حصار بغداد خمسة عشر شهراً ولحق غالب العباسيين وأركان الدولة بجند المأمون، ولم يبق مع الأمين من يقاتل عنه إلا أناس قليل، إلى أن استهلت سنة ثمان وتسعين ومائة، فدخل طاهر بن الحسين ومن معه بغداد بالسيف قهراً، فخرج الأمين بأمه وأهله[٥] من القصر إلى مدينة المنصور، وتفرّق عامة جنده، ثم دخل عليه[٦] قوم من العجم ليلاً فضربوه بالسيف، ثم ذبحوه من قفاه، وذهبوا برأسه إلى طاهر، فنصبه على حائط بستان، ونودي: هذا رأس المخلوع محمد الأمين. وجرت جثته بحبل.

---

(١) طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي (توفي ٢٠٧ هـ): قائد المأمون في حربه ضد الأمين، وكانت لأبيه منزلة عند الرشيد. حاصر بغداد وقتل الأمين، وولاه المأمون شرطة بغداد، والتي بقيت بأيدي خلفائه إلى وقت طويل، وأسس في خراسان حكماً ذاتياً لما عرف بالسلالة الطاهرية، لقب بذي اليمينين لأنه ضرب رجلاً بشماله فقدَّه نصفين، أو لأنه ولي العراق وخراسان (الأعلام ٣/٢٢١).

(٢) في (ب): خزيمة.
وهرثمة بن أعين (توفي ٢٠٠ هـ): قائد شجاع، ولاه الرشيد مصر ثم افريقية ثم خراسان وعند النزاع بين الأمين والمأمون كان إلى جانب المأمون ثم نقم عليه المأمون نتيجة لدسائس منافسيه فحبسه وتوفي في حبسه.

(٣) في (ب): فساروا إليه وحصراه.

(٤) في (ب): وأنا لم اصطد شيئا.

(٥) فخرج الامين وأمه وأهله.

(٦) ثم أدخل عليه.

ثم بعث طاهر بالرأس والبردة والقضيب والمصلّى، وهو من سعف مبطن، إلى المأمون.

واشتد على المأمون قتل أخيه، وكان يحب أن يرسل إليه حياً ليرى فيه رأيه، فحقد ذلك[1] على طاهر، وأهمله إلى أن مات طريداً بعيداً[2].

وفي «**عيون التاريخ**» أن المأمون مرّ يوماً على زبيدة أم الأمين فرآها تحرك شفتيها بشيء لا يفهم فقال: يا أماه أتدعين علي لكوني قتلت ابنك وسلبت ملكه؟ قالت: لا والله يا أمير المؤمنين: قال: فما الذي قلته؟ قالت: يعفني[3] أمير المؤمنين. فألح عليها وقال: لا بد أن تقوليه[4]. قالت: قلت: قبح الله الملاحجة[5]. قال وكيف ذلك؟ قالت: لأني لعبت يوماً مع أمير المؤمنين الرشيد/ [بالشطرنج]، والشرط على الحكم والرضى، فغلبني[6] فأمرني أن ١٢٨/ب أتجرد من أثوابي وأطوف القصر عريانة، فاستعفيته فلم يعفني، فتجردت من أثوابي وطفت القصر عريانة[7]، وأنا حنقة عليه. ثم عاودنا اللعب[8]، فغلبته، فأمرته أن يذهب إلى المطبخ فيطأ أقبح جواريه وأسوأها خلقة، فاستعفاني ذلك، فلم أعفه، فبذل لي خراج مصر والعراق فأبيت، فقلت: والله لتفعلن ذلك، فأبى فألححت عليه وأخذت بيده وجئت به إلى المطبخ، فلم أجد جارية أقبح ولا أقذر

---

(١) في (ج): فحقد لذلك.
(٢) الواقع غير ذلك، فان طاهر بن الحسين عين والياً على خراسان.
(٣) في (ج): يعفوني.
(٤) في (ب): وقال لا بد أن تقوليه، بسقوط ما قبلها.
(٥) في (ب): قبح الله اللحة. ويقال، الملاحجة والملاخّة.
(٦) في (أ): لاني لعبت يوماً مع أمير المؤمنين الرشيد بالشرط، وما أثبتناه من (ب) و (ج).
(٧) في (ب): ففعلت ذلك. والجملة (فاستعفيته . . . عريانه)، ساقطة منها.
(٨) في (ب): ثم عاد باللعب.

ولا أسوأ خلقة من أمك مراجل[1]، فأمرته أن يطئها، فوطئها[2]، فحملت منه بك، فكنت سبباً لقتل ولدي وسلبه مملكته. فولى المأمون وهو يقول: لعن الله الملاححة، أي الذي ألح عليها حتى أخبرته هذا الخبر.

وكان قتله في محرّم سنة ثمان [وتسعين وماية] كما سبق، وله سبع وعشرون سنة، ودفن ببغداد، فكانت خلافته أربع سنين وثمانية شهور [والله أعلم][3].

(١) في (ب): فلم أجد جارية أقبح ولا أقذر من أمك، بسقوط الباقي.
(٢) (فوطئها) سقطت في ب.
(٣) ما بين الحاصرتين من (ب).

الفصل السابع

في ذكر خلافة عبد الله المأمون(١)

أبي العباس بن هارون الرشيد(٢).

بويع له بالخلافة في حياة أخيه.

وكان أبيض، مربوعاً، مليح الوجه، طويل اللحية، ديناً عارفاً بالعلم، فيه دهاء وسياسة، قرأ العلم في صغره، مع أخيه الأمين على أبي حنيفة رحمه الله [تعالى](٣)، وسمع الحديث من أبيه.

ولد سنة سبعين وماية في ليلة النصف من ربيع الأول وكانت ليلة الجمعة، وهي الليلة التي مات فيها الهادي.

وأمه أم ولد اسمها مراجل، ماتت في نفاسها به.

نقش خاتمه: «الموت حق»(٤).

---

(١) في (ب): في ذكر خلافة أبي العباس وسقطت: عبد الله المأمون.

(٢) أخباره في المعارف ١٦٩، وتاريخ ابن يزيد ٤٠، وتاريخ الطبري ٨/٦٤٦، والعيون والحدائق ٣/٣٤٤، وتاريخ اليعقوبي ٢/٤٤٤، ومروج الذهب ٢/٣٢٩، والتنبيه والإشراف ٣٠٢، وتاريخ بغداد ١٠/١٨٣، والمحبر ٤٠ـ٤٢، وفوات الوفيات ٢/٢٣٥، والوافي بالوفيات ١٧/٦٥٤، وخلاصة الذهب المسبوك ١٨٦، ومختصر التاريخ ١٣٤ـ١٣٧، ونهاية الأرب ٢٢/١٨٨، وتاريخ الخلفاء ٣٣٠، والبداية والنهاية ١٠/٢٤٤، ٢٧٤، ومحاضرة الأبرار ١/٧٧، والكامل في التاريخ ٥/٢٢٦، ٢٢٧ ـ ٢٣١، ونهاية الأرب ٢٢/١٨٨ ـ ٢٤٢، والمختصر في أخبار البشر ٢/٣١ـ٣٢، والجوهر الثمين ١/١٣١ـ١٣٦، ودول الإسلام ١١٢.

(٣) من (ب).

(٤) في مختصر التاريخ: «الموت حق»، وفي تاريخ الخلفاء: «عبد الله بن عبد الله»؛ وفي التنبيه والإشراف: «الله ثقة عبد الله وبه يؤمن».

وذكر ابن خلكان أن المأمون كان عظيم العفو، وكان يقول: لو يعلم الناس ما أجد في العفو من اللذة، لتقربوا إليّ بالذنوب[١].

وكان جواداً بالأموال عارفاً بعلم النجوم وغيره، ولم يل الخلافة من بني العباس أعلم منه. وقيل: إنه ختم في بعض أشهر رمضان[٢]، ثلاثاً وثلاثين ختمة.

وفي أيامه ظهر القول بخلق القرآن، فحمل الناس على القول بخلق القرآن، وكل من لم يقل بخلقه عاقبه أشد عقوبة.

ثم غزا الروم وفتح فتوحات كثيرة، وكان أمره نافذاً[٣]، بإفريقية إلى أقصى بلاد خراسان[٤]، وما وراء النهر إلى الهند والسند.

/١٢٩أ وكان يخرج في الليل/ يتفقد أحوال عسكره وينظر من يحبه ومن يبغضه، وكان يحب معرفة أحوال الناس. اتخذ ألفاً وسبعماية عجوز يدرن في المدينة يعرّفنه[٥] أحوال الناس في ذلك اليوم[٦]. وكان من أفرس الشعراء.

عن عمارة[٧] بن عقيل قال: والله إنا لننشد أول البيت عند المأمون، فيسبقنا إلى آخره من غير أن يكون سمعه.

وأخرج ابن عساكر، عن أبي خليفة الفضل قال: سمعت بعض النخاسين يقول: عرضت على المأمون شاعرة فصيحة شطرنجية فساومته[٨] في

(١) الخبر في تاريخ الخلفاء وعن الصولي عن محمد بن القاسم، وأورده النويري في نهاية الأرب.
(٢) في (ب): ختم في بعض رمضان.
(٣) في (ب): وكان أمره نافذ.
(٤) في (ب): إلى أقصى بلاد الروم وخراسان.
(٥) في (ب): تعرُّفه.
(٦) في (ب): أحوال الناس في ذلك، بسقوط كلمة (اليوم).
(٧) في (ب): وعن عمارة بن عقيل.
(٨) في (ب): عرضت على المأمون جارية فصيحة شاعرة شطرنجية فساومت؛ وفي (ج): عرضت، على المأمون جارية فصيحة شطرنجية.

ثمنها بألفي دينار. فقال المأمون: إن هي أجازت بيتاً أقوله ببيت من عندها، اشتريتها بما تقول وزدتك في ثمنها. فأنشد المأمون[١]:

مــاذا تقــولين فيمن شفــه أرق   من أجل حبك حتى صار حيرانا

فأجابته:

إذا وجـدنـا محبـاً قـد أضـرّ بـه   داء الصبــابـة أولينــاه احسـانــاً

فاشتراها بما قال، وتمتع بها.

وفي سنة احدى ومايتين جعل ولي العهد من بعده عليّ الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق، أحد الأئمة، حمله على ذلك إفراطه في التشيع حتى قيل: إنه هم أن يخلع نفسه ويفوّض الأمر إليه، فاشتد ذلك على بني العباس جداً، وخرجوا عليه.

وفي سنة إحدى عشرة ومائتين أمر المأمون بأن ينادى: برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير، وأن أفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه.

وفي سنة اثنتي عشرة[٢] ومائتين أظهر القول بخلق القرآن مضـافاً إلى تفضيل عليّ على أبي بكر وعمر، فاشمأزت النفوس منه وكاذ البلد أن يفتتن، وكتب بذلك إلى عمّاله أن يمتحنوا الناس ويحملوهم على القول بخلق القرآن، فأجابه طائفة وامتنع آخرون، فأمر بإحضار من امتنع، فـأحضر جمـاعة منهم أحمد بن حنبل، فقيل له: ما تقول في كلام الله تعالى، أمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله، لا أزيد على هذا.

ثم بلغ المأمون إن الذين أجابوا إنما أجـابوا/ مكـرهين، فغضب وأمر ١٢٩/ب

(١) القصة والبيتان في تاريخ الخلفاء ٣٤٩.

(٢) في (ب): سنة اثنتي عشر.

بإحضارهم إليه وهو بالروم، فحملوا إليه فبلغتهم وفاة المأمون قبل وصولهم إليه[1]، ولطف الله وفرج.

توفي المأمون يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثماني عشرة ومائتين بالبذندون[2] من أرض الروم، ونقل إلى طرسوس فدفن بها. فلما احتضر سأل عن تفسير المكان بالعربي فقيل[3]: مد رجليك، فتطير به، ثم سأل عن اسم البقعة فقيل: الرقة، وكان فيما علم من مولده[4] أنه يموت بالرقة فكان يتجنب نزول الرقة، فلما سمع هذا من الروم عرف وأيس وقال: يا من لا يزول ملكه[5]، إرحم من قد زال ملكه.

ولما وردت وفاته إلى بغداد رحمه الله قال أبو سعيد المخزومي:

هل رأيت النجوم أغنت عن المأ ... مون في ثبت ملكه المأسوس
خلّفوه بعرصتي طرسوس ... مثل ما خلّفوا أباه بطوس

قال الثعالبي: لا يعرف أب وابن من الخلفاء أبعد قبراً من الرشيد والمأمون.

بلغ عمر المأمون ثمانية وأربعين سنة وكانت مدة خلافته عشرين سنة[6]، وخمسة أشهر وواحد وعشرين يوماً[7].

(١) في (ب): وأمر بإحضارهم إليه، وما بعدها ساقط، ويوجد عوضاً عنها: وتوفي قبل إحضارهم وهو في بلاد الروم.
(٢) في (ب): ثماني عشر. وفي (ج): سنة ثمانية عشر بدرندرن.
(٣) في (ب): فقيل له.
(٤) في (أ): فيما عمل من مولده، وفي (ج): فيما علم من والده. وما أثبتناه من (ب).
(٥) في (ب): يا مولانا.
(٦) في (ب): بلغ عمر المأمون ثمانية وأربعين سنة، بسقوط ما بعدها.
(٧) في جميع النسخات: وإحدى وعشرين يوماً.

الفصل الثامن
في ذكر خلافة المعتصم بالله

اسمه إبراهيم بن هارون الرشيد(١).

بويع له بالخلافة يوم موت أخيه [المأمون] بعهد منه(٢)، .سر من رأى.

وكان أبيض، أصهب اللحية، مربوعاً. وكان شجاعاً مهيباً، قوي البدن إلى الغاية. وكان فيه ظلم وعنف، لكنه أرهب للأعداء.

ولد سنة ثمانين ومائة، وأمه أم ولدٍ من مولدات الكوفة، اسمها ماردة بنت شبيب.

نقش خاتمه: «سل الله يعطك»(٣).

وكان إذا غضب لا يبالي من قتل. وكان يخرج ساعده ويقول للرجل: عض

(١) المعارف ١٧١، والمحبر ٤٢، وتاريخ محمد بن يزيد ٤١، وتاريخ الطبري ٩/١١٨ - ١٢٣، والكامل في التاريخ ٥/٢٣١ - ٢٦٦، والعيون والحدائق ٣/٣٨٠ - ٤١٠، والعقد الفريد ٥/١٢٠ - ١٢١، وتجارب الأمم لمسكويه ٦/٤٧٠ - ٥٢٧، وتاريخ اليعقوبي ٢/٤٧١ - ٤٧٨، ومختصر التاريخ ١٣٨ - ١٤١، وتاريخ مختصر الدول ١٣٨ - ١٤١، وسير أعلام النبلاء ١٠/٢٩٠، وفوات الوفيات ٤/٤٨، والوافي بالوفيات ٥/١٣٩، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٢١، والتنبيه والإشراف ٣٠٥-٣١٢، ومروج الذهب ٢/٣٦١، ونهاية الأرب ٢٢/٢٤٢-٢٦٢، والبداية والنهاية ١٠/٢٩٥-٢٩٧، وتاريخ بغداد ٣/٣٤٢-٣٤٧، ومحاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ١/٧٨، وتاريخ الخلفاء ٣٦٠-٣٦٧، والجوهر الثمين ١/١٣٧ - ١٣٩، ودول الإسلام ١١٩.

وورد الاسم في الوافي محمد بن هارون، وكذا هو في المعارف ومختصر التاريخ.

(٢) في (أ) و (ب): ساقط ما بين الحاصرتين. وفي (ج): بويع له بالخلافة يوم موت أخيه المأمون بسر من رأى.

(٣) في مختصر التاريخ: «الحمد لله الذي ليس كمثله شيء».

ساعدي بأكثر قوتك، لأنه لا يعمل فيه السنان فضلاً عن الأسنان. قال نفطويه[1]: كان من أشد الناس بطشاً، كان يجعل زند الرجل بين إصبعيه فيكسره وكان يحمل ألف رطل [بالبغدادي][2] ويمشي بها خطوات.

/١٣٠أ وكان عرياً من العلم. وسببه أن الرشيد كان يميل إليه/ فاتفق أنه مات غلام كان يقرأ معه في الكتاب فقال له الرشيد: يا محمد، مات غلامك. قال: نعم يا سيدي واستراح من الكتّاب. فقال: وإن الكتّاب ليبلغ منك هـذا؟ دعوه، لا تعلّموه. فكان يكتب ويقرأ قراءة ضعيفة.

ولم يكن في بني العباس مثله في القوة والشجاعة والإقدام. ومما يؤيد ذلك ما نقله سبط ابن الجوزي في (مرآة الزمان): ان المعتصم كان جالساً في مجلس أنسه والكأس في يده، فبلغه أن امرأة شريفة في الأسر عند علج من علوج الروم في مدينة عمورية[3]، وأنه لطمها على وجهها يوماً فصاحت: وامعتصماه، فقال لها العلج: ما يجيء إليك المعتصم إلا على أبلق. فلما سمع ذلك اغتم غمّاً شديداً، وختم الكأس وناوله لساقيه وقال: والله لا شربته[4] إلا بعد فك الشريفة من الأسر وقتل العلج.

فلما أصبح وكان يوم برد عظيم وثلج، فلم يقدر أحد على إخراج يده، ولا

---

(١) في (ب): قال: يعطونه.
نفطويه، إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي، أبو عبد الله، من أحفاد المهلب بن أبي صفرة كان إماماً في النحو، فقيهاً رأساً في مذهب داود، جالس الخلفاء، وأتقن حفظ السيرة مع المروءة والفتوة والظرف، توفي ببغداد ٣٢٣هـ (الأعلام ٨/٦١).

(٢) ما بين الحاصرتين من (ب).
والرطل البغدادي، كما اعتمده هنتس في (المكاييل والأوزان الإسلامية: (٣٥) يساوي ٢٥ر٤٠٦ غم.

(٣) عمورية: بفتح أوله وتشديد ثانيه: بلد في بلاد الروم، وهي التي فتحها المعتصم ٢٢٣ هـ بسبب أسر العلوية، وكانت من أعظم فتوح الإسلام (معجم البلدان ٤/١٥٨).

(٤) في (ج): لا أشربنّه.

إمساك قوسه، فنادى بالرحيل إلى غزوة[1] عمورية، وأمر عسكره أن لا يخرج أحد منهم إلا على فرس أبلق، فخرجوا في سبعين ألف أبلق. فأناخ عليها، وما زال[2] يحاصرها حتى فتحها عنوة. فلما دخلها كان يقول: لبيك لبيك. وطلب العلج صاحب الأسيرة الشريفة وضرب عنقه، وفك قيود الشريفة، وقال لساقي: ائتني بكأسي[3] التي أودعتها. فأتاه بها، وفك ختمه وشربه وقال: الآن طاب الشراب.

واحتوى على ما فيها من الأموال وقتل منها ثلاثين ألفاً، وسبى مثلهم، فأنكاهم نكاية عظيمة لم يسمع بمثلها لخليفة.

ذكر عبد الواحد بن العباس الرياشي[4]، قال: كتب ملك الروم إلى المعتصم كتاباً يهدده فيه، فلما قرىء عليه قال للكاتب أن اكتب:

بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد فقد قرأت كتابك، وسمعت[5] خطابك، والجواب ما ترى لا ما تسمع. وسيعلم الكفار[6] لمن عقبى الدار.

ولما عهد المأمون إلى أخيه المعتصم بالخلافة أوصاه أن يحمل[7] الناس
/١٣٠ب على القول بخلق القرآن/ واستمر الإمام أحمد بن حنبل محبوساً إلى أن بويع المعتصم، فأحضر الإمام أحمد رضي الله عنه[8] إلى بغداد، وعقد له مجلساً للمناظرة فناظره ثلاثة أيام، ولم يزل معهم في جدال إلى اليوم الرابع، فأمر

(١) في (ب): إلى غزو عمورية.
(٢) في (ب): ولم يزل يحاصرها.
(٣) في (ج): ائتني بالكأس.
(٤) في (ب): وذكر عبد الواحد العباسي الرياشي.
(٥) في (ب): وفهمت.
(٦) في (ب): الكافر.
(٧) في (ب): أوصاه بأن.
(٨) (رضي الله عنه)، ليست ي (ب).

بضربه، فضرب إلى أن أغمي عليه[١]، وهـو مع ذلـك كله صائم لم يفـطر[٢]. وفي أثناء الضرب انحلت وزرته، فهمهم بشفتيه، فخرجت يدان فربطتاها. فسئل عن ذلك بعد اطلاقه فقال رضي الله عنـه[٣]: قلت: اللهم إن كنت على الحق فلا تفضحني. ورُمي على بارية ثم حمل إلى منزله.

قال الإمام أحمد: وكان عندي شعرات من شعر النبي ﷺ قد صررتها في كم قميصي فأرادوا نزع القميص وخرقه فقال المعتصم: لا تخرقوه فسلم القميص من الخرق ببركة شعر رسول الله ﷺ. وشدوا يديه فتخلعت أكتافه ولم يزل الإمام أحمد رضي الله عنه يتوجع منها حتى مات[٤].

وكان مدة مكثه في السجن ثمانية وعشرين شهراً، ولم يزل بعد ذلك يفتي ويحدّث إلى أن مات المعتصم وولي الواثق، فأظهر ما أظهره المأمون والمعتصم من المحنة، وقال للإمام أحمـد[٥]: لا تجمعن إليك أحداً، ولا تساكني في بلدة أنا فيهـا[٦]. فأقام الإمام أحمد مختفياً في داره لا يخرج إلى صلاة ولا إلى غيرها، إلى أن مات الواثق.

وولي المتوكل فرفع المحنة، وأحضر الإمام أحمد رضي الله عنه وأكرمه.

وحكي أن الشافعي رضي الله عنه لما كان بمصر رأى سيد المرسلين ﷺ في المنام وهو يقول: بشر أحمد بن حنبل بالجنة على بلوى تصيبه، فإنه يدعى إلى القول بخلق القرآن[٧] فلا يجيب إلى ذلك. فلما أصبح الشافعي رضي الله

(١) في (ب): فضرب حتى غمي عليه.
(٢) في (ب): وهو مع ذلك صائم.
(٣) (رضي الله عنه)، ليست في (ب). وبعدها في (ب): ولما أوثقوه بالكتاف أفلت أكتافه، فلم يزل يشكو ذلك حتى مات.
(٤) هذه الفقرة ساقطة من (ب).
(٥) في (ب): وقال للإمام.
(٦) في (ب): ولا تساكني في بلد أنا فيها.
(٧) في (ب): فإنه يدعى بخلق القرآن.

عنه، كتب صورة ما رآه في منامه وأرسله مع الربيع[1] إلى بغداد إلى أحمد بن حنبل رضي الله عنه [2]، فلما دخل عليه وقرأ الكتاب، بكى الإمام أحمد رضي الله عنه[3] وقال: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله العلي العظيم فقال[4]: الجائزة، وكان عليه قميصان أحدهما على جسده، والآخر فوقه، فنزع الذي على جسده ودفعه إليه فأخذه/ ورجع إلى الشافعي وقال: ما أجازك قال: أعطاني القميص الذي على جسده، فقال رضي الله عنه: أما أنا فلا أفجعك فيه، ولكن اغسله واتني بمائه، فغسله وأتاه بالماء، فأفاضه الشافعي على سائر جسده. /١٣١أ

وقال إبراهيم[5] الجرمي: جعل الإمام أحمد بن حنبل جميع من ضربه أو أحضره[6] أو ساعد عليه في حل، إلا ابن أبي دؤاد[7]، وقال: لولا أنه ذو بدعة لأحللته، ولو تاب من بدعته لأحللته[8]، وجعل المعتصم في حل يوم فتح عمورية وقال: هو في حل من ضربي[9].

وذكر ابن خلكان[10]: أن الإمام أحمد ولد في سنة أربع وستين ومائة وتوفي في سنة احدى وأربعين ومائتين، وحزر من حضر جنازته من الرجال فكانوا ثمانماية ألف، ومن النساء ستين ألفاً، وأسلم يوم موته عشرون ألفاً من اليهود والنصارى.

(١) في (ب): وأرسله لي مع الربيع.
(٢) (رضي الله عنه)، ليست في (ب).
(٣) (رضي الله عنه)، ليست في (ب).
(٤) هذه الفقرة ساقطة من (ب).
(٥) في (ب): فقال إبراهيم.
(٦) في (ب): جميع من ضربه وحضره.
(٧) أحمد بن أبي دؤاد الأيادي، القاضي، كان معروفاً بالمروءة والعصبية، اتصل بالمأمون، ثم صار من خاصة المعتصم.
(٨) في (ب): ولو تاب من بدعته، بسقوط (لأحللته).
(٩) في (أ) و (ج): وقال: هو في حلّ من ضرّي. وفي (ب): فقال هو في حلّ من ضربي. وأثبتنا كلمة (ضربي) من (ب).
(١٠) وفيات الأعيان ١/٨٥.

قال محمد بن خزيمة(١): لما بلغني موت الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه اغتممت غماً شديداً، فرأيته من ليلتي في المنام وهو يتبختر في مشيته فقلت له: يا أبا عبد الله، ما هذه المشية؟ فقال: مشية الخدام في دار السلام. فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وتوجني وألبسني نعلين من ذهب قال: يا أحمد هذا بقولك: القرآن كلامي غير مخلوق. ثم قال الله تعالى: يا أحمد، أدعني بتلك الدعوات التي بلغتك عن سفيان التي كنت تدعو بهن في دار الدنيا. فقلت: يا رب كل شيء، بقدرتك على كل شيء، لا تسألني عن شيء، واغفر لي كل شيء. فقال جلّ وعلا: يا أحمد هذه الجنة، فادخل فيها. فدخلت. وإذا بسفيان الثوري له جناحان أخضران، يطير بهما من نخلة إلى نخلة وهو يقول: الحمد لله الذي أورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء، فنعم أجر العاملين فقلت: ما فعل عبد الوهاب الورّاق؟ قال: تركته في بحر من نور يزور ربّه الغفور. قلت: فما فعل بشر بن الحارث: فقال لي: بخٍ بخٍ، ومن مثل بشر تركته بين يدي الله تعالى،
/١٣١ب وبين يديه مائدة من الطعام، والجليل جلّ جلاله/مقبل عليه وهو يقول له(٢): كل يا من لا يأكل، واشرب يا من لا يشرب، وتنعم يا من لا يتنعم(٣).

وفي سنة سبع وعشرين ومائتين احتجم المعتصم بسر من رأى فحم فمات، وذلك لاثنتي عشرة ليلة من ربيع الأول، وهو ابن ثماني وأربعين سنة، فكانت(٤)، خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام. وهو الثامن من خلفاء بني العباس، وفتح ثمانية فتوح، ووقف ببابه ثمانية ملوك، وقتل ثمانية أعداء، وخلّف ثمانية بنين، وثماني بنات وثمانية آلاف ألف دينارٍ وثمانماية ألف درهم، وثمانين ألف فرس، وثمانين ألف جمل وبغل، وثمانين ألف خيمة(٥)، وثمانية

(١) من هنا ساقط من (ب).
(٢) في (ج): وهو يقول.
(٣) إلى هنا ينتهي ما سقط من (ب).
(٤) في (ب): وكانت خلافته.
(٥) في (ب): وثمانين خيمة، بسقوط كلمة: (ألف).

آلاف عبد، وثمانية آلاف جارية؛ وبنى ثمانية قصور، وكانت غلمانه من الأتراك ثمانية عشر ألفاً، وطالعه الثمانية من كل شيء. فلهذا يدعى بالمثمن والثمانيني، وهذا من العجائب التي لم يسمع بمثلها [لخليفة قبله][1].

(١) ما بين الحاصرتين من (ب).

الفصل التاسع
في ذكر خلافة الواثق بالله

اسمه هارون، أبو جعفر بن المعتصم بن الرشيد[1]. بويع له بالخلافة بسر من رأى يوم موت أبيه.

وكان أبيض مليحاً، يعلوه اصفرار، حسن اللحية، في عينيه نكتة، عالماً أديباً جيد الشعر، شجاعاً مهيباً صارماً فيه جبروت[2].

وأمه أم ولد روميّة، اسمها «قراطيس».

ولد لعشر بقين من شعبان سنة تسعين وماية.

نقش خاتمه: «لا إله إلا الله محمد رسول الله».

فلما ولي الخلافة استخلف على السلطنة أشناس التركي[3]، وألبسه وشاحين مجوهرين وتاجاً مجوهراً. وهو أول خليفة استخلف سلطاناً.

(١) المعارف ١٧٢، المحبر ٤٢، وتاريخ محمد بن يزيد ٤٢، وتاريخ الطبري ٩/١٥٠ ـ ١٥٤، التنبيه والإشراف ٣١٢ ـ ٣١٣، ومروج الذهب ٢/٣٧٥، وتاريخ بغداد ١٤/١٥، والعقد الفريد ٥/١٢١، وسير أعلام النبلاء ١٠/٣٠٦، وفوات الوفيات ٤/٢٢٨، وتاريخ مختصر الدول ١٣٨ ـ ١٤١، وتجارب الأمم ٦/٤٧٠، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٢٣، والكامل في التاريخ ٥/٢٦٦ ـ ٢٧٨، ومختصر التاريخ: ١٤٢ ـ ١٤٤، ونهاية الأرب ٢٢/٢٦٢ ـ ٢٧٥، والبداية والنهاية ١٠/٣٧٦ ـ ٣٧٨، والجوهر الثمين ١/١٤٠، وتاريخ الخلفاء ٣٦٧، ومحاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ١/٧٨، وتاريخ اليعقوبي ٢/٤٧٩ ـ ٤٨٣، والمختصر في أخبار البشر ٢/٣٦ ـ ٣٧، ودول الإسلام ١٢٣.

(٢) في (ب): شجاعاً مهاباً صارماً فيه جبروت. وفي (ج): شجاعاً مهيباً حازماً فيه جبروت.

(٣) أشناس، أبو جعفر، قائد تركي من مماليك المعتصم، حامى عن المعتصم عندما كان من قواد إبراهيم بن المهدي، فقدمه وقوده وولاه حجابته، وكذلك فعل الواثق، واشترك في صوائف =

وكان أعلم الخلفاء بالغناء، وله أصوات وألحان عملها نحو ماية صوت. وكان يضرب بالعود. وكان راوية للأشعار والأخبار[1]. وكان كثير الأكل جداً. كان له خوان[2] من ذهب، مؤلف من أربع قطع، يحمل كل قطعة عشرون رجلاً، وكل ما على الخوان[3] من صحن وصحفة من ذهب.

وقال أحمد بن حمدون: دخل هارون بن زياد، مؤدب الواثق، إليه فأكرمه/ وعظمه إلى الغاية فقيل له: من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: هذا أول من فتق لساني بذكر الله، وأدناني من رحمة الله. ١٣٢/أ

وكان قد تبع أباه في القول بخلق القرآن، وقتل أحمد بن نصر الخزاعي لمخالفته، ونصب[4] رأسه إلى الشرق فدار إلى القبلة فأجلس رجلاً معه رمح أو قصبة وكان كلما دار الرأس إلى القبلة أداره إلى الشرق. فذكر الرجل أنه كان يسمع من الرأس بالليل قراءة سورة ﴿يس﴾ بلسان طلق. ويروى أنه رؤي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ورحمني، إلاّ أني كنت مهموماً منذ ثلاثة أيام. قيل: ولم؟ قال: لأن النبي ﷺ مرّ علي مرتين فأعرض بوجهه الكريم عنّي، فغمني ذلك. فلما مر ﷺ الثالثة قلت له: يا رسول الله ألست على الحق وهم على الباطل؟ قال رسول الله ﷺ: بلى. قلت: ما بالك تعرض عني بوجهك الكريم؟ فقال ﷺ: حياء منك، إذ قتلك رجل من أهل بيتي[5].

ويقال: إن الواثق رجع عن هذا القول قبل موته، وسببه ما ذكره الحافظ أبو بكر الآجري، أنه أُتي للواثق بشيخ مكث في السجن مدة بقيوده، فلما وقف بين

= المأمون، ولما حج في سنة ٢٢٦هـ ولاه المعتصم كل بلدة يدخلها، فدعي له على جميع المنابر في البلدان بين سامراء ومكة، وتوفي ٢٣٠هـ.

(١) في (ب): وكان راوياً للأشعار والأخبار.

(٢) في (ب): له خوان، بسقوط (كان).

(٣) في (ب): وكان جميع ما على الخوان.

(٤) من هنا ساقط من (ب).

(٥) إلى هنا ينتهي ما سقط من (ب).

يديه سلّم عليه فلم يرد الواثق السلام، فقال له الشيخ: يا أمير المؤمنين، بئسما أدبك مؤدبك، قال الله تعالى: ﴿وإذا حيّيتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾[١]، فما حييتني بأحسن منها ولا بها. فقال الواثق: وعليك السلام. ثم قال لابن أبي دؤاد: سله.

فقال الشيخ: المسألة لي مرة فليجبني[٢]، فقال: سل. فأقبل الشيخ على ابن أبي دؤاد فقال: أخبرني عن هذا الأمر الذي تدعو الناس إليه، أشيء دعا إليه رسول الله ﷺ؟ قال: لا. قال: دعا إليه أبو بكر الصديق بعده؟[٣]، قال: لا. قال: دعا إليه عمر بن الخطاب بعدهما؟ قال: لا. قال: دعا إليه عثمان بن عفان بعدهم؟ قال: لا. قال: دعا إليه علي بن أبي طالب بعدهم؟ قال: لا. قال، فقال الشيخ: شيء لم يدع إليه[٤] رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي، رضي الله عنهم، تدعو أنت إليه الناس[٥]/ ، ليس يخلو أن تقول: علموه أو جهلوه[٦]، فإن ‎/١٣٢ب
قلت علموه وسكتوا عنه، وسعنا وإياك من السكوت[٧] ما وسع القوم، وإن قلت: جهلوه وعلمته أنت، فيا لكع ابن اللكع، أيجهل[٨] النبي ﷺ والخلفاء الراشدون بعده، رضي الله عنهم، شيئاً وتعلمه أنت وأصحابك؟ فألزمه الشيخ إلزاماً صحيحاً.

فعند ذلك أمر الواثق بقطع[٩] قيود الشيخ، فقطعت فأخذها الشيخ ووضعها في

(١) سورة النساء، الآية: ٨٦.
(٢) في (ب): يجيبني.
(٣) في (ب): دعا إليه أبا بكر أم عمر أم عثمان أم علي بعده؟ بسقوط ما بقي من الأسئلة.
(٤) في (ب): شيء لم يدعى إليه.
(٥) في (ب): تدعو أنت الناس إليه.
(٦) في (ب): ليس بقول يخلو إن علموه أو جهلوه.
(٧) في (ب): وسعنا من السكوت.
(٨) في (ب): فيا لكع يا ابن اللكاع. وفي (أ) و (ج): يجهل النبي ﷺ...
(٩) في النسخات الثلاث (فقطع).

كمه. فقال الواثق ما تفعل به[1]؟، قال: أوصي لمن بعدي[2]، إذا مت أن يضع القيد بيني وبين كفني[3] حتى أخاصم به هذا الظالم يوم القيامة وأقول له: يا رب، سل عبدك هذا لم قيدني[4] وروع أهلي وولدي وإخواني بلا حقٍّ أوجب علي؟ فبكى الحاضرون[5]، ثم سأله الواثق أن يجعله في حل، فقال الشيخ: جعلتك في حل إكراماً لرسول الله ﷺ، إذ كنت رجلاً من أهله. ورجع الواثق[6] عن ذلك الاعتقاد، وأطلق الشيخ وأكرمه وأحسن إليه، والشيخ المذكور هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن محمد الأزدي، شيخ أبي داود والكسائي[7]:

ومن شعر الواثق رحمه الله[8] في خادمه مهج وكان يهواه[9]:

مهج يملك المهج ... بسجى اللحظ والدعج
حسن القد بعطف ... ذو دلال وذو غنج
ليس للعين إذ بدا ... عنه باللحظ منعرج

أسند الصولي عن جعفر بن علي بن الرشيد قال: كنا بين يدي الواثق وقد اصطبح، فناوله خادمه مهج ورداً ونرجساً، فأنشد في ذلك بعد يوم لنفسه:

حياك بالنرجس والورد ... معتدل القامة والقد
فألهبت عيناه نار الهوى ... وزاد في اللوعة والوجد
أملت بالملك له قربة ... فصار ملكي سبب البعد
ورنحته سكرات الهوى ... فمال بالوصل إلى الصد

(١) في النسخات الثلاث: ما تفعل به.
(٢) في (ب): أوصي من بعدي.
(٣) في (ب): بيني وبين الكفن.
(٤) في (ب): لما قيدني.
(٥) في (ب): ثم بكى وبكى الحاضرون.
(٦) في (ب): فرجع الواثق.
(٧) في (ب): شيخ أبي دؤاد الكسائي بسقوط (واو) العطف.
(٨) في (ب): رحمه الله تعالى.
(٩) الأبيات الثلاثة في تاريخ الخلفاء ٣٦٩.

إن سأل البذل ثنى عطفه   وأسبل الدمع على الخد
عز بما تجنيه ألحاظه   لا يعرف الإنجاز للوعد
مولى تشكى الظلم من عبده   فانصفوا المولى من العبد

قال: فأجمعوا أنه ليس لأحد من الخلفاء مثل هذه الأبيات.

وكان الواثق مؤثراً لكثرة الجماع فقال لطبيب له: إصنع لي دواء للباه، فقال له الطبيب: يا أمير المؤمنين، لا تهدم بدنك بالجماع واتق الله في نفسك. فقال:
/١٣٣أ لا بد من ذلك؛ فأمره الطبيب/ أن يأخذ لحم سبع فيغلي عليه سبع غليات[١] على جمر، ويتناول منه إذا شرب ثلاثة دراهم، ولا يتجاوز[٢] هذا القدر. فأمر بذبح سبع فذبح وطبخ له من لحمه[٣]، وصار يتنقل منه على شرابه، إلّا قليلاً حتى استسقى، فأجمع رأي الأطباء على أن لا دواء له إلا أن ينزل بطنه، ثم يترك[٤] في تنور قد سجر بحطب زيتون، حتى يصير جمراً، ثم يجلس فيه ففعل ذلك، فمنعوه الماء ثلاث ساعات، فجعل يستغيث ويطلب الماء، فلم يسقوه، فصار في جسده نفاطات مثل البطيخ. ثم أخرجوه، فجعل يقول: ردوني إلى التنور وإلّا مت، فردوه فسكن صياحه، ثم انفجرت تلك النفاطات[٥]، وقطر منها ماء، فأخرج من التنور وقد اسود جسده، فمات بعد ساعة. ولما احتضر جعل يقول[٦]:

الموت فيه جميع الناس مشترك   لا سوقة منهم تبقى ولا ملك
ما ضر أهل قليل في تفاقرهم   فليس يغني عن الأملاك ما ملكوا

(١) في (ب): سبع غلوات.
(٢) في (ب): ولا يتجاوز ذلك القدر، وفي (ج): ولا يتجاوز هذا للقدر.
(٣) في (ب): وطبخ له، بسقوط: (من لحمه)، وفي (ج): وطبخ له لحمه.
(٤) ثم يترك، ساقطة من (ب).
(٥) في (ب): النقطة.
(٦) القصة والبيتان في تاريخ الخلفاء ٣٧١.

ثم أمر بالبسط فطويت، ثم ألصق خده بالأرض وجعل يقول: يا من لا يزول ملكه، إرحم منْ يزول ملكه.

ولما مات سُجيَ بثوب، واشتغل الناس بالبيعة للمتوكل، فجاء جرذ[1] من البستان، فاستل عينيه وذهب بهما، ولم يعلموا به حتى غسلوه[2]. وهذا من غريب ما سمع[3]،

وكانت وفاته في شهر رجب سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وهو ابن ست وثلاثين سنة وأشهر، فكانت مدة خلافته خمس سنين وتسعة أشهر، والله أعلم.

(١) في (أ) و (ب): فجاء جردون.
(٢) في (ج): ولم يعلموا حتى غسلوه.
(٣) في (ج): وهذا غريب ما سمع.

الفصل العاشر

في ذكر خلافة المتوكل على الله

اسمه جعفر[١] بن المعتصم بن الرشيد.

بويع له بالخلافة بسر من رأى، بعد موت أخيه الواثق بعهد منه، في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين[٢].

وكان أسمر رقيقاً، مليح العينين، خفيف اللحية، ليس بالطويل. فيه
١٣٣/ب انهماك على اللهو والمكاره، لكنه أحيا السنة، وأمات بدعة القول/ بخلق القرآن.

وأمه أم ولد خوارزمية، اسمها «شجاع».

نقش خاتمه: «المتوكل على الله»[٣].

ولما ولي الخلافة أحيا السنة، وكتب إلى الآفاق برفع المحنة وإظهار السنة. وتكلم في مجلسه العلماء وأعزهم، وخمدت المعتزلة، وكانوا في قوة.

---

(١) المعارف ١٧٢، والمحبر ٤٣، وتاريخ محمد بن يزيد ٤٢، وتاريخ الطبري ٩/٢٢٢ - ٢٣٤، والعقد الفريد ٥/١٢٢، وتاريخ بغداد ٧/١٦٥، وتاريخ ابن الأثير ٥/٢٧٨ - ٣٠٥، ووفيات الأعيان ١/٣٥٠، وفوات الوفيات ١/٢٩٠، والوافي بالوفيات ١١/١٢٩، ومختصر التاريخ ١٤٥ - ١٤٨، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٢٥، ونهاية الأرب ٢٢/٢٧٥ - ٢٩٨، وتاريخ الخلفاء ٣٧٣، وشذرات الذهب ٢/١١٤، ومروج الذهب ٢/٣٩١، والتنبيه والإشراف ٣١٣ - ٣١٤، وتجارب الأمم ٦/٤٨٤ - ٤٩٢، وسير أعلام النبلاء ١٢/٣٠، والجوهر الثمين ١/١٤٢، ومحاضرة الأبرار ١/٧٩، والعقد الثمين ٣/٤٣١ - ٤٣٢، ودول الإسلام ١٢٦.

(٢) في (ج): واثنين وثلاثين سنة.

(٣) في التنبيه والإشراف: «جعفر على الله يتوكل»؛ في مختصر التاريخ: «على الله توكلت»؛ وفي نهاية الأرب ٢٢/٢٩٧: «على إلهي اتكالي».

وكان المتوكل يبغض علياً رضي الله عنه وينقصه ويكثر الوقيعة والاستخفاف به[1].

وفي سنة سبع وثلاثين ومائتين أمر بهدم قبر الحسين [رضي الله عنه][2]، وهدم ما حوله من الدور، وأن يعمل مزارع، ومنع الناس من زيارته، وحرث، وبقي صحراء. فتألم المسلمون لذلك، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان، وهجاه الشعراء. فمما قيل في ذلك[3]:

تـالله إن كـانت أميـة قـد أتت ... قتـل ابن بنت نبيهـا مـظلومـا
فلقـد أبـان بنـو أبيـه بمثله ... هـذا لعمـرك قبـره مهـدومـا
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا ... في قتله فتتبعـوه رميمـا

ومن الأعاجيب في أيامه[4]، أنه هبت ريح بالعراق شديدة السموم[5]، لم يعهد مثلها، أحرقت زرع الكوفة والبصرة وبغداد، وقتلت المسافرين، ودامت خمساً وخمسين يوماً. واتصلت بهمذان[6]، فأحرقت الزرع والمواشي[7]، واتصلت بالموصل وسنجار ومنعت الناس من المعاش في الأسواق، ومن المشي في الطرقات، وأهلكت خلقاً عظيماً.

(١) في (ب): ويكثر الوقو فيه والاستخفاف به. وأحسبه يريد القول: الوقوع فيه.

(٢) ما بين الحاصرتين من (ج).

وفي اية الأرب ورد الخبر في أحداث ٢٣٦هـ، كما يرد في أحداثها في الوافي بالوفيات.

(٣) الأبيات في الوافي بالوفيات ١١/١٣٢، ويعزوها إلى يعقوب بن السكيت أه البسّامى علي بن أحمد.

(٤) السيوطي، تاريخ الخلفاء ٣٧٤.

(٥) في (ب): أنه هبت ريح شديدة بالعراق وسموم.

(٦) في الأصول (همدان)، وما أثبتناه من المصادر.

وهَمَذَان، مدينة كبرى من مدن الجبال.

أما همدان، بسكون الميم، فهي قبيلة عربية من اليمن.

(٧) في (ب): الزروع.

وجاءت زلزلة مهولة بدمشق سقطت منها دور وهلك تحتها خلق كثير(١).

وفي هذه السنة ظهرت نار بعسقلان أحرقت البيوت والبيادر، ولم تزل تحرق إلى ثلث الليل ثم كفت.

وفي سنة ثمان وثلاثين ومائتين كبست الروم دمياط ونهبوا وأحرقوا، وسبوا منها ستماية امرأة وولوا مسرعين في البحر(٢).

وفي سنة إحدى وأربعين ومائتين ماجت النجوم في السماء وتناثرت الكواكب كالجراد أكثر الليل(٣).

/١٣٤أ وفي سنة اثنتين وأربعين(٤) ومائتين زلزلت الأرض/ زلزلة عظيمة بتونس وأعمالها، والري، وخراسان، ونيسابور(٥)، وطبرستان، وأصبهان، وتقطعت جبال، وتشققت الأرض بقدر ما يدخل الرجل في الشق، ورجمت قرية السويداء بناحية مضر من السماء [بخمسة أحجار](٦)، ووزن حجر من الحجارة فكان خمسة عشر رطلاً.

وسار جبل باليمن عليه مزارع لأهله، حتى أتى مزارع آخرين.

ووقع بحلب طائر أبيض دون الرخمة في رمضان، فصاح: يا معاشر الناس، إتقوا الله، الله، فصاح أربعين صوتاً ثم طار(٧)، وجاء من الغد ففعل

---

(١) في تاريخ الخلفاء ٣٧٤: وفي السنة التي قبلها. وفي دول الإسلام ١٢٦ في سنة ٢٣٣هـ. وواضح ان هناك علاقة بين القرماني ومن سبقه، إذ جاء الاقتباس هنا ناقصا.

(٢) الخبر في تاريخ الطبري، وتاريخ ابن الأثير ٥/٢٩٢، والنجوم الزاهرة ٢/٢٩٥، ونهاية الأرب ٢٢/٢٨٥، ودول الإسلام ١٢٩.

(٣) نهاية الأرب ٢٢/٢٨٩.

(٤) نقله النويري في نهاية الأرب ٢٢/٢٩٠.

(٥) في (ب): جنديسابور.

(٦) استدراك من نهاية الأرب.

(٧) في (أ): اتقوا الله، الله، فصاح خمسة وأربعين صوتاً ثم طار. وفي (ج): اتقوا الله، فصاح أربعين صوتاً ثم طار. وما أثبتناه يتفق مع ما ورد في نهاية الأرب، والخبر ساقط من (ب).

كذلك وكتب [بذلك صاحب](١) البريد وأشهد خمسمائة إنسان سمعوه.

وفي سنة ثلاثة وأربعين ومائتين قدم المتوكل إلى دمشق، فأعجبته وبنى له القصر بداريا، وعزم على سكناها، فبدا له ورجع بعد شهرين أو ثلاثة.

وفي سنة خمس وأربعين ومائتين سمع أهل أخلاط صيحة عظيمة من جو السماء، فمات منها خلق كثير(٢). ووقع برد بالعراق كبيض الدجاج، وخسف بثلاث عشرة قرية بالمغرب(٣).

وفيها عمت الزلازل الدنيا، فأخربت المدن والقلاع والقناطر، وسقط من أنطاكية جبل في البحر حصل منه ضجة هائلة، فمات خلق كثير.

وفي هذه السنة غارت عيون مكة، فأرسل المتوكلماية ألف دينار لإجراء الماء من عرفات إليها.

وكان المتوكل جواداً ممدوحاً يقال: ما أعطى خليفة شاعراً مثل ما أعطى المتوكل رحمه الله [تعالى] وفيه يقول مروان بن أبي الحسن(٤):

فأمسِكْ ندى كفيك عني ولا تزد   فقد خفت أن أطغى وأن أتجبرا

فقال: لا أمسك حتى يغرقك جودي. وكان أجازه على قصيدة بماية ألف وعشرين ألفاً، وخمسين ثوباً.

دخل علي بن الجهم عليه يوماً وبيده درتان يقلبهما ليس لهما نظير، فأنشد قصيدة فيها له، فدحا إليه بدرة فقلبها فقال: تستنقص بها وهي والله خير من ماية

---

(١) الاستدراك من نهاية الأرب.
(٢) في تاريخ الطبري وتاريخ ابن الأثير ونهاية الأرب: وسمع أهل تنيس، وفي تاريخ الخلفاء: أهل بلبيس.
(٣) في (ب): ثلاثة عشر قرية. وفي (ج): ثلاث عشرة.
(٤) البيت في تاريخ الخلفاء منسوب إلى مروان بن أبي الجنوب.

ألف دينار؟ فقال: لا، ولكن أُفكر في أبيات أعملها، آخذ بها الأخرى. فقال: قل فقال[1]: /

/ ١٣٤ب بسر من رأى إمام عدل ... تغرف من كفه البحار
يرجى ويخشى لكل خطب ... كأنه جنة ونار
الملك فيه وفي بنيه ... ما اختلف الليل والنهار
يداه في الجود ضرتان ... عليه كلتاهما تغار
لم تأت منه اليمين شيئاً ... إلا أتت مثلها اليسار

فدحا إليه بالدرة الأخرى.

قال المسعودي في «**أخبار الزمان**»: إن المتوكل كان منهمكاً في اللذات والشراب، وكان له أربعة آلاف سرية، وقد وطىء الجميع[2].

وكان مشغوفاً بتبيحة[3]، أم ولده المعتز، لا يصبر عنها، فوقفت له يوماً وقد كتبت على خدها بالغالية «جعفر»، فتأملها المتوكل رحمه الله وأنشأ يقول[4]:

وكاتبة بالمسك في الخد جعفرا ... بنفسي مخط المسك من حيث أثرا
لئن أودعت سطر من المسك خدها[5] ... لقد أودعت قلبي من الحب أسطرا

واتفق أن الترك انحرفوا عن المتوكل لأمور، واتفقوا مع المنتصر على قتل أبيه، فدخل عليه خمسة وهو في جوف الليل في مجلس لهوه، فقتلوه هو ووزيره الفتح بن خاقان[6].

(١) الخبر والأبيات في تاريخ الخلفاء ٣٧٧.
(٢) الخبر عن المسعودي في تاريخ الخلفاء ٣٧٧.
(٣) في الأصل (فتيحة) وضبط الاسم من المصادر.
(٤) البيتان في تاريخ الخلفاء ٣٧٧.
(٥) في (أ) و (ب): لئن أودعت سطراً من المسك خالها، وما أثبتناه من (ج).
(٦) الفتح بن خاقان: ترجمته في فوات الوفيات ٣/١٧٧، والبداية والنهاية ١٠/٣٥١.

ومن العجيب ما ذكره صاحب «**كوكب الملك**» أنه قدم إلى المتوكل سيف لا يكون مثله، فسأله [إياه][1] أعيان عسكره، فأبى وقال: هذا ما يصلح إلّا لساعد باغر. فوهبه باغراً فقتل المتوكل بذلك السيف[2]، وذلك في شوال سنة[3] سبع وأربعين ومائتين، وعمره أربعون سنة. وكانت خلافته أربع عشرة سنة[4] وعشرة أشهر.

(١) زيادة اقتضاها السياق.
(٢) في (ب): وقال: هذا ما يصلح إلّا لساعد أمير المؤمنين، فقتل بذلك السيف.
(٣) في (ب): وذلك في شهر شوال.
(٤) في (ب): أربع عشر سنة.

الفصل الحادي عشر
في ذكر خلافة المنتصر بالله

اسمه محمد[1]، أبو عبد الله بن المتوكل[2]. بويع له بالخلافة في الليلة التي قتل فيها أبوه. وكان مربوعاً، سميناً، أعين، أقنى الأنف، مليحاً مهيباً. كامل العقل[3]، قليل / الظلم. ‏/١٣٥أ

وأمه ولد رومية اسمها «حبشية».

نقش خاتمه: «أنا من آل محمد، الله ربي»[4].

ذكر السيوطي في «**تاريخ الخلفاء**»[5]: أن المنتصر لما جلس على سرير الملك رأى في بعض البسط[6] دائرة فيها فارس وعليه تاج وحوله كتابة بالفارسية. فطلب من يقرأ ذلك ويعربه. فأحضر رجلاً قرأه فقال: «أنا شيرويه بن كسرى بن هرمز، قتلت أبي فلم أمتع بالملك إلا ستة أشهر»، فتغير وجه المنتصر وأمر برفع البساط.

---

(١) تاريخ محمد بن يزيد ٤٣، وتاريخ الطبري ٩/٢٥١ - ٢٥٥، والتنبيه والإشراف: ٣١٤، ومروج الذهب ٢/٤٢٣، وتاريخ بغداد ٢/١١٩، والعقد الفريد ٥/١٢٣، وتجارب الأمم ٦/٥٥٧، وفوات الوفيات ٣/٣١٧، والكامل في التاريخ ٥/٣٠٥ - ٣١١، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٢٧، ومختصر التاريخ ١٤٩ - ١٥١، والوافي بالوفيات ٢/٢٨٩، ونهاية الأرب ٢٢/٢٩٨ - ٣٠١، والعقد الثمين ١/١٤٦، وتاريخ الخلفاء ٣٨٥، وسير أعلام النبلاء ١٢/٤٢، ومحاضرة الأبرار ١/٧٩، ودول الإسلام ١٣٤.

(٢) في (ب): اسمه أبو محمد عبد الله بن المتوكل.

(٣) في (ب): كامل الفضل.

(٤) في (أ): الله لي.

وفي مختصر التاريخ: نقش خاتمه «محمد رسول الله»، وفي التنبيه والإشراف «محمد بالله ينتصر».

(٥) تاريخ الخلفاء ٢٨٦.

(٦) في (ب): رأى في البسط.

قال الثعالبي في «**لطائف المعارف**»: ومن العجائب أن أعرق[١] الأكاسرة في الملك، شيرويه، قتل أباه فلم يعش بعده إلا ستة أشهر وأعرق الخلفاء في الخلافة المنتصر، قتل أباه فلم يمتع بعده إلا ستة أشهر.

وقيل: إنه رأى أباه في المنام وهو يقول[٢]: ويلك يا محمد قتلتني وظلمتني، والله لا تمتعت بالخلافة، ثم مصيرك إلى النار. فانتبه مرعوباً ولم يزل يبكي ويندم.

ولما ولي الخلافة صار يسب الأتراك ويبغضهم فخافوا[٣] منه أمراء الترك. وكان المنتصر قد حم[٤]، فدسوا إلى طبيبه ابن طيفور بدنانير كثيرة، فأشار بفصده، ثم فصده بريشة مسمومة فمات.

ويقال: إن ابن طيفور مرض بعد ذلك ونسي، فأمر غلامه ففصده بتلك الريشة، فمات أيضاً.

ولما احتضر قال: يا أماه، ذهبت مني الدنيا والآخرة، عاجلت أبي فعوجلت.

توفي وعمره ست وعشرون سنة فكانت خلافته ستة أشهر [والله أعلم][٥].

---

(١) في (أ): أعرف.
والخبر نقله السيوطي في تاريخ الخلفاء ٢٨٦.

(٢) في (ب): وقيل إنه أباه في المنام وهو يقول له.

(٣) كذا في الأصول. وصوابه: فخاف منه أمراء الترك.

(٤) في (ب): وكان المنتصر حم.

(٥) زيادة من (ب).

الفصل الثاني عشر
في ذكر خلافة المستعين بالله

اسمه أحمد بن المعتصم[١].

بويع له بالخلافة ليلة الاثنين لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين.

وكان مربوعاً، مليح الوجه، أبيض بوجهه أثر جدري. وكان ألثغ، يجعل السين ثاء. وكان كريماً مبذر الأموال.

وأمه أم ولد صقلابية اسمها «مخارق»[٢].

نقش خاتمه: «أحمد بن محمد»[٣].

١٣٥ـب وهو أول من أحدث لبس الأكمام الواسعة فجعل وسعها نحو الثلاثة/ أشبار وصغّر القلانسة، وكانت قبله طوالاً.

---

(١) المعارف ١٧٢، وتاريخ ابن يزيد ٤٣، وتاريخ الطبري ٣٦٢/٩ ـ ٤، وفي عدة مواضع قبلها، والتنبيه والإشراف: ٣١٥، ومروج الذهب ٤٣٣/٢، وتجارب الأمم ٥٦٢/٦، وتاريخ بغداد ٨٤/٥، ومختصر التاريخ ١٥٢ ـ ١٥٣، والعقد الفريد ١٢٣/٥ ـ ١٢٤، وفوات الوفيات ١٤٠/١، والوافي بالوفيات ٩٣/٨ ـ ٩٦، وسير أعلام النبلاء ٤٦/١٢، والكامل في التاريخ ٣١١/٥ ـ ٣٣٣، ونهاية الأرب ٣٠١/٢٢ ـ ٣١٤، والبداية والنهاية ١١/١١، وتاريخ الخلفاء ٣٨٦، والعقد الثمين ١٤٨/١ ـ ١٥١، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٢٨، والنجوم الزاهرة ٣٣٥/٢، ومحاضرة الأبرار ٧٩/١، ودول الإسلام ١٣٦.

(٢) في (ب): مخارقة. ولم يذكر في الوافي اسمها.

(٣) في مختصر التاريخ: «استعنت بالله» وفي التنبيه والإشراف: «أحمد بن محمد».

ثم أشهد على نفسه أنه قد خلعها من الخلافة وأنه قد أحل الناس من بيعته بالشروط(١).

وخطب للمعتز بن المتوكل، ونقل المستعين إلى قصر الحسن بن وهب(٢) بواسط، فاعتقل به تسعة أشهر هو وجماعة، ووكل به من يحفظه ثم دس عليه المعتز سعيداً الحاجب فقتله غدراً في أول شهر رمضان سنة اثنتين وخمسين ومائتين، وجيء برأسه إلى المعتز وهو يلعب بالشطرنج فقيل له: هذا رأس المخلوع، فقال دعوه هناك حتى أفرغ من اللعب. فلما فرغ أحضره ونظره(٣)، ثم أمر بدفنه.

فكانت خلافته سنتين وتسعة أشهر، وعمره إحدى وثلاثون سنة.

---

(١) يميل المؤلف إلى إفقار مادته، فبينما يقف على ما أحدثه المستعين من لبس الأكمام الواسعة وتصغير القلانس، نراه يقفز إلى خلع المستعين نفسه، حاذفاً كل الأسباب التي حملته على هذا الموقف. والواقع أن مقاومة النفوذ التركي، سياسة أخذ الخلفاء على أنفسهم انجازها، فقد دفع المتوكل رأسه ثمناً لذلك، ولسوف يستمر الوضع إلى ما بعد عهد المعتز، حيث تقوم معارضة قوية متمثلة بحركة الزنـج ثم الحركة القرمطية، وهما حركتان جعلتا مصالح الأتراك والخليفة موضع تهديد جدي. وهناك عامل داخلي، وهو أن المنافسة بين الأتراك في سامراء وجند «الأبناء» في بغداد، الذين خسروا معركتهم ضد الأمين، سوف تعود من جديد لتظهر في هذه الفترة ممهدة لحرب أهلية ثانية. وقد فصل الطبري أحداث هذه المرحلة ودرسها بشكل جيد.

(٢) الحسن بن وهب الحارثي: كاتب مترسل، فصيح، كان يكتب لمحمد بن عبد الملك الزيات الوزير، وولي ديوان الراسائل.

(٣) الخبر في نهاية الأرب ٢٢/٣١٣-٣١٤.

الفصل الثالث عشر
في ذكر خلافة المعتز بالله

اسمه محمد أبو عبد الله بن المتوكل[(١)].

بويع له بالخلافة لما خلع المستعين نفسه.

وكان بديع الحسن، ولم يل الخلافة قبله أحد أصغر منه.

وأمه أم ولد رومية اسمها «قبيحة»[(٢)].

نقش خاتمه: «محمد بن جعفر»[(٣)].

وهو أول خليفة أحدث الركوب بحلية الذهب، وكان الخلفاء قبله يركبون بالحلية الخفيفة من الفضة.

وأول سنة تولى مات أشناس، الذي كان الواثق استخلفه على السلطنة، وولى مكانه بغا الشرابي[(٤)]، وألبسه تاج الملك. فخرج على المعتز بعد سنة. فقتل، وجيء إليه برأسه.

(١) المعارف ١٧٢، وتاريخ محمد بن يزيد ٤٤، وتاريخ الطبري ٣٨٩/٩، والتنبيه والإشراف: ٣١٦ ـ ٣١٧، ومروج الذهب ٤٤٩/٢، والعقد الفريد ١٢٤/٥، والكامل في التاريخ ٣٣١/٥ ـ ٣٤٢، وتاريخ بغداد ١٢٦/٢، ومختصر التاريخ: ١٥٤ ـ ١٥٦، وخلاصة الذهب المسبوك: ٢٣٠، وسير أعلام النبلاء ٥٣٢/١٢، وفوات الوفيات ٣١٩/٣، والوافي بالوفيات ٢٩١/٢ ـ ٢٩٤، ونهاية الأرب ٣١٢/٢٢ ـ ٣٢٠، والعقد الثمين ١٥١/١، والبداية والنهاية ١٦/١١ ـ ١٧، وتاريخ الخلفاء ٣٨٨، ومحاضرة الأبرار ٨٠/١، ودول الإسلام ١٣٨.
ويرد اسمه في المصادر الزبير، ويقال أحمد ويقال طلحة.

(٢) في (أ) و (ج): فتيحة.

(٣) في التنبيه والإشراف: «المعتز بالله» وفي مختصر التاريخ: «محمد رسول الله».

(٤) في (أ): وولى مكانه علي بغا الشرابي.

وكان المعتز مغلوباً مع الأتراك، فاتفق جماعة من كبرائهم أتوه وقالوا: يا أمير المؤمنين، أعطنا أرزاقنا لنقتل لك صالح بن وصيف، وكان المعتز يخاف منه، فطلب من أمه مالاً لينفقه فيهم فأبت عليه، وشحت نفسها، ولم يكن بقي في بيوت المال شيء[1]، فاجتمع الأتراك حينئذ على خلعه، ووافقهم صالح بن وصيف، فلبسوا السلاح وجاؤوا[2] إلى دار الخلافة، فبعثوا إلى المعتز أن اخرج إلينا، فبعث يقول: قد شربت دواء/ وأنا ضعيف. فهجم عليه جماعة وجرّوا ١٣٦/أ
برجله وضربوه بالدبابيس، وأقاموه بالشمس في يوم صائف، وهم يلطمون وجهه ويقولون: اخلع نفسك؛ فخلعوه، ثم أحضروا محمد بن الواثق من بغداد، وهو يومئذ بسامراء، وكان المعتز قد أبعده إلى بغداد، فسلم المعتز إليه[3] الخلافة وبايعه.

ثم إن الملأ أخذوا المعتز بعد خمس ليال من خلعه فأدخلوه الحمام ومنعوه الماء حتى عاين التلف، ثم أتوه بماء مثلج[4]، فشربه وسقط ميتاً، وذلك في شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين.

واختفت أمه «قبيحة» ثم ظهرت في رمضان وأعطت لصالح بن وصيف مالاً عظيماً، من ذلك: ألف ألف دينار[5]، وثلاثماية الف دينار وسفط فيه مكوك لؤلؤ حبّه كبار، وكيلجة ياقوت أحمر[6]، وغير ذلك. وقومت الأسفاط بألفي ألف دينار.

= وبغا التركي، الصغير، من كبار قواد المتوكل، فتك بسيده وغلب على المستعين هو ووصيف، ثم لم يلبث أن ذهب هو نفسه ضحية طاحونة مطامع الجنود، فقتله الجنود المغاربة (الوافي بالوفيات ١٠/١٧٣ ـ ١٧٥).

(١) في (ب): ولم يكن بقي في بيوت أموال الأتراك شيء. وهو خطأ. والمؤلف يقصد بيت مال الخليفة (بيت مال الخاص).

(٢) في (ب): ولبسوا السلاح وأتوا إلى دار الخلافة.

(٣) في (ب): فسلم إليه الخلافة، بسقوط كلمة (المعتز).

(٤) في (ج): بماء ثلج.

(٥) في (ب): ألف دينار وثلاثمائة ألف دينار.

(٦) في (ب): كليجة.

فلما رأى صالح ذلك قال: قبّحها الله، عرضت ولدها للقتل لأجل خمسين ألف دينار وعندها هذا؟ فأخذ الجميع ونفاها إلى مكة، فبقيت هناك إلى أن تولى المعتمد وردها إلى سامراء.

وعاش المعتز سبعاً وأربعين سنة، وكانت خلافته أربع سنين وستة أشهر ونصف، [والله أعلم][1].

والكيلجة، مكيال فارسي الأصل، كان يساوي في العراق في القرن الرابع الهجري ثلث مكوك ٣/١ أو ٦٠٠ درهم من القمح، تساوي ١٨٧٥ غراما أو ٥ر٢ ليتر، وبذا يمكن تخمين وزن المكوك بـ ٦٢٥ر٥ كلغ (هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية ٧١، ٧٨) وانظر فيه أيضاً تقديرات مختلفة.

(١) في (ب): وستة أشهر والله أعلم.

الفصل الرابع عشر
في ذكر خلافة المهتدي بالله[(١)]

اسمه جعفر، أبو عبد الله بن الواثق بن المعتصم بن الرشيد[(٢)].

بويع له بالخلافة يوم خلع ابن عمه المعتز.

وكان أسمر، رقيقاً، مليح الوجه، ورعاً، متعبداً، عادلاً، قوياً في أمر الله، بطلاً، شجاعاً، لكنه لم يجد ناصراً ولا معيناً.

وأمه أم ولد اسمها: «وردة».

نقش خاتمه: «المهتدي بالله يثق».

وهو الخليفة الصالح. ولما ولي الخلافة أخرج الملاهي وحرم سماع الغناء والشراب، وأمر بنفي المغنيات وتغيير المنكرات، وألزم نفسه الجلوس للناس وإزالة المظالم، وقال: إني أستحيي من الله عز وجل أن لا يكون في بني العباس مثل عمر بن عبد العزيز/ في بني أمية: ويقال: إنه كان كثير الصوم، وربما كان /١٣٦ب
فطوره في بعض الليالي على خبز وخل وزيت.

(١) في (ب): في ذكر خلافة المهتدي. وسقط من (ب) من أول ترجمة المهتدي بمقدار ورقة.

(٢) المحبر ٤٤، والمعارف ١٧٢، وتاريخ محمد بن يزيد ٤٤، وتاريخ الطبري ٩/٤٤٣ - ٤٦٩، والعقد الفريد ٥/١٢٤ - ١٢٥، والتنبيه والإشراف ٣١٧ - ٣١٨، ومروج الذهب ٢/٤٦١، وتاريخ بغداد ٣/٣٤٧ - ٣٥١، والعيون والحدائق ٤/١ - ٩، والكامل في التاريخ ٥/٣٥٥ - ٣٥٨، والبداية والنهاية ١١/٢٢، وسير أعلام النبلاء ١٢/٥٣٥، ومختصر التاريخ ١٥٧ - ١٦٠، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٣١ - ٢٣٣، ونهاية الأرب ٢٢/٣٢٠ - ٣٢٧، والجوهر الثمين ١/١٥٣ - ١٥٥، وتاريخ الخلفاء ٣٨٩ - ٣٩٢، وفوات الوفيات ٤/٥٠، والوافي بالوفيات ٥/١٤٤، ومحاضرة الأبرار ١/٨٠، ودول الإسلام ١٤١.

وكان شديد الإشراف على أمر الدواوين، يجلس بنفسه[1] للأمور.

وضرب جماعة من الرؤساء، وتألم الأمراء من أفعاله وتشديده في الأمور، وكتب إلى باكيان[2] أن يقتل موسى ومفلحاً أحد أمراء الأتراك[3]، ويمسكهما ويكون هو الأمير على الأتراك كلهم؛ فأوقف باكيان موسى على كتابه وقال: إني لست أفرح بهذا، وإنما هذا يعمل علينا كلنا.

فأجمعوا على قتل المهتدي وساروا إليه، وقتل من الأتراك في يوم [واحد] أربعة آلاف[4]، ودام القتال إلى أن انهزم جيش الخليفة، وأمسك فعصر على خصيتيه فمات[5]، وذلك في رجب سنة ست وخمسين ومائتين، فكانت خلافته سنة إلا خمسة عشر يوماً. وقد بلغ من العمر اثنتين وأربعين سنة ودفن بسر من رأى.

---

(١) في (أ): وكان شديد الإشراف على أمر الدين. وما أثبتناه من (ج).
والخبر بكامله في فوات الوفيات ١٤٥/٥.

(٢) كذا في (أ) و (ج). وورد اسمه في المصادر التاريخية بايكباك وبايكبال.

(٣) كذا في الأصول. وهما اثنان: موسى بن بغا، ومفلح.

(٤) ساقطة من (أ)، وما أثبتناه من (ج).

(٥) في (أ): وأمسك على خصيته، وما أثبتناه من (ج)، ويتفق مع ما ورد في المصادر.

الفصل الخامس عشر
في ذكر خلافة المعتمد على الله

اسمه أحمد أبو العباس[(١)] بن المتوكل[(٢)].

بويع له الخلافة يوم قتل ابن عمه المهتدي.

وكان أسمر، ربعة، رقيقاً، مدور الوجه، مليح العينين، صغير اللحية، أسرع إليه الشيب، منهمكاً على اللهو واللذات كان يسكر ويعض يديه.

ولد سنة تسع وعشرين ومائتين. وأمه رومية اسمها «فتيان».

نقش خاتمه: «المعتمد على الله»[(٣)].

ولما قتل المهتدي كان المعتمد محبوساً بالجوسق، فأخرجوه وبايعوه، فانهمك في اللهو، واشتغل عن الرعية، فكرهه الناس، وأحبوا أخاه طلحة[(٤)].

(١) المحبر ٤٤، والمعارف ١٧٢، وتاريخ محمد بن يزيد ٤٥، وتاريخ الطبري ١٠/٢٩، والتنبيه والإشراف ٣١٨ - ٣٢٠، ومروج الذهب ٢/٤٧٣، والعقد الفريد ٥/١٢٥ - ١٢٦، والعيون والحدائق ٤/١١ - ٧٤، وتاريخ بغداد ٤/٦٠ - ٦٢، والمنتظم ٥/١ - ١٧٩، والكامل في التاريخ ٦/٧٣، ومختصر التاريخ ١٦١ - ١٦٣، وخلاصة الذهب المسبوك ٤٢٣ - ٤٢٤، ونهاية الأرب ٢٢/٣٢٤ - ٣٤٦، وسير أعلام النبلاء ١٢/٥٤٠، وفوات الوفيات ١/٦٤، والبداية والنهاية ١١/٦٥، والوافي بالوفيات ٦/٢٩٢ - ٢٩٣، وتاريخ الخلفاء ٣٩٢ - ٣٩٧، والجوهر الثمين ١/١٥٦ - ١٥٨، ومحاضرة الأبرار ١/٨٠.

(٢) في (ب): ابن المتوكل، ليست في (ج).

(٣) في التنبيه والإشراف: «المعتمد على الله يعتمد»، وفي مختصر التاريخ: «اعتمادي على الله وهو حسبي».

(٤) الجوسق. قصر من قصور سامراء، بناه المتوكل؛ انظر: معجم البلدان ٣/١٧٥.

وطلحة، أبو أحمد، الموفق ثم الناصر لدين الله، هو الشخصية البارزة في هذه الحقبة. انظر أخباره في مصادر ترجمة أخيه المعتمد.

ومن الحوادث في أيامه: دخلت الزنج البصرة وأعمالها وأخربوها وبذلوا فيها السيف، وأحرقوا وأخربوا وسبوا، وجرى بينهم وبين عسكره عدة وقعات فمات خلق لا يحصون.

ثم أعقبه هدات وزلازل فمات تحت الردم ألوف من الناس(١)، واستمر
/١٣٧أ القتال مع الزنج من حين تولى المعتمد سنة ست وخمسين ومائتين/ إلى سنة سبعين ومائتين فقتل فيها كبير الزنج لعنه الله واسمه بهيوذ، وكان ادعى أنه أرسل إلى المخلوق فرد الرسالة، وأنه يطلع على المغيبات.

وذكر الصولي أنه قتل من المسلمين ألف ألف وخمسماية ألف آدمي(٢).

وكان له منبر في مدينته يصعد عليه ويسب عثمان وعلياً ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة. وكان ينادي على المرأة العلوية في عسكره بدرهمين وثلاثة. وكان عند الواحد من الزنج العشرة من العلويات يطؤهن ويستخدمهن(٣).

ولما قتل هذا الخبيث دُخل برأسه بغداد على رمح، وزينت البلد وضج الناس بالدعاء للخليفة، ومدحه الشعراء. وكان يوماً مشهوداً وأمن الناس وتراجعوا إلى المدن التي أخذوها(٤).

وفي هذه السنة وقع غلاء مفرط بالحجاز والعراق وبلغ كر الحنطة ببغداد بخمسين ديناراً(٥).

وفي سنة ست وستين ومائتين وصلت(٦) عساكر الروم إلى ديار بكر فقتلوا، وهرب أهل الجزيرة والموصل.

(١) المنتظم ٥/٨، وتاريخ الخلفاء: ٣٩٢.
(٢) تاريخ الخلفاء ٣٩٢، والمنتظم ٥/٧٤، وفيه اسم صاحب الزنج: بهبوذ، وانظر أيضاً: سير أعلام النبلاء ١٣/١٢٩.
(٣) تاريخ الخلفاء ٣٩٣.
(٤) تاريخ الخلفاء ٣٩٣، وفيه: وضجّ الناس بالدعاء للموفق، وتراجع الناس إلى المدن التي أخذها.
(٥) تاريخ الخلفاء ٣٩٣، وفيه أن الغلاء كان في سنة ٢٦٠ هـ.
(٦) إلى هنا ينتهي ما سقط من (ب).

وفيها وثبت الأعراب على كسوة الكعبة فانتهبوها [١].

وفي سنة ثمان وسبعين ومائتين غار نيل مصر ولم يبق منه شيء، وغلت الأسعار [٢].

وفيها ظهرت القرامطة بالكوفة وهم نوع من الملاحدة يدعون أنه لا غسل من الجنابة [٣]، وأن الخمر حلال، وأن الصوم في السنة يومان: يوم النيروز ويوم المهرجان [٤]، ويزيدون في أذانهم: «وأن محمد بن الحنفية رسول الله»، وأن الحج والقبلة إلى بيت المقدس وأشياء أخر، وتعب الناس بهم غاية التعب وسيجيء تفصيل [٥] ذلك إن شاء الله تعالى مبيناً.

ومات المعتمد في شوال سنة تسع وسبعين ومائتين فجأة، وقيل: إنه سمّ. وقيل: بل نام فغم في بساط [٦]، وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة ومات كالمحجور عليه من جهة أخيه، وله من العمر خمسون سنة [والله سبحانه وتعالى أعلم] [٧].

---

(١) تاريخ الخلفاء ٣٩٣؛ وفيه: وفيها.

(٢) تاريخ الخلفاء ٢٩٦.

(٣) في (ب): أنه لا غسل من جنابة.

(٤) يوم النيروز، ومعناه اليوم الجديد، وهو عيد الربيع عند الفرس، وهو أول يوم من أيام السنة الشمسية (٢١ أذار ـ مارس)، وإذ كان هذا موعداً متقدماً فإن المعتضد أمر في سنة ٢٨٢ هـ، بتأخيره إلى ١١ حزيران ـ يونية ليتمكن المزارعون من جمع غلالهم ودفع خراجها.
والمهرجان، عيد من أعيادهم أيضاً، والكلمة فارسية مؤلفة من: «مهر» ومعناها: محبة، و«كان» ومعناها: متصلة.

(٥) في (ب): وسيأتي تفصيل.

(٦) في (ج): فغم في بساطه.

(٧) زيادة من (ب).

الفصل السادس عشر
في ذكر خلافة المعتضد بالله

اسمه أحمد أبو العباس بن طلحة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد(١).

بويع له بالخلافة يوم موت عمه المعتمد، فاستقل بالأمر. وكان أسمر مهيباً، معتدل الشكل، ظاهر الجبروت، وافر العقل، شديد الوطأة من أفراد
١٣٧ب خلفاء بني العباس. /كان يقدم على الأسد وحده لشجاعته، وكان مفرطاً في أحكامه(٢).

ولد في ذي القعدة سنة اثنتين وأربعين ومائتين.

وأمّه أم ولد رومية اسمها «صواب».

نقش خاتمه: «توكل تكفى»(٣).

(١) تاريخ محمد بن يزيد ٤٩ - ٥٠، تاريخ الطبري ٢٠/١٠، ٢٢، ٢٨، ٧٩ - ٨٠، والتنبيه والإشراف ٣٢٠ - ٣٢١، ومروج الذهب ٤٩٥ - ٥٢٥، والمنتظم ١٢٣/٥ - ١٣٨، ٣٤/٦، والعقد الفريد ١٢٧/٥، والعيون والحدائق ٧٥/٤ - ١٠٣، والكامل في التاريخ ٧٣/٦، ١٠٠، وسير أعلام النبلاء ٤٦٣/١٣، والأغاني ٤١/١٠ - ٤٢، وتاريخ بغداد ٤٠٣/٤ - ٤٠٧، والنجوم الزاهرة ١٢٦/٣، والبداية والنهاية ١١، ٦٦، ٨٦ - ٩٤، وفوات الوفيات ٧٢/١ - ٧٣، والوافي بالوفيات ٤٢٨/٦ - ٤٣٠، وتاريخ الخلفاء ٣٩٨ - ٤٠٥، وشذرات الذهب ١٩٩/٢ - ٢٠١، والجوهر الثمين ١٥٩/١ - ١٦٢، ومختصر التاريخ ١٦٤ - ١٦٧، خلاصة الذهب المسبوك ٢٣٥ - ٢٣٧، نهاية الأرب ٣٤٦/٢٢ - ٣٧٧، ومحاضرة الأبرار ٨١/١، ودول الإسلام ١٥٤.

(٢) انظر تفصيل ذلك في ترجمته في المنتظم ١٢٣/٥ - ١٣٨.

(٣) في التنبيه والإشراف ٣٢٦: «الحمد لله الذي ليس كمثله شيء وهو خالق كل شيء»؛ وفي مختصر التاريخ ١٦٤: «أحمد يؤمن بالله»، وفي نهاية الأرب ٣٧٦/٢٢: «الإضطرار يزيل الاختيار».

وكانت أيامه طيبة كثيرة الأمن والرخاء. وكان قد أسقط المكوس ونشر العدل[١]، ورفع الظلم عن الرعية. وكان يسمى السفاح الثاني، لأنه جدد ملك بني العباس وكان قد خَلِقَ وكاد يزول، وكان في اضطراب من وقت قتل المتوكل. وفي ذلك يقول ابن الرومي يمدحه:

هنيئاً بني العباس إن إمامكم ... إمام الهدى والباس والجود أحمد
كما بأبي العباس إنشاء ملككم ... كذا بأبي العباس أيضاً يجدد[٢]
إمام يظل الأمس يشكو فراقه ... تلهف ملهوف ويشتاقه الغد

ومن الحوادث في أيامه:

في سنة خمس وثمانين ومائتين ورد كتاب من دبيل أن القمر خسف في شوال، وأن الدنيا أصبحت مظلمة إلى العصر، فهبت ريح سوداء فدامت إلى ثلث الليل، ثم أعقبها زلزلة عظيمة أذهبت عامة المدينة، فكانت عدة من أخرج من تحت الردمماية ألف وخمسين ألفا[٣].

وفي هذه السنة غارت مياه الري وطبرستان حتى بيع الماء ثلاثة أرطال بدرهم، وقحط الناس وأكلوا الجيف[٤].

---

(١) في (ب): وأنشأ العدل.

(٢) كذا رواية البيـ في (أ). وفي (ب) و (ج): أنشأ، ولعلها: انشيء؛ والأبيات في تاريخ الخلفاء ٣٩٩.

(٣) ورد هذا الخبر في أخبار سنة ٢٨٨هـ من المنتظم ٦/٢٧ وفيه: كسفت الشمس فظهرت الظلمة، وهو أقرب إلى الصواب؛ إذ يبدو الخبر في «أخبار الدول» متناقضا من ذلك: خسوف القمر والظلام إلى العصر ودام الريح السوداء إلى ثلث الليل؛ فالليل عادة مظلم، ما لم يكن بدرا أو على طرفيه.
والخبر بالصيغة التي أوردها المؤلف في تاريخ الخلفاء ٤٠٠ وهو من أخبار سنة ٢٨٠ هـ.

(٤) في (ب): غارت مياه الردى.
والخبر في تاريخ الخلفاء: ٤٠٠.

وفيها هدم المعتضد دار الندوة بمكة، وصيرها مسجداً إلى جانب المسجد الحرام[١].

وفيها[٢]: ظهرت حمرة عظيمة حتى كان الرجل ينظر إلى وجه الرجل فيراه أحمر[٣]، وكذا الحيطان. فتضرع الناس بالدعاء إلى الله تعالى، وكانت من العصر إلى الليل.

وفيها هبت ريح صفراء بالبصرة، ثم صارت خضراء، ثم صارت سوداء، وامتدت في الأمصار ووقع عقبها[٤] برد وزن البردةماية وخمسون درهماً، وقلعت الريح ستماية نخلة، وأمطرت قرية أحجاراً سوداً وبيضاً[٥].

وفي سنة ست وثمانين ومائتين ظهر بالبحرين أبو سعيد القرمطي المذكور،
/١٣٨أ وقويت شوكته، وهو الذي قلع الحجر الأسود/. ووقع القتال بينه وبين عسكر الخليفة، وأغار على البصرة ونواحيها، وهزم جيش الخليفة مرات[٦].

وكان المعتضد كثير الجماع، فاعتراه من ذلك فساد مزاج. توفي لسبع بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسعين ومائتين[٧].

---

(١) تاريخ الخلفاء ٤٠٠.

(٢) تاريخ الخلفاء ٤٠٠، وفيه: وفي سنة أربع وثمانين ظهرت بمصر حمرة عظيمة... وكذا في الكامل ٦:٨٥، ونهاية الأرب ٣٥١/٢٢.

(٣) في (ب): فيراه أحمراً.

(٤) في (ب): ووقع عليها.

(٥) الخبر في تاريخ الخلفاء ٤٠١، والكامل في التاريخ ٩١/٦، وهو في المنتظم ٢/٦ وفيه: وفي هذه السنة [٢٨٥ هـ] كتب صاحب البريد من الكوفة يذكر أن ريحاً ارتفعت بنواحي الكوفة... ومطرت في قرية تعرف بأحمد أباذ حجارة بيضاً وسوداً... ثم يورد بعدها الخبر عن البصرة.

(٦) المنتظم ١٨/٦، وتاريخ الخلفاء ٤٠١.

(٧) المنتظم ٣٤/٦. وفيه: كانت وفاته لسبع بقين من شهر ربيع الآخر ٢٨٩ هـ والعام الذي توفي فيه المعتضد هو ٢٨٩ هـ على الصحيح، وهو ما قال به أيضاً السيوطي في تاريخ الخلفاء: ٤٠٣.

قال المسعودي: «شكوا في موته، فتقدم الطبيب وجس نبضه ففتح عينيه ورفس الطبيب برجله. فدحاه أذرعاً، فمات الطبيب، ثم مات المعتضد من ساعته»[1]، وهو ابن ست وأربعين سنة. وكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر. وخلف من الذكور أربعاً، ومن الإناث إحدى عشرة[2].

(١) مروج الذهب ٢/٥٢٥.

(٢) في (ب): أحد عشرة.

الفصل السابع عشر
في ذكر خلافة المكتفي بالله

اسمه علي أبو محمد بن المعتضد[(١)].

بويع له بالخلافة بعد موت أبيه. وكان وسيماً جميلاً بديع الحسن، دُريّ اللون، معتدل الطول، أسود الشعر.

وكان حسن العقيدة، كارهاً لسفك الدماء.

ولد في غرّة ربيع الآخر سنة أربع وستين ومائتين. وأمه تركية اسمها جيجك[(٢)]. وكان يضرب بحسنها المثل.

نقش خاتمه: «علي بن المعتضد»[(٣)].

قال الصولي[(٤)]: ليس في الخلفاء من اسمه علي إلا هو وعليّ بن أبي

(١) تاريخ محمد بن يزيد ٥٠، وتاريخ الطبري ١٠/١٣٨، والتنبيه والإشراف ٣٢١، ومروج الذهب ٢/٥٢٥ ـ ٥٣٨، والكامل في التاريخ ٦/١٠١، ١١٨، وفوات الوفيات ٣/٥، والفخري في الآداب السلطانية ٢٥٨، والعقد الفريد ٥/١٢٦، والعيون والحدائق ٤/١٠٥ ـ ١٠٩، وتاريخ بغداد ١١/٣١٦ ـ ٣١٨، ومختصر التاريخ ١٦٨ ـ ١٧١، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٣٧ ـ ٢٣٩، وسير أعلام النبلاء ١٣/٤٧٩، والمنتظم ٦/٣١ ـ ٣٣، ٧٩ ـ ٨٠، والبداية والنهاية ١١/٩٤ ـ ٩٥، ١٠٤ ـ ١٠٥، والنجوم الزاهرة ٣/٨٣، وشذرات الذهب ٢/٢١٩ ـ ٢٢٠، وتاريخ الخلفاء ٤٠٥ ـ ٤٠٨، ونهاية الأرب ٢٣/١١ ـ ٢٣، والجوهر الثمين ١/١٦٣ ـ ١٦٥، ومحاضرة الأبرار ١/٨١، وعريب بن سعد القرطبي ٢٦ ـ ٢٨، ودول الإسلام ١٥٩.

(٢) اسمها جنجق، في سير أعلام النبلاء.

(٣) في التنبيه: كخاتم أبيه المعتضد، وفي مختصر التاريخ: «يتوكل على ربه»، وفي نهاية الأرب ٢٣/٢٢ «بالله يثق علي بن أحمد».

(٤) في (ب): قال الصولي في تاريخ الخلفاء.

طالب كرم الله وجهه.

فلما جاءت إليه الخلافة كان غائباً بالرقة فنهض لبغداد ومر بدجلة في سمارية[١]، وكان يوماً عظيماً.

وهدم المطامير التي اتخذها أبوه لطمّ من غضب عليه وهو حي، وصيرها مسجداً، وأمر أن يرد إلى أرباب الحقوق حقوقها، وسار سيرة جميلة فأحبه الناس ودعوا له.

ومن الحوادث في أيامه: زلزلت[٢] بغداد زلزلة عظيمة دامت أياماً. وهبت ريح عظيمة بالبصرة قلعت عامة نخلها[٣].

وفي سنة إحدى وتسعين ومائتين فتحت أنطاكية عنوة، وغنم فيها ما لا يحصى من الأموال.

وفي سنة اثنتين[٤] وتسعين ومائتين زادت دجلة زيادة لم ير مثلها حتى خربت بغداد، وبلغت الزيادة إحدى وعشرين ذراعاً.

قال الصولي: لما احتضر المكتفي سمعته يقول: والله ما أسفي إلا على سبعماية ألف دينار صرفتها من مال المسلمين في أبنية ما احتجت إليها وكنت مستغنياً عنها، أخاف أن يسألني الله عنها، وأنا استغفر/ الله منها[٥]. /١٣٨ب

توفي[٦] وهو شاب ببغداد في سنة خمس وتسعين ومائتين[٧]، وهو ابن أربع وثلاثين سنة، وخلافته ست سنة وثمانية أشهر وخلّف ثمانية أولاد وثماني بنات[٨].

---

(١) سمارية: نوع من المراكب.

(٢) في (ج): تزلزلت.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣/ ٤٨٠.

(٤) في (ب): اثنين.

(٥) تاريخ الخلفاء ٤٠٩.

(٦) في (ب): وتوفي.

(٧) في (أ): توفي سنة ثمان وتسعين، وفي (ب) و (ج): سنة تسع وتسعين، وهذا خطأ فادح، وصوابه أنه توفي سنة ٢٩٥ هـ، وهو ما أثبتناه.

(٨) في (أ) و (ب): وثمانية بنات. أما تقدير عمره بين ولادته ووفاته فيصبح موضع شك.

الفصل الثامن عشر

في ذكر خلافة المقتدر بالله

اسمه جعفر، أبو الفضل بن المعتضد[1].

بويع له بالخلافة ببغداد يوم وفاة أخيه، وهو ابن ثلاث عشرة سنة[2]، وأربعين يوماً. ولم يل الخلافة أحد أصغر منه.

ولد في رمضان سنة اثنتين وثمانين ومائتين. وأمه رومية اسمها «شغب».

نقش خاتمه: «جعفر يثق الله».

وكان جيد العقل صحيح الرأي، لكنه كان مؤثراً للشهوات والشراب، مبذراً. كان قد غلبت عليه النساء[3]، فأخرج عليهن الجواهر النفيسة التي في الخزينة. وأعطى بعض حظاياه الدرة اليتيمة ووزنها ثلاثة مثاقيل[4]، وأعطى

(١) تاريخ محمد بن يزيد ٥٠، وتاريخ بغداد ٢١٣/٧ ـ ٢١٩، والعقد الفريد ١٢٧/٥ ـ ١٢٨، والعيون والحدائق ١٣١/٤ ـ ٢٦١، والتنبيه والإشراف ١٧٢ ـ ١٧٥، ومروج الذهب ٥٣٩/٢، ونشوار المحاضرة (يراجع فهارسه)، ووزراء الصابي (يراجع فهارسه) ومختصر التاريخ ١٧٢ ـ ١٧٥، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٣٩ ـ ٢٤١، وفوات الوفيات ٢٨٤/١، والوافي بالوفيات ٩٤/١١ ـ ٩٥، والكامل في التاريخ ١١٩/٦، وابن عبد الملك الهمداني، تكملة تاريخ الطبري: ١٩١، وعريب بن سعد القرطبي ٢٨ ـ ٢٩، والفخري ٢٦٠ ـ ٢٧٥، والمنتظم ٦٧/٦ ـ ٧٩، ٢٤٣ ـ ٢٤٤، والبداية والنهاية ١٦٩/١١ ـ ١٧٠، ونهاية الأرب ٢٣/٢٣ ـ ١٠٥، وتاريخ الخلفاء ٤٠٨ ـ ٤١٦، وشذرات الذهب ٢٨٤/٢، والجوهر الثمين ١٦٦/١، وسير أعلام النبلاء ٤٣/١٥، ومحاضرة الأبرار ٨٢/١، والعقد الثمين ٤١٥/٣ ـ ٤١٦، ودول الإسلام ١٦٣.

(٢) في (ب): ابن ثلاث عشر سنة، وسقطت؛ وأربعين يوماً.

(٣) في (أ) و (ب): وكان قد غلبن عليه النساء.

(٤) في (أ) و (ب) و (ج): وزنها ثلاث مثاقيل.

زيدان القهرمانة[1] مسبحة جوهر لم ير مثلها، وأتلف أموالاً كثيرة.

وكان في داره أحد عشر ألف غلام خصيّ[2].

قال الذهبي[3]: اختل النظام كثيراً في أيام المقتدر لصغر سنه، حتى غلب أمر المهدي بالغرب وسلّم عليه بالإمامة ودعي له بالخلافة[4]، وبسط في الناس العدل والإحسان، وخرجت المغرب من أمر بني العباس.

واستصباه الوزير[5] ووافقه جماعة فاجتمعوا وركبوا عليه والمقتدر يلعب بالأكرة، فهرب ودخل، وأغلقت الأبواب. فأرسل إلى عبدالله بن المعتز[6] فبايعوه بالخلافة ولقبوه بالمرتضى بالله، فلم يتم له أمر وانهزم، وعاد المقتدر على ما كان عليه. ولم يمكث في الخلافة سوى يوم وليلة، ولذلك لم يعد المؤرخون خلافته بين الخلفاء. ثم ظهر عليه المقتدر فقتله خنقاً، ثم أظهر أنّه مات حتف أنفه. ثم فرق على الجيوش الأموال الجزيلة.

---

(١) الخبر في تاريخ الخلفاء ٤١٥.
وزيدان القهرمانة كانت إحدى النافذات في قصر المقتدر، ومن مجلس الوصاية على الأمور السياسية. وقال ابن الجوزي في المنتظم ٧/٦: كانت زيدان القهرمانة متمكنة من جواهر الخلافة، فأخذت سبحة لم ير مثلها، وكان يضرب بها المثل؛ فيقال: سبحة زيدان. فلما وزر علي ابن عيسى سأل المقتدر عن سبحة قيمتها ٣٠٠ ألف دينار، تبين أنها أخذت من الخزانة وعرضت للبيع.

(٢) في (ب): وكان في داره احدى عشر غلام خصي.
والخبر في سير أعلام النبلاء ١٥/٥٥.

(٣) سير أعلام النبلاء.

(٤) في (ب): ودعي إليه بالخلافة؛ وفي (ج): ودعا له بالخلافة.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٥/٤٣، وما بعدها، وأورد المصنف الخبر موجزاً عن الذهبي والوزير هو العباس بن الحسن.

(٦) عبد الله بن المعتز (٢٤٩ - ٢٩٦ هـ): أديب وشاعر وناقد فني واجتماعي، مشهود له بذلك، أخذ الأدب عن المبرد وثعلب. لم يكن أهل السلطان من الكتاب وامراء الجند يحتملون خلافته أخباره في الكامل في التاريخ ٦/١٢١، سير أعلام النبلاء ١٤/٤٢، وفيات الأعيان ٢/٢٣٩، فوات الوفيات ٣/٧٦، الوافي بالوفيات ٧/٤٧٧، البداية والنهاية ١١/١٠٨، شذرات الذهب ٢/٢٢١، تاريخ بغداد ١٠/٩٥، وعريب بن سعد ٣٠-٣١.

وكان يصرف كل سنة في كلفة الحج والى أهل الحرمين ثلاثماية ألف دينار[١].

ومن الحوادث في أيامه: في سنة ثلاثماية ساخ جبل بالدينور في الأرض، وخرج من تحته ماء كثير غرّق القرى[٢].

وفيها ولدت بغلة فلواً[٣]، فسبحان القادر على كل شيء.

١٣٩/أ وفي سنة أربع وثلاثماية ظهر حيوان ببغداد يقال له الزبزب/ ذكروا أنهم يرونـه[٤] بالليل على الأسطحة، وأنّه يأكل الأطفال ويقطع ثدي المرأة. فكانوا يتحارسونه ويضربون بالطاسات ليهرب، واستمر عدة ليـال[٥].

وفي سنة تسع وثلاثماية قتل منصور الحلاّج بإفتاء العلماء والفقهاء أنه حلال الـدم[٦]، وله أخبار يطول ذكرها، أفردها الناس بالتصنيف.

وفي سنة أربع عشرة وثلاثماية دخلت الروم ملطية بالسيف[٧].

وفيها نقص ماء دجلة بالموصـل وعبرت عليهـا الدواب، وهـذا أمر لـم يعهد[٨].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٥/٥٥.
(٢) في (ب): أغرق القرى.
والخبر في المنتظم ٦/١١٥.
(٣) في (ب): ولدت بغلة فلو.
والخبر في المنتظم ٦/١١٥.
(٤) في (ب): ذكر أنهم يرونه.
(٥) في (ب): يقطع ثدي الامرأة.
والخبر في المنتظم ٦/١٣٩.
(٦) في (ب): بافتاء العلماء والفقهاء حلل الدم.
وخبره في المنتظم ٦/١٦٠ (وفيات ٣٠٩ هـ).
(٧) المنتظم ٦/٢٠١، وسير أعلام النبلاء ١٥/٥١.
(٨) المنتظم ٦/٢٠١.

وفي سنة خمس عشرة وثلاثماية دخلت الروم دمياط، وأخذوا من فيها، وضربوا الناقوس في جامعها[1].

وفيها ظهرت الديلم على الري والجبال، فقتل خلق كثير حتى ذبحت الأطفال[2].

وفي هذه السنين قد كثر فساد القرامطة وأخذهم للبلاد وفتكهم للمسلمين، وكثر اتباعهم وهزم جيش الخليفة غير مرّة، وانقطع الحج خوفاً منهم، ونزح أهل مكة عنها[3].

وفي سنة سبع عشرة وثلاثماية[4]، سير المقتدر ركب الحاج مع منصور الديلمي فوصلوا إلى مكة سالمين، فوافاهم يوم التروية عدو الله[5]، أبـو طاهر القرمطي فقتل الحجيج في المسجد الحرام قتلاً ذريعاً، وطرح القتلى في بئر زمزم، وضرب الحجر الأسود بدبوس فكسره ثم اقتلعه، بعد العصر يوم الإثنين لأربع عشرة خلت من ذي الحجة ذلك العام، وأقام احد عشر يومـاً[6]، ثم أخذوا الحجر الأسود معهم، وبقي عندهم أكثر من عشرين سنة، ودفع المسلمون لهم فيه خمسين ألف دينار فأبوا حتى أعيد في خلافة المطيع. وقيل: لما أخذوه هلك تحته أربعون جملاً من مكة إلى هجر. فلما أعيد حمل على قعود هزيل فسمن، وأقام أبو طاهر بمكة احد عشر يومـاً[7]، ثم انصرف إلى بلده.

(١) المنتظم ٦/٢٠٥؛ وفيه: دخلت الروم سميساط، وانظر: سير أعلام النبلاء ١٥/٥١.
(٢) المنتظم ٦/٢٠٧ ـ ٢٠٨.
(٣) في (ب): وفي سنة سبع عشرة قويت شوكة القرامطة وأخذت البلاد.
وانظر المنتظم ٦/٢٠٨، ٢١٥، في أخبار ٣١٥ هـ و٣١٦ هـ.
(٤) في (ب): وفي هذه السنة.
(٥) عدو الله: ليست في (ب).
والخبر في المنتظم ٦/٢٢٢ ـ ٢٢٣.
(٦) في جميع النسخات: إحدى عشر يوماً. وفي (ب): لعشر خلت من ذي الحجة ذلك العام وأقام إحدى عشر يوماً.
(٧) في (ب): إحدى عشر يوماً.

وفي سنة عشرين وثلاثماية ركب مؤنس[1] على الخليفة، وكان معظم جند مؤنس البربر، فلما التقى الجمعان رمى بربري الخليفة بحربة سقط منها إلى الأرض، ثم ذبحه ورفع رأسه على رمح وسلب ما عليه وبقي مكشوف العورة حتى
١٣٩/ب ستر بالحشيش ثم حفر له بموضع ودفن يوم الأربعاء/ لثلاث بقين من شوال السنة المذكورة.

وأما البربريّ الذي قتله فساق فرسه نحو دار الخلافة فصاحوا عليه فصادفه حمل شوك فزحمه إلى قبان لحام فعلقه كلّابه، وخرج الفرس من تحته فمات، فحطه الناس وأحرقوه بحمل[2] الشوك.

وقد بلغ الخليفة من العمر سبعاً وثلاثين سنة إلا سبعة أيام، وكانت خلافته خمساً وعشرين سنة[3]. وقد خلع مرتين، وخلف اثني عشر ولداً ذكراً[4].

(١) مؤنس، هو مؤنس الخادم المظفر؛ والخبر في دول الإسلام.
(٢) في (ب): وأحرقوه بالحمل الشوك.
(٣) في (ب): وكان خلافته.
(٤) في (ب): وخلف اثنا عشر ولداً.

الفصل التاسع عشر
في ذكر خلافة القاهر بالله

اسمه محمد أبو منصور بن المعتضد(١).

بويع له بالخلافة بعد موت أخيه ببغداد لليلتين بقيتا من شوال سنة عشرين وثلاثماية. وكان أهوج طائشاً، سفاكاً للدماء، قبيح السيرة، كثير التلون والاستحالة، مدمن الخمر. وكانت له(٢) حربة يأخذها بيده فلا يضعها حتى يقتل إنساناً.

وأمه أم ولد اسمها «فنون»(٣).

نقش خاتمه: «يا أملي أختم بخير عملي»(٤).

فلما ولي الخلافة قبض على آل المقتدر وعذبهم(٥)، وقبض على ابن أخيه

(١) تاريخ محمد بن يزيد ٥٨، والتنبيه والإشراف ٣٣٦، ومروج الذهب ٢/٥٥٣، والعيون والحدائق ٤/٢٦١ - ٢٧٨، والعقد الفريد ٥/١٢٨، والكامل في التاريخ ٦/٢٢٢ - ٢٣٦، وتكملة تاريخ الطبري ٧١ - ٨١ وطبعة القاهرة ٢٧٣ - ٢٨٣، وعريب بن سعد القرطبي ٢٧٣، والمنتظم ٦/٢٤١، ٣٦٨، والبداية والنهاية ١١/٢٢٣ - ٤٢١، وتاريخ بغداد ١/٣٣٩ - ٣٤٠، والفخري ٢٧٦ - ٢٧٩، والوافي بالوفيات ٢/٣٤ - ٣٥، ونهاية الأرب ٢٣/١٠٥ - ١٢١، ومختصر التاريخ ١٧١، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٢١ - ٢٤٥، وتاريخ الخلفاء ٤١٦ - ٤٢١، والجوهر الثمين ١/١٧٣ - ١٧٥، وسير أعلام النبلاء ١٥/٩٨، ومحاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ١/٢، ودول الإسلام ١٧٥.

(٢) في (أ) و (ب): وكان له حربة.

(٣) تكملة الطبري: أمه تسمى قبول.

(٤) التنبيه والإشراف: «القاهر بالله» وكذلك في مختصر التاريخ، وفي تكملة تاريخ الطبري «محمد الإمام القاهر بالله أمير المؤمنين».

(٥) في (ب): قبض على المقتدر وعذبه.

المكتفي بالله، وأمر به فأقيم في بيت وسد عليه بـالآجرّ والجص حتى مـات غماً[1]. وقبض على السيدة أم المقتدر وطالبها بمالٍ لم تقدر[2] عليه، فضربها وعلّقها منكسة حتى كان يجري بولها على وجهها وهي تقول: أَلسْتُ أمك في كتاب الله وخلصتك من ابني وأنت تعاقبني بهذه العقوبة ولم يبق عندي مال! ثم إنها ماتت عقيب ذلك[3].

وكان ابن مقلة أحد وزرائه[4]، وكان كاتباً جواداً، وهو الذي عرّب الخط الكوفي الى طريقتنا هذه.

وذكر أن الكتابة العربية أولاً كانت حميرية تداولها أهل اليمن وغيرها إلى قبيل الإسلام بمدة، ثم نقلت إلى الكوفية على يد شيخ يسمى مرامر بن[5] مرة وتكوفت ونسبت إلى الكوفة فشهرت واستعملها الناس. فلما ظهر النبي ﷺ استمر الناس يكتبون على هذا القلم وهو طريقة كتابة المصحف العثماني. وفي المابة الثانية استقصى الناس الطريقة العربية لسهولتها وحادوا فيها عن تحرير الكوفي؛ وبعد ذلك ظهر أبو علي محمد بن مقلة الوزير فنقل الخط إلى العربي ولم يترك فيه شيئاً يشابه الكوفي، فصار في أيامه الخط عربياً فقط.

وكان الوزير المذكور قد اتفق مع الجند واجتمعوا فجـاؤوا[6] إلى دار الخليفة وهجموا عليه من سائر الأبواب، فهرب إلى سطح حمام واستتر فيه، فأتوا

---

(١) انظر تصرف القاهر مع أم المقتدر عند عريب: ١٥٥، والهمداني في تكملة تاريخ الطبري ٢٧٤.

(٢) في (ب) و (ج): وطالبها بما لم تقدر عليه.

(٣) وفاة أم المقتدر في تكملة تاريخ الطبري ٧١، المنتظم ٢٥٣/٦.

(٤) ابن مقلة، محمد بن علي بن الحسين بن عبدالله (٢٧٢ ـ ٣٢٨ هـ): من رجال الإدارة العباسية، عمل مع محمد بن داود بن الجراح في العام ٣٠٠هـ، ثم انتقل إلى أبي الحسن علي بن الفرات. لجأ إلى الدسائس ليترقى في سلّم الوظيفة رغم كفاءته، ثم آل الأمر إلى أن وزر ابن مقلة لثلاثة خلفاء، وزر للمقتدر ٣١٦ هـ، ووزر للقـاهر ٣٢٠ هـ، ووزر للراضي.

(٥) في (ب): مرّا ابن مرة.

(٦) في (ب): وجاءوا.

إليه وقبضوا عليه[1] وحبسوه وخلعوه من الخلافة وسمّروا عينيه[2] بمسمار محمي حتى سألتا على خديه. وهو أول خليفة سمرت عيناه وذلك في جمادى الأخرى[3] سنة اثنتين وعشرين وثلاثماية[4].

قال ابن البطريق في «تاريخه»: إن القاهر قد ارتكب أموراً قبيحة[5] لم يسمع بمثلها في الإسلام.

ذكر المسعودي في «أخبار / الزمان»: أن القاهر أُخذ وعُذِّب بأنواع العذاب بعدما خُلع وسمّرت عيناه فلم يقر بشيء من المال. فأخذه الراضي بالله فقرّبه وأدناه وقال له: قد ترى مطالبة الجند بالمال وليس عندي شيء والذي عندك ليس بنافع لك[6]، فاعترف به فقال: المال مدفون في[7] البستان، وكان قد أنشأ فيه أصناف الثمار حملت إليه من البلاد وعمل فيه قصراً وزخرفه، وكان الراضي مغرماً بالبستان[8] والقصر فقال: وفي أي مكان منه المال[9]؟ فقال: أنا مكفوفٌ لا أهتدي إلى مكان، فاحفر البستان تجده. فحفر الراضي البستان كله حتى قلع الأشجار وأساسات القصر فلم يجد شيئاً فقال له: وأين المال؟ فقال: وهل عندي مال؟ وإنما كان حسرتي في جلوسك في البستان وتنعمك فأردت أن أفجعك فيه. فندم الراضي وحبسه ثم أطلقه بعد مدة وأهمله. / ١٤٠أ

(١) في (ب): وقبضوه وحبسوه.
(٢) في (ب): وسملوا عينيه، وفيها أيضاً: سمر بدلاً من سمرت في المواضع التالية.
(٣) وذلك في الأخرى.
(٤) في (أ) و (ب): اثنين وعشرين ومائتين.
(٥) في (ب): ارتكب أمور قبيحة.
(٦) في (ب): ليس بنافعك.
(٧) من هنا ساقط من (ب).
(٨) إلى هنا ينتهي ما سقط من (ب).
(٩) وفي أي مكان المال منه.
والخبر في الوافي بالوفيات ٢/٣٥.

وحُكي أن رجلاً قال: صليت بجامع المنصور[(١)] في بغداد، فإذا أنا بإنسان أعمى وعليه جبة عتابية قد ذهب وجهها وبقيت البطانة وبعض قطن وهو يقول: أيها الناس تصدقوا عليّ، بالأمس كنت أمير المؤمنين وأنا اليوم من فقراء المسلمين[(٢)]. فسألت عنه فقيل: إنه القاهر بالله. وفي هذه الحكاية أعظم عبرة لمن اعتبر، نعوذ بالله من سخطه وزوال نعمه.

وكانت خلافته سنة ونصفاً[(٣)] وثمانية أيام. ولما خلع من الخلافة كان عمره خمساً وثلاثين سنة والله أعلم.

(١) في النسخات الثلاث: بجامع المنصوري، وصوابه ما أثبتناه.
وجامع المنصور كان في الجانب الغربي، وبه كانت تقام الجمعات وحلقات التدريس والوعظ.

(٢) الخبر في المنتظم ٦/٢٦٥.
ومن الواضح أن القاهر كان يريد التشنيع على المستكفي، لأن القصة كانت في العام ٣٣٣هـ. انظر المنتظم ٦/٢٦٥.

(٣) في (ب): وكانت خلافة القاهر سنة ونصف وثمانية أيام.

الفصل العشرون
في ذكر خلافة الراضي بالله

اسمه محمد أبو العباس بن المقتدر بالله(١). بويع له بالخلافة(٢) يوم خلع عمه القاهر بالله.

وكان قصيراً أسمر نحيفاً، لكنه كان سمحاً جواداً واسع الصدر أديباً شاعراً.

ولد سنة سبع وتسعين ومائتين.

وأمه رومية اسمها «ظلوم».

ونقش خاتمه: «منّ الرضا»(٣).

وفي أيامه اختل أمر الخلافة جداً وصارت البلاد بين خارجي قد تغلب عليها أو عامل لا يحمل مالاً، وصاروا مثل ملوك الطوائف/ وكل من حصل في يده بلد ملكه ومانع عنه. فالبصرة وواسط والأهواز في يد عبد الله البريدي وإخوته؛ وفارس /١٤٠ب

(١) تاريخ ابن يزيد ٥٨ ـ ٥٩، والعقد الفريد ١٢٩/٥، والعيون والحدائق ٢٧٩/٤ ـ ٣٤٩، وتاريخ بغداد ١٤٢/٢ ـ ١٤٥، والفخري ٢٨٠ ـ ٢٨٣، والتنبيه والإشراف ٣٣٦، ومروج الذهب ٥٦١/٢، وسير أعلام النبلاء ١٠٣/١٥، والمنتظم ٢٦٥/٦، ٣٢٤ ـ ٣٢٥، ومختصر التاريخ ١٧٩، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٥٢ ـ ٢٥٣، وفوات الوفيات ٣٢١/٣، والوافي بالوفيات ٢٩٧/٢ ـ ٣٠٠، والبداية والنهاية ١٩٦/١١ ـ ١٩٨، وتكملة تاريخ الطبري ١١٢ ـ ١١٨، وطبعة المعارف ٢٨٤ ـ ٣٢٣، ونهاية الأرب ١٢١/٢٣ ـ ١٥٤، وأخبار الراضي بالله والمتقي لله ١٨٥/١، والكامل في التاريخ ٢٣٧/٦، ٢٧٦، والجوهر الثمين ١٧٦/١ ـ ١٧٨، والمختصر في أخبار البشر ٨٧/٢، ومحاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ٨٢، ودول الإسلام ١٧٧.

(٢) في (ب): بويع بالخلافة.

(٣) التنبيه والإشراف ٣٣٦: «الراضي بالله» وكذلك في مختصر التاريخ، وعند عريب: «محمد رسول الله».

[في يد عماد الدولة بن بويه][1]، والموصل وديار بكر وديار ربيعة وديار مضر في أيدي بني حمدان؛ ومصر والشام في يد الأخشيد بن طغج[2]؛ والمغرب وإفريقية في يد المهدي؛ والأندلس في يد بني أمية؛ وخراسان وما والاها في يد نصر بن أحمد الساماني؛ واليمامة وهجر والبحرين في يد أبي طاهر القرمطي؛ وطبرستان وجرجان في يد الديلم، ولم يبق بيد الراضي غير بغداد والسواد، فبطلت دواوين المملكة ونقص قدر الخلافة وضعف ملكها وعم الخراب لذلك، ووهت[3] أركان الدولة العباسية.

ثم إن الراضي مسك ابن مقلة وقطع يده وفيما بعد قطع عنقه بما وقع منه.

قال الخطيب: للراضي فضائل منها أنه آخر خليفة له شعر مدون، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال، وآخر خليفة جالس الندماء[4]. ومن أشعاره[5]:

كل صفو إلى كدَرْ   كل أمر إلى حَذَرْ
ومصير الشباب   للموت فيه والكبر
درّ درُّ المشيب من   واعظ ينذر البشر[6]
أيها الآمل الذي   تاه في الجهل والغَرَرْ
أين من كان قبلنا   ذهب الشخص والأثر

(١) ما بين الحاصرتين من (ج).
(٢) في (ب): في أيدي الأخشيد.
ولذا فإن الجند قد استولوا على السلطة في بغداد، ومع الراضي يبدأ عهد إمرة الأمراء.
(٣) في (ب): ووهبت.
(٤) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ١٤٣/٢، والمنتظم ٢٦٧/٦.
(٥) الأبيات في أوراق الصولي: أخبار الراضي ١٨٥، وهي في الوافي ٢٩٩/٢، وفي الكامل ٢٧٦/٦.
(٦) رواية البيت في (أ) و (ب): رأيت. وما أثبتناه يتفق ورواية الصولي.

ربِّ فـاغـفـر خـطيئتـي   أنت يـا خيـر من غفـر[1]

توفي الراضي ليلة السبت خامس عشر من ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاثماية[2] بعلة الاستسقاء والسحج، وكان أكبر أسباب علته من كثرة الجماع، وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة وستة أشهر. ودفن بالـرصافـة [والله بذلـك أعلم وأحكم][3].

(١) رواية الشطر الأخير في (ب): عنهما ينزل القدر.

(٢) في (ب): سنة تسع وعشرون.

(٣) ما بين الحاصرتين من (ج).

الفصل الحادي والعشرون
في ذكر خلافة المتقي لله(١)

اسمه إبراهيم أبو إسحاق بن المقتدر(٢). بويع له بالخلافة بعد موت أخيه الراضي وهو ابن أربع وثلاثين سنة، فصلّى ركعتين وصعد على السرير.

وكان ذا دين وورع، وكان كثير الصوم والتهجد والتلاوة في المصحف. ولم يشرب مسكراً.

وأمه أَمةٌ رومية اسمها «خلوب»(٣).

نقش خاتمه: «كفى بالله معيناً»(٤).

ولم يكن له سوى الاسم والتدبير إلى غيره. /

/١٤١أ ومن الحوادث(٥)، في أيامه:

(١) في (ب): في ذكر خلافة المقتفي بالله، وفي (ج): المتقي بالله.

(٢) تاريخ بغداد ٦/٥١ـ٥٢، وتاريخ ابن يزيد ٥٩، والمنتظم ٦/٣١٦، ونهاية الأرب ٢٣/١٥٤ ـ ١٧٩، والتنبيه والإشراف ٣٤٤، ومروج الذهب ٢/٥٧٣، والصولي، أخبار المتقي ١٨٦ ـ ٢٨٥، وتكملة تاريخ الطبري ١١٩ ـ ١٤٣، وطبعة القاهرة ٣٢٤ ـ ٣٤٩، ومسكويه، تجارب الأمم ٢/١ ـ ٧٥، والكامل في التاريخ ٦/١١٨ ـ ١١٩ ، ٣٠١، ومختصر التاريخ ١٨٢ ـ ١٨٥ ، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٥٣ ـ ٢٥٥ ، وسير أعلام النبلاء ١٥/١٠٤، وفوات الوفيات ١/١٧ ، والوافي بالوفيات ٥/٣٤١، وتاريخ الخلفاء ٤٢٤ ـ ٤٢٨ ، والجوهر الثمين ١/١٧٩ ـ ١٨١ ، والفخري ٢٨٤ ـ ٢٨٦ ، والعيون والحدائق ٤/٣٥١ ـ ٤١٣ ، والعقد الفريد ٥/١٢٩ ـ ١٣٠ ، وعريب بن سعد ١٥٤ ، والمختصر في أخبار البشر ٢/٨٨، ومحاضرة الأبرار ١/٨٣، ودول الإسلام ١٨٢، والنزهة السنية ١٠٢.

(٣) في (ب): أمه رومية، بسقوط كلمة (أمة).

(٤) التنبيه والإشراف «المتقي لله»، وفي مختصر التاريخ: «إبراهيم بن المقتدر بالله يثق».

(٥) من هنا ساقط من (ب)، بسقوط معظم أخبار المتقي لله، وكامل الفصل الثاني والعشرين: في ذكر خلافة المستكفي بالله، وقسم ضئيل من أخبار خلافة المطيع لله.

في سنة ثلاثين وثلاثماية: كان الغلاء ببغداد فبلغ الكرّ الحنطة ثلاثماية وستة عشر ديناراً، واشتد القحط وأكلوا الميتات وكان قحطاً لم ير ببغداد مثله أبداً[1].

وفي سنة احدى وثلاثين وثلاثماية، وصلت الروم إلى أرزن وميّافارقين ونصيبين فقتلوا وسبوا، ثم طلبوا منديلاً في كنيسة الرها يزعمون أن المسيح مسح به وجهه فارتسمت صورته فيه، على أنهم يطلقون جميع من سبوا. فأرسل إليهم وأطلقوا الأسارى[2].

ثم إن توزون أحد أمراء[3] الأتراك، استولى على بغداد وخلع المتقي وسمل عينيه، وسلّم الخلافة لابن عمه المستكفي بالله، فأخرجه إلى جزيرة بقرب السندية فحبس[4]، فأقام في السجن خمساً وعشرين سنة إلى أن مات[5]. فكانت خلافته ثلاث سنين وأحد عشر شهراً، وخلع من الخلافة وقد بلغ ستاً وأربعين سنة؛ ودفن في داره.

---

(١) المنتظم ٦/٣٢٦.
(٢) المنتظم ٦/٣٣١.
(٣) في (أ) و (ج): نوروز، وهو وهم، فالأمير التركي هو توزون، وقد حكى القصة الصولي في الأوراق «أخبار المتقي لله»: ٢٨٢ ـ ٢٨٣، وانظر أيضاً: تجارب الأمم ١/٦٧، وما بعدها.
(٤) في (ب): فحبسه.
(٥) في الوافي بالوفيات: توفي في السجن سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، وكان قد خلع وكحل يوم السبت لعشر بقين من صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة.

الفصل الثاني والعشرون
في ذكر خلافة المستكفي بالله

اسمه عبد الله(١)، أبو القاسم بن المكتفي. بويع له بالخلافة يوم خلع ابن عمه المتقي لله(٢).

وأمه أم ولد رومية اسمها: «أملح الناس».

نقش خاتمه: «عبد الله بن المكتفي».

ولما ولّي الخلافة خلع على توزون(٣)، وفُوّض إليه تدبير المملكة.

وفي أيامه قدم معز الدولة بن بويه(٤) بغداد، فخلع عليه الخليفة وفوض إليه الأمور وضرب السكة باسمه وأمر أن يخطب له على المنابر(٥).

(١) العقد الفريد ٥/ ١٣٠ ـ ١٣١، والتنبيه والإشراف ٣٤٥، ومروج الذهب ٢/ ٥٨٤، وتاريخ بغداد ١٠/ ١٠ ـ ١١، العيون والحدائق ٤/ ٤١٥ ـ ٤٤٣، والمنتظم ٦/ ٣٣٩، ٣٦٤، وسير أعلام النبلاء ١٥/ ١١١، تجارب الأمم ٧٢ ـ ٨٧، والكامل في التاريخ ٦/ ٣٠١، ٣١٤، والمنتظم ٦/ ٣٦٤، ومختصر التاريخ ١٨٦، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٥٥ ـ ٢٥٧، ونهاية الأرب ٢٣/ ١٧٩ ـ ١٨٥، والبداية والنهاية ١١/ ٢٢٢، وتاريخ الخلفاء ٤٢٧ ـ ٤٢٨، والجوهر الثمين ١/ ١٨٢ ـ ١٨٣، وشذرات الذهب ٢/ ٣٤٥، والوافي بالوفيات ١٧/ ٣٢٣، وتكملة تاريخ الطبري ـ ط القاهرة ٣٤٩ ـ ٣٥٤، والفخري ٢٨٧ ـ ٢٨٨، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٩٢، ومحاضرة الأبرار ١/ ٨٣، ودول الإسلام ١٨٦، والنزهة السنية ١٠٣.

(٢) في (ب) و(ج): المتقي بالله.

(٣) في الأصل: نوروز، وصوابه ما أثبتناه من المصادر التاريخية.

(٤) معز الدولة بن بويه: أحمد بن بويه، أخباره في: أخبار أئمة الزيدية (ينظر فهارسه) سير أعلام النبلاء ١٦/ ١٨٩، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ ـ ٣٨٠ هـ).

(٥) سير أعلام النبلاء ١٥/ ١١٢، والعيون والحدائق.

وكان قد بلغ معز الدولة أن المستكفي بالله قد دبر على هلاكه فدخل على المستكفي وقبّل يده، فطرح له كرسيًّا فجلس عليه، ثم قدم إليه رجلان من الديلم ومدّا يديهما إلى المستكفي، فظن أنهما يريدان تقبيل يده فمدها إليهما، فجذباه من على السرير وجعلا عمامته في عنقه، ثم سحب واعتقل، ثم خلع وسملت عيناه؛ فاجتمع ببغداد ثلاثة خلفاء عميان. وانتهبت دار الخلافة حتى لم يبق فيها شيء، وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة.

وتوفي[1] في دار معز الدولة في سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة وهو ابن ست وأربعين سنة، وكانت مدة خلافته سنة وأربعة أشهر، والله أعلم.

(١) دول الإسلام ١٨٧.

الفصل الثالث والعشرون
في ذكر خلافة المطيع لله

/١٤١ب اسمه أبو الفضل القاسم بن المقتدر[١]/ بويع له بالخلافة يوم خلع ابن عمه المستكفي بالله.

وكان وطي الجانب إلى الغاية.

وأمه أم ولد سقلابية اسمها «مشغلة»[٢]: ولد سنة إحدى وتسعين ومائتين.

نقش خاتمه: «بالله المطيع لله»[٣].

وكان تدبير المملكة إلى معز الدولة بن بويه، وقرر للخليفة كل يوم نفقة مائة دينار فقط[٤].

(١) تكملة تاريخ الطبري ط. القاهرة ٣٥٥ ـ ٤٣٢، والعيون والحدائق ٤/٤٤٥ ـ ٥٠٩، وتاريخ بغداد ١٢/٣٧٩، والتنبيه والإشراف ٣٤٥، ومروج الذهب ٢/٥٩٦، والعقد الفريد ٥/١٣١، والكامل في التاريخ ٦/٣١٥، ومختصر التاريخ ١٨٩ ـ ١٩٠، والمنتظم ٦/٣٤٣، ٧/٧٩، والفخري ٢٨٩، وفوات الوفيات ٣/١٨٢، وسير أعلام النبلاء ١٥/١١٣، وتاريخ الإسلام وفيات (٣٥١ ـ ٣٨٠): ٣٢٨، ونهاية الأرب ٢٣/١٨٥ ـ ٢٠٢، وتجارب الأمم ١/٨٧، والجوهر الثمين ١/١٨٤ ـ ١٨٦، وتاريخ الخلفاء ٤٢٩ ـ ٤٣٧، والبداية والنهاية ١١/٢١٢، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٥٧ ـ ٢٥٨، والنجوم الزاهرة ٤/١٠٨، وشذرات الذهب ٣/٤٨، وتاريخ دمشق لابن القلانسي ٢١، والمختصر في أخبار البشر ٢/١١٣، ومحاضرة الأبرار ١/٨٤، ودول الإسلام ١٨٨، والنزهة السنية ١٠٥.

ويرد الاسم في المصادر جميعها: الفضل أبو القاسم، وهو أقرب إلى الصحة، فمن المعروف لدى العرب، ان أبا الفضل كنية لجعفر.

(٢) في المنتظم ٦/٣٤٣، وتكملة الطبري ٣٥٥ أمه مشغلة، وفي تاريخ الخلفاء: شغلة.

(٣) في مختصر التاريخ ١٩٠ «المطيع لله».

(٤) الخبر في تجارب الأمم ١/٨٧ وفيه: وأقام الأمير لنفقة الخليفة كل يوم ألفي درهم. وفي الكامل: =

ومن الحوادث في أيامه:

في أول سنة من خلافته اشتد الغلاء ببغداد حتى أكلوا الجيف والروث وماتوا على الطريق وأكلت الكلاب لحومهم وبيع العقار بالرغفان، ووجدت الصغار مشوية مع المساكين[1].

وفي سنة تسع وثلاثين وثلاثماية[2] أعيد الحجر الأسود إلى موضعه.

وفي سنة أربع وأربعين وثلاثماية زلزلت مصر زلزلة صعبة هدمت البيوت[3]، ودامت ثلاث ساعات، وفزع الناس إلى الله تعالى بالدعاء.

وفي سنة ست وأربعين وثلاثماية نقص البحر ثمانين ذراعاً فظهر فيه جبال وجزائر وأشياء لم تعهد. وكان بالري ونواحيها زلازل عظيمة وخسف ببلد الطالقان ولم يفلت من أهلها إلا نحو ثلاثين رجلاً، وخسف بماية وخمسين قرية من قرى الري، واتصل الأمر إلى حلوان فخسف بأكثرها، وقذفت الأرض عظام الموتى وتفجّرت منها المياه، وتقطع بالري جبل وعلقت قرية بين السماء والأرض بمن فيها نصف نهار ثم خسفت بها؛ وانخرقت الأرض خروقاً عظيمة وخرج منها مياه منتنة ودخان عظيم، كذا نقله ابن الجوزي في كتاب «**الشذور في التاريخ**»[4].

وفي سنة اثنتين وخمسين وثلاثماية[5] يوم عاشوراء، ألزم معز الدولة الناس

= إن معز الدولة أقام للمستكفي خمسة آلاف درهم كل يوم، مما يعني تخفيض مخصص الخليفة في عهد المطيع، وفي تكملة تاريخ الطبري: ٣٧٥ قرر للخليفة في كل يوم ألفي درهم.

(١) المنتظم ٦/٣٤٤.

(٢) في (ب): تسع وثلاثين.
والخبر في الكامل في التاريخ ٦/٣٣٥ أخبار ٣٣٩ هـ، وتكملة الطبري: ٣٧١.

(٣) في (ب): وهدّت.
والخبر أورده السيوطي في تاريخ الخلفاء ٤٣٠.

(٤) الكامل في التاريخ ٦/٣٥٢ ـ ٣، والمنتظم ٦/٣٨٤، تاريخ الخلفاء ٤٣٠ ـ ٤٣١؛ ولم ينقل المنتظم الخبر كاملاً.

(٥) في (ب) و(ج): اثنين.

بغلق الأسواق ومنع الطباخين من الطبخ ونصبوا القباب في الأسواق وعلقوا عليها المسوح وأخرجوا النساء [1] منشرات الشعور يلطمن في الشوارع ويقمن المآتم على الحسين، وهذا أول يوم نيح عليه ببغداد، واستمرت هذه البدعة سنين[2].

وكان من عادة الخلفاء بأن يولوا[3] القاضي المقيم ببلدهم القضاء بجميع الأقاليم والبلاد التي تحت ملكهم ثم يستنيب القاضي من[4] تحت أمره من يشاء في كل إقليم وفي كل بلد، ولهذا كان يلقب القاضي بقاضي القضاة[5] إلى
١٤٢/أ الآن، ولا يلقب به إلا من هو بهذه الصفة/ ومن عداه بالقاضي فقط. وأما الآن فصار في البلد الواحد أربعة مشتركون كل منهم يلقب قاضي القضاة، ولقد كان قاضي القضاة إذ ذاك أوسع حكماً من سلاطين هذا الزمان[6].

وفي سنة ثلاث وستين وثلاثماية حصل للمطيع فالج وثقل لسانه، فدعاه حاجب عز الدولة سبكتكين إلى خلع نفسه وتسليم الأمر إلى ولده عبد الكريم [وقيل اسمه أبو بكر][7]، وقيل أبو بكر كنيته، وسماه الطائع لله فأجاب[8]. ثم توفي بدير العاقول سنة أربع وستين وثلاثماية، وكان بين خلعه وموته شهران[9]، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة، وكانت خلافته تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر [والله أعلم][10].

---

(١) في (أ): وأخرجن نساء؛ وفي (ج): وأخرجن النساء.
(٢) تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ ـ ٣٨٠): ١١، والمنتظم ١٥/٧.
(٣) في (ب) و (ج): وكان من عادة الخلفاء يولوا، بسقوط (بأن).
(٤) في (ب): ويستنيب من يختاره.
(٥) في (ب): وكان يلقب قاضي القضاة الآن.
(٦) تاريخ الخلفاء ٤٣٥، وهو تطابق حرفي.
(٧) ما بين الحاصرتين من (ج).
(٨) في (ب): فأجابه، وفي (ج): وقيل: أبو بكر كنيته، وسماه الطائع لله فأجاب. والخبر في تاريخ الإسلام، أحداث ٣٦٣هـ : ٢٥٣.
(٩) في (ب): وكان بين خلعه وموته شهرين.
(١٠) ما بين الحاصرتين من (ب).

الفصل الرابع والعشرون
في ذكر خلافة الطائع لله

اسمه أبو بكر وقيل: عبد الكريم بن المطيع[1].

بويع له بالخلافة يوم خلع أبوه نفسه من الخلافة، وعمره ثلاث وأربعون سنة.

وكان مربوعاً، أشقر، كبير الأنف، في خلقه حدة، شديد القوة، كريماً، شجاعاً، بطلاً، جواداً، سمحاً، إلا أن يده قصيرة مع ملوك بني بويه.

وأمه أم ولد اسمها «هزار»[2].

نقش خاتمه: «الطائع لله»[3].

وفي أيامه قطعت الخطبة من الحرمين الشريفين لبني العباس وأقيمت للمعز العبيدي صاحب مصر والغرب[4].

---

(١) تاريخ بغداد ١١/٧٩ ـ ٨٠، وتكملة تاريخ الطبري ٢١٥ وما بعدها، وتاريخ الخلفاء ٤٣٧ ـ ٤٤٣، وفوات الوفيات ٢/٣٧٥ ـ ٣٧٦، والنجوم الزاهرة ٤/٢٠٨، والمنتظم ٧/٦٦ ـ ٦٨، ٢٢٤ ـ ٢٢٥، ومختصر التاريخ ١٩١ ـ ١٩٥، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٥٨ ـ ٢٦١، وسير أعلام النبلاء ١٥/١١٨ ـ ١٢٧، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٨١ ـ ٤٠٠هـ): ٢٨٦ ـ ٢٨٨، وشذرات الذهب ٣/١٤٣، ونهاية الأرب ٢٣/٢٠٢ ـ ٢٠٦، وصبح الأعشى ٣/٢٥٨، والبداية والنهاية ١١/٣٣٢، والجوهر الثمين ١/١٨٧، والفخري ٢٩٠، والكامل في التاريخ ٧/١٤٧ ـ ١٤٨، والمختصر في أخبار البشر ٢/١٢٧ ـ ١٢٨، ومحاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ١/٨٤، ودول الإسلام ٢٠٠، والنزهة السنية ١٠٦.

(٢) في مختصر التاريخ ١٩١، اسمها «عتب»، وكذلك في نهاية الأرب ٢٣/٢٠٢.

(٣) مختصر التاريخ ١٩١: «الطائع لله».

(٤) نهاية الأرب ٢٣/٢٠٢.

واستولى عضد الدولة بن بويه على بغداد وملكها، وخلع عليه الطائع الخلع السلطانية وتوّجه وطوّقه وسوّره وعقد له لوائين وولاه مكان آبائه[1]. فلما جلس على سرير الملك قبض على الوزير أبي طاهر[2]، من وزراء عز الدولة، فقتله وصلبه، فرثاه أبو الحسن الأنباري بمرثية وهي هذه[3]:

علو في الحياة وفي الممات ... لحق أنت إحدى المعجزات[4]
كأن الناس حولك حين قاموا ... وفود نداك أيامَ الصِّلات
كأنك قائم فيهم خطيباً ... وكلهم قيام للصلاةِ
مددت يديك عنهم احتفاء ... كمدكها إليهم بالهبات
ولما ضاق بطن الأرض عن أن ... يضم علاك من بعد الممات/
/١٤٢ب أصارو الجو قبرك واستعاضوا ... عن الأكفان ثوب السافيات
لعظمك في النفوس بقيت ترعى ... بحراس وحفاظ ثقات
ولم أر قبل جذعك قط جذعاً ... يمكن من عناق المكرمات
وما لك تربة فأقول تسقى ... لأنك نصب هطل الهاطلات
عليك تحية الرحمن تترى ... برحمات غوادٍ رائحات

وفي سنة اثنتين وسبعين وثلاثماية[5]، مات عضد الدولة فولى الخليفة

---

(١) نهاية الأرب ٢٣/٢٠٢، ٢٦/١١٤ وما بعدها، وسير أعلام النبلاء ١٦/٢٤٩، وتجارب الأمم ٢/٤٠٦.

(٢) في (ب): ابن ظاهر.
والوزير أبو طاهر، محمد بن محمد بن بقية (تاريخ الإسلام ص ٣٨٥، وفيات ٣٥١ ـ ٣٨٠هـ، وسير أعلام النبلاء ١٦/٢٢٠).
وانظر أخبار عز الدولة في سير أعلام النبلاء ١٦/٢٣١، ونهاية الأرب ٢٦/١٩٤ ـ ١٩٥.

(٣) (وهي هذه)، ساقطة من (ب).

(٤) الأبيات في تاريخ الإسلام، في ترجمة ابن بقية.

(٥) في (ب) و (ج): وفي سنة اثنين وسبعين وثلاثمائة.

مكانه في السلطنة ابنه صمصام الدولة ولقبه «شمس الملّة»، وخلع عليه سبع خلع وقلده ما كان بيد أبيه[1].

وفي سنة ست وسبعين[2] وثلاثمائة قصد شرف الدولة أخاه صمصام الدولة فانتصر عليه وكحل عينيه، ومال العسكر إلى شرف الدولة، وقدم بغداد وركب الخليفة إليه يهنيه بالسلامة [وعهد إليه بالسلطنة][3].

وفي سنة تسع وسبعين وثلاثمائة مات شرف الدولة وعهد إلى أخيه أبي نصر[4]، فخلع عليه الخليفة ولقبه «بهاء الدولة» و«ضياء الملّة»[5]. وتقدم أصحاب بهاء الدولة فجذبوا الخليفة من سريره وتكاثر عليه الديلم[6]، فلفوه في كساء ونهبوا دار الخلافة. وخلع نفسه الطائع من الخلافة وذلك في شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وأقام مخلوعاً معتقلاً إلى أن توفي ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، فكانت خلافته سبع عشرة سنة وتسعة أشهر، وعاش ثلاثاً وسبعين سنة[7].

(١) المنتظم ١١٣/٧، ١٢٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣٥١ ـ ٣٨٠هـ): ٤٧٤، ٤٧٥.
(٢) تاريخ الإسلام ٤٧٩ ـ ٤٨٠.
(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من (ب) و (ج).
(٤) تاريخ الإسلام ٤٨٥ ـ ٤٨٦، المنتظم ١٤٨/٧، ذيل تجارب الأمم ١٥٢.
(٥) تاريخ الإسلام ٤٨٦، سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٨٥.
(٦) في (ب): وتكاثروا عليه الديلم.
(٧) المنتظم ٢٢٤/٧.

الفصل الخامس والعشرون

في ذكر خلافة القادر بالله

اسمه أحمد أبو العباس بن إسحاق بن المقتدر[١].

بويع له بالخلافة ليلة خلع عمه الطائع، وعمره يومئذ أربع وأربعون سنة.

وكان أبيض، كبير اللحية يخضبها.

وكان دائم التهجد كثير الصدقات، وله دين متين.

ولد سنة ست وثلاثين وثلاثماية.

وأمه أمة اسمها «يمنى»[٢].

نقش خاتمه: «القادر بالله»[٣].

وليس له من الخلافة إلا اسمها. وكان مقهوراً على أمره[٤].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٥/١٢٧، وفوات الوفيات ١/٥٨، ومختصر التاريخ ١٩٦ - ٢٠١، والمنتظم ٨/٦٠ - ٦١، ونهاية الأرب ٢٣/٢٠٦ - ٢١٩، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٦١ - ٢٦٣، والوافي بالوفيات ٦/٢٣٩ - ٢٤١، والبداية والنهاية ١٢/٣١ - ٣٢، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ٤٤٢ - ٤٤٨، وتاريخ مختصر الدول ١٧٧ - ١٨٣، والجوهر الثمين ١/١٨٩ - ١٩١، والكامل في التاريخ ٧/٣٥٤ - ٣٥٥، وتاريخ بغداد ٤/٣٧، والمختصر في أخبار البشر ٢/١٥٨، ومحاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ١/٨٤ - ٨٥، ودول الإسلام ٢٠٧، والنزهة السنية ١٠٧.

(٢) في خلاصة الذهب المسبوك: ٢٦١ «يمن»، وفي مختصر التاريخ ١٩٦: «تمني»، وهو «يمنى» في تاريخ بغداد ٤/٣٧.

(٣) خلاصة الذهب المسبوك ٢٦١، ومختصر التاريخ ١٩٦.

(٤) يختصر المؤلف أخبار القادر بالله على طول عهده بالخلافة. والواقع أن عهده شهد تطورات مهمة منها: الموقف الداخلي من الفاطميين، والإجراءات التي تمت لدعم الموقف العقائدي تجاه العقائد =

توفي في ذي القعدة سنة اثنتين[1] وعشرين وأربعماية، وهـو ابن ست وثمانين سنة. وكانت خلافته احدى وأربعين سنة وشهوراً[2].

= الأخرى التي كانت سائدة، والتي تمثلت بالاعتقاد القادري ودعم المؤسسات الثقافية لنشر المذهب السني في مقابل الدعاية الفاطمية، والموقف ضد المعتزلة.

(١) في الأصل: اثنين.

(٢) في (ب): وشهور.

الفصل السادس والعشرون
في ذكر خلافة القائم بأمر الله

/١٤٣أ اسمه عبد الله، أبو جعفر بن القادر/ بالله[١].

بويع له بالخلافة عند موت أبيه، وكان ولي عهده في حياته.

وكان جميلاً مليح الوجه، ورعاً ديناً زاهداً عالماً، قوي اليقين بالله[٢].

ولد في نصف ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وثلاثماية.

وأمه أم ولد أرمنية اسمها: «بدر الدجى» وقيل: «قطر الندى»[٣].

نقش خاتمه: «القائم بأمر الله».

كان كثير الصدقة، مؤثراً للعدل والإحسان وقضاء الحوائج لا يرى المنع من شيء طلب منه[٤]. وكان من خير الخلفاء.

---

(١) المنتظم ٥٧/٨ ـ ٦٠، و٨٤/٩، ومختصر التاريخ ٢٠٢ ـ ٢٠٩، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٦٨ ـ ٢٧٠، والفخري ٢٩٦ ـ ٢٩٩، ومحاضرة الأبرار ٨٥/١، ونهاية الأرب ٢٤٢/٢٣ ـ ٢٥٣، والبداية والنهاية ٣١/١٢ ـ ٣٢، وتاريخ بغداد ٣٩٩/٩ ـ ٤٠٤، وفوات الوفيات ١٥٧/٢ ـ ١٥٨، وتاريخ ابن خلدون ٤٤٧/٣، والنجوم الزاهرة ٤/٥ ـ ١١، ٩٧ ـ ٩٨، والوافي بالوفيات ٢٠/١٧ ـ ٢٣، وسير أعلام النبلاء ٣٠٧/١٨ ـ ٣١٨، وتاريخ الخلفاء ٤٤٨ ـ ٤٥٧، والجوهر الثمين ١٩٢/١ ـ ١٩٦، وتاريخ الخميس ٣٥٧/٢ ـ ٣٥٩، والكامل في التاريخ ١٢٠/٨، وتاريخ دمشق، ابن القلانسي ١٤١، ١٤٣ وما بعدها، وشذرات الذهب ٣٢٦/٣ ـ ٣٢٧، والمختصر في أخبار البشر ٢٠٤/٢، ودول الإسلام ٢٢٢، والنزهة السنية ١٠٩.

(٢) الكامل في التاريخ.

(٣) سير أعلام النبلاء، وتاريخ بغداد والوافي.

(٤) تاريخ الخلفاء ٤٤٩.

ولم يزل أمره مستقيماً إلى أن قبض عليه أرسلان التركي البساسيري[1]، وسيره إلى عانه فحبسه بها، فكتب الخليفة قصته ونفذها إلى مكة فعلقت في الكعبة مكتوب فيها[2]:

إلى الله العظيم من المسكين عبده: اللهم إنك العالم بالسرائر، المطلع على الضمائر، اللهم إنك غني بعلمك واطلاعك على خلقك عن إعلامي. هذا عبد قد كفر نعماءك وما شكرها، وألغى العواقب وما ذكرها، أطغاه حلمك حتى تعدى علينا بغياً، وأساء إلينا عتواً وعدواناً. اللهم قل الناصر واعتز الظالم، وأنت المطلع العالم، المنصف الحاكم. بك نعتز عليه، وإليك نهرب من يديه، فقد تعزز علينا بالمخلوقين، ونحن نعتز بك، وقد تحاكمنا إليك، وتوكلنا في إنصافنا منه عليك، ورفعنا ظلامتنا هذه إلى حرمك، ووثقنا في كشفها بكرمك. فاحكم بيننا بالحق وأنت خير الحاكمين.

فانتصر له طغرلبك، فظفر بأرسلان وقتله[3]، ورد الخليفة إلى مكانه مكرماً.

ولما رجع الخليفة إلى داره لم ينم بعدها إلا على سجادة من غير فراش، ولم يضع رأسه على مخدة، ولزم الصيام والقيام، وعفا عن كل من آذاه، ولم يسترد شيئاً مما نهب من قصره إلا بالثمن، وقال: هذه أشياء احتسبناها عند الله [تعالى][4].

(١) البساسيري: ارسلان التركي، نسبة إلى تاجر باعه من أهل فسا، ترقت به الحال إلى أن لُقّب ملك الامراء المظفر، ونابذ الخليفة، وكاتب صاحب مصر المستنصر الفاطمي، فأمده بالسلاح والأموال وسيطر على بغداد حتى أقبل طغرلبك، فقتل سنة ٤٥١ هـ.
انظر أخباره في المنتظم ١٩٠/٨ ـ ١٩٦، ٢٠١ ـ ٢١٢، الوافي بالوفيات ٢٣٤/٨، سير أعلام النبلاء ١٣٢/١٨، شذرات الذهب ٢٨٧/٣ ـ ٢٨٨، ابن القلانسي ١٤٣ وما بعدها.

(٢) في (ب): ونفذها إلى مكة مكتوب فيها؛ بسقوط: فعلقت في الكعبة. ونص القصة في تاريخ الخلفاء ٤٥٠، وفي المنتظم ١٩٥/٨ ـ ١٩٦.

(٣) في (ب): فقتله.

(٤) ما بين الحاصرتين من (ب).

ومن الحوادث في أيامه: كان ابتداء دولة السلجوقية وانقراض دولة بني بويه.

وكان الغلاء بمصر الذي ما عهد مثله منذ زمان[1] يوسف الصديق عليه السلام، فأقام سبع سنين حتى أكل الناس بعضهم بعضاً. وقيل: إنه بيع رغيف
/١٤٣ب بخمسين ديناراً، وبلغ الإردب مابة دينار، وبيع الكلب بخمسة دنانير، والهرّ/ بثلاثة دنانير[2].

وفي «**مرآة الزمان**»: أن امرأة خرجت من القاهرة ومعها مد جوهر فقالت: من يأخذه بمدّ برّ، فلم يلتفت إليها أحد.

وفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ولدت بباب الأزج ببغداد صغيرة لها رأسان ووجهان ورقبتان على بدن واحد[3].

وفيها ظهر كوكب كأنه دائرة القمر ليلة[4] تمامه بشعاع عظيم، وهال الناس ذلك، وأقام عشر ليال ثم تناقص ضوؤه وغاب.

وفي سنة ستين وأربعماية كان بالرملة الزلزلة الهائلة التي اخربتها حتى طلع الماء من رؤوس الآبار وهلك من أهلها خمسة وعشرون ألفاً[5]، وأبعد البحر عن ساحله مسيرة يوم، فنزل الناس إلى أرضه يلتقطون [السمك][6]، فرجع الماء عليهم فأهلكهم.

---

(١) في (ب): منذ مات.
(٢) (والهر بثلاثة دنانير) ساقطة من (ب).
(٣) الكامل ٨/١٠٤.
(٤) في (ب): كأنه البدر، دون الباقي.
والخبر في المنتظم، وفي الكامل ٨/١٠٤.
(٥) الكامل ٨/١٠٦.
(٦) من (ج).

وفي سنة احدى وستين وأربعماية احترق جامع دمشق وزالت محاسنه وتشوه منظره وذهبت سقوفه المذهبة(١).

وفي سنة خمس وستين وأربعماية قتل السلطان ألب أرسلان، وقام في الملك ولده ملك شاه ولقب «جلال الدولة»(٢).

وفي سنة ست وستين(٣) وأربعماية كان الغرق العظيم ببغداد، وزادت دجلة ثلاثين ذراعاً، ولم يقع مثل ذلك قطع وهلكت الأموال والأنفس والدواب، وركب الناس(٤) في السفن وأقيمت الجمعة في الطيار(٥) على ظهر الماء مرتين، وصارت بغداد حلقة واحدة(٦)، وانهدم ماية ألف دار وأكثر.

وفي سنة سبع وستين وأربعماية مات الخليفة، وذلك أنه افتصد ونام فانحل موضع الفصد وخرج منه دم كثير، فاستيقظ وقد انحلت قوته فأوصى، ثم توفي ليلة الخميس الثالث عشر من شعبان من السنة المذكورة، فكانت خلافته خمساً وأربعين سنة، وله من العمر سبع وسبعون سنة، وله وقائع يضيق هذا الكتاب عن إيرادها.

(١) الكامل ١٠٧/٨.
(٢) الكامل ١١٢/٨.
(٣) الكامل ١١٩/٨.
(٤) في (أ) و (ب): وركبت الناس.
(٥) في (ب): في التار.
(٦) في (ب): حقلة واحدة.

الفصل السابع والعشرون

في ذكر خلافة المقتدي بأمر الله

اسمه عبد الله أبو القاسم بن محمد بن القائم[1].

بويع له بالخلافة يوم وفاة جده القائم بأمر الله.

وكان ديناً خيراً قوي النفس عالي الهمة، من نجباء بني العباس. وكانت /
/١٤٤أ قواعد الخلافة في أيامه باهرة وافرة الحرمة.

وأمه أم ولد اسمها «أرجوان»[2]:

نقش خاتمه: «المقتدي بأمر الله»[3]:

ومن محاسنه: أنه نفى المغنيات والخواطىء من بغداد[4]، وأمر أن لا يدخل أحد الحمام إلا بمئزر، وخرب أبراج الحمام صيانة لحرم الناس[5].

---

(١) المنتظم ٨/٢٩١ ـ ٢٩٤، ٩/٨٤، والكامل ٨/١٢٠ ـ ١٢١، ١٧٠، والفخري ٢٩٦ ـ ٢٩٩، وفوات الوفيات ٢/٢١٩ ـ ٢٢٠، وسير أعلام النبلاء ١٨/٣١٨ ـ ٣٢٤، والنجوم الزاهرة ٥/١٣٩ ـ ١٤٠، وتاريخ الخلفاء ٤٥٤ ـ ٤٥٧، ومختصر التاريخ ٢١٠ ـ ١٤ وخلاصة الذهب المسبوك ٢٦٨، وشذرات الذهب ٣/٣٨٠ ـ ٣٨١، والجوهر الثمين ١/١٩٧ ـ ١٩٨، والبداية والنهاية ١٢/١١٠ ـ ١١١، ١٤٦، وتاريخ ابن القلانسي ١٤١، ١٧٥، ١٩٧، ٢٠٦، وتاريخ مختصر الدول ١٩٢ ـ ١٩٥، ونهاية الأرب ٢٣/٢٤٢ ـ ٢٥٣، والمختصر في أخبار البشر ٢/٢٠٤، ومحاضرة الأبرار ١/٨٥، ودول الإسلام ٢٤٠، والنزهة السنية ١١٠.

(٢) ابن الأثير وسير أعلام النبلاء ١٨/٣١٨، وفي ص ٣٢٣: قال ابن النجار: اسم أمه علم.

(٣) في مختصر التاريخ ١١٥: «من توكل على الله كفاه».

(٤) في (ب): نفى المغنيات والخواطىء ببغداد.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٨/٣١٨، والمنتظم ٨/٢٩٣ ـ ٢٩٤، والكامل ٨/١٧٠.

ومن الحوادث في أيامه: أرسل السلطان[1] ملكشاه السلجوقي إلى الخليفة يقول: لا بد أن تترك لي بغداد وتذهب إلى أي بلد شئت، فانزعج الخليفة وقال: أمهلني ولو شهراً واحداً. فقال: ولا ساعة واحدة. وأرسل الخليفة إلى وزير السلطان فطلب المهلة إلى عشرة أيام.

ثم إن المقتدي لبس جبّة[2] الصوف وجعل يصوم، فإذا أفطر جلس على الرماد وصلّى ودعا على السلطان، فمات السلطان في اليوم العاشر. وسلطن الخليفة ولده محمود وهو ابن خمس سنين ولقبه «ناصر الدنيا والدين»، ثم مات الخليفة من غد فجأة[3]، وقيل: إن جاريته «شمس النهار» سمته[4].

وكان عمره ثلاثاً وثلاثين سنة، وكانت خلافته ست عشرة سنة وأشهراً.

(١) تاريخ الخلفاء ٤٥٧، وأخبار ملكشاه في نهاية الأرب ٢٦/٣٢٠ - ٣٣٥.
(٢) في (ب): لبس جبة من الصوف.
(٣) في (ب): من غده.
(٤) كانت وفاته في المحرم من العام ٤٨٧ للهجرة.

الفصل الثامن والعشرون
في ذكر خلافة المستظهر بالله

اسمه أحمد أبو العباس بن المقتدي(١).

بويع له بالخلافة عند وفاة أبيه، وله ست عشرة سنة(٢).

وكان لين الجانب، كريم الأخلاق، سمحاً، جواداً، محباً للعلماء والصلحاء(٣).

ولد في شوال سنة سبعين وأربعماية. وأمه أمة اسمها «زهرة»(٤).

نقش خاتمه: «المستظهر بالله»(٥).

ومن الحوادث في أيامه ما نقله السيوطي في «**تاريخه**»: أن في سنة تسع وثمانين وأربعماية اجتمعت الكواكب السبعة سوى زحل في برج الحوت، فحكم

(١) مختصر التاريخ ٢١٥ ـ ٢١٨، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٧٠ ـ ٢٧١، وتاريخ مختصر الدول ١٩٥ ـ ٢٠١، والفخري ٣٠٠ ـ ٣٠١، والمنتظم ٩/٢٠٠، ٣٤٣، وسير أعلام النبلاء ١٩/٣٩٦ ـ ٤١١، والوافي بالوفيات: ١١٥ ـ ١١٧، وفوات الوفيات ١/٨٨، والبداية والنهاية ١٢/١٤١، ١٨٢، وتاريخ الخلفاء ٤٥٧ ـ ٤٦٣، ونهاية الأرب ٢٣/٢٥٣ ـ ٢٦١، والجوهر الثمين ١/١٩٩ ـ ٢٠٠، والكامل في التاريخ ٨/١٧٠، ٢٨١، وتاريخ ابن القلانسي ٣١٩، وعيون التواريخ ١٢/٨٣ ـ ٨٥، والنجوم الزاهرة ٥/٢١٥ ـ ٢١٦، شذرات الذهب ٤/٣٣، وتاريخ الخميس ٢/٣٦٠، والمختصر في أخبار البشر ٢/٢٣٠، ومحاضرة الأبرار ١/٨٥ ـ ٨٦، ودول الإسلام ٢٥٠، والنزهة السنية ١١١.

(٢) في (أ): ستة عشر، وفي (ب) و (ج): ست عشر.

(٣) عيون التواريخ ١٢/٨٣، والكامل ٨/٢٨١.

(٤) في مختصر التاريخ وخلاصة الذهب المسبوك؛ أمه: جلبهار.

(٥) في مختصر التاريخ: «ثقتي بالله وحده».

المنجمون بطوفان يقارب طوفان نوح، فاتفق أن الحجاج نزلوا في دار المناقب، فأتاهم سيل غرق أكثرهم[١].

وفي سنة تسعين وأربعماية قتل السلطان أرسلان السلجوقي صاحب خراسان، فتملكها السلطان بركيا روق ودانت له البلاد والعباد.

وفي سنة اثنتين وتسعين وأربعماية أخذت الفرنج بيت القدس بعد حصار شهر/ ونصف وقتلوا به أكثر من سبعين ألفاً، منهم جماعة من العلماء والعباد ١٤٤/ب
والزهاد، وهدموا المشاهد وجمعوا اليهود في كنيستهم وأحرقوها عليهم. وورد المستنفرون إلى بغداد فأوردوا كلاماً أبكى العيون، واختلفت السلاطين فتمكنت الفرنج من الشام[٢].

وفي هذه السنة أو في حدود ثماني عشرة وخمسماية نقل المصحف العثماني من مدينة طبرية إلى جامع دمشق خوفاً عليه من الكفار، وخرج الناس لتلقّيه يوم دخوله إلى دمشق فوضعوه في الخزانة الشرقية بمقصورة جامع دمشق[٣]، وهو بخط حسن بحبر محكم في رق، وأظنه من جلود الإبل. فأما عثمان رضي الله عنه، فما يعرف أنه كتب بخطه هذه المصاحف، وإنما كتبها زيد بن ثابت وغيره، فنسبت إلى عثمان لأنها بأمره وإشارته. ثم فرقت على الصحابة بين يدي عثمان رضي الله عنه، ثم نفذت إلى الآفاق.

وفي سنة اثنتي عشرة[٤] وخمسماية مات الخليفة في يوم الأربعاء الثالث والعشرين من ربيع الأول بعلة الخوانيق، فكانت خلافته خمساً وعشرين سنة، وله من العمر احدى وخمسون سنة.

---

(١) تاريخ الخلفاء ٤٥٨.

(٢) تاريخ الخلفاء ٤٥٩. وفي (ج): ورد الخبر كما يلي: واختلف السلاطين، وما أثبتناه متفق مع السيوطي.

(٣) تاريخ الخلفاء ٤٥٩ - ٤٦٠.

(٤) في (ب): وفي سنة اثني عشر.

الفصل التاسع والعشرون
في ذكر خلافة المسترشد بالله

اسمه الفضل[1]، أبو منصور بن المستظهر [بالله][2].

بويع له بالخلافة يوم موت والده بعهد منه.

وكان أشقر[3]، بطلاً شجاعاً، ذا همة عالية وشهامة زائدة. ضبط أمور الخلافة ورتبها وأحيا رسومها ونشر أعلامها.

ولد في ربيع الأول سنة خمس وثمانين وأربعماية، وأمه أمة اسمها «لبانة»[4].

نقش خاتمه: «المسترشد بالله»[5].

---

(١) المنتظم ١٠/٤١ ـ ٥٠، ٥٣ ـ ٥٤، والكامل في التاريخ ٨/٢٨١ ـ ٢٨٢، و٣٤٧ ـ ٣٤٨، والفخري ٣٠٢ ـ ٣٠٣، وفوات الوفيات ٣/١٧٩ ـ ١٨٢، والبداية والنهاية ١٢/٢٠٧، ٢١٠، والنجوم الزاهرة ٥/٢٥٦، وتاريخ الخلفاء ٤٦٣ ـ ٤٦٧، ومختصر التاريخ ٢١٩ ـ ٢٢٣، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٧٢ ـ ٢٧٣، وسير أعلام النبلاء ١٩/٥٦١ ـ ٥٦٨، وتاريخ مختصر الدول ٢٠١ ـ ٢٠٤، ونهاية الأرب ٢٣/٢٦١ ـ ٢٧٧، والجوهر الثمين ١/٢٠١ ـ ٢٠٣، وتاريخ ابن القلانسي ٣٩٢ ـ ٣٩٥، ٣٩٧، وعيون التواريخ ١٢/٢٨٢، ٢٩٢ ـ ٢٩٤، ٣٠٣، ٣٠٥، وشذرات الذهب ٤/٨٦ ـ ٨٨، والمختصر في أخبار البشر ٣/٩ ـ ١٠، ومحاضرة الأبرار ١/٨٦، ودول الإسلام ٢٦٥، والنزهة السنية ١١٢.

(٢) ما بين الحاصرتين من (ب).

(٣) في (ب): وكان أشقراً.

(٤) في (ب): أمه أمة. ولم يذكر اسمها في السيوطي في تاريخ الخلفاء، وفي مختصر التاريخ ٢١٩: اسمها «أقبلان»، واسمها لبابة في خلاصة الذهب المسبوك: ٢٧٢.

(٥) في مختصر التاريخ: «من توكل على الله كفاه».

وكان يباشر الحروب بنفسه، وخرج عدة نوب[1].

ومن الحوادث في أيامه: ما نقله الذهبي من «**عيون التواريخ**»[2]، أن السلطان مسعود وقعت بينه وبين الخليفة وحشة فخرج لقتاله فالتقى الجمعان وغدر بالخليفة أكثر عسكره فظفر به السلطان مسعود فأسره وأسر خواصه[3]، فحبسهم بقلعة بقرب همذان، فبلغ أهل بغداد ذلك فحثوا على رؤوسهم التراب[4] في الأسواق، وبكوا وضجّوا، وخرجت النساء[5] حاسرات يندبن الخليفة ومنعوا الصلاة[6] والخطبة وكسروا منابر الجوامع.

قال ابن الجوزي[7]: وزلزلت بغداد مراراً كثيرة[8]، والناس يستغيثون، فأرسل السلطان سنجر إلى ابن أخيه مسعود يقول: ساعة وقوف الولد على هذا الكتاب يدخل على أمير المؤمنين ويقبّل الأرض بين يديه ويسأل العفو والصفح، فقد ظهر عندنا من الآيات السماوية والأرضية ما لا طاقة لنا بسماع مثلها[9]، فضلاً عن المشاهدة، من العواصف/ والبروق والزلازل وتشويش العساكر /١٤٥أ
وانقلاب البلدان. ولقد خفت على نفسي من جانب الله [تعالى][10]، وظهور

(١) في (ب): وخرج إلى عدة حروب.
(٢) الخبر في عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي ١٢/٢٩٢-٢٩٤، وفي سير أعلام النبلاء ١٩/٥٦٨، ولم يذكر السيوطي «عيون التواريخ» بل ذكر الذهبي.
(٣) في (ب): فأسره هو وخواصه وحبسه.
(٤) في (ب): فحثوا التراب على رؤوسهم.
(٥) في (ب): وخرج النساء.
(٦) في (ب): ومنعن الصلاة.
(٧) الخبر عن ابن الجوزي في المنتظم ١٠/٤٦-٤٧.
والمصنف هنا يربط بين الزلازل وغضب الناس واستغاثتهم، إلّا أن ما أورده ابن الجوزي لا يتفق وما رغب مصنفنا الإيحاء به.
(٨) في (ب): زلزلت بغداد زلزلة.
(٩) في (ب): بسماعها.
(١٠) من (ج).

آياته وامتناع الناس من الصلوات في الجوامع ومنع الخطباء مما لا طاقة[1] لي بحمله. فالله الله بتلافي أمرك وتعيد أمير المؤمنين إلى مقر عزه، وتحمل الغاشية بين يديه[2]، كما جرت به عادة السلاطين من قبلنا. ففعل السلطان مسعود جميع ما أمر به وهم فيما هم فيه، إذ هجم سبعة عشر رجلاً من الباطنية على الخليفة وهو في خيمته، فقتلوه وقتلوا معه جماعة من أصحابه، فما شعر بهم العسكر إلّا وقد فرغوا من شغلهم، فأخذوهم وقتلوهم. فلما وصل الخبر إلى بغداد واشتد ذلك على الناس، وخرجوا حفاة مخرقين الثياب، والنساء ناشرات الشعور، يلطمن على خدودهن، ويقلن المراثي، لأن المسترشد كان محبباً فيهم.

وكان شاعراً جواداً[3]، ومن شعره[4]:

أنا الأشقر المدعو بي في الملاحم ... ومن يملك الدنيا بغير مزاحم
ستبلغ أرض الروم خيلي وتنتضي ... بأقصى بلاد الصين بيض صوارمي

وكان قتله بمراغة[5]، يوم الخميس سادس عشر ذي القعدة سنة تسع وعشرين وخمسماية، وعاش أربعاً وأربعين سنة، فكانت خلافته سبع عشرة سنة وثمانية شهور.

---

(١) في (ب) و (ج): فما لا طاقة.

(٢) الغاشية، وهي غاشية سرج من أديم مخروزة بالذهب يخالها الناظر جميعها مصنوعة من الذهب، تحمل بين يدي السلطان عند الركوب في المواكب الحفلة كالميادين والأعياد ونحوها، ويحملها الركابدراية، رافعاً يديه، يلفتها يميناً وشمالاً، (صبح الأعشى ٤/٧، ٤٧). وفي المنتظم ٤٦/١٠ كان السلطان يضع الغاشية على كتفه، وفي ١٠٣/١٠ تقدم المقتفي بألّا يحمل لأحد غاشية على الكتف سوى قاضي القضاة الزينبي.

(٣) وكان شاعراً جواداً في (أ).

(٤) البيتان في فوات الوفيات ١٨١/٣، وفي سير أعلام النبلاء ٥٦٣/١٩، وعيون التواريخ ٣٠٤/١٢.

(٥) مراغة: بلدة مشهورة عظيمة، أعظم وأشهر بلدان أذربيجان (معجم البلدان ٩٣/٥): (مراغة).

الفصل الثلاثون

في ذكر خلافة الراشد بالله

اسمه منصور أبو جعفر بن المسترشد[١].

بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه بعهد منه.

وكان شاباً أبيض[٢] مليحاً، تام الشكل، شديد البطش، شجاع النفس، حسن السيرة، جواداً كريماً، فصيحاً.

ولد سنة اثنتين وخمسماية وأمه أم ولد[٣].

ويقال: إنه ولد مسدوداً، فأحضروا الأطباء وفتح له مخرجاً بآلة من الذهب فنفع[٤].

نقش خاتمه: «الراشد بالله».

---

(١) مختصر التاريخ: ٢٢٤ ـ ٢٢٧، والمنتظم ١٠/٥٠ ـ ٥١، ٧٦ ـ ٧٧، والفخري: ٣٠٨، وفوات الوفيات ٤/١٦٨ ـ ١٦٩، والبداية والنهاية ١٢/٢١٣ ـ ٢١٤، والنجوم الزاهرة ٥/٢٦٣، وسير أعلام النبلاء ١٩/٥٦٨ ـ ٥٧٣، وتاريخ مختصر الدول ٢٠٤ ـ ٢٠٥، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٧٣ ـ ٢٧٥، وشذرات الذهب ٤/١٠٠ ـ ١٠١، وتاريخ الخلفاء ٤٦٧ ـ ٤٦٨، وتاريخ الخميس ٢/٣٦٢، ونهاية الأرب ٢٣/٢٧٧ ـ ٢٨٢، وعيون التواريخ ١٢/٢٩٤، ٣٠٦، وتاريخ ابن القلانسي: ٣٦٥، ٣٩٥، ٤٠٣، ٤٠٤، والجوهر الثمين ١/٢٠٤ ـ ٢٠٦، ومحاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ١/٨٦، ودول الإسلام ٢٧٤، والنزهة السنية ١١٣.

(٢) في (ب): وكان شاباً أبيضاً.

(٣) كذا وردت في (ج)؛ وفي (أ) و (ب): وأمه أم ولد اسمها، وبعدها فراغ بقدر كلمة، وفي خلاصة الذهب المسبوك: اسمها جلنار.

(٤) تاريخ الخلفاء ٤٦٧.

ومن الحوادث في أيامه: ما ذكره السيوطي[1] في «**تاريخه**» أنه ارتفع سحاب أمطر بلد الموصل ناراً أحرقت من البلد مواضع ودوراً كثيرة. وظهر ببغداد عقارب طيارة لها شوكتان وخاف الناس منها، وقد قتلت جماعة من الأطفال.

/١٤٥ب وفي ذي الحجة سنة ثلاثين وخمسماية[2]، وقع بينه وبين الملك/ مسعود السلجوقي فقصده الملك بجيوش عظيمة فخرج الراشد من بغداد وتوجه إلى السلطان زنكي بن آق سنقر بالموصل، فأقام عنده.

ودخل السلطان مسعود بغداد واستمال الرعيّة ونهب دار الخلافة، وأحضر القضاة والشهود، فقدحوا في الراشد أنه صدرت منه سيرة قبيحة من سفك الدماء المحرمة[3]، وارتكاب المنكرات وفعل ما لا يجوز فعله، وشهدوا عليه بذلك فحكم قاضي قضاة المالكية وهو ابن الكرخي بخلعه، لأربع عشرة خلت من ذي القعدة سنة ثلاثين وخمسماية.

وكان الراشد قد هرب إلى أصفهان فحاصرها وتمرض هناك فوثب عليه جماعة من الفداوية[4] فقتلوه، وله من العمر ثلاثون سنة وكانت خلافته إلى أن خلع سنة إلا أياماً.

(١) الخبر غير موجود في تاريخ الخلفاء.

(٢) في جميع النسخات: وفي ذي الحجة سنة ثلاث وخمسمائة، وصوابه ما أثبتناه.

(٣) في (أ): من الدماء المحرم.

(٤) الفداوية: جماعة من الباطنية.

الفصل الواحد والثلاثون
في ذكر خلافة المقتفي لأمر الله

اسمه محمد(١)، أبو عبد الله بن المستظهر(٢).

بويع له بالخلافة يوم خلع ابن أخيه. وسبب تلقيبه بالمقتفي، أنه رأى في منامه قبل أن يستخلف بستة أيام، رسول الله ﷺ وهو يقول له: سيصل هذا الأمر إليك، فاقتف بي(٣).

وكان آدم اللون، بوجهه أثر جدري، مليح الشيبة، عظيم الهيبة، سيداً عالماً، فاضلاً ديناً، حليماً شجاعاً فصيحاً، بيده أزمة الأمور.

كان لا يجري في مملكته أمر وإن صغر إلّا بتوقيعه.

ولد في الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة تسع وثمانين وأربعمائة.

وأمه حبشية اسمها «زهرة»(٤).

(١) مختصر التاريخ ٢٢٨ ـ ٢٣٢، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٧٥ ـ ٢٧٦، والفخري ٣١٠ ـ ٣١١، والمنتظم ٦٠/١٠ ـ ٦٢، ١٩٧، وتاريخ مختصر الدول ٢٠٥ ـ ٢١١، والروضتين في أخبار الدولتين ١٢٤/١، ومفرج الكروب ١٣١/١، والوافي بالوفيات ٩٤/٢ ـ ٩٥، والبداية والنهاية ٢٤١/١٢، وتاريخ ابن خلدون ٥٢٢/٣، والنجوم الزاهرة ٣٣٢/٥ ـ ٣٣٣، وشذرات الذهب ١٧٢/٤ ـ ١٧٤، وسير أعلام النبلاء ٣٩٩/٢٠ ـ ٤١٢، وعيون التواريخ ٣٠٧/١٢، والمختصر في أخبار البشر ٣٧/٣، ونهاية الأرب ٢٨٢/٢٣ ـ ٢٩٤، والجوهر الثمين ٢٠٧/١ ـ ٢٠٩، وتاريخ ابن القلانسي ٤٦٨ ـ ٤٦٩، ٥١٠، ٥٢٥، ٥٢٦، وتاريخ الخلفاء ٤٦٩ ـ ٤٧٤، ومحاضرة الأبرار ٨٦/١، ودول الإسلام ٢٧٦، والنزهة السنية ١١٤.

(٢) في (ب): اسمه عبد الله أبو محمد بن المستنصر.

(٣) عيون التواريخ ٣٠٧/١٢، ٣٢٩ ـ ٣٣٠.

(٤) في مختصر التاريخ: يقال لها نزهة، وتدعى ست السادة. وفي عيون التواريخ: أمه أم ولد صفراء

نقش خاتمه: «المقتفي لأمر الله»[(١)].

فلما ولي الخلافة أظهر العدل، ومهد بغداد[(٢)]. فبعث السلطان مسعود، فأخذ جميع ما في دار الخلافة من دوابٍ وأثاث وذهب وستور، ولمْ يترك في اصطبل الخلافة سوى أربعة أفراس وثمانية بغال برسم الماء، ولم يترك له إلا العقار الخاص فيقال: إنهم بايعوه بهذا الشرط[(٣)].

ومن الحوادث في أيامه ما ذكره السيوطي في «**تاريخه**»[(٤)]: أن الفرنج حاصروا دمشق في سنة ثلاث وأربعين وخمسماية فوصل إليها نور الدين محمود بن زنكي وهو صاحب حلب يومئذ، وأخوه غازي صاحب الموصل، فنصر المسلمون وهزم الفرنج، /وأخذ ما استولوا عليه من بلاد المسلمين. /١٤٦أ

وفي سنة أربع وأربعين وخمسماية[(٥)]، جاء باليمن مطر كله دم وصارت الأرض كلها مرشوشة بالدم[(٦)]، وبقي أثره في ثياب الناس.

وفيها أخذت العرب ركب العراق وتمزق الحاج وهلكوا وطلى بعض النساء أجسامهن بالطين ستراً للعورة[(٧)]، وأخذوا من أخت السلطان[(٨)] مسعود شيئاً

= اسمها نسيم، وقيل: ست السادة. وفي المنتظم ٦١/١٠ اسمها نسيم، وفي الوافي بالوفيات ٩٥/٢: وأمه أم ولد تدعى بُغية النفوس وقيل: نسيم.

(١) في مختصر التاريخ: «كن من الله على حذر تسلم».

(٢) في (ب): ومهّد الأرض وبغداد.

(٣) تاريخ الخلفاء ٤٦٩ وفيه: «اعيدت بلاد الخليفة ومعاملاته والتركات إليه»، ولعل ذلك كان تعويضاً عن غلّ يده. والخبر أيضاً في سير أعلام النبلاء ٤٠٢/٢٠ والمنتظم ٦١/١٠.

(٤) في (ب): ما ذكر السيوطي.
والخبر في تاريخ الخلفاء ٤٧٠.

(٥) الخبر في المنتظم ١٤٣/١٠ في أخبار ٥٤٥ هـ؛ وذكره السيوطي في أخبار ٥٤٥هـ أيضاً.

(٦) في (أ) و (ب): موسومة بالدم، وما أثبتناه يتفق وما ورد في المنتظم.

(٧) في (ب): ستراً لعوراتهن.

(٨) في (ب): وأخذوا من السلطان.

بماية ألف دينار[1].

وفي سنة سبع وأربعين وخمسماية مات السلطان مسعود على سريره[2].

وفي سنة تسع وأربعين وخمسماية قتل بمصر صاحبها الظاهر بالله العبيدي وأقاموا ابنه عيسى صبيّاً صغيراً وولي أمر المصريين، فكتب المقتفي[3] عهداً لنور الدين محمد بن زنكي وولاه مصر وأمره بالمسير إليها، وكان مشغولاً بحرب الفرنج، وكان تملك دمشق وعظمت ممالكه[4].

ذكر ابن الجوزي[5] «في شذور الذهب» في حوادث سنة احدى وثلاثين وخمسماية: أن أهل بغداد صاموا رمضان ثلاثين يوماً ولم يروا الهلال ليلة احدى وثلاثين مع كون السماء صاحية في أول الشهر وفي آخره[6].

وفيها ظهر بالشام سحاب أسود أظلمت له الدنيا ثم سحاب أحمر كأنه نآر أضاءت له الدنيا، ثم جاءت ريح عاصفة[7] فألقت أشجاراً كثيرة، ثم وقع مطر وسقط برد كبار[8].

وفي سنة ثلاث وثلاثين وخمسماية كان بالجزيرة[9] زلزلة عظيمة مقدار عشر

---

(١) أورد ابن الجوزي الخبر في المنتظم ١٠/١٤٢ـ١٤٣، وفيه ما يفيد أن النساء حاولن تغطية عوراتهن بالطيور.

(٢) في (ب): مات السلطان مسعود على؛ بسقوط لفظ (سريره).
وانظر تفصيلات عن مسعود بن ملك شاه في المنتظم ١٠/١٥١ في وفيات ٥٤٧ هـ .

(٣) من هنا ساقط من (ب) بمقدار سطر واحد.

(٤) المنتظم ١٠/١٥٨، وفي تاريخ الخلفاء ٤٧١ـ٤٧٢ وفيه: «ووهى أمر المصريين»، وهو الأصح.

(٥) في (ج): ذكر ابن الجزري.

(٦) المنتظم ١٠/٦٩، وعن ابن الجوزي في البداية والنهاية ١٢/٢١١ـ٢١٢.

(٧) في (ب): ريح عاصف.

(٨) البداية والنهاية ١٢/٢١٢.

(٩) في (ج): كان بالحيرة. وفي المنتظم ١٠/٧٨، كان بجنزة، وكذا في سير أعلام النبلاء ٢٠/٤٠٣، وفي تاريخ ابن القلانسي ٤١٤: زلزلة عظيمة جاءت بالجزيرة وأعمال الموصل؛ =

فراسخ في مثلها فأهلكت خلائق ثم خسف وصار مكان البلد ماءً أسود. وفيها زلزلت حلب في ليلة واحدة إحدى وثمانين[1] مرّة.

وفيها نودي للصلاة على رجل صالح فاجتمع الناس بمدرسة الشيخ عبد القادر[2]، ثم اتفق أن الرجل عطس فأفاق وحضر جنازة رجل آخر فصلّى معهم عليه[3].

وفيها كان بخراسان غلاء شديد حتى أكلوا الحشرات، وذبح إنسان رجلاً علوياً طبخه وباعه في السوق، فحين ظهر عليه قتل[4].

وفيها كانت بالشام زلازل عظيمة بدعت في شيزر وحماه والمعرة وطرابلس وأنطاكية وحلب فما سلم بشيزر سوى امرأة وخادم، وهلك بحمص عالم عظيم، انهدم في هذه الزلزلة مكتب بحماه على الصبيان فهلكوا عن آخرهم[5]، فلم
١٤٦/ب يجىء أحد/ يسأل عن ولد منهم. وتهدم أسوار أكثر مدن الشام[6]، ولم يسلم من أهل كفرطاب أحد، وتلّ حرّان انقسم نصفين، وهلك من مدائن الفرنج شيء كثير[7].

= والخبر عنده في أخبار ٥٣٢ هـ. وعند السيوطي: بحترة.
وجنزة: اسم أعظم مدينة بأرّان، وهي بين شروان وأذربيجان، وهي التي تسميها العامة كنجة، بينها وبين برذعة ستة عشر فرسخاً. (معجم البلدان ٢/١٧١، جنزة).

(١) في (أ) و (ب): أحد وثمانين مرة.
والخبر في تاريخ ابن القلانسي ٤٢٠، والكامل في التاريخ ٨/٣٦٥.

(٢) نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني.

(٣) الخبر أورده ابن الجوزي في المنتظم ١٠/٨٥ في أخبار ٥٣٤ هـ.

(٤) ورد الخبر في الكامل في التاريخ ٨/٣٦٣ في أخبار ٥٣٢ هـ.

(٥) في (ب): فماتوا عن آخرهم.

(٦) في (ب): وتهدم أسوار كثيرة بالشام.

(٧) ابن الجوزي، المنتظم ١٠/١٧٦ في أخبار ٥٥٢هـ، وجاء في شيء من التفصيل، وأورده ابن القلانسي في تاريخ دمشق ٥٢٦ ـ ٥٢٧ في أخبار ٥٥٢ هـ وبتفصيل أوفى.

وفيها جدّد الخليفة المقتفي باب الكعبة واتخذ لنفسه تابوتاً من العقيق لدفنه(١).

وفي أيامه عادت بغداد والعراق إلى يد الخلفاء ولم يبق لها منازع، لأن الحكم كان [قبل ذلك](٢) للمتغلبين من الملوك وليس للخليفة معهم إلا اسم الخلافة.

ومن سلاطين دولته: السلطان سنجر صاحب(٣) خراسان، والسلطان نور الدين بن محمود بن زنكي(٤) صاحب الشام ومصر.

وتوفي المقتفي في شهر ربيع الأول سنة خمس وخمسين وخمسماية بعلة الخوانيق، وهو ابن ست وستين سنة. وكانت خلافته ثلاثاً وعشرين سنة(٥).

---

(١) تاريخ الخلفاء ٤٧٢.

(٢) ورد الخبر بهذه الصيغة في الأصول الثلاثة، والاستدراك اقتضاه سياق الخبر، وضبطه من تاريخ الخلفاء ٤٧٣ حيث يقول السيوطي: وقبل ذلك من دولة المقتدر إلى وقته كان الحكم للمتغلبين من الملوك وليس للخليفة معهم إلاّ اسم الخلافة. والخبر نقله الصفدي في الوافي بالوفيات ٢/٩٥.

(٣) في (أ) و (ب): شيخ، وما أثبتناه من (ج) وانظر ترجمة سنجر بن ملكشاه في: المنتظم ١٠/١٧٨. وسير أعلام النبلاء ٢٠/٣٦٢.

(٤) ترجمة لنور الدين محمود في سير أعلام النبلاء ١٠/٥٣١، وأخباره كثيرة في المصادر التاريخية التي تبحث في الحروب الصليبية، ولا سيما تاريخ السلطان محمود الذي ألفه ابن قاضي شهبة بعنوان: الكواكب الدرّية في السيرة النورية.

(٥) الوافي ٢/٩٥.

الفصل الثاني والثلاثون

في ذكر خلافة المستنجد بالله

اسمه يوسف(١)، أبو المظفر(٢) بن المقتفي.

بويع له بالخلافة بعد موت أبيه.

قال ابن خلكان: رأى المستنجد في منامه في حياة والده أن ملكاً نزل من السماء فكتب له في كفه أربع خاءات، فطلب معبّراً وقص عليه ما رآه فقال: يلي الخلافة سنة خمس وخمسين وخمسماية، فكان كذلك(٣).

وكان موصوفاً بالفهم الثاقب، والرأي الصائب، والذكاء الغالب.

ولد سنة عشر وخمسماية.

وأمه أم ولد كرجية اسمها «طاووس»(٤).

---

(١) المنتظم ١٠/١٩٢ ـ ١٩٤، ٢٣٦، والكامل في التاريخ ٩/٦٨ ـ ٦٩، ١٠٨ ـ ١٠٩، ومختصر التاريخ ٢٣٣ ـ ٢٣٦، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٧٦، والروضتين ١/١٩٠، ومفرج الكروب ١/١٩٣، والفخري ٣١٦، وفوات الوفيات ٤/٣٥٨ ـ ٣٦٠، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٤١٢ ـ ٤١٨، والبداية والنهاية ١٢/٢٦٢، وتاريخ ابن خلدون ٣/٥٢٥، والنجوم الزاهرة ٥/٣٨٦، وتاريخ الخميس ٢/٣٦٣، وشذرات الذهب ٤/٢١٨ ـ ٢١٩، والجوهر الثمين ١/٢١٠ ـ ٢١١، والمختصر في أخبار البشر ٣/٤٩، ونهاية الأرب ٢٣/٢٩٤ ـ ٣٠٠، وتاريخ الخلفاء ٤٧٤ ـ ٤٧٦، وعيون التواريخ ١٢/٥٢١، ومحاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ١/٨٦ ـ ٨٧، ودول الإسلام ٢٩٠، والنزهة السنية ١١٥.

(٢) في (ب): ابن المظفر.

(٣) الخاءات ثلاث وردت في مصادر أخبار المقتفي بأمر الله.

(٤) عيون التواريخ ١٢/٥٢١، وسير أعلام النبلاء ٢٠/٤١٣، وفي تاريخ الخلفاء ٤٧٤: اسمها طلوس؛ وفي الكامل ٩/١٠٨: اسمها طاووس وقيل: نرجس، وعنه في نهاية الأرب.

نقش خاتمه: «المستنجد بالله»[١].

ذكر الشيخ محيي الدين بن العربي في «مسامرته»[٢]: أنه ولد في زمن هذا الخليفة بمرسية[٣]، في دولة السلطان أبي عبد الله محمد بن سعد بن مردنيش بالأندلس قال: كنت أسمع الخطب يوم الجمعة يخطب باسم المستنجد بالله.

وكان للمستنجد نظم بديع[٤] ونثر بليغ، ومعرفة بعمل آلات الفلك والأسطرلاب وغيره.

ومن شعره:

عيرتني بالشيب وهو وقار ليتها عيّرت بما هو عار[٥]
إن يكن شابت الذوائب مني فالليالي تزينها الأقمار

وكان موصوفاً بالعدل والرفق، أبطل المكوس[٦] كلها بحيث لم يترك بالعراق مكساً.

وكان شديداً على المفسدين، سجن رجلاً كان يسعى بالناس مدة، فحضر رجل وبذل فيه عشرة/ آلاف دينار فقال: أنا أعطيك عشرة آلاف دينار، ودلني على رجل آخر مثله لأحبسه وأكف شره[٧]. /١٤٧أ

(١) في سير أعلام النبلاء: «من أحب نفسه عمل لها»، وهو كذلك في مختصر التاريخ ٢٣٣.
(٢) محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار ١/٨٧.
(٣) مرسية: بضم أوله والسكون وكسر السين المهملة وياء مفتوحة وهاء.
وهي مدينة بالأندلس من أعمال تدمير، اختطها عبد الرحمن بن هشام بن عبد الملك، كانت قاعدة الأندلس في أيام ابن مردنيش (معجم البلدان ٥/١٠٧).
(٤) في (ب): وكان المستنجد له نظم بديع.
(٥) في (ب): ليتها عيرتني بما هو عار.
والبيتان في سير أعلام النبلاء ٢٠/٤١٣، وفي فوات الوفيات ٤/٣٦٠.
(٦) في (أ) و (ج): أطلق المكوس.
والخبر في المنتظم ١٠/١٩٣، وفي سير أعلام النبلاء ٢٠/٤١٤ وفيه: أطلق.
(٧) تاريخ الخلفاء ٤٧٤.

توفي الخليفة ثامن من ربيع الآخر[1]، سنة ست وستين وخمسماية، حبس في حمام، وهو ابن ثمان وأربعين سنة، فكانت خلافته احدى عشرة سنة وأيّاماً.

(١) في (ب): توفي الخليفة في ثامن ربيع الآخر.
والخبر في الكامل في التاريخ ١٠٨/٩.

الفصل الثالث والثلاثون
في ذكر خلافة المستضيء بأمر الله

اسمه حسن[١]، أبو محمد بن المستنجد[٢].

بويع له بالخلافة يوم مات أبوه.

وكان جواداً كريماً مؤثراً للخير، كثير الصدقات، جزيل المبرّات.

ولد سنة ست وثلاثين وخمسماية. وأمه أم ولد أرمنية اسمها «غضة»[٣].

نقش خاتمه: «المستضيء بأمر الله»[٤].

قال ابن الجوزي[٥]: لما استخلف المستضيء خلع على أرباب الدولة ألفاً وثلاثماية خلعة، ونادى برفع المكوس، ورد المظالم، وأظهر من العدل والكرم ما لم نره في أعمارنا وفرق مالاً عظيماً على الشرفاء والعلماء والفقراء. وكان دائم البذل للمال، ذا حلمٍ وأناةٍ ورأفةٍ، لكنه احتجب عن أكثر الناس فلم يركب إلا مع مماليكه ولم يدخل عليه غير قيماز من الأمراء[٦].

(١) المنتظم ١٠/٢٣٢ - ٢٣٣، والكامل في التاريخ ٩/١٠٩، ١٤٨، والبداية والنهاية ١٢/٣٠٤، ومختصر التاريخ ٢٣٧ - ٢٤١، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٧٨ - ٢٨٠، وتاريخ مختصر الدول ٢١٤ - ٢١٧، والفخري ٣١٩ - ٣٢١، وفوات الوفيات ١/٣٧٠، والوافي بالوفيات ١٢/٣٠٩ - ٣١١، ونهاية الأرب ٢٣/٣٠٠ - ٣٠٨، ومحاضرة الأبرار ١/٨٧، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٦٨ - ٧٢، والجوهر الثمين ١/٢١٢ - ٢١٣، وشذرات الذهب ٤/٢٥٠، وتاريخ الخلفاء ٤٧٦ - ٤٨٠، ودول الإسلام ٢٩٦، والنزهة السنية ١١٦.

(٢) في (ب): اسمه أبو محمد المستنجد.

(٣) مختصر التاريخ ٢٣٧.

(٤) في مختصر التاريخ: «من فكر في المآل عمل للإنتقال».

(٥) في (ج): قال ابن الجزري.

(٦) الخبر في المنتظم ١٠/٢٣٣.

وفي أيامه عادت الخطبة بمصر لبني العباس بعد انقطاعها منها مايتين وخمس عشرة سنة. وفي خلافته انقرضت دولة بني عبيد بمصر وضربت السكة باسمه[1].

ومن الحوادث في أيامه: أنه وقع برد بالسواد كالنارنج واكبر، وزنت واحدة فكانت سبعة أرطال بالبغدادي، هدم الدور[2]، وقتل جماعة وكثيراً من المواشي[3].

وزادت دجلة زيادة عظيمة بحيث غرقت بغداد وصلّيت الجمعة خارج السور وزادت الفرات أيضاً وأهلكت قرى ومزارع[4].

[ومن العجائب أن هذا الماء على هذه الصفة، ودجيل قد هلكت مزارعه بالعطش][5].

وفي سنة أربع وسبعين وخمسماية هبت ببغداد ريح شديدة نصف الليل، وظهرت أعمدة مثل النار في أطراف السماء، واستغاث الناس، وبقي الأمر على ذلك إلى السحر[6].

وفيها أمر السلطان صلاح الدين الأيوبي ببناء السور الأعظم المحيط بمصر والقاهرة وجعل على بنائه الأمير بهاء الدين قراقوش[7]. قال ابن الأثير[8]: كان

(١) في (ب): بعد انقطاعها منها خمسة عشر سنة.
والخبر في المنتظم ٢٣٧/١٠، والكامل في التاريخ ١١١/٩.
(٢) في (ب): فهدم الدور.
(٣) المنتظم ٢٤٤/١٠.
(٤) المنتظم ٢٤٥/١٠ - ٢٤٧.
(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من (أ) و (ب).
والخبر في المنتظم ٢٤٧/١٠.
(٦) المنتظم ٢٨٧/١٠.
(٧) تاريخ الخلفاء ٤٧٩.
(٨) الكامل في التاريخ ١٣٩/٩؛ وقد ورد في أخبار ٥٧٢هـ.

دور/ السور تسعة وعشرين ألف ذراع وثلاثماية ذراع[1] بالهاشمي . /١٤٧ب

وفيها أمر بانشاء قلعة بالجبل المقطم وهي التي صارت دار السلطنة ولم تتم إلا في أيام السلطان الملك الكامل وهو أول من سكنها[2] .

وفيها بنى السلطان صلاح الدين تربة الإمام الشافعي رحمه الله[3] .

وتوفي المستضيء في سنة خمس وسبعين وخمسماية ، وكانت خلافته تسع سنين ونصفاً ؛ عاش تسعاً وعشرين سنة .

---

(١) في (ب) : وثلاثماية ذراعاً .

(٢) تاريخ الخلفاء ٤٧٩ ـ ٤٨٠ .

(٣) الكامل في التاريخ ١٤١/٩ ، أخبار ٥٧٢هـ .

الفصل الرابع والثلاثون

في ذكر خلافة الناصر لدين الله

اسمه أحمد أبو العباس بن المستضيء[1].

بويع له بالخلافة يوم وفاة أبيه، وعمره ثلاث وعشرون سنة.

وكان أبيض تركي الوجه، أقنى الأنف، مليحاً، خفيف العارضين، أشقر اللحية، رقيق المحاسن، فيه شهامة وإقدام، وله عقل ودهاء وفطنة[2].

ولد يوم الإثنين عاشر رجب سنة ثلاث وخمسين وخمسماية.

وأمه تركية اسمها «زمرد»[3].

نقش خاتمه: «الناصر لدين الله»[4].

---

(١) مختصر التاريخ ٢٤٢ ـ ٢٥٣، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٨٠ ـ ٢٨٤، والفخري ٣٢٢ ـ ٣٢٨، والمختصر في أخبار البشر ٣/٦٢، ١٣٥ ـ ١٣٦، وتاريخ مختصر الدول ٢١٧ ـ ٢٤٢، وفوات الوفيات ١/٦٢ ـ ٦٨، والوافي بالوفيات ٦/٣١٠ ـ ٣١٦، والكامل في التاريخ ٩/١٤٨ ـ ١٤٩، ٣٦٠ ـ ٣٦١، والبداية والنهاية ١٣/١٠٦ ـ ١٠٧، وتاريخ الخلفاء ٤٨٠ ـ ٤٩٠، ونهاية الأرب ٢٣/٣٠٨ ـ ٣١٨، والنجوم الزاهرة ٦/٢٦١ ـ ٢٦٢، وشذرات الذهب ٥/٩٧ ـ ٩٩، وسير أعلام النبلاء ٢٢/١٩٢ ـ ٢٤٣، والجوهر الثمين ١/٢١٤ ـ ٢١٥، والعقد الثمين ٣/٣٠، ومختصر ابن الدبيثي، ذيل تاريخ بغداد ١/١٠٢، ومفرج الكروب ٤/١٦٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ ـ ٦٣٠هـ): ٧٥ ـ ٨٦، والذيل على الروضتين ١٤٥، والتكملة لوفيات النقلة ٣/١٦٠ ـ ١٦١، الترجمة ٢٠٧٠، ودول الإسلام ٣٠٤، والنزهة السنية ١٧/١، والمختار من تاريخ ابن الجزري ١٢١ ـ ١٢٣.

(٢) اقتباس من تاريخ الإسلام، وانظر أيضاً: سير أعلام النبلاء ٢٢/١٩٣، والوافي بالوفيات ٦/٣١٠ ـ ٣١١.

(٣) الكامل في التاريخ ٩/٣٦١، ومختصر التاريخ ٢٤٢.

(٤) في تاريخ الإسلام: ٧٦، وفي سير أعلام النبلاء ٢٢ /١٩٣: «رجائي من الله عفوه»، وهو أيضاً في الوافي ٦/٣١١ وفي مختصر التاريخ ٢٣٨.

فلما ولي الخلافة بسط العدل وأمر بإراقة الخمور وكسر الملاهي وإزالة المكوس، فعمرت البلاد وكثرت الأرزاق وقصدت الناس بغداد وتبركوا به[1]

وكان في أكثر الليل يشق الدروب والأسواق بنفسه[2].

وهو أطول بني العباس خلافة[3].

وكان له عيون عند كل سلطان يأتونه بالأخبار، ولذلك كان يعتقد فيه بعض الناس أن له كشفاً واطلاعاً على المغيبات[4].

ولم يزل في مدة حياته في عز وجلالة، وقمع الأعداء ولا خرج عليه خارجي إلّا قمعه، ولا مخالف إلّا دمغه[5].

وكانت له حيل لطيفة ومكائد غامضة، وخدع لا يفطن لها أحد. يوقع الصداقة بين ملوك متعادين وهم لا يشعرون، ويوقع العداوة بين ملوك متفقين وهم لا يفطنون[6].

قيل: إن الناصر كان مخدوماً من الجن[7].

وكان الملوك والأكابر بمصر والشام إذا جرى ذكره في خلواتهم خفضوا أصواتهم هيبة وإجلالاً له[8]. كانت أيامه غرّة في وجه الدهر ودرة في تاج الفخر[9].

(١) في (ب): وتبركوا به.
ويذكر ابن الأثير في الكامل ٣٦١/٩ عكس ذلك، فيقول: وكان سيىء السيرة، خرب العراق في أيامه، وتفرق أهله في البلاد، وأخذ أموالهم وأملاكهم.
(٢) سير أعلام النبلاء ١٩٤/٢٢، والوافي بالوفيات: ٣١١/٦.
(٣) سير أعلام النبلاء ١٩٣/٢٢، والكامل ٣٦١/٩.
(٤) سير أعلام النبلاء ١٩٥/٢٢، والوافي ٣١٢/٦-٣١٣.
(٥) الوافي بالوفيات ٣١٢/٦، وسير أعلام النبلاء ١٩٥/٢٢.
(٦) الوافي بالوفيات ٣١٢/٦، وسير علام النبلاء ١٩٥/٢٢.
(٧) وهذا الظن من الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٩٦/٢٢، وتاريخ الإسلام ٧٩.
(٨) سير أعلام النبلاء ١٩٨/٢٢، وتاريخ الإسلام.
(٩) سير أعلام النبلاء ١٩٩/٢٢، وتاريخ الإسلام.

وكان يتشيّع ويميل إلى مذهب الإمامية بخلاف آبائه، حتى أن ابن/
١٤٨/أ الجوزي سئل بحضرته من أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: «أفضلهم بعده[١] من كانت بنته تحته»، ولم يقدر أن يصرح بتفضيل أبي بكر[٢] رضي الله عنه.

ومن الحوادث في أيامه أنه اجتمعت الكواكب الستة في الميزان فحكم المنجمون بخراب العالم في جميع البلاد بطوفان الريح، فشرع الناس في حفر مغارات في التخوم وتوثيقها وسد منافسها على الريح، ونقلوا إليها الماء والزاد وانتقلوا إليها[٣]. وانتظرو الليلة التي وعدوا فيها بريح كريح عاد وهي الليلة التاسعة من جمادى الآخرة فلم يأت بها شيء ولا هبت[٤] فيها نسيم، بحيث أوقدت الشموع فلم يتحرك منها ريح تطفيها[٥]، فعملت الشعراء في ذلك. ومما قيل[٦] قول أبي الغنائم محمد بن المعلم:

قل لأبي الفضل قول معترف — مضى جمادى وجاءنا رجب
وما جرت زعزع كما حكموا — ولا بدا كوكب له ذنبُ
كلا ولا أظلمت ذكاء ولا — بدت إذاً في قرانها الشهبُ[٧]

---

(١) في (ب): فقال أفضلهم من كانت...
والخبر في سير أعلام النبلاء ٢٢/٢٠٠، وتاريخ الإسلام.
ويعلق الذهبي في سير أعلام النبلاء على هذا الخبر: وهذا جواب جيد يصدق على أبي بكر وعلى علي.
والواقع أن السائل كان يرمي إلى احراج ابن الجوزي، فكان جوابه من حسن التخلص.
(٢) في (ب): أبا بكر.
(٣) في (ب): وانتقلوا، بسقوط: إليها.
(٤) في (ب): ولا هب بها نسيم.
(٥) تاريخ الخلفاء ٤٨٥، والخبر بصورة مختصرة في سير أعلام النبلاء ٢٢/٢٠٦.
(٦) في (ب): فما قيل.
والأبيات في تاريخ الخلفاء ٤٨٥.
(٧) رواية عجز البيت الثالث في (ب): أبدت إذاً في قرانها الشهبُ.

يقضي عليها من ليس يعلم ما ... يقضي عليه هذا هو العجبُ
قد بان كذب المنجمين وفي ... أيّ مقال قالوا وما كذبوا؟

وفي سنة ثلاث وثمانين وخمسماية اتفق أن أول يوم من السنة كان أول أيام الأسبوع وأول السنة الشمسية وأول سني العربية، والشمس والقمر في برج واحد[1]، وكان ذلك من الاتفاقات العجيبة.

وفيها فتح السلطان صلاح الدين بيت المقدس وكثيراً من البلاد الشامية التي كانت بيد الإفرنج فجزاه الله عن الإسلام خيراً[2].

ومن الغرائب: ان ابن برجان ذكر في تفسير ﴿الٓمٓ غلبت الروم﴾[3] أن بيت المقدس يبقى في يد الروم إلى سنة ثلاث وثمانين وخمسماية ثم يغلبون وتفتح وتصير دار الإسلام إلى آخر الوقت، أخذاً من حساب الآية، فكان كذلك. وقد مات ابن برجان قبل ذلك بدهر[4]. /

وفيها هبت ريح سوداء بمكة عمت الدنيا ووقع على الناس رمل[5] أحمر، / ١٤٨ب
ووقع من الركن اليماني قطعة.

وفي سنة ثلاث وتسعين وخمسماية انقض كوكب عظيم سمع لانقضاضه

(١) في (أ) و (ب): والشمس والقمر في البرج، وما أثبتناه من (ج)، وفي تاريخ الخلفاء ٤٨٥: في أول البروج.

(٢) في (ج): فجزاه الله من الإسلام خيراً.
والخبر في تاريخ الخلفاء ٤٨٥ ـ ٤٨٦، وفي سير أعلام النبلاء ٢٢/٢٠٧ ـ ٢٠٨ تفصيل، ونقل عن العماد الأصفهاني قوله: فتحت ست مدائن في ست جُمع: جبلة واللاذقية وصهيون والشغر وبكاس وسُرمانية، ثم أخذ حصن برزية بالأمان. ثم رحل صلاح الدين أيده الله إلى دربساك، فتسلمها، ثم إلى بغراس فتسلمها، وهادن صاحب أنطاكية، ودام الحصار على الكرك فسلموها لجوعهم، ثم أعطوا الشوبك بالأمان، ثم نازل السلطان صفد.

(٣) سورة الروم، الآيتان: ١ و ٢.

(٤) تاريخ الخلفاء ٤٨٦: وذكر السيوطي أن وفاة ابن برجان كانت في سنة ٥٣٦هـ.

(٥) في (ب): ووقع على الباب.
والخبر في تاريخ الخلفاء ٤٨٧، أخبار سنة ٥٩٢ هـ.

صوت هائل واهتزت الدور والأماكن، فاستغاث الناس وظنوا ذلك من إمارات القيامة (١).

وفي سنة ست وتسعين وخمسماية توقف النيل بمصر بحيث (٢) كسر ولم يكمل ثلاثة عشر ذراعاً، فكان الغلاء المفرط بحيث أكلوا الجيف والآدميين، وفشى أكل بني آدم واشتهر، ورؤي من ذلك العجب العجاب، وتعدوا إلى حفر القبور وأكل الموتى (٣)، وقد تمزق أهل مصر كل ممزق وكثر الموت من الجوع، بحيث كان الماشي لا يقع قدمه وبصره إلا على ميت أو من (٤) هو في السياق. وهلك أهل القرى قاطبة، بحيث أن المسافر يمر بالقرية فلا يرى فيها نافخ نار، ويجد البيوت مفتحة، وأهلها موتى. وقد حكى الذهبي (٥) في ذلك حكايات يقشعرّ الجلد من سماعها (٦)، قال: وصارت الطرق مزروعة بالموتى، وبيعت الأحرار والأولاد، واستمر ذلك سنين (٧).

وفي سنة سبع وتسعين وخمسماية جاءت زلزلة كبرى بمصر والشام والجزيرة فأخربت أماكن كثيرة وقلاعاً وخسفت قرية من أعمال بصرى (٨).

وفي سنة تسع وتسعين وخمسماية في سلخ المحرم ماجت النجوم وتطاير الجراد، ودام ذلك إلى الفجر وانزعج الخلق ولجأوا إلى الله تعالى؛ ولم يظهر

---

(١) ابن الأثير، الكامل ٢٢٩/٩ أخبار ٥٨٩ هـ، وتاريخ الخلفاء ٤٨٧.

(٢) في (ب): حبث كسر.

(٣) في (ب): وأكلوا الموتى.

(٤) في (ب): ومن هو في السياق.

(٥) في (أ): وحكى الذهبي. وفي (ب): وقال الذهبي؛ وما أثبتناه من (ج) وهو متفق مع النص الحرفي للخبر في تاريخ الخلفاء ٤٨٧.

(٦) في (ب): تقشعرّ الجلود.

(٧) الخبر في سير أعلام النبلاء ٢١٩/٢٢ - ٢٢١، وهو بدوره نقله عن الموفق عبد اللطيف، وذيل الروضتين ١٩ - ٢٠، وابن الجزري ٧٤ - ٧٥، وتاريخ الإسلام.

(٨) سير أعلام النبلاء ٢٢٠/٢٢، وتاريخ الخلفاء ٤٨٨.

[مثل][1] ذلك إلا عند ظهور رسول الله ﷺ[2].

وفي سنة ستماية هجم الفرنج إلى النيل من رشيد ودخلوا بلد فـوّة[3]، فنهبوها واستباحوها ورجعوا[4].

وفي سنة احدى وستماية تغلبت الفرنج على القسطنطينية وأخرجوا الروم منها، وكانت بأيدي الروم من قبل الإسلام واستمرت بيد الفرنج إلى سنة ستين وستماية، فاستعادها منهم الروم[5].

قال شمس الدين الجـزري[6]: «كان الماء الذي يشربه الناصر تأتي به الدواب من فوق بغداد بسبعة فراسخ ويغلى سبع غلوات كل يوم غلوة ثم يحبس في الأوعية/ سبعة أيام ثم يشرب منه، وبعد هذا ما مات حتى يسقي المُرقد مرات، وشق ذكره. وأخرج منه الحصى»[7]. /١٤٩أ

ومات منه يوم الأحد سلخ رمضان سنة اثنتين وعشرين وستماية وهو ابن سبعين سنـة[8] وحمل على أعناق الرجال إلى البدرية ودفن فيهـا[9] فكانت خلافته سبعاً وأربعين سنة [والله أعلم][10].

---

(١) في (أ): ولم يظهر ذلك إلاّ عند ظهور رسول الله ﷺ، وفي (ب): وألحوا على الله عزّ وجل.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٢/٢٢٢، والمختار من تاريخ ابن الجزري ٨٨.

(٣) في (ج): ودخلوا البلد فوة.
وفوّة، بالضم ثم التشديد، بليدة على شاطىء النيل من نواحي مصر قرب رشيد، بينها وبين البحر نحو خمسة أو ستة فراسخ، وهي ذات أسواق ونخل كثير. معجم البلدان ٤/٢٨٠ (فوة).

(٤) سير أعلام النبلاء ٢٢/٢٢٢، وتاريخ الخلفاء ٤٨٨، وابن الجزري ٨٨.

(٥) تاريخ الخلفاء ٤٨٨.

(٦) في (أ): شمس الدين الجوزي، وفي (ب): شمس الدين ابن الجوزي. وما أثبتناه من (ج)، وقد اقتبس المؤلف من كتابه «حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان» والذي نشر بعنوان: المختار من تاريخ ابن الجزري.

(٧) سير أعلام النبلاء ٢٢/٢٠١، وابن الجزري ١٢٢، وتاريخ الإسلام (وفيات ٦٢٢هـ).

(٨) في (أ) و (ب): وهو ابن خمسين سنة، وهو خطأ، وما أثبتناه من (ج).

(٩) في (ب): ومات بها.

(١٠) زيادة من (ب).

الفصل الخامس والثلاثون
في ذكر خلافة الظاهر بأمر الله

اسمه محمد أبو نصر بن الناصر(١).

بويع له بالخلافة عند موت أبيه وهو ابن اثنتين وخمسين سنة.

وكان جميلاً حسن الهيئة محسناً للرعية، أبطل المكوس وأزال المظالم(٢).

ولد سنة إحدى وسبعين وخمسماية. وأمه أم ولد اسمها «أسماء»(٣).

نقش خاتمه: «الظاهر بأمر الله»(٤).

قال ابن الأثير في «الكامل»: لما ولي الظاهر أظهر من العدل والإحسان ما أعاد به سنة العمرين فلو قيل ما ولي الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز مثله لكان القائل صادقاً، فإنه أعاد من الأموال المغصوبة والأملاك المأخوذة في أيام أبيه وأمر بجباية الخراج على الرسم القديم في جميع العراق وبإسقاط جميع ما جدّده أبوه،

(١) الكامل في التاريخ ٩/٣٦١ ـ ٣٦٣، ٣٦٨ ـ ٣٦٩، ومختصر التاريخ ٢٥٤ ـ ٢٥٧، والوافي بالوفيات ٢/٩٥ ـ ٩٧، والبداية والنهاية ١٣/١١٢ ـ ١١٣، والسلوك لمعرفة دول الملوك ١/١/٢٢٠ ـ ٢٢١، والنجوم الزاهرة ٦/٢٦٥، وشذرات الذهب ٥/١٠٩ ـ ١١٠، والمختصر في أخبار البشر ٣/١٣٦، وتاريخ مختصر الدول ٢٤٢ ـ ٢٤٣، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٨٤ ـ ٢٨٥، ونهاية الأرب ٣١٨ ـ ٣٢١، وسير أعلام النبلاء ٢٢/٢٦٤ ـ ٢٦٨، وتاريخ الخلفاء ٤٩٠ ـ ٤٩٣، والجوهر الثمين ١/٢١٦ ـ ٢١٧، والفخري ٣٢٩، وذيل الروضتين لأبي شامة ١٤٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ ـ ٦٣٠): ١٤٩ ـ ١٥٢، وابن الجزري ١٢٣، ١٣١، والنزهة السنية ١١٨، ودول الإسلام ٣٣٤.

(٢) في تاريخ الخلفاء ٤٩١ نقلاً عن أبي شامة، ويذكر ذلك أبو شامة في ترجمة أبيه في الذيل: ١٤٥.

(٣) اسمها: في (أ) فراغ بمقدار كلمة؛ وفي مختصر التاريخ: اسمها أخشو، وفي خلاصة الذهب المسبوك: اسمها بقجة.

(٤) في مختصر التاريخ: ٢٥٥، نقش خاتمه «راقب العواقب».

وكان ذلك شيئاً كثيراً لا يحصى، وأطلق المسجونين وأرسل إلى القاضي عشرة آلاف دينار ليوفيها[1] عمن أعسر. وفرق ليلة عيد النحر على العلماء والصلحاء ماية ألف دينار فقيل له: هذا الذي تخرجه من الأموال لا تسمح نفس به ولا ببعضه! فقال: أنا رجل[2] فتحت الدكان بعد العصر، فاتركوني أفعل الخير[3]، فكم بقيت أعيش[4]؟

توفي رحمه الله في ثالث عشر رجب، سنة ثلاث وعشرين وستماية. قيل: إن حاجبه قتله؛ فكانت خلافته تسعة أشهر وأياماً.

(١) في (أ) و (ب): ليغرقها. وما أثبتناه من (ج)، وهو متفق مع ما ورد في الوافي بالوفيات. أما لفظ ابن الأثير: وأرسل إلى القاضي عشرة آلاف دينار ليعطيها عن كل من هو محبوس في حبس الشرع وليس له مال.

(٢) في (ب): فقال رجل، بسقوط لفظ (أنا).

(٣) في (ب): فاتركوني، بسقوط (أفعل الخير).
ويقصد: انه ولي الخلافة كبيراً.

(٤) الكامل في التاريخ ٣٦٢/٩-٣٦٣.

الفصل السادس والثلاثون[1]

في ذكر خلافة المستنصر بالله

اسمه منصور[2]، أبو جعفر بن الظاهر[3].

بويع له بالخلافة بعد موت أبيه.

وكان أشقر ضخماً قصيراً، وخطه الشيب، وخضب بالحناء ثم تركه، أزج الحاجبين، أدعج العينين، سهل الخدين أقنى [الأنف][4] رحب الصدر[5].

ولد في صفر سنة ثمان[6] وثمانين وخمسماية.

وأمه جارية تركية اسمها: «زهرة»[7].

(١) في (أ): الفصل السابع والثلاثون.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢٣/١٥٥ ـ ١٦٨، والمختصر في أخبار البشر ٣/١٧٩، والبداية والنهاية ١٣/١٥٩ ـ ١٦٠، والسلوك ١/١/٢١١ ـ ٣١٢، والنجوم الزاهرة ٦/٣٤٥ ـ ٣٤٦، وشذرات الذهب ٥/٢٠٩، وفوات الوفيات ٤/١٧٣، ومختصر التاريخ ٢٥٨ ـ ٢٦٥، وخلاصة الذهب المسبوك ٢٨٥ ـ ٢٨٩، وتاريخ مختصر الدول ٢٤٣ ـ ٢٥٤، والفخري ٣٣٠ ـ ٣٣٢، ونهاية الأرب ٢٣/٣٢١ وما بعدها، والبداية والنهاية ١٣/١٥٩ ـ ١٦٠، وتاريخ الخلفاء ٤٩٣ ـ ٤٩٦، والجوهر الثمين ١/٢١٨ ـ ٢١٩، والكامل في التاريخ ٩/٣٦٩، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٣١ ـ ٦٤٠) ٤٢٧ ـ ٤٣١، والتكملة لوفيات النقلة رقم (٣٠٩٥): ٣/٦٠٧، ودول الإسلام ٣٣٦، ٣٤٩، والنزهة السنية ١١٩، وابن الجزري ١٣٤، ١٨٣.

(٣) في (ب): أبو جعفر الظاهر.

(٤) ما بين الحاصرتين من (ج).

(٥) سير أعلام النبلاء ٢٣/١٥٧.

(٦) في (ب): سنة ستة وثمانين.

(٧) في مختصر التاريخ: اسمها شيرين.

نقش خاتمه: «المستنصر بالله»(١).

قال ابن النجّار: لماولي الخلافة نشر العدل في الرعايا وبذل الإنصاف في القضايا وقرب أهل العلم والدين وبنى المساجد / والأربطة وعمّر الطرق وجمع الجيوش لنصرة الإسلام وحفظ الثغور، وافتتح الحصون(٢). ١٤٩/ب

واجتمعت القلوب على محبته والألسن على مدحه.

وبنى على دجلة من الجانب الشرقي مدرسة ما بُنيَ على وجه الأرض أحسن منها ولا أكثر وقوفاً، وهي بأربعة مدرسين على المذاهب الأربعة، وعمل فيها بيمارستاناً، ورتّب فيها مطبخاً للفقهاء ومزملة للماء البارد(٣).

واستخدم عساكر عظيمة(٤). وكان ذا همة عالية وشجاعة وإقدام عظيم. قصدت التّتار البلاد فلقيهم فهزم التّتار هزيمة عظيمة(٥).

توفي رحمه الله يوم الجمعة عاشر جمادى الآخرة سنة أربعين وستماية، وله من العمر اثنتان وخمسون سنة فكانت خلافته سبع عشرة سنة(٦).

---

(١) في مختصر التاريخ: «العفو بك أولى»، وفي المنتخب من تاريخ ابن الجزري ١٤٦: «الله القاهر».

(٢) نقله الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٣/١٥٦ ـ ١٥٧ وفي تاريخ الإسلام ٤٢٧، وما قاله السيوطي في تاريخ الخلفاء ٤٩٣ متطابق حرفياً مع ما ورد أعلاه.

(٣) ابن الجزرى ١٨٣.

(٤) تاريخ الخلفاء ٤٩٤، والجوهر الثمين ١/٢١٩، واقتبسه الذهبي في تاريخ الإسلام (٤٢٨) عن ابن واصل.

(٥) في (ب): وهزمهم هزيمة عظيمة.
والخبر في تاريخ الخلفاء ٤٩٤، مقتبس عن تاريخ الإسلام: ٤٢٨.

(٦) في (ب): وله من العمر اثنتين وخمسون سنة، فكانت خلافته سبع عشر سنة.

الفصل السابع والثلاثون

في ذكر دولة المستعصم بالله

اسمه عبد الله، أبو أحمد بن المستنصر(١).

بويع له بالخلافة يوم موت أبيه، وهو آخر الخلفاء العباسية بالعراق.

وكان كريماً حليماً، سليم الباطن، قليل الرأي، مبغضاً للبدعة، متمسكاً بالسنة(٢).

ولد سنة تسع وستماية، وأمه أم ولد اسمها «هاجر»(٣).

نقش خاتمه: «المستعصم بالله»(٤).

فلما ولي الخلافة ركن إلى وزيره مؤيد الدين العلقمي الرافضي(٥) من سوء

(١) مختصر التاريخ ٢٦٦ ـ ٢٨٠، خلاصة الذهب المسبوك ٢٨٩ ـ ٢١٩، وفوات الوفيات ٢/ ٢٣٠ ـ ٢٣٥، والوافي بالوفيات ١٧/ ٦٤١ ـ ٦٤٣، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٥٦٣، والعقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ٥/ ٢٩٠، والنجوم الزاهرة ٧/ ٤٦٣، وشذرات الذهب ٥/ ٢٧٠ ـ ٢٧٢، وتاريخ مختصر الدول ٢٥٤ ـ ٢٧٥، وتاريخ الخلفاء ٤٩٧ ـ ٥٠٧، والبداية والنهاية ١٣/ ١٩٠ ـ ١٩١، ٢٠٤ ـ ٢٠٦، والمختصر في أخبار البشر ٣/ ١٩٣ ـ ١٩٥، ونهاية الأرب ٢٣/ ٣٢٢ ـ ٣٢٥، وعيون التواريخ ٢٠/ ١٤٢ ـ ١٤٣، والجوهر الثمين ١/ ٢٢٠ ـ ٢٢٤، والفخري ٣٣٣ ـ ٣٣٩، والسلوك للمقريزي ١/ ٢/ ٤٠٩ ـ ٤١٢، ودول الإسلام ٣٥٠، والنزهة السنية ١٢٠، والمنتخب من تاريخ ابن الجزري ٢٤٤.

(٢) تاريخ الخلفاء ٤٩٧.

(٣) مختصر التاريخ ٢٦٦.

(٤) في مختصر التاريخ: «اعتصمت بالله».

(٥) مؤيد الدين، أبو طالب محمد بن أحمد بن العلقمي: هو أسديّ، أصلهم من النيل، وقيل لجده: العلقمي، لأنه حفر النهر المسمى بالعلقمي. اشتغل بصباه بالأدب ففاق فيه، وكان محباً للرياسة، خبيراً بقوانينها وبأدوات السياسة، وصنف الناس له الكتب، ومنهم ابن أبي الحديد، =

تدبيره، واشتغل بلعب الحمام، وما لا يليق. ولعب الوزير بالخليفة كيفما أراد، وباطن التتار وناصحهم، وأطمعهم في المجيء إلى العراق، وأخذ بغداد وقطع الدولة العباسية، ليقيم خليفة من آل عليّ. وصار إذا جاءه خبر من التّتار كتمه عن الخليفة، ويطالع التّتار بأخبار الخليفة(١).

ثم إن الوزير كاتب التتار وأطمعهم في البلاد وسهل عليهم ذلك، وطلب أن يكون نائبهم فوعدوه بذلك، وتأهبوا لقصد بغداد والخليفة تائه في لذاته. وكان خلياً من الرأي والتدبير وأشار عليه الوزير بقطع أكثر الجند، وأن مصانعة التتار وإكرامهم يحصل بها المقصود، ففعل ذلك(٢).

قال ابن الأثير في «**الكامل**»(٣): حادثة التتار من الحوادث العظمى والمصائب الكبرى التي (٤) عقمت الدهور عن مثلها عمت الخلائق، فلو قال قائل: إن العالم منذ خلقه الله تعالى إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً. فهذه الحادثة التي استطار شررها وعم ضررها فهم قوم/ لا يحصون عدداً ولا يحتاجون إلى ميرة ١٥٠/أ
ومدد يأتيهم(٥)، فإن معهم الأغنام والبقر والخيل يأكلون لحومها لا غير.

وأما خيلهم فإنها تحفر الأرض بحوافرها، تأكل عروق النبات ولا تعرف الشعير.

وأما ديانتهم، فإنهم يسجدون للشمس عند طلوعها ولا يحرّمون شيئاً، ويأكلون جميع الدواب وبني آدم، ولا يعرفون نكاحاً، بل المرأة يأتيها غير واحد.

ولما دخلت(٦) سنة ست وخمسين وستماية وصل التتار إلى بغداد

= الذي صنف له «شرح نهج البلاغة». نفى عنه ابن طباطبا أنه خامر على الخليفة ٦٥٦ هـ. انظر: الفخري في الآداب السلطانية ٣٣٧ ـ ٣٣٩.

(١) الجوهر الثمين ٢٢٢/١.

(٢) الجوهر الثمين ٢٢٢/١.

(٣) الكامل في التاريخ ٣٢٨/٩ ـ ٣٣٠، أحداث ٦١٧ هـ.

(٤) في (ب): الذي عقمت.

(٥) في (ب): ومددها.

(٦) في (ب): فلما دخلت.

ومقدمهم هلاكو، فخرج إليهم عسكر الخليفة فهزموهم ودخلوا بغداد يوم عاشوراء، فأشار الوزير خذله الله، على الخليفة بمصالحتهم[١]، وقال: أخرج إليهم وأنا أصلح بينك وبينهم، وبلغني أن ملك التتار قد رغب في أن يزوج ابنته بابنك الأمير أبي بكر، ويبقيك في منصب الخلافة، كما كان أجدادك مع السلاطين السلجوقية، وينصرف عنك بجيوشه. فليجب مولانا إلى هذا، فإن فيه حقن دماء المسلمين، ويمكن بعد ذلك أن تفعل ما تريد، والرأي عندي أن تخرج إليهم.

فتعمّم وتزيّن وأخذ بردة النبي ﷺ على كتفيه والقضيب بيده فخرج مستقبلاً إليه في جمع من العلماء والفضلاء[٢] والأعيان. فلما اجتمع الخليفة[٣] بكبير التتار، أنزل في خيمة وحده، ثم خرج الوزير واستدعى العلماء[٤] والفقهاء ليحضروا العقد، فكلما حضرت طائفة ضربت أعناقهم، وصار كذلك يخرج طائفة بعد طائفة فتضرب أعناقهم[٥]، حتى قتل جميع من هناك.

ثم مد الجسر وبذل السيف في بغداد واستمر القتل فيها نحو أربعين يوماً، فبلغ القتلى أكثر من ألفي ألف وثلاثماية ألف نسمة، ولم يسلم إلا من اختفى في بئر أو قناة[٦].

(١) في (ب): فأشار الوزير، خذله الله بمصالحتهم، بسقوط (على الخليفة).
(٢) (والفضلاء): في (أ) وحدها.
(٣) في (ب) و (ج): فلما اجتمع بكبير التتار، بسقوط لفظة (الخليفة).
(٤) في (ج): واستدعى العلماء.
(٥) بعدها في (ب): وصار كذلك حتى قتل جميع من هناك.
(٦) الخبر إلى هنا متوافق مع ما ورد في تاريخ الخلفاء ٥٠٣ ـ ٥٠٤ وفيه اختلاف: ان عدد الضحايا في بغداد بلغ أكثر من ألفي ألف نسمة.
وهنا يختلف المؤرخون في عدد الضحايا، ولا شك أن فيه مبالغات، فلم يكن عدد سكان بغداد في العام ٦٥٦ هـ يبلغ المليوني نسمة، بعد أن كانت العاصمة قد منيت بكثير من أعمال العنف في الداخل، ولحق بها الكثير من المجاعات والأوبئة، ناهيك عن الهجرة العكسية إلى الأمصار الأخرى.

وأما الخليفة فأمر أن يجوّع إلى أن بلغ منه الجوع مبلغاً عظيماً فسأل أن يطعم شيئاً، فأرسل هلاكو له طبقاً فيه ذهب وطبقاً فيه فضة وطبقاً فيه جوهر وقيل له: كل هذا، فقال: هذا ما يؤكل. فقال: إذا كنت تعلم أنه ما يؤكل[1] لم ادخرته؟ كنت صانعتنا ببعضه أو استخدمت به جيشاً لقيتنا به. ثم أمر به[2] فأخذ البردة والقضيب فوضعهما في طبق نحاس فأحرقهما وذرى رمادهما في دجلة كما مر[3]، وأخذ/ الخليفة وولده فوضعهما في جولقين وأمر برفعهما، وقيل ضربا بالمرازب وبمداق الجص[4] إلى أن ماتا، وكان ذلك في نهار الأربعاء رابع عشر صفر سنة تسع وخمسين وستماية[5]، وعفى قبرهما. /١٥٠ب

وكان عمر الخليفة ستاً وأربعين سنة[6] وأربعة أشهر، ومدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وأياماً. وقتل بقية أولاده وأسرت بناته، ومن بيت الخلافة

= ولا بد من الإشارة إلى أن المغول لم يدخلوا بغداد دون مقاومة. فقد ذكر المؤرخون لقاء بين جيش الخليفة وجيش هولاكو، على بعد مرحلتين من بغداد، اقتتل فيه الطرفان اقتتالاً شديداً، فانسحب البغداديون على أثره إلى الجانب الشرقي، ونزل التتار في الجانب الغربي وحاصروا الخليفة وجيشه والسكان الذين انتقلوا إلى الجانب الغربي. ويشير ابن شاكر الكتبي في عيون التواريخ، أحداث ٦٥٦هـ، إلى أن الجيش العباسي تقاعس عن القتال، بعد أن كان قد منعت عنه رواتبه، وأعطي من السلاح ما كان منع منه، هذا إلى أن بغداد كانت قد شهدت فتنة مذهبية قبيل هجوم التتار. وصوّر المجد النشابي الوضع العسكري والإداري المتردي في بغداد في العام ٦٥٥ هـ في قصيدة ذكر منها الكتبي أبياتاً، نرى فيها اهتراء الوضع الداخلي في بغداد، الذي لم يكن مؤهلاً للقاء جحافل التتار المظفرة.

(١) في (ب): لا يؤكل.

(٢) في (ب): ثم أمر.

(٣) لم يسبق الحديث عن البردة والقضيب، ولعله ينقل عن مصدر سبق له أن ذكر خبرهما.

(٤) في (ب): وبمدقات الجص.

(٥) هنا وهم من الناسخ، فالمعروف أن ذلك تم في سنة ٦٥٦هـ.

(٦) في (ج): خمسين سنة، وما أثبتناه يتفق وما أثبته المؤرخون من سن الخليفة المستعصم يوم وفاته. وفي (ب): وكان عمر الخليفة ستاً وأربعين سنة وثمانية أشهر وأياماً، بسقوط (وأربعة أشهر. ومدة خلافته خمس عشرة سنة).

والأكابر ما يقارب ألف بكر، فكـانت[1] خاتمة الدولة العباسية بالعراق، وزال ملكهم في هذه السنة.

فجملة أيامهم بالعراق كما ذكر خمسماية سنة وأربع وعشرون سنـة[2] [وفيهم قيل][3]:

خلت المنابـر والأسـرة منهم فعليهم حتى الممـات سـلام

قال الذهبي: وما أظن أن الخليفة دفن[4].

وكانت بلية عظيمة لم يصب الإسـلام[5] بمثلها، ولم يتم للوزير ما أراد وذاق من التتار غاية الذل والهوان، فإن هلاكو استدعاه إلى بين يديه وعنفه على سوء ما فعله مع استاذه ثم قتله أشر قتلة.

وعملت الشعراء مراثي منها قول سبط التعاويذي[6]:

بـادت وأهلوها معـاً فبيـوتهم ببقـاء مولانـا الوزيـر خـراب

وفي هذا المعنى يقول الشيخ شمس الدين الواعظ الكوفي[7]:

---

(١) في (ج): فكانت خاتمة الدولة العباسية بالعراق.

(٢) في (أ) و (ج): وأربعة وعشرون سنة.

(٣) ما بين الحاصرتين من (ب).

(٤) لم يرد قول الذهبي في سير أعلام النبلاء، بل عكس ذلك، والخبر كما ورد في المتن أعلاه في تاريخ الخلفاء ٥٠٤، ونقله الصفدي في الوافي ٦٤٣/١٧ عن الشيخ شمس الدين، ولعله ابن الجزري، وليس في المنتخب المنشور من تاريخه.

(٥) في (ب): ولم يصاب الإسلام.

(٦) البيت في تاريخ الخلفاء: ٥٠٤.

(٧) في (ب): شمس الدين الواعظ حيث يقول.

والبيتان في تاريخ الخلفاء: ٥٠٤، وروايتهما فيه:

يا عصبة الإسلام نوحي واندبي حزناً على ما تم للمستعصم

دست الوزارة كان قبل زمانه لابن الفرات فصار لابن العلقمي

وانظر ترجمة شمس الدين الواعظ الكوفي في الوافي ٩٧/٢-٩٨.

يا عصبة الإسلام نوحي والطمي حـزناً على مـا حل بـالمستعصم
دست الـوزارة كان عـذباً سـائغاً بابن الفرات فصار لابن العلقمي

وللشيخ تقي الدين ابن أبي اليسر قصيدة مشهورة في بغداد هي هذه [١]:

لسـائل الـدمع عن بغـداد أخبار فما وقوفك والأحباب قـد ساروا
يا سائرين إلى الزوراء لا تعـدوا فمـا بـذاك الحمى والـدار ديـار
تاج الخلافة والربع الذي شرفت بـه المعـالم قـد عفـاه إقفـار

ومن الحوادث في أيامه: ما ذكره ابن الجوزي[٢] في «**شذور الذهب**»: في سنة احدى/ وأربعين وستماية جاءت بدمشق الزيادة الكبرى التي ما سمع بمثلها /١٥١أ فوصلت إلى حائط جامع التوبة بالعقيبة[٣].

وفيها أخذت التتار بلاد الروم وقررت على ملكهـا في السنة أربعماية ألف دينار ثم أخذوا قيصرية وسيواس بالسيف[٤].

وفي سنة اثنتين وخمسين وستماية ظهرت نار في أرض عدن وكان يطير شررها في الليل إلى البحر ويصعد منها دخان عظيم في النهار[٥].

وفي سنة أربع وخمسين وستمايـة[٦]، ظهرت النار بالمدينة المنوّرة ليلة

(١) أورد السيوطي في تاريخ الخلفاء: ٥٠٥ أحد عشر بيتاً، والبيت الثاني روايته فيه: يا زائرين إلى الزوراء...

(٢) في (أ): ابن الجزري.

(٣) في (ب): جاءت الزيادة الكبرى بدمشق التي لم يسمع بمثلها.

(٤) انظر: نهاية الأرب ٣٤٨/٢٧، وسير أعلام النبلاء ٢٧٦/٢٣.

(٥) تاريخ الخلفاء ٤٩٨، وعيون التواريخ ٧٤/٢٠، والنجوم الزاهرة ٣٢/٧.

(٦) ورد الخبر في (ب) مشوشاً، وفضلنا إيراده كاملاً: وفي سنة سبع وخمسين وستماية ظهرت نار وشهب ليلة الأربعاء ثالث جمادى الآخر وظهر بالمدينة المذكورة دوي عظيم وزلزلة عظيمة فكانت ساعة بعد ساعة إلى خامس الشهر، فظهرت نار من آخر المدينة كأنها عندنا، وسالت أودية منها إلى وادي شطا كسيل الماء، ونظرنا فإذا الجبال تسيل ناراً هكذا بين نيران كأنها الجبال وطار منها...

الأربعاء ثالث جمادى الآخرة وظهر بالمدينة دوي عظيم ثم زلزلة عظيمة، فكانت ساعة بعد ساعة إلى خامس الشهر، فظهرت نار عظيمة في الحرة قريباً من قريظة [قال أهل المدينة : كنا][1] نبصرها من دورنا من داخل المدينة كأنها عندنا، وسالت أودية منها إلى وادي شظا[2] كسيل الماء، وطلعنا نبصرها فإذا الجبال تسيل ناراً وسارت هكذا [وهكذا][3] بين نيران كأنها الجبال وطار منها شرر كالقصر إلى أن أبصر ضوؤها من مكة ومن الفلاة جميعها، واجتمع الناس كلهم إلى القبر الشريف مستغفرين تائبين، واستمرت هكذا أكثر من شهر[4]. قال الذهبي[5]: أمر هذه النار متواتر، وهي[6] مما أخبر به المصطفى ﷺ حين قال: لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى.

وقد حكى غير واحد ممن كان ببصرى في الليل ورأى أعناق الإبل في ضوئها.

ثم دخلت سنة سبع وخمسين وستماية والدنيا بلا خليفة واستمر الحال على هذا المنوال إلى رجب سنة تسع وخمسين وستماية فأقيمت الخلافة بمصر كما سنذكره.

وكانت مدة انقطاع الخلافة ثلاث سنين ونصفاً[7].

---

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من (أ) و (ب).

(٢) وادي شظا: جبل بمكة أو قربها (معجم البلدان ٣/٣٤٥، شظا).

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من (أ)، وفي (ج): وسارت هكذا وهكذا نيران كأنها الجبال؛ وضبط النص من تاريخ الخلفاء.

(٤) تاريخ الخلفاء ٤٩٨، والخبر أورده ابن شاكر الكتبي في صور حية، نقلتها ثلاث رسائل قادمة من المدينة المنورة. انظر: عيون التواريخ ١٤٣/٢٠ وما بعدها.

(٥) سير أعلام النبلاء ١٨٠/٢٣، بصورة مختلفة، والخبر كما ورد أعلاه في تاريخ الخلفاء ٤٩٨.

(٦) من هنا ساقط من (ب) حتى نهاية خبر النار.

(٧) في (ب): ثلاث سنين ونصف.

القسم الثاني

من الخلفاء العباسية التي أقيمت بمصر بعد قتل المستعصم، فكان عدد خلفائهم خمسة عشر نفراً ومدة خلافتهم مائتي سنة وخمساً وخمسين[1] سنة ونصف سنة، وهو يشتمل[2] على فصول:

(١) في (أ) و (ب): مائتين، وخمسة وخمسين، وما أثبتناه من (ج).
(٢) في (أ) و (ب): وهي تشتمل، وما أثبتناه من (ج).

الفصل الأول

في ذكر خلافة المستنصر بالله

اسمه أحمد أبو القاسم بن الظاهر بأمر الله[1]. كان غائباً عند قتل المستعصم فسلم، وقدم مصر وأثبت نسبه، ثم بويع له بالخلافة[2]. فأول من بايعه السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقداري[3]، ثم قاضي / القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز ثم كل واحد على مراتبهم. /١٥١ب

وكان بطلاً شجاعاً مهيباً، وكان أسود، لأن أمه حبشية.

نقش خاتمه: «المستنصر بالله».

فلما ولي الخلافة نقش اسمه في السكة وخطب له[4]، وفرح الناس وخطب يوم الجمعة بنفسه وذكر فيها[5] شرف بني العباس، ورتب السلطان له أتابكاً وحاجباً وكاتباً، وعين له جميع ما يحتاج إليه.

---

(١) ذيل مرآة الزمان ٩٤/٢، والبداية والنهاية ٢٣١/١٣ ـ ٢٣٣، وشذرات الذهب ٢٩٧/٥، والنجوم الزاهرة ١٠٩/٧ ـ ١١٧، ٢٠٦، والوافي بالوفيات ٣٨٤/٧ ـ ٣٨٦، وبدائع الزهور ٣١٨/١/١ ـ ٣١٩، والجوهر الثمين ٢٢٤/١ ـ ٢٢٨، والسلوك ٤٤٨/٢/١، وكنز الدرر ٨٢/٨ ـ ٨٤، والمختصر في أخبار البشر ٢١٢/٣ ـ ٢١٣، وتاريخ الخلفاء ٥٠٩ ـ ٥١١، وعيون التواريخ ٢٥١/٢٠ ـ ٢٥٦، وسير أعلام النبلاء ١٦٨/٢٣ ـ ١٧١، ونهاية الأرب ٣٢٧/٢٣ ـ ٣٣١، والروض الزاهر ٩٩ ـ ١١٢، وتاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ٢٠/١، وابن الجزري ٢٦١، ودول الإسلام ٣٦٦، والنزهة السنية ١٢١، وتاريخ الملك الظاهر ٣٣٠.

(٢) في (ج): ثم بويع له بالخلافة.

(٣) فأول من بايعه الملك الظاهر، بسقوط لفظ (السلطان).

(٤) «وخطب له» ليست في (ب).

(٥) في (ب): وذكر فيه.

ثم إن المستنصر هذا عزم على التوجه إلى العراق فخرج معه السلطان يشيّعه إلى أن دخلوا دمشق. ثم جهز السلطان الخليفة وعيّن معه جماعة ليملك بغداد، ففتح الحديثة ثم هيت[1]، فلما قرب من أرض العراق استقبله جماعة[2]، من التتار فتصافوا، فقتل من المسلمين جماعة وعدم الخليفة فلم يعلم له أثر[3]. وذلك في الثالث من المحرم سنة ستين وستماية[4]، فكانت خلافته دون ستة أشهر [والله أعلم][5].

(١) الحديثة: بليدة على فرسخ من الأنبار (معجم البلدان ٢/٢٣٠: حديثه).
هيت: بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار.
(معجم البلدان ٥/٤٢٠: هيت).
(٢) في (ب): فاستقبله.
(٣) صرّح بعض المؤرخين أن الخليفة قُتل، انظر البداية والنهاية ١٣/٢٣٥، واليونيني ١/٤٥٧، و٢/١١١ ـ ١١٢، فيما لم يجزم ابن شاكر الكتبي في عيون التواريخ ٢٠/٢٥٥ ـ ٢٥٦.
(٤) في (ب): سنة اثنين وستمائة.
(٥) ما بين الحاصرتين من (ب).

الفصل الثاني
في ذكر خلافة الحاكم بأمر الله

اسمه أحمد أبو العباس بن علي[1]

كان اختفى وقت أخذ بغداد، فكان قدم حلب، فبايعه خلق كثير. فلما قصد المستنصر بغداد، في الوقعة المذكورة، كاتب الحاكم الملك الظاهر بيبرس فيه، فطلبه فقدم إلى القاهرة ومعه ولده وجماعة في سادس عشر صفر، عام ستين وستماية. فأكرمه الملك الظاهر بيبرس[2] وبايعه بالخلافة وامتدت أيامه.

ومن الحوادث في زمان خلافته: ما ذكره ابن الجوزي[3] في «**شذور الذهب**»: أن في شوال سنة تسع وستين وستماية جاء بدمشق أيام التوت[4]، سيل

(١) البداية والنهاية ١٣/٢٣٣ ـ ٢٣٤، ١٤/٢١٩، وتاريخ الخلفاء ٥١١ ـ ٥١٦، والدرر الكامنة ١/١١٩ ـ ١٥٠، ودول الإسلام ٣٦٧، والروض الزاهر ١٤١ ـ ١٤٨، وبدائع الزهور في وقائع الدهور ١/١/٣٢٠، السلوك لمعرفة دول الملوك ١/٤٦٨، ٤٧٧ ـ ٤٧٩، النجوم الزاهرة ٧/١١٨ ـ ١١٩، الجوهر الثمين ١/٢٢٩ ـ ٢٣٠، الوافي بالوفيات ٦/٣١٧ ـ ٣١٨، والمختصر في أخبار البشر ٣/٢١٥، وعيون التواريخ ٢٠/٢٦٦، ٢٨٧، وذيل مرآة الزمان ٢/١٨٦ ـ ١٩٢، وتاريخ ابن خلدون ٥/٣٨٣، ٤١٥، وتاريخ الدول الإسلامية ١/٢٠، وتاريخ ابن الجزري ٢٦١، والنزهة السنية ١٢٢، وتاريخ الملك الظاهر ٣٣٠.

وقد اختلف في نسبه، فابن دقماق يسميه: أحمد بن محمد، والصفدي يسميه: أحمد بن الحسن، وكذلك السيوطي في تاريخ الخلفاء وابن شاكر الكتبي في عيون التواريخ. وذكر ابن خلدون هذا الاختلاف فقال: فهو عند نسابة مصر أحمد بن الحسن، وعند الشرفاء العباسيين أحمد بن علي.

(٢) في (ب): فأكرمه الظاهر بيبرس.

(٣) في (أ) و(ج): ابن الجزري.
وانظر الخبر في عيون التواريخ ٢٠/٤٠٢.

(٤) في (ب): في أيام التوت.

عظيم لم يسمع بمثله والشمس طالعة حتى أغلقوا أبواب المدينة، وطغى الماء فأخذ البيوت والدواب والأموال، وارتفع عند باب الفرج من عادته ثمانية أذرع، ودخل الماء من مرامي السور من باب الفراديس، فأتلف شيئاً كثيراً. واستغاث الخلق بالله تعالى[(١)]، وكانت ساعة عظيمة.

قال الذهبي في «دول الإسلام»[(٢)]: وفي سنة تسع وتسعين وستماية قصد غازان بن أرغون بن أربقا بن هلاكو كبير التتار دمشق، فأقبل بجيش عظيم وخرج السلطان فكان المصاف بوادي الخزندار على /ثلاثة فراسخ من حمص فكانت ١٥٢/أ ملحمة عظيمة قتل فيها أكثر من عشرة آلاف من التتار، ولاحت إمارات النصر للمسلمين ثم انكسرت ميمنة المسلمين ودخل التتار دمشق وشرعوا في المصادرة والعسف ونهبوا الصالحية وسبوا أهلها وحرقوا جامع العقيبة وعدة أماكن وحاصروا القلعة وعملوا المجانيق والنقوب فأحرق أهل القلعة دار السعادة ودار الحديث والعادلية وما بينهما من الدور حتى النورية وخربت حوالي القلعة كلها وهرب[(٣)] أهلها وبقي باب البريد اصطبلاً فيه الزبل نحو ذراع، وكان كبير التتار نازلاً بالمرجة[(٤)] بجيشه وهم في نهب دمشق وبات الخلق في ليلة الله بها عليم.

ثم إن الله تعالى لطف بعباده وألقى في قلب غازان فأمر الأمراء بالكف[(٥)] عن دمشق وصمم على ذلك بعد أربعة أشهر وأسروا من الصالحية نحو أربعة آلاف نسمة وقتلوا بها نحو ثلاثماية أكثرهم في التعذيب على المال، ورحل الباقون ضعفاء في جوع وعري[(٦)] وبرد مفرط، فإنا لله وإنا إليه راجعون. /ثم ترحلت التتار

(١) في (ب) و (ج): واستغاث الخلق إلى الله تعالى.

(٢) دول الإسلام ٣٩٤ ـ ٣٩٥.

(٣) في (ب): وهربت أهلها.

(٤) في (ب): نازل بالمرجة.

(٥) في (ب): وألقى في قلب غازان الأمر بالكف.

(٦) في (ب): ضعفاً وجوعاً وعري.

من دمشق بالسبي والمكاسب وعجزوا عن أخذ القلعة سلّمها الله تعالى بعزم متوليها الأمير علم الدين أرجواش[1].

وفي شعبان سنة سبعماية[2] ألبست النصارى واليهود بمصر والشام العمائم الزرق والصفر، واستمر[3] الحال إلى أن أمر السلطان الأعظم المرحوم مرادخان بن سليم [في سنة تسعماية واثنتين وثمانين][4] بعدم لبس العمائم ووعدوا بإن يدفعوا في كل عام لبيت المال مالاً جزيلاً فلم يرض ولم يرجع عن قوله.

وفي ربيع الأول سنة احدى وسبعماية ثبت عن قاضي ماردين ونقل ثبوته إلى قاضي حماه بأنه وقع هناك برد على صور حيّات وعقارب وطيور ورجال وسباع وسائر الحيوانات من الوحوش والطيور.

وتوفي الخليفة ليلة الجمعة ثامن عشر جمادى الأولى سنة إحدى وسبعماية[5]، ودفن عند السيدة نفيسة في قبة بنيت له وكانت خلافته نيفاً وأربعين سنة. وهو أول خليفة دفن بمصر من العباسيين [والله أعلم][6].

(١) انظر نهاية الأرب ٢٧/٤٨، والمختصر ٤/٤٢.

(٢) في (ب): وفي سنة سبعماية؛ بسقوط لفظ (شعبان).

(٣) المختصر في أخبار البشر ٤/٤٢، والبداية والنهاية ١٤/١٦، والوافي بالوفيات ٤/٣٥٩ في ترجمة الناصر محمد بن قلاوون وفيه يذكر السبب: وذلك أن مغربياً كان جال بباب القلة عند الجاشنكير وبلّار، فحضر بعض الكتاب النصارى بعمامة بيضاء، فقام له المغربي يتوهم أنه مسلم، ثم ظهر له أنه نصراني، فدخل السلطان وفاوضه في تغيير زي أهل الذمة. وذكر ابن خلدون في تاريخه ٥/٤١٦ ما رآه وزير مغربي من ترف أهل الذمة وتصرفهم في أهل الدولة، وذكر الخبر مفصلاً.

(٤) ما بين الحاصرتين من (ج).

(٥) في (أ) و (ب): سنة احدى وتسعين، وما أثبتناه من (ج)، وانظر: الوافي ٤/٣٦٠، ودول الإسلام ٣٩٦.

(٦) ما بين الحاصرتين من (ب).

الفصل الثالث
في ذكر خلافة المستكفي بالله

اسمه سليمان[1]، / أبو الربيع بن الحاكم بأمر الله[2]. /١٥٢ب

بويع له بالخلافة بعهد من أبيه في جمادى الأولى سنة إحدى وسبعماية[3]، وعمره سبعة عشرة سنة[4] وكان فاضلاً جواداً، حسن الخط، جداً شجاعاً. وكان يجالس العلماء والأدباء.

ولد في نصف المحرم سنة أربع وثمانين وستماية.

وأمه أمة اسمها «زمـرد».

ونقش خاتمه: «المستكفي بالله».

خطب له على المنابر بالبلاد المصرية والشامية.

ومن الحوادث في أيامه: تكلم الوزير في إعادة أهل الذمة إلى لبس العمائم

(١) في (ج): سلمان.

(٢) المختصر في أخبار البشر ٤/٤٦، والوافي بالوفيات ١٥/٣٤٩ـ ٣٥٠، وبدائع الزهور ١/١/٤٧٤ ـ ٤٧٥، والبداية والنهاية ١٤/١٨٧، وتاريخ الخلفاء ٥١٧ ـ ٥٢١، والدرر الكامنة ٢/١٤١، ١٤٤، وشذرات الذهب ٦/١٢١، والنجوم الزاهرة ٩/٣٢٢، ونهاية الأرب ٢٣/٣٣٢ـ ٣٣٣، والجوهر الثمين ١/٢٣١ ـ ٢٣٢، والسلوك لمعرفة دول الملوك ٢/٥٠٢ ـ ٥٠٥، وتاريخ الدول الإسلامية ١/٢٠، وتاريخ ابن خلدون ٥/٤١٥، ٤٤١، ودول الإسلام ٣٩٨، والنزهة السنية ١٢٤.

(٣) في (ب): سنة إحدى وسبعماية، بسقوط (جمادى الأولى).

(٤) في (أ): وعمره عشرون سنة، وما أثبتناه من (ب) و (ج)؛ وهو الصواب، وهو ما تبينه المعلومة التالية من أنه ولد في سنة أربع وثمانين وستماية.

البيض على جاري عادتهم وأنهم قد التزموا للدّيوان[1] بسبعماية ألف دينار كل سنة زيادة على الجالية، فلم يقبله.

وفي سنة سبع عشرة وسبعماية زاد النيل زيادة كثيرة لم يسمع بمثلها وغرق منها بلاد كثيرة وأناس كثيرون، وكان ضرره أكثر من نفعه[2].

وفي سنة ست وعشرين وسبعماية أجريت عين عرفة إلى مكة المشرفة وانتفع الناس بها انتفاعاً عاماً، وتعرف بعين بازان، أجراها الأمير جوبان من بلاد بعيدة، واتفق أن في هذه السنة يبست آبار مكة وقلّ ماؤها وقل ماء زمزم أيضاً، ولولا أن منّ الله لعباده وأجرى هذه القناة لنزح عن مكة أهلها[3].

وفي سنة ثمان وعشرين وسبعماية عمرت صفوف المسجد بمكة والأبواب وعمر ظاهره مما يلي باب بني شيبة[4].

وفي سنة ثلاث وثلاثين وسبعماية[5]، عمل السلطان للكعبة باباً من أبنوس عليه صفائح من فضة زنتها خمسة وثلاثون[6] ألفاً وثلاثماية درهم وقلع الباب الضيق فأخذه بنو شيبة بصفائحه، وكان عليه اسم صاحب اليمن[7].

---

(١) في (ب): وأنهم التزموا للديوان.
والخبر في تاريخ الخلفاء ٥١٨، ويذكر جهود الإمام تقي الدين ابن تيمية في ابطال ذلك.

(٢) تاريخ الخلفاء ٥١٨؛ وقد أورده في أخبار ٧١٠هـ، وانظر البداية والنهاية ٨٢/١٤، في أخبار ٧١٧هـ.

(٣) جوبان النوين، نائب المملكة المغلية، وترجمته وخبر إجراء الماء إلى مكة المكرمة في الوافي بالوفيات ٢٢٠/١١ - ٢٢٢، وانظر البداية والنهاية ١٢٣/١٤.

(٤) في (ب): ظاهره مما يلي بني شيبة، بسقوط لفظي (وعمر) و (باب).
والخبر في تاريخ الخلفاء ٥١٩، والبداية والنهاية ١٣٣/١٤.

(٥) قبلها في (ب): وفي سنة ثمان وعشرين، وهي زائدة ولا مكان لها.

(٦) في (ب): خمس وثلاثون.

(٧) تاريخ الخلفاء ٥١٩، والبداية والنهاية ١٦٢/١٤ وفيه: باب حديد أرسله السلطان مرصعاً من السبط الأحمر كأنه آبنوس.

وفي سنة ست وثلاثين وسبعماية وقع بين الخليفة والسلطان خلف[1]، فقبض على الخليفة واعتقله بالبرج ومنع الناس من الاجتماع معه ثم نفاه إلى قوص هو وأولاده وأهله، ورتب لهم ما يكفيهم وهم قريب من ماية نفس، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

واستمر الخليفة بقوص إلى أن مات بها في شعبان سنة أربعين وسبعماية، ودفن بها، وله من العمر بضع وخمسون سنة[2].

وكانت خلافته نيفاً وثلاثين سنة [والله أعلم][3].

(١) في (ب) لفظ (خلف) ساقط من (ب).
(٢) تاريخ الخلفاء ٥١٩ وفيه: وقع بين الخليفة والسلطان أمر.
(٣) ما بين الحاصرتين زيادة من (ب).

الفصل الرابع

في ذكر خلافة الواثق بالله

اسمــه إبـراهيم بن المستمسك بالله[١].

/١٥٣أ فلما مات المستكفي بقوص عهد إلى/ ابنه أحمد بالخلافة، فلم يلتفت السلطان إلى ذلك. وبايع إبراهيم المذكور واستمر في الخلافة إلى أن حضرت السلطان الوفاة، فندم على ما صدر منه وعزل إبراهيم هذا، وبايع ولي العهد أحمد الآتي ذكره.

وقال ابن فضل الله العمري[٢] في «**مسالك الأبصار في أخبار ملوك الأمصار**»: إن إبراهيم الواثق نشأ في تهتك، ولا دان إلا بعدم تنسك، وعاشر السفلة والأراذل[٣]، وهان عليه من عرضه ما هو باذل، وزين له سوء عمله فرآه حسناً، وعمي عليه فلم ير شيئاً إلا محسناً، وغوى اللعب بالحمام وكباش النطاح وديوك النقار، وأشياء من هذا ومثله مما يسقط المروة ويسلب الوقار.

وكانت مدة استيلائه سنة وأياماً.

(١) الوافي بالوفيات ١٥/٣٥٠ (في ترجمة المستكفي)، وتاريخ الخلفاء: ٥٢١ ـ ٥٢٣، والبداية والنهاية ١٤/١٩١.

(٢) في (أ): .وفي مسالك الأبصار، بسقوط (وقال ابن فضل الله العمري).
والخبر في تاريخ الخلفاء ٥٢٢.

(٣) في (ب): والأرذال.

الفصل الخامس

في ذكر خلافة الحاكم بأمر الله

اسمه أحمد أبو العباس بن المستكفي[1].

كان أبوه لما مات بقوص عهد إليه بالخلافة، فخلع السلطان على إبراهيم المقدم ذكره وبايعه، وعند وفاته عزل إبراهيم وبايع ولي العهد أحمد هذا.

قال ابن فضل الله العمري في«**مسالك الأبصار**»[2]: «وهو أمام عصرنا[3]، فأحيا رسوم الخلافة، ورسم بما لم يستطع أحد خلافه، وسلك مناهج آبائه وقد طمست، وأحياها بمباهج أبنائه وقد درست».

واستمر في الخلافة إلى أن توفي في سنة ثلاث وخمسين وسبعماية[4].

(١) بدائع الزهور ١/١/٥٤٨، والدرر الكامنة ١/١٣٧، والنجوم الزاهرة ١٠/٢٩٠ ـ ٢٩١، وتاريخ الخلفاء ٥٢٣ ـ ٥٣٢، والجوهر الثمين ١/٢٣٣، والبداية والنهاية ١٤/١٩١، وتاريخ ابن خلدون ٥/٤٤٢، وتاريخ الخميس ٢/٣٧٩، ٣٨٢، وتاريخ الدول الإسلامية ١/٢٠، ودول الإسلام ٤٢٧، والنزهة السنية ١٢٥.

(٢) نقلها في تاريخ الخلفاء ٥٢٣.

(٣) في (ب): هو إمام عصرنا.

(٤) في تاريخ ابن خلدون: توفي سنة ثلاث وخمسين، وفي الجوهر الثمين: توفي سنة أربع وخمسين وسبعمائة.

الفصل السادس

في ذكر خلافة المعتضد بالله

اسمه أبو بكر الفتح بن المستكفي(١).

بويع له بالخلافة بعد موت أخيه، بعهد منه.

وأمه أم ولد اسمها «جوهر».

نقش خاتمه: «المعتضد بالله».

وكان عارفاً واسع الفكرة، خيراً، متواضعاً، محباً لأهل العلم(٢).

ومن الحوادث في أيامه: ما ذكره ابن الجوزي(٣) في «**شذور الذهب**»: أن في جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وسبعماية وقع حريق بدمشق ظاهر باب الفرج لم يعهد مثله، بحيث كانت عدة الدكاكين المحروقة سبعماية سوى البيوت.

توفي الخليفة في رابع جمادى الأولى سنة ثلاث وستين وسبعماية، فكانت خلافته عشر سنين [والله أعلم](٥).

(١) تاريخ الخلفاء ٥٣٤ ـ ٥٣٥، والدرر الكامنة ٤١٣/١، والنجوم الزاهرة ١١/١٤ ـ ١٥، والسلوك لمعرفة دول الملوك ٧٧/٣، وتاريخ ابن خلدون ٤٥٣/٥، والجوهر الثمين ٢٣٤/١ ـ ٢٣٥، والبداية والنهاية ٢٤٥/١٤، ٢٩٣، والوافي بالوفيات ٢٣٥/١٠، وشذرات الذهب ١٩٧/٦، وتاريخ الخميس ٣٨٢/٢، وتاريخ الدول الإسلامية ٢٠/١، والنزهة السنية ١٢٦.

(٢) تاريخ الخلفاء ٥٣٤.

(٣) في (أ) و(ج): ابن الجزري.

(٥) ما بين الحاصرتين من (ب).

الفصل السابع
في ذكر خلافة المتوكل على الله

اسمه محمد، أبو عبد الله بن المعتضد[١].

بويع له بالخلافة بعد موت أبيه بعهد منه. وهو والد خلفاء العصر، وامتدت أيامه/ وأعقب أولاداً[٢] كثيرة يقال إنه جاءه مائة ولد ما بين مولود وسقط، ولي الخلافة منهم خمسة والموجود من العباسيين كلهم من ذريته، وخلع مرتين وحبس. ففي المرة الأولى خلع المتوكل هذا وبويع عمر بن إبراهيم الواثق بالله في سنة خمس وثمانين وسبعماية، فاستمر[٣] في الخلافة نحو ثلاث سنين وثلاثة أشهر، ثم أعيد المتوكل في المرة الثانية[٤]، وخلع المتوكل أيضاً، وبويع زكريا بن إبراهيم المعتصم بالله. ثم خلع منها وأعيد المتوكل. ١٥٣/ب

ومن الحوادث في أيامه: ما ذكره صاحب «**الضوء اللامع في القرن التاسع**» أنه ظهر في جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين وسبعماية[٥] بعد العشاء في السماء حمرة عظيمة كأنها الجمر، وصارت في خللها النجوم كالعمد البيض[٦] حتى سدت الأفق ودامت إلى الفجر، خفي بسببه ضوء القمر، فتباكى الناس عند ذلك

---

(١) تاريخ الخلفاء ٥٣٥ ـ ٥٣٩، السلوك لمعرفة دول الملوك ٤/ ٢٣ ـ ٢٤، الضوء اللامع ٧/ ١٦٨، النجوم الزاهرة ١٣/ ١٥٤ ـ ١٥٥، الجوهر الثمين ١/ ٢٣٦ ـ ٢٣٧، نزهة النفوس والأبدان ٢/ ٢٢٠، تاريخ ابن خلدون ٥/ ٤٥٣، والبداية والنهاية ١٤/ ٢٩٣، وتاريخ الخميس ٢/ ٣٨٢، ٣٨٣، وتاريخ الدول الإسلامية ١/ ٢٠، والنزهة السنية ١٢٧.

(٢) في (ب): وأعقب أولاد كثيرة.

(٣) في (ب): واستمر.

(٤) في (أ) و (ج)، ثم أعيد للمتوكل في المرة الثانية.

(٥) بعدها في (ب): ظهر في السماء بعد العشاء.

(٦) في (أ): وصارت في حلل النجوم، وفي (ب): وصارت في حلول.

وضجوا بالدعاء، وكان ذلك في دمشق، وحمص، وحماه، وحلب، والقدس[1].

وفي سنة ثلاث وسبعين وسبعماية أحدثت العلامة الخضراء على عمائم الشرفاء[2]، ليتميزوا بها بأمر السلطان الملك الأشرف منصور بن محمد بن قلاوون، وهذا أول ما احدثت.

وقال في ذلك أبو عبد الله بن جابر الأعمى[3].

جعلوا لأبناء الرسول علامة ... إن العلامة شأن من لم يشهر[4]
نور النبوة في كريم وجوههم ... يغني الشريف عن الطراز الأخضر[5]

وفي هذه السنة كان ابتداء خروج الطاغية[6] تمرلنك، الذي أخرب البلاد، وأباد العباد، واستمر يعثو في الأرض بالفساد.

وقيل لبعضهم: في أي سنة كان ابتداء خروج تمرلنك؟ قال: في سنة عذاب، يعني بحساب الجمل ثلاث وسبعين وسبعماية[7].

وفيها كسفت الشمس والقمر جميعاً وطلع القمر كاسفا[8] في شعبان ليلة أربع عشرة، وخسف الشمس يوم الثامن والعشرين منه[9].

وفي سنة اثنتين وثمانين وسبعماية ورد كتاب من حلب يتضمن أن إماماً قام يصلي، وأن شخصاً عبث به في صلاته، فلم يقطع الإمام الصلاة حتى فرغ وحين

---

(١) في (ب): والقدس وحلب.
(٢) في (ب): على عمائم الشرف.
(٣) في (ب): الأعجمي.
وقال السيوطي: هو صاحب شرح الألفية المشهور بالأعمى والبصير.
(٤) شأن ولا يشهر.
(٥) الخبر والبيتان في تاريخ الخلفاء ٥٣٥ ـ ٥٣٦.
(٦) في (ب): كان ظهور الطاغي.
(٧) تاريخ الخلفاء ٥٣٦.
(٨) في (ب): وطالع كاسفا.
(٩) تاريخ الخلفاء ٥٣٦.

سلّم، إنقلب/ وجه العابث وجه خنزير وهرب إلى غابة هناك، فعجب الناس من /١٥٤أ هذا الأمر وكتب بذلك محضر[١].

توفي المتوكل في جمادى الآخرة[٢] سنة ثمان وثمانمائة[٣] بالقاهرة، وكانت مدة خلافته خمساً وأربعين سنة بما تخللها من خلع وحبس.

(١) تاريخ الخلفاء ٥٣٧.

(٢) في (ب): في جمادى الآخر.

(٣) في الأصول الثلاثة: توفي في سنة ثمان وخمسين وثمانمائة، وهو خطأ؛ وما أثبتناه من تاريخ الخلفاء ٥٣٨؛ ويتبين ذلك من أخبار الفصل التالي: في خلافة المستعين بالله العباس بن المتوكل.

الفصل الثامن
في ذكر خلافة المستعين بالله

اسمه أبو الفضل العباس بن المتوكل[1].

بويع له بالخلافة يوم موت أبيه بعهد منه، وكان السلطان يومئذ الملك الناصر فرج، فخرج لقتال شيخ وهزم وقتل[2]، فبويع الخليفة بالسلطنة مضافة للخلافة[3]، وذلك في محرم سنة خمس عشرة وثمانماية، فلم يقبل ذلك إلا بعد شدة وتصميم وتوثيق[4] بالأيمان من الأمراء.

وتصرف بالولاية والعزل وضربت السكة باسمه، ولم يغير لقبه.

فلما كان في شعبان سأل شيخ الخليفة أن يفوض إليه السلطنة على العادة. فأجاب بشرط أن ينزل من القلعة ويسكن في بيته، فلم يوافقه شيخ على ذلك، وتغلب على السلطنة وتلقب بالمؤيد، وخلع المستعين، وبايع بالخلافة أخاه داود[5].

ونقل المستعين من دار الخلافة إلى دار أخرى ومنع الناس من الاجتماع به

---

(١) تاريخ الخلفاء ٥٣٩ ـ ٥٤٢، وبدر الدين العيني: السيف المهند في سيرة المؤيد ٢٥٩، ٣٠٣، ٣١٤، وشذرات الذهب ٧/٢٠٣، وبدائع الزهور ٢/١٣٠، وتاريخ الخميس ٢/٣٨٤، وتاريخ الدول الإسلامية ١/٢٠، والنزهة السنية ١٣١.

(٢) السيف المهند ٢٥٨ ـ ٢٦٠، وقتل السلطان الناصر فرج بن برقوق ليلة السبت السابع عشر من صفر سنة سبعماية وخمس عشرة للهجرة.

(٣) في (ب): مضافاً للخلافة.

(٤) في (ب): إلاّ بعد شدة وتوثيق، بسقوط لفظ (وتصميم).

(٥) كان شيخ قبل سلطنته قد مارس صلاحيات السلطنة تقريباً دون الاسم، وتلقب بنظام الملك، وكان الخليفة يقيم في القصر بالقلعة، وكان شيخ يقيم في الإصطبل.

وسيّر المستعين إلى الاسكنـدرية[1]، فسكن بها إلى أن مات شهيداً بالطاعون في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وثمانماية[2]، وكانت مدة خلافته إلى أن خلع ست عشرة سنة، [والله تعالى أعلم][3].

(١) في (أ): وخرج المستعين إلى الإسكندرية، وفي (ب): سقطت جملة: من دار الخلافة. . . حتى: وسير المستعين.

(٢) عند استيلاء المؤيد شيخ على مقاليد السلطنة، قام نوروز نائب الشام فجمع العلماء والقضاة واستفتاهم عما صنعه المؤيد، فأفتوا بأن ذلك لا يجوز، وكان اخراج الخليفة إلى الإسكندرية، وعند سلطنة ططر، طلب إليه العودة إلى القاهرة، ولكن الخليفة اختار الإسكندرية لأنه استطابها، ولما حصل له من مال كثير من التجارة (تاريخ الخلفاء ٥٤٢، وشذرات الذهب ٢٠٣/٧).

(٣) ما بين الحاصرتين من (ب).

الفصل التاسع
في ذكر خلافة المعتضد بالله

اسمه داود أبو الفتح بن المتوكل[١].

بويع له بالخلافة بعد خلع أخيه. وكان جواداً سمحاً إلى الغاية، نبيلاً، ذكياً فطناً، يجالس العلماء والفضلاء، ويستفيد منهم ويشاركهم.

وأمه أم ولد تركية اسمها «كوزل»[٢].

نقش خاتمه: «المعتضد بالله».

ومن الحوادث في أيامه: ظهر شخص بمصر يدّعي أنه يصعد إلى السماء ويشاهد الباري جل ذكره ويكلّمه. واعتقده[٣] جمع من العوام، فعقد له مجلس واستتيب فلم يتب، فعلق المالكي الحكم بقتله على شهادة اثنين بأنه حاضر العقل، فشهد جماعة من أهل الطب أنه مختل العقل، فقيّد في المارستان[٤].

/١٥٤ب توفي المعتضد/ يوم الأحد رابع شهر ربيع الأول سنة خمس وأربعين وثمانماية، بعد مرض طويل، وقد قارب السبعين[٥] [سنة][٦].

(١) السيف المهند في سيرة الملك المؤيد ٣٢١، وتاريخ الخلفاء ٥٤٢ ـ ٥٤٥، وشذرات الذهب ٢٥٥/٧، وبدائع الزهور ١٢/٢، ٢٣٠، وتاريخ الخميس ٣٨٤/٢، وتاريخ الدول الإسلامية ٢٠/١، وتاريخ ابن خلدون ٤٥٣/٥، والنزهة السنية ١٣٣.

(٢) تاريخ الخلفاء ٥٤٢.

(٣) في (ب): واعتقد.

(٤) في (ب): البيمارستان؛ وهما واحد.
والخبر في تاريخ الخلفاء ٥٤٣.

(٥) شذرات الذهب ٢٥٥/٧؛ وفيه: وقد قارب التسعين.

(٦) زيادة من (ب).

الفصل العاشر

في ذكر خلافة المستكفي بالله

اسمه سليمان أبو الربيع بن المتوكل[١].

بويع له بالخلافة بعد موت أخيه المعتضد بعهد منه.

وكان من صلحاء الخلفاء وخلفاء الصلحاء، عابداً ديناً، كثير التعبد، والصلاة والتلاوة، حسن السيرة[٢].

واستمر في الخلافة إلى أن مات في ثاني المحرم سنة خمس وخمسين وثمانماية[٣]، بعد أن مرض عدة أيام وله ثلاث وستون سنة ودفن بالمشهد النفيسي عند آبائه فكانت خلافته عشر سنين[٤].

(١) تاريخ الخلفاء ٥٤٥-٥٤٦، وشذرات الذهب ٧/٢٥٥، ٢٨٤، وبدائع الزهور في وقائع الدهور ٢/٢٣٠ - ٢٨٠، وتاريخ الخميس ٢/٣٨٤، وتاريخ الدول الإسلامية ١/٢٠، وتاريخ ابن خلدون ٥/٤٥٣، والنزهة السنية ١٣٤، والضوء اللامع ٣/٢٦٩.

(٢) تاريخ الخلفاء ٥٤٦.

(٣) في تاريخ الخلفاء ٥٤٦: مات في سنة أربع وخمسين وثمانمائة.

(٤) في (ب): عشرين سنة.

الفصل الحادي عشر
في ذكر خلافة القائم بأمر الله

اسمه حمزة أبو البقاء بن المتوكل[1].

بويع له بالخلافة بعد أخيه، ولم يكن عهد إليه ولا إلى غيره.

وكان شهماً صارماً، أقام أبهة الخلافة[2]. ثم وقع بينه وبين الأشرف أينال بسبب ركوب الجند عليه فخلعه من الخلافة في جمادى الأولى[3] سنة تسع وخمسين وثمانماية، وسيّره إلى الإسكندرية، فاعتقله بها إلى أن مات بها سنة[4] ثلاث وستين وثمانماية، وله من العمر نحو سبعين سنة.

وكانت مدة خلافته اثنين وأربعين يوماً.

---

(١) تاريخ الخلفاء ٥٤٦ ـ ٥٤٧، وشذرات الذهب ٢٨٤/٧، وبدائع الزهور في وقائع الدهور ٢٨٨/٢، ٣٢٦ ـ ٣٢٨، والنزهة السنية ١٣٥.

(٢) تاريخ الخلفاء ٥٤٧.

(٣) في (أ) و (ج): في جمادى الأول. وفي تاريخ الخلفاء: في جمادى.
وانظر خبر الخلاف بين الخليفة والسلطان أينال في بدائع الزهور ٣٢٦/٢ ـ ٣٢٧.

(٤) في (ب): إلى أن مات بها في سنة.
وانظر خبر سجنه في الإسكندرية ودفنه فيها في بدائع الزهور ٣٢٧/٢.

الفصل الثاني عشر
في ذكر خلافة المستنجد بالله

اسمه يوسف أبو المحاسن بن المتوكل[1].

بويع له بالخلافة بعد خلع أخيه. وكان عارفاً عفيفاً ديّناً. لم يول صاحب وظيفة دينية إلا أصلح الموجودين، ولم يول أحداً بمال قط[2].

ومن الحوادث في أيامه: ما وقع في أواخر[3] ربيع الأول سنة اثنتين وسبعين وثمانماية، أمطرت السماء وقت العصر ببغداد حصى أبيض[4]، زنة الحصاة ما بين رطل وأكثر وأقل، مع برق ورعد وظلمة، بحيث التجأ كثير من حاضري المساجد وغيرهم بالضجيج والبكاء، حتى انجلى ذلك[5]. واستمر المستنجد في الخلافة إلى أن مات يوم السبت رابع عشر المحرم[6]، سنة أربع وثمانين وثمانماية، بعد تمرضه[7] نحو عامين بالفالج. وصلّي عليه بالقلعة ثم أنزل فدفن بجوار المشهد النفيسي، وقد بلغ من العمر التسعين أو جاوزها. /وكانت خلافته تسعاً وثلاثين سنة. /١٥٥أ

(١) تاريخ الخلفاء ٥٤٧ ـ ٥٤٨، وشذرات الذهب ٣٣٩/٧، وبدائع الزهور في وقائع الدهور ٣٢٨/٢ ـ ٣٢٩.

(٢) تاريخ الخلفاء ٥٤٨.

(٣) في (ب): في آخر ربيع الأول.

(٤) في (ب): حصى بيض، وهو أدق.

(٥) شذرات الذهب ٣١٢/٧ نقلاً عن ذيل دول الإسلام.

(٦) في (ب): رابع عشري المحرّم، وكذلك هو في تاريخ الخلفاء ٥٤٨.

(٧) في (ب): بعد مرضه.

الفصل الثالث عشر

في ذكر خلافة المتوكل على الله

اسمه عبد العزيز أبو العزّ بن يعقوب(١).

بويع له بالخلافة بعد موت عمه المستنجد في نهار الإثنين سادس عشر المحرم(٢) سنة أربع وثمانين وثمانماية.

وكان محبباً للخاصة والعامة بخصاله الجميلة ومناقبه الحميدة.

ولد سنة تسع عشرة وثمانماية. وأمه بنت جندي اسمها «حاج ملك»(٣).

نقش خاتمه: «المتوكل على الله».

وله اشتغال بالعلم.

ومن الحوادث في أيامه: ما ذكره السيوطي في «**تاريخه**» أن السلطان الملك الأشرف قايتباي سافر إلى الحجاز برسم الحج، فبدأ بزيارة قبر المصطفى ﷺ وفرّق فيها ستة آلاف دينار، ثم قدم مكة وفرق بها خمسة آلاف دينار(٤).

وفي سنة ست وثمانين وثمانماية(٥) زلزلت الأرض يوم الأحد بعد العصر سابع عشر المحرم زلزلة صعبة، ماجت منها الأرض والجبال والأبنية موجاً ودامت

(١) تاريخ الخلفاء ٥٤٨ ـ ٥٥٠، وشذرات الذهب ٣٣٩/٧، وبدائع الزهور في وقائع الدهور ٢٨٨/٢، وتاريخ الخميس ٣٨٣/٢، والضوء اللامع ١٦٨/٧.

(٢) في (أ): سادس عشري المحرم، وما أثبتناه يتفق وما ورد في تاريخ الخلفاء ٥٤٨.

(٣) تاريخ الخلفاء ٥٤٨.

(٤) تاريخ الخلفاء ٥٤٩.

وأهمية هذا الحدث تعود لما ذكره السيوطي من أن ذلك أمر لم يعهد لملك من مائة سنة.

(٥) تاريخ الخلفاء ٥٤٩.

لحظة ثم سكنت، وسقط فيها شرافة من المدرسة الصالحية على قاضي القضاة الحنفي شرف الدين بن عيد[1]، فمات.

وفي ليلة ثالث عشر رمضان سنة ست وثمانين وثمانماية[2]، نزلت صاعقة أصاب[3] بعضها هلال المنارة الرئيسية بالحرم النبوي، على مشرفها أفضل الصلاة وأتم السلام[4]، فسقط شرقي المسجد، له لهيب كالنار وانشق رأس المنارة، وأصاب ما نزل من الصاعقة سقف المسجد، فاجتمع[5] الخلق وعجزوا عن إطفائها، وكادت تدركهم، فهربوا وتركوا ما كان معهم من آلات الإطفاء واستولت على جميع سقف المسجد وما فيه من خزائن الكتب والربعات والمصاحف، وذلك كله مقدار عشر درج. وكان يسقط شررها ببيوت الجيران فلا يضرها.

وقال بعضهم[6]:

لم يحترق حرم النبي لريبة ... يخشى عليه وما به من عار
لكنما أيدي الروافض لامست ... تلك الرسوم فطهرت بالنار/

وذكر السخاوي «في الضوء اللامع»[7] أن في سنة سبع وثمانين /١٥٥
وثمانماية حصل الشروع في عمارة المسجد النبوي، أرسل السلطان الملك الأشرف قايتباي الأمير سنقر الجمالي، ثم أردفه بالخواجا شمس الدين بن الزمن، فعمره على أتم المراد، فهو الآن باق.

وفي هذه السنة في أثناء ذي القعدة جاء سيل بمكة لم يعهد بمثله، دخل

---

(١) ابن عيد، ليست في (ب) و (ج).
(٢) تاريخ الخلفاء ٥٥.
(٣) في (ب): أصابت.
(٤) على مشرّفها أفضل الصلاة والسلام ليست في (ب).
(٥) من هنا ساقط من (ب) بمقدار سطرين ولغاية: على جميع سقف المسجد.
(٦) البيتان في شذرات الذهب ٧/٣٤٤.
(٧) الضوء اللامع ٧/١٦٨.

المسجد الحرام بحيث جاوز حلقتي باب الكعبة وخربت أكثر بيوت مكة ومات فيه خلق كثير[١].

وفي سنة تسع وثمانين وثمانماية[٢]، كمل عمارة الحرم النبوي.

وفيها كان إجراء عين عرفه [٣].

وفي سنة سبع وتسعين وثمانماية[٤] كان الطاعون العجيب، حتى قيل: إن ربع العالم ماتوا في تلك السنة في مدة يسيرة[٥].

وفي سنة ثمان وتسعين وثمانماية قبيل ظهر يوم الأربعاء ثامن عشري صفر[٦]، وقعت صاعقة بالمسجد النبوي أصابت المنارة الرئيسية بحيث تفطرت خوذة هلالها وسقط جانب دورها السفلي، ثم بنيت سريعاً[٧].

وفي سنة تسعماية خرج في منزل الحسا على الركب الشامي عرب بني لام، فنهبوا وقتلوا الحاج وما سلمَ[٨] إلا النادر وأخذوا المحمل.

وفي سنة احدى وتسعماية خرج الركب الشامي وقد صالحوا العرب فردوا المحمل، فلما رجعوا إلى دمشق دخلوا ومعهم المحملان.

توفي المتوكل في سلخ محرم[٩] سنة ثلاث وتسعماية، وكانت خلافته تسع عشرة سنة.

---

(١) شذرات الذهب ٣٤٦/٧.
(٢) من هنا ساقط من (ب)، والخبر التالي أيضاً.
(٣) شذرات الذهب ٣٤٨/٧.
(٤) إلى هنا ينتهي ما سقط من (ب).
(٥) شذرات الذهب ٣٥٩/٧.
(٦) في (ج): ثامن عشر صفر.
(٧) شذرات الذهب ٣٦٠/٧.
(٨) في (ب): فما سلم.
(٩) في (ب): المحرم.

الفصل الرابع عشر

في ذكر خلافة المستمسك بالله

اسمه يعقوب[1]، أبو الصبر[2] بن عبد العزيز.

بويع له بالخلافة بعد موت أبيه في صفر سنة ثلاث وتسعماية.

وهو خير بني العباس الموجودين ديناً وفلاحاً.

مكث في الخلافة مدة طويلة.

وفي «**أحلام الأعلام**» أنه كبر سنّه وضعف نظره[3]، إلى أن توفي بمصر لعشر بقين من ربيع الثاني سنة سبع وعشرين وتسعماية.

---

(١) تاريخ الخلفاء ٥٥٠، وبدائع الزهور ٢/٣٣٣، و٣/٢٥٣، وتاريخ الإسلام ومعجم الأسرات الحاكمة ١/١٧.

(٢) في (ب): أبو العز.

(٣) في (ب): بصره.

الفصل الخامس عشر

في ذكر خلافة المتوكل على الله

اسمه محمد بن يعقوب المستمسك[١].

بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه، وهو آخر الخلفاء العباسية، وبه انقرضت الخلافة في الدنيا عن بني العباس.

ولما استولى المرحوم السلطان سليم خان من بني عثمان[٢] على الديار
١٥٦/أ المصرية سنة اثنتين وعشرين وتسعماية، قبض/ على المتوكل هذا عوضاً عن والده لكبر سنه، وعاد به إلى الروم وحبسه في السبع قلال بمدينة قسطنطينية الموسومة بيدي قلة.

ولم يزل محبوساً إلى أن قرب السلطان المذكور من الوفاة سنة ست وعشرين وتسعماية، فأطلقه وعيّن له كل يوم ستين درهماً عثمانياً، فسار المتوكل إلى مدينة مصر وسكن بها إلى أن توفي لاثنتي عشرة ليلة[٣] مضت من شعبان سنة خمس وأربعين وتسعماية، وخلف ولديه عمر وعثمان، ولهما اليوم وظيفة دارة من الخزانة العامرة العثمانية.

وهؤلاء الخلفاء كلهم من نسل أبي جعفر المنصور، لأن السفاح لم يخلف من يقوم بالأمور، والله أعلم.

(١) بدائع الزهور ٣/٢٥٣، وتاريخ الإسلام ومعجم الأسر الحاكمة ١/١٧ ـ ١٨.
(٢) في (ب): ولما استولى السلطان سليم بن عثمان.
(٣) في (ب): لاثني عشر ليلة.

الباب السابع
في ذكر دولة العبيديين
الذين تسموا بالفاطميين [1]

وكان ابتداء دولتهم بالمغرب سنة سبع وتسعين ومائتين، وانقراضهم سنة سبع وستين وخمسماية[2].

فكانت مدة ملكهم مائتين وسبعين سنة، وعددهم أربعة عشر نفراً، منهم ثلاثة بالمغرب[3]، وأحد عشر بمصر والشام[4].

---

(١) في (أ): في ذكر الدولة العبيدية الذين تسموا بالفاطمية.
وفي (ب): الفصل السادس: في ذكر دولة العبيديين الذين تسموا بالفاطميين؛ وما أثبتناه من (ج).

(٢) في (ب): سنة سبع وستين وخمسماية بسقوط ما بعدها.

(٣) في (أ): منهم ثلاثة بالغرب، والغرب والمغرب واحد.

(٤) هذه الجملة ساقطة من (ب).

[١] - وأول من ملك منهم المغرب(١):

أبو محمد عبيد الله المهدي(٢).

وادعى أنه علوي، ولم يعرفه أحد من أهل العلم بالنسب. وسماهم جهلة الناس فاطميين(٣). فوضع حينئذ لنفسه نسباً، وهو عبيد الله المهدي بن الحسن بن محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط(٤) بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه.

وأما أهل العلم بالأنساب ينكرون ذلك ويقولون: إن اسمه سعيد، ولقبه عبد الله(٥). وللناس في ذلك أقوال كثيرة عدلنا عنها.

---

(١) الجملة ساقطة من (ب).

(٢) مأخوذة عن ابن خلكان في: وفيات الأعيان ١١٧/٣ - ١١٩، وانظر المقريزي في اتعاظ الحنفا في أخبار الفاطميين الخلفا ١/٦٠ - ٧٣، والروضتين ١/٢٠١ - ٢٠٣، والكامل في التاريخ ٢٣٨/٦، والحلة السيراء ١/١٩٠ - ١٩١، والبيان المغرب ١٥٨/١ وما بعدها، والمختصر في أخبار البشر ٦٣/١، وما بعدها، وتتمة المختصر ٣٩٧/١، والبداية والنهاية ١٧٩/١١ - ١٨٠، وتاريخ ابن خلدون ٣١/٤ - ٤٠، وخطط المقريزي ٣٤٩/١ - ٣٥١، والنجوم الزاهرة ٢٤٢/٣ - ٢٤٧، وبدائع الزهور ٤٥/١/١، وشذرات الذهب ٢٩٤/٢، وسير أعلام النبلاء ١٤١/١٥ - ١٥١، والجوهر الثمين ٢٤١ - ٢٤٣، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ٥٥٧.
ونسبه كما أورده المصنف لا يبدو فيه اتصاله بالإسماعيلية، الذين أشار إليهم ابن خلدون والمقريزي.

(٣) الواقع أنهم هم أطلقوا على أنفسهم هذه التسمية، وقد آثروا هذه الصفة لأنها تعطيهم سلاحاً هاماً في وجه الفرق الشيعية الأخرى، وخاصة الذين كانوا يعودون في نسبهم إلى أبناء عليّ كرّم الله وجهه، وأشهرهم أنصار محمد بن الحنفية، وهم على ما يذكر المؤلف لاحقاً يدينون بعقيدة الباطنية، وهم من هذا القبيل كانوا يرمون إلى التميز عن سائر الفرق الباطنية.

(٤) ساقطة من (ب) و (ج).

(٥) في الجوهر الثمين وسير أعلام النبلاء وسائر المصادر: (عبيد الله).

ويقال: إن المهدي المذكور لما دخل سجلماسة[١] بالغرب، ونما خبره إلى أليسع ملكها، وهو آخر ملوك بني مدرار قيل له: إن هذا هو الذي يدعو أبو عبد الله الشيعي[٢] إلى بيعته فأخذه أليسع واعتقله. فلما سمع أبو عبد الله الشيعي حشد حشداً كثيراً[٣] من كتامة وغيرها وقصد سجلماسة وأخذها، فوجد المهدي مقتولاً وعنده رجل يهودي أو سامري كان يخدمه، فخاف أبو عبد الله أن ينتقض عليه الأمر فيما دبّره إن عرفت العساكر بقتل المهدي، فأخرج ذلك الخديم إلى
/١٥٦ب العساكر وقال لهم: هذا هو المهدي، وأخباره/ مشهورة.

والمهدّي أول من قام بهذا الأمر وادعى الخلافة؛ وأن أبا عبد الله الشيعي [هو][٤] الذي كان سبب قيام دولته. وبنى المهدية[٥] بإفريقية، وبنى سور مدينة تونس وأحكم عمارته

وكانت وفاته منتصف ربيع الأول عام اثنين وعشرين وثلاثمائة بالمهدية[٦]، فكانت مدة ملكه ستاً وعشرين سنة وشهوراً[٧].

---

(١) سجلماسة: مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلدان السودان، بينها وبين فاس عشرة أيام. وقال المقريزي في اتعاظ الحنفا ٦٦: وأقام المهدي بسلجماسة أربعين يوماً.

(٢) في (ب) اليسعي.
وابو عبد الله الشيعي، هو الحسين بن أحمد بن محمد بن زكريا، كان داعية الفاطميين بالمشرق وانتقل الى المغرب قاصداً كتامة من المغرب، ونشر دعوته فيهم ونصروه، ويذكر المقريزي أن مقتل أبي عبد الله كان على يدي عبيد الله المهدي في سنة ٢٩٨هـ (اتعاظ الحنفا ٦٥ ـ ٦٨).

(٣) في (ب) حشد حشد كثير.

(٤) ما بين الحاصرتين من (ج).

(٥) اتعاظ الحنفا ١/ ٧٠: وكان ابتداء بنائها في يوم السبت لخمسٍ خلون من ذي القعدة سنة ثلاث وثلاثماية

(٦) اتعاظ الحنفا ١/ ٧٢.

(٧) في (ب): وشهور.
وفي الإتعاظ ١/ ٧٣: أربعاً وعشرين سنة وعشرة أشهر وعشرين يوماً.

[٢] - وقام بعده :

أبو القاسم القائم بأمر الله محمد نزار بن المهدي[(١)].

تولى المملكة في ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاثماية[(٢)]، وتوفي بالمهدية تحت حصار مخلّد البربري[(٣)]، في سنة أربع وثلاثين وثلاثماية، فكانت مدة ملكه اثنتي عشرة سنة، ومات وعمره نيف[(٤)] وخمسون سنة[(٥)].

(١) في (أ): الإمام المنصور القائم بأمر الله نزار بن المهدي. وفي (ب): أبو القاسم القائم بالله نزار ابن المهدي.
وأخباره في الكامل في التاريخ ٣١٧/٦، ووفيات الأعيان ١٩/٥، والحلة السيراء ٢٨٥/١ - ٢٩١، والبيان المغرب ٢٠٨/١ - ٢٠٩، والمختصر في أخبار البشر ٨٠/٢ - ٩٥، والوافي بالوفيات ٤/٤، والبداية والنهاية ٢١٠/١١ - ٢١١، وتاريخ ابن خلدون ٤٠/٤ - ٤٣، والخطط المقريزية ٣٥١/١، واتعاظ الحنفا ٧٤/١ - ٨٧، والنجوم الزاهرة ٢٨٧/٣، وشذرات الذهب ٣٣٧/٢ - ٣٣٨، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ٥٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٥٢/١٥ - ١٥٦، والجوهر الثمين ٢٤٤/١، والمختصر في تاريخ البشر ٨٠/٢، ٩٥.

(٢) في (ب) و (ج): اثنين وعشرين.

(٣) في الأصول الثلاثة: مجلد.
ومخلد، أبو يزيد، بن كيداد، خرج على القائم ودعا لنفسه، واشتدت شوكته وكثرت أتباعه وهزم الجيوش، كان خارجي المذهب، يميل إلى النكارية، وهم من الإباضية. انظر أخباره في تاريخ ابن خلدون ٤٠/٤ وما بعدها، إتعاظ الحنفا ٧٥/١ وما بعدها.

(٤) في (ب): ونيفاً.

(٥) يذكر المقريزي تاريخين مختلفين لوفاة القائم ففي ٨٢/١: فلما كان في شهر رمضان مات القائم، وفي ٨٦/١ يقول: وكانت وفاة القائم لثلاث عشرة خلت من شهر شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثماية. وكانت مدة خلافته اثنتي عشرة سنة وسبعة أشهر واثني عشر يوماً، وعمره ثمانياً وخمسين سنة، وقيل: أربعاً وخمسين سنة وتسعة أشهر وستة أيام.

[٣] - وقام بالأمر بعد وفاته ولده(١):

أبو الظاهر(٢) المنصور بالله إسماعيل بن محمد نزار(٣).

ولد بالقيروان(٤) سنة اثنتين وثلاثماية(٥)، وكان في غاية من الفصاحة والبلاغة، يرتجل الشعر والخطب وما يقصد من الكلام المسجوع لوقته. تولى المملكة وهو محصور، فقاتل البربري(٦) الذي حاصر والده، فكسره، ثم ملك جميع مدن القيروان، وبنى مدينة وسماها المنصورية(٧)، واستوطنها.

توفي سنة احدى وأربعين وثلاثماية، ومدة ملكه سبع سنين وثمانية أيام(٨).

---

(١) (ب): وأقام بالأمر بعده.

(٢) في (أ): أبو الظاهر إسماعيل المنصور بالله بن القائم بالله نزار.
وفي (ب): أبو الظاهر المنصور بالله إسماعيل بن القائم نزار، وفي (ج): ابو الظاهر بالله إسماعيل بن محمد نزار.

(٣) الكامل في التاريخ ٦/٢٤١، والبيان المغرب، ووفيات الأعيان ١/٢٣٤ - ٢٣٦، واتعاظ الحنفا ١/٨٨ - ٩٢، والخطط المقريزية ١/٣٥١، والنجوم الزاهرة ٣/٣٠٨، وتاريخ ابن خلدون ٤/٤٣ - ٤٥، والوافي بالوفيات ٩/٢٠٣ - ٤٠٢، وتاريخ الخلفاء ٥٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٥/١٥٦ - ١٥٩، والبداية والنهاية ١١/٥٢٢ - ٦٢٢، والجوهر الثمين ١/ ٢٤٥ - ٢٤٦، وشذرات الذهب ٢/٣٥٩ - ٣٦٠، والمختصر في أخبار البشر ٢/٩٥ - ٩٩.

(٤) القيروان.

(٥) في (ب) و (ج): سنة اثنين وثلاثمائة.

(٦) توفي القائم وأبقى أبو الطاهر الأمر سراً حتى تمكن من السيطرة على السلطة، ولم يُظهر موت أبيه إلّا في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة (اتعاظ الحنفا ١/٨٩).

(٧) في (ج): المنصورة، وما أثبتناه من(أ) و (ب)، وهو موافق لما في المصادر.

(٨) كانت وفاة المنصور يوم الأحد الثالث والعشرين من شوال، وقيل يوم الجمعة سلخ شوال، وسترت وفاته الى الأحد سابع ذي الحجة منها. وكانت ولايته ثماني سنين، وقيل: سبع سنين وعشرة أيام (الاتعاظ ١/٨٨).

[٤] - وقام بالأمر بعده ولده[1]:

أبو تميم المعز لدين الله بن إسماعيل[2].

[وهو أول من أقيمت له الدعوة بمصر][3].

وكان شهماً شجاعاً مهاباً. اتسعت مملكته وكثرت عساكره. فلما اختل أمر الديار المصرية بعد موت كافور الأخشيدي[4] ومواليه، لاشتغال خلفاء بني العباس[5] بالديلم عن الديّار المصرية، لفتن قامت عندهم ببغداد[6]، قصد المعز أخذ مصر، وخاف أن يغزو بنفسه وعساكره فيفوته المغرب ولا تحصل له مصر. فجهّز قائداً من قواده يسمى جوهر الصقلي، وكان يعرف بقائد القواد، ومعه مائة ألف رجل إلى الديّار المصرية، وأمره أنه إذا ملكها يبني بلداً بالقرب منها، لتكون سكناً للمعز.

---

(١) في (ب): وأقام بالامر بعده ولده.

(٢) في (أ) أبو نزار أحمد المعز لدين الله بن المنصور إسماعيل، وفي (ب): أبو نزار أحمد وما اثبتناه من (ج)، لاتفاقه وما اوردته المصادر.
وانظر في أخباره: الكامل في التاريخ ٦٥/٧ - ٧٥، والمنتظم ٨٢/٧ - ٨٣، والبيان المغرب ٢٢١/١ وما بعدها، ووفيات الأعيان ٢٢٤/٥ - ٢٢٨، والبداية والنهاية ٢٨٣/١١ - ٢٨٤، وتاريخ ابن خلدون ٤٥/٤ - ٥١، واتعاظ الحنفا ٩٣/١ - ٢٣٥، والنجوم الزاهرة ٦٩/٤ - ١٠٤، وشذرات الذهب ٥٢/٣ - ٥٤، وتاريخ مختصر الدول ١٧١، وتاريخ ابن القلانسي ٢٧، وتكملة تاريخ الطبري، ونهاية الأرب ٢٠٣/٢٣، وبدائع الزهور ١٨٦/١/١، ١٩١، والمختصر في أخبار البشر ٩٩/٢، ١٠١ - ١١٥، وتتمة المختصر ٩٩/١، وتاريخ الإسلام (حوادث ٣٦١ - ٣٨٠): ٣٤٨.

(٣) ما بين الحاصرتين ساقط من (أ)، وفي (ب): وهو أول من اقيمت بمصر المعز لدين الله ابن المنصور إسماعيل، ويبدو هنا خلط الناسخ بين عنوان الفصل ومضمونه.

(٤) كافور الأخشيدي: أبو المسك، توصل الى أن صار من قواد الإخشيد، غلب على مصر بعد وفاة الإخشيد، توفي ٣٥٦هـ. ترجمت في وفيات الأعيان ٩٩/٤، تاريخ الاسلام (حوادث ٣٦١ - ٣٨٠): ١٤٩، سير اعلام النبلاء ١٩٠/١٦ - ١٩٣، وشذرات الذهب ٢١/٣.

(٥) في (أ): لاشتغال الخلفاء ببني العباس.

(٦) في (ب): أقامت عندهم ببغداد.

فلما وصل القائد إلى مصر وتسلمها من غير قتال.

بعد أمور جرت له اختصرناها، اختط سور القاهرة وبناه باللبن، واختط
١٥٧أ القصر في وسط المدينة بترتيب ألقاه/ إليه سيده، وهو الآن دار الضرب. ورتب للقاهرة حارات[١] لطوائف العسكر القادمين صحبته من بلاد الغرب[٢]، كحارة زويلة وحارة المصامدة. وعمر الجامع الأزهر، وسمى هذه المدينة بالمنصورة، وذلك في سنة احدى وستين وثلاثماية. ثم أرسل عرّف استاذه بذلك[٣]، فحضر بعساكره من بلاد الغرب إلى أن دخل القاهرة من غير ضرر، وجلس على سرير الملك من غير منازع، وذلك في شهر ذي القعدة[٤]، عام اثنين وستين وثلاثماية.

وسبب تسمية هذه المدينة بالقاهرة، أنه لما حفر الأساس حمل أحجار الأساس لجماعة وجعلَ لهم حبالاً، مدّ الأساس وجعل في الحبال أجراساً، وأمر حملة الأحجار برميها في الأساس[٥] إذا سمعوا صوت الأجراس، وقعد يرصد استحقاق الرمي ليحرك[٦] لهم الجرس ليرموا الحجارة[٧]، فحط غراب على تلك الحبال، فتحركت الحبال بالأجراس فصوتت[٨]، فسمع حملة الأحجار فظنوا أن المعز أشار إليهم، فرموا في ذلك الطالع، فرأى المعزّ أن الطالع نجم يسمى

(١) في (ب): لحارات.
(٢) في (ب): بلاد المغرب.
(٣) في (ب)عرف استاذه.
(٤) شهر ذي القعدة، ساقطة من (ب).
(٥) في (ب): وأمر حملة الأحجار برميها، بسقوط: (في الأساس).
(٦) في (ب): يحرك.
(٧) في (أ) و (ج): الحجار، وما اثبتناه من(ب).
(٨) في (ب) فحرك الحبال الأحراس فصوتوا.

«القاهر»، يقال: إنه المريخ، فشق عليه وقال: إن الطالع القاهر، فسميت بالقاهرة، لأنه لا يملكها إلا قاهر (١).

وأقام المعز بالقاهرة سنتين ونصفاً إلى أن توفي في ربيع الآخر عام خمس وستين وثلاثمائة. وكانت مدة مملكته بالغرب والقاهرة ثلاثاً وعشرين سنة ونصفاً.

[٥] - فلما توفي كانت الولاية بعده لولده:

أبي المنصور العزيز بالله بن المعز لدين الله معد (٢)

وكان كريماً شجاعاً حسن العفو عند المقدرة(٣)، قريباً من الناس، مغرماً بالصيد. وكان أديباً فاضلاً ذكياً، كذا ذكره الثعالبي في «يتيمة الدهر» (٤).

توفي سنة ست وثمانين وثلاثماية ومدة مملكته احدى وعشرون سنة.

(١) أورد المقريزي في اتعاظ الحنفا ١/١١١ - ١١٥، وفي الخطط المقريزية ٢/٢٠٤، قصة بناء القاهرة. فقال: ويقال إن جوهراً لما بنى القصر وأدار عليها السور سماها «المنصورية». وليس المنصورة، كما ورد في المتن اعلاه. ثم يتابع: فلما قدم المعز لدين الله إلى الديار المصرية سمّاها «القاهرة». ثم أورد الرواية الخيالية وقصة الحبال والجرس والغراب.

ولا نشك أنّ لهذه القصة أساساً: من استخدام المنجمين الذين اختاروا الطالع، فكانت رغبة المعز أن يجعلها خارج البلد ليقيم بها الجند، وأن لا تخرج مصر عن نسل الفاطميين، ثم توزيع الحارات على أنصاره من الجنود، وهذا ما سبق إليه غيره من بناة المدن العربية، ولا سيما بناء دار السلام (بغداد، مدينة المنصور). ولكن العقل لا بد سيقف أمام قصة الغراب التي عمل الخيال على نسجها.

(٢) في (ج): أبي المنصور العزيز بالله نزار بن معد.

وأخباره في الكامل في التاريخ ٧/١٧٦ - ١٧٧، والمنتظم ٧/١٩٠، والبيان المغرب ١/٢٢٩، ووفيات الأعيان ٥/٣٧١ - ٣٧٦، والبداية والنهاية ١١/٣٢٠، وتاريخ ابن خلدون ٤/٥١ - ٥٦، واتعاظ الحنفا ١/٢٣٦ - ٢٩٩، والخطط المقريزية ١/٣٥٤، والنجوم الزاهرة ٤/١١٢ - ١١٥، وبدائع الزهور ١/١/١٩٢، وسير أعلام النبلاء ١٥/١٦٧-١٧٣، وتاريخ الإسلام (حوادث ٣٨١-٤٠٠ هـ): ١٢٩-١٣١، وشذرات الذهب ٣/١٢١، والمختصر في أخبار البشر ٢/١٣١، وتتمة المختصر ١/٣١٣، وتاريخ مختصر الدول ١٧٨، وتاريخ ابن القلانسي ٧٣، وتكملة تاريخ الطبري ٤٤٦ - ٤٤٨، والجوهر الثمين ١/٢٥٠.

(٣) في (ج): القدرة.

(٤) يتيمة الدهر ١/٢٥٤، وتاريخ الإسلام (أحداث ٣٨١ - ٤٠٠هـ) ١٣٠.

[٦] - وتولى بعده ولده:

أبو علي الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز(١)

وكان شيطاناً مريداً سيء الاعتقاد(٢)، سفاكاً للدماء، قتل خلقاً كثيراً بغير ذنب، وادعى الألوهية(٣)، وأمر بسب الصحابة(٤).

قال الذهبي في «تاريخ الإسلام»: إن الحاكم ادعى علم الغيب في وقت فكان يقول: فلان قال في بيته كذا/وكذا، وفعل كذا وكذا، وأكل كذا وكذا. وكان ذلك باتفاق اعتمده مع العجائز اللواتي يدخلن بيوت الأمراء وغيرهم ويعرفونه بذلك(٥)، فرفعت إليه رقعة في اثناء ذلك فيها(٦):

---

(١) في (ج): أبو علي الحاكم بأمر الله منصور بن نزار.
وأخباره في المنتظم ٧/٢٩٧ - ٣٠٠، الكامل في التاريخ ٧/٣٠٤ - ٣٠٦، والبيان المغرب ١/٢٧، ووفيات الأعيان ٥/٢٩٢ - ٢٩٨، والبداية والنهاية ١٢/٩ - ١١، وتاريخ ابن خلدون ٤/٥٦ - ٦١، واتعاظ الحنفا ٢٩١ - ٢٩٩، ٢/٣ - ١٢٣، والخطط المقريزية ١/٣٥٤، والنجوم الزاهرة ٤/١٧٦ - ١٩٦، وشذرات الذهب ٣/١٩٢ - ١٩٥، وسير أعلام النبلاء ١٥/١٧٣ - ١٨٤، وبدائع الزهور ١/١/١٩٧، والمختصر في أخبار البشر ٢/١٥١، وتتمة المختصر ١/ ٥٠٢، وتاريخ ابن القلانسي ٩٦، ١٠٨، ١٢٧ - ١٢٨، والجوهر الثمين ١/٢٥١ - ٢٥٢؛ ودول الإسلام ٢١٥.

(٢) في (ب): وكان مقداماً شديداً، والمؤلف ينقل عن الوفيات وسير أعلام النبلاء.

(٣) في (أ): وادّعى الألوهية.
وذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٥/١٧٦، أنه أراد ذلك ولكن أعوانه ثنوه عن ذلك.

(٤) إن الأمر بسبب الصحابة في العهد الفاطمي كان قبل الحاكم. والواقع أن الحاكم مرّ في مرحلة هادن فيها المذهب السني، والمالكي بوجه أخص، بعد أن رأى أن يهادن المعز بن باديس، ولكنه عاد عن ذلك بعد أن رأى زوال المبررات السياسية، ولأن النظام السياسي الذي كان يرأسه مترابط.

(٥) لم يذكر الذهبي ذلك في سير أعلام النبلاء، ولكنه ذكر في تاريخ الإسلام في ترجمة المعز: أنهم كانوا يدعون علم الغيب.

(٦) في (ب): مكتوب فيها.

بـالجـور والـظلم قـد رضينـا ولـيس بـالكفـر والحمـاقـة[1]
إن كنت اوتيت علم غيب[2] بين لنـا كـاتب البـطاقـة

فحين قرأها سكت عن الكلام في المغيبات.

وكان هو وأسلافه بمصر يدّعون الشرف ويقولون: نحن أولاد فاطمة، وأبونا علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه. وكان الحاكم في كل سبعة أيام يقول ذلك على المنبر. وكانت الرقاع ترفع إليه وهو على المنبر في إشغال الناس[3] فرفعت إليه رقعة مكتوب فيها[4]:

إنـا سـمعنـا نسبـاً منـكـراً يتلى على المنبر في الجامع[5]
إن كنت فيمـا قـلتـه صـادقـاً فـانسب لنـا نفسـك كـالـطائع
أو كـان حـقـاً كلمـا تـدعي فـاذكـر أبـاً بعـد الأب السـابـع
أو لادع الأنسـاب مسـتـورة وأدخـل بنا في النسب الـواسـع
فـإن أنسـاب بنـي هـاشـم يقصـر عنهـا طمـع الـطامـع

فرماها من يده ولم ينتسب فيما بعد.

وكانت له أمور متضادة، لأنه كان عنده شجاعة وإقدام، وجبن وإحجام ومحبة للعلم وانتقام من العلماء، وميل إلى الصلاح وقتل الصلحاء.

وأقام سنين يوقد عليه الشمع ليلاً ونهاراً، ثم جلس في الظلام مدة.

وقتل من العلماء ما لا يحصى، وأمر بسب الصحابة وكتب ذلك على أبواب المساجد والشوارع، ثم محاه بعد مدة[6]، ومنع صلاة التراويح عشر سنين[7]،

(١) البيتان في تاريخ الإسلام (حوادث ٣٨١ ـ ٤٠٠هـ): ١٣١، وفي الوافي ٥/٣٧٤.
(٢) في (ب): أن كنت أوتيت علم الغيب.
(٣) في (ب): في اشتغال الناس.
(٤) في (ب): فيها مكتوب.
(٥) الأبيات في تاريخ الإسلام، المصدر أعلاه: ١٣١.
(٦) سير أعلام النبلاء ١٥/١٧٤.
(٧) عشر سنين، ليست في (ب).

ثم أباحها، وهدم قمامة النصارى ببيت المقدس، وبنى مكانهـا مسجداً، ثم أعادها كما كانت، وبنى المـدارس وجعل فيهـا العلماء والمشـايخ ثم قتلهم وهدمها، وكانت أفعاله كلها من هذا القبيل.

وكان يعمل الحسبة بنفسه فيدور[١] في الأسواق على حمار له، فمن وجده قد غش في معيشته أمر عبداً أسود معه يقال له مسعود أن يفعل به الفاحشة العظمى؛ وهذا أمر منكر لم يسبق إليه، عثره الله تعالى[٢]. وأنه منع النساء من الخروج إلى الطرقات ليلاً ونهاراً مدة سبع سنين وسبعة أشهر، وأمر بغلق الأسواق نهاراً وفتحها ليلاً، فامتثلوا ذلك دهراً طويلاً، حتى اجتاز مرة بشيخ / يعمل النجارة بعد العصر، فوقف عليه وقال: ألم ننهكم عن هذا: فقال: يا سيدي، أما كان الناس يسهرون لما كانوا يتعيشون بالنهار؟ فهذا من جملة السهر. فتبسم وتركه وأعاد[٣] الناس إلى أمرهم الأول.

ونهى عن أكل الملوخية والجرجير، وعلل تحريم الملوخية بميل معاوية إليها، وعلل تحريم الجرجير بكونه منسوباً إلى عائشة.

ونهى عن بيع الرطب، ثم جمع منه شيئاً كثيراً وأحرقه.

ونهى عن بيع العنب وأنفد أناساً إلى الجيزة[٤]، ومعاملتها حتى قطعوا كرومها وداسوها بالبقر.

وأمر بجمع جرار العسل وحملت إلى شاطىء النيل، فكسرت وقلبت في النيل.

ونهى عن بيع الزبيب وجمع منه شيئاً كثيراً وأحرقه.

ونهى عن بيع السمك الذي لا قشر له، وظفر بمن باعه فقتله.

---

(١) في (ب): ويدور.
(٢) في (ب): فمن وجده قد غش في معيشته انتقم منه، وما سواه ساقط.
(٣) في (أ) و (ج): وعاد.
(٤) في (ب): إلى الجزيرة.

وأمر النصارى أن يحملوا[1] في أعناقهم الصلبان، وأن يكون طول الصليب ذراعاً وزنته خمسة أرطال.

وأمر اليهود أن يحملوا قرامى الخشب في زنة الصلبان، وأن يلبسوا العمائم السود، وأن لا يكتروا من مسلم بهيمة [ولا مركب][2] ، ثم أفرد لهم حمامات وأمرهم أن يدخلوا إليها والصلبان [3] في أعناقهم. وأمرهم في وقت بالدخول في الإسلام كرهاً، ثم أذن لهم بالعود إلى أديانهم، فارتد منهم [في يوم واحد][4] ستة آلاف نفر، وخرّب كنائسهم ثم أعادها.

قال ابن الجوزي[5] : ادعى الحاكم المذكور بالربوبية وكان قوم من الجهال إذا رأوه يقولون: «يا واحد، يا أحد، يا محيي، يا مميت».

وصنف له بعض الباطنية كتاباً ذكر فيه أن روح آدم انتقلت إلى عليّ، وأن روح عليّ انتقلت إلى الحاكم[6] ، وقرىء هذا الكتاب بجامع القاهرة فقصد الناس قتل مصنفه، فسيره الحاكم إلى جبال الشام فنزل بوادي التيم وناحية بانياس، فاستمال قلوب الناس وأباح لهم الخمر والزنا[7] ، وأقام عندهم مدة يدعوهم، فأضل منهم خلقاً كثيراً. وفي وادي التيم ونواحي الشوف إلى يومنا هذا قوم يدعون بالدروز ويعتقدون[8] خروج الحاكم، ولهم كتب يتدارسونها فيما بينهم، ويعتقدون أنه لا بد أن يعود ويمهد الأرض، وتلك خيالات فاسدة وظنون كاذبة.

---

(١) في (ب): أن يعمل في اعنالهم.
(٢) زيادة من (ب).
(٣) في (ب): بالصلبان.
(٤) زيادة من (ب).
(٥) في (ج): ابن الجزري.
والخبر أورده ابن الجوزي في المنتظم ٢٩٨/٧، وعنه في البداية والنهاية ١٠/١٢.
(٦) انظر النجوم الزاهرة ١٨٤/٤.
(٧) كذا.
(٨) الجملة من (خروج الحكم...) حتى (وكانت الإسماعيلية)، ساقطة من (ب).

وكانت الإسماعيلية يعتقدون أن أفعاله لأغراض صحيحة، استأثر بعلمها وتفرد بمعرفتها نعوذ بالله من ذلك[1] .

قال الشيخ/ عماد الدين ابن كثير: «هذا من أحكامه[2] الشنيعة وأوامره المخالفة للشريعة، عامله الله بما هو أهله»[3] .

قتل في شوال عام احد عشر وأربعماية، وعمره ست وثلاثون سنة[4] ، وكانت مدة ولايته عشرين سنة[5] .

---

(١) نعوذ بالله ليست في (ب).

(٢) في (ب): هذا من أحكامه الشنيعة، وباقي قول ابن كثير ساقط من (ب).

(٣) لم أقع على قول ابن كثير في البداية والنهاية في ترجمته للحاكم بأمر الله.

(٤) في (ب): وعمره ستة وثلاثون سنة.

(٥) ساق المؤلف أخبار الحاكم بأمر الله بشكل سريع، ومعظم ما ورد في هذه الترجمة يتفق مع المصادر التي أوردت ترجمته، حتى ان المقريزي، المؤرخ المحايد، إن لم نقل المتعاطف، ذكر كثيراً من الوقائع التي دفعت المؤرخين إلى القول بتخبط سياسة الحاكم.

فقد ذكر مقتل الكثير من رجال العلم. وذكر أيضاً خوف المحيطين به من رجال الجيش والإدارة، مما اضطر الحاكم لإعطائهم الأمان لكل صنف منهم، وبالفعل فإن المقريزي يعطي صورة واضحة عن الخوف الذي يسيطر على مصر.

وقدم المقريزي تبريراً لقمع الحاكم للأعمال المضرة بالأخلاق والمحافظة على أموال اليتامى.

وإذا ما عدنا إلى البحث في خلفيات أحداث عهد الحاكم، فاننا نسجل الملاحظات التالية:

أولاً، نرى أن الحاكم تولى السلطة قاصراً، وهو في سن الحادية عشرة، وحكم مجلس وصاية من قوى مختلفة من قادة الجيش وأُستاذي الخلافة وسيدات القصر. وهذا يعني قيام مواضع نفوذ وقوى تتجاذب السلطة في الداخل.

ثانياً، نرى الحاكم يجد نفسه مهدداً بصورة جدية أثناء ثورة أبي ركوة في برقة، والتي كلفته الكثير من المال والرجال وضعف الهيبة.

أمام صورة الحكم المهتزة هذه، كان لا بد من رد يثبت رغبة الحاكم في اظهار نفسه واسطة العقد في الحكم، وانه محور ادارة شؤون الدولة، ويشهد على ذلك، التصفيات التي طالت المساعدين، وتوسل الرأي العام بضبط المواريث والحسبة والعدل ومراقبة صحة المواد الغذائية تارة، وتوسل استرضاء العامة بإظهار الحرص على الدين والأخلاق من جهة، والضغط على غير المسلمين الذين حققوا فعلاً نفوذاً كبيرا إبان الحكم الفاطمي، ويشهد على ذلك النفوذ، الاحتفالات الفخمة التي كانت تجري في مناسبات الفصح والميلاد أو غيرها من المناسبات التي =

[٧] - ثم قام بالأمر بعده ولده:

أبو الحسن علي الظاهر بالله بن الحاكم بأمر بالله بن منصور(١).

ولي مكان والده بعد موته بشهرين في يوم عيد النحر(٢).

= كان يرعاها كبار رجال الإدارة من غير المسلمين، وعلى ما كان يرافق هذه المناسبات من اقبال على احتساء الخمور والمسكرات واللذات الحسية الأخرى.

والأمر الثالث، فإنه لا بد من أن يكون الحاكم قد لاحظ التناقضات التي تحكم تصرفات رجال القصر والسلطة، ولا بد أنه فكر في اللعب على هذه التناقضات، وبوجه خاص، انه كان يشعر بعداء اخته ست الملك، والتي تتهمها المصادر التاريخية بتدبير اغتياله، وتعيين خليفته القاصر في سدة الحكم.

والأمر الرابع، الذي يلفت أنظارنا، هو الجانب الثقافي. فلقد أشارت المصادر إلى ميل الحاكم إلى الرصد، وأنه كان يميل إلى التأمل، ثم تشير إلى ظهور مذهبي الدروز والنصيرية في عهده، وهذا يدل على قلق في العقيدة السياسية للدولة آنئذٍ، وبخاصة أن الفاطميين لم يتمكنوا من اقناع المصريين باعتناق عقيدة الدولة الرسمية، على قول البعض، أو انهم تركوا حرية العقيدة للمصريين. وهذا يفسره الإعتماد على غير المسلمين في أمور الإدارة من ناحية، والحاجة إلى تطوير العقيدة من ناحية أخرى.

ونشير أخيراً إلى سبب اقدام الحاكم على هدم كنيسة القيامة، وهو ما أورده ابن القلانسي من أن معاوني الحاكم ذكروا له ما فيها من ذهب يقدمه زوارها في يوم سبت النور، وأطمعوه فيها، وعندما علم نصارى مصر بنية الحاكم، أبلغوا بطرك البيعة وأنذروه، وتمكن من نقل قسم من ذهبها. (تاريخ ابن القلانسي ١٠٨ - ١٠٩).

(١) في (أ): أبو الحسن علي الظاهر بالله، وفي (ج): أبو الحسن الظاهر لاعزاز دين الله علي بن منصور. وما أثبتناه يتفق وما أثبتته الأصول الثلاثة.

وأخباره في وفيات الأعيان ٣/٤٠٧ - ٤٠٨، وبدائع الزهور ١/١/٢١١، وتاريخ ابن خلدون ٤/١د - ٦٤، واتعاظ الحنفا ٢/١٢٤ - ١٨٣، والخطط المقريزية ١/٣٥٤، والكامل في التاريخ ٨/١٠ - ١١، والمنتظم ٨/٩٠، والجوهر الثمين ١/٢٥٣، وسير أعلام النبلاء ١٥/١٨٤ - ١٨٦، والنجوم الزاهرة ٤/٢٤٧ - ٢٥٥، وشذرات الذهب ٣/٢٣١ - ٢٣٢، والبداية والنهاية ١٢/٣٩، وتاريخ ابن القلانسي ١٢٧ - ١٢٨، ١٣٤ - ١٣٥، والمختصر في أخبار البشر ٢/١٥٩.

(٢) في سير أعلام النبلاء: في شوال. ويذكر ابن الأثير أن الجند أقاموا خمسة أيام بعد غياب الحاكم، ثم اجتمعوا إلى ست الملك وحدثوها في أمر غيبته فأجلتهم يومين، فلما كان اليوم السابع ألبست

وكان عمره سبع سنين[١]، فضعفت دولة العبيديين في أيامه لصغر سنه[٢].

وأقام خمس عشرة سنة وتسعة أشهر، وتوفي ليلة النصف من شوال سنة سبع وعشرين وأربعماية[٣].

[٨] - ولما مات قام بالأمر بعده ولده:

أبو تميم المستنصر بالله معد بن الظاهر بالله[٤].

ولي في يوم وفاة أبيه وهو ابن ثمان سنين.

وجرت في أيامه فتن وشدائد وخربت مصر إلى الآن، وهي الكيمان التي بطريق مصر، وتغلبت أكثر ولاة الأطراف عليها، وحوصر في قصره، وتجنى الأجناد عليه وانتزعوا جميع ما في يده وأرادوا أن يتزوجوا ببناته وأخواته، فأخرجهن مع أولاده من القصر، وسيّرهن إلى غزة وعسقلان[٥].

=. أبا الحسن علي ابن أخيها الحاكم أفخر الملابس، والجند مجتمعون للموعد المحدد. أما ابن خلكان فيقول ان الظاهر تولى بعد فقد أبيه بمدة.

(١) قال في النجوم الزاهرة نقلاً عن مرآة الزمان، والمقريزي في الاتعاظ: إن الظاهر ولي الخلافة وله من العمر ست عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام.

(٢) قامت ست الملك، عمة الظاهر، بالسيطرة على الحكم، وهي التي تتهمها المصادر التاريخية بتدبير اغتيال الحاكم، بالتعاون مع ابن دوّاس. وكان أول عمل قامت به، هو قتل ابن دواس، بعد اتهامه بقتل الحاكم (اتعاظ الحنفا ٢/١٢٧ - ١٢٨). ثم قامت السيدة بتصفية نفوذ أنصار الحاكم، وانتهت إلى ان قتلت من كان اطلع على سرّها في قتل الحاكم.

(٣) في الاتعاظ: ومدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام.

(٤) في (أ): أبو أحمد المستنصر بالله معد بن الظاهر بالله، وفي (ب): أبو أحمد المستنصر بالله معد بن الظاهر. وفي (ج): أبو تيم المستنصر بالله معد بن علي. وما أثبتناه من (أ) مصححاً عن المصادر.

وأخباره في الكامل في التاريخ ٨/١٧٢ - ١٧٣، ووفيات الأعيان ٥/٢٢٩ - ٢٣١، والبداية والنهاية ١٢/١٤٨، والنجوم الزاهرة ٥/١ - ٢٣، واتعاظ الحنفا ٢/١٨٤ - ٣٣٣، وبدائع الزهور ١/١/٢١٥، والخطط المقريزية ١/٣٥٥ - ٣٥٦، وسير أعلام النبلاء ١٥/١٨٦ - ١٩٦، والجوهر الثمين ١/٢٥٤ - ٢٥٦، وتاريخ ابن القلانسي ١٣٥، ٢٢١، والمختصر في أخبار البشر ٢/١٨٩.

(٥) أورد المقريزي هذه الصورة التي آلت إليها سلطة المستنصر وقدم في أحداث ٤٦١هـ لائحة =

وكان في أيامه الغلاء الذي ما عهد بمثله في زمن يوسف الصديق عليه السلام[1]، فأقام الناس سبع سنين حتى أكل بعضهم بعضاً. قيل: بيع فيه رغيف واحد بخمسين ديناراً، ثم عدمت الأقوات بعد ذلك[2].

قال سبط ابن الجوزي في «**مرآة الزمان**»: إن في هذا الغلاء[3] خرجت امرأة ومعها قدر مدٍّ من جوهر فقالت: من يأخذ هذا ويعوّضني فيه قدر مدّ من برّ؟ فلم تجد، فقالت: إذا لم تنفعني في الضائقة، فلا حاجة لي بك. فألقته في الطريق وانصرفت وماتت. فالعجب[4] أنه ما التقطه أحد، لأن غالب أهل مصر إذ ذاك نزح عنها، والموجودون مشغولون بأنفسهم.

وكان المستنصر في هذه السنة يركب وحده ومعه العسكر مشاة فلم يجدوا ما يركبونه[5]، وكان المستنصر يستعير بغلة صاحب الديوان لحامل المظلة[6] ليركبها، وكان عسكره يتساقطون من الجوع. ولم يزل في ضنك وفساد أمر حتى طلب أمير الجيوش بدر الجمالي[7]، وكان والياً في عكا، فحضر إلى الديار

= ضخمة تثير الدهشة لما أخرج من قصر المستنصر من ثروات وتحف وبيعت أو نهبت.

(١) عليه السلام، ليست في (أ).
والخبر في الكامل في التاريخ وسير أعلام النبلاء.

(٢) اتعاظ الحنفا ٢/٢٩٩ ـ ٣٠٠.
ويعزو المقريزي الغلاء إلى الحروب الداخلية وقصور النيل، ودام هذا الحال من سنة ٤٥٩ هـ لمدة سبع سنوات

(٣) نقله الذهبي عن سبط ابن الجوزي في سير أعلام النبلاء ١٥/١٩٠، وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة ٥/١٧.

(٤) في (ب): والعجب.

(٥) في (ب): لم يجدوا ما يركبونه.

(٦) في (ب): الحامل المظلة.

(٧) بدر الجمالي: كان مملوكاً لجمال الدولة ابن عمار، فلذلك قيل له: بدر الجمالي، أرمني الأصل، وجيشه من غالبية أرمنية. ولي بلاد الشام، وتقلد إمارة دمشق من قبل المستنصر مرتين، ثم إنه رحل عن دمشق وقلّده المستنصر عكا. وفي أثناء ما وقع بمصر من الحروب والمجاعة، كاتبه المستنصر، ووافق بشروط تجعله الرجل الأقوى، ودخل إلى القاهرة وتحكم بمصر تحكم الملوك. توفي ٤٨٧ هـ (اتعاظ الحنفا ٢/٣٢٩).

المصرية، وهو في ذلك الأمر/ واستوزره، فدبر الأمور بأحسن تدبير، وجلب الأقوات من الأماكن البعيدة ووطن العالم وزال عنهم (١) ذلك الضنك.

وأقام المستنصر في ولايته هذه ستين سنة (٢) إلى أن مات لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة سنة سبع وثمانين وأربعماية.

[٩] - ثم قام بالأمر بعده ولده:

أبو العباس أحمد المستعلي بالله بن المستنصر بالله معد(٣)

وفي زمانه اختلت دعوتهم ودولتهم وضعف أمرهم، وانقطع من أكثر بلاد الشام حكمهم، وتغلبت الفرنج على أكثر الشام(٤)، ولم يكن للمستعلي (٥) مع وزيره الأفضل كلام(٦).

(١) في (ج): وأزال عنهم.

(٢) في اتعاظ الحنفا: وأقام في الخلافة ستين سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام.

(٣) في (ج): أبو العباس المستعلي بالله أحمد بن معد ومعظم هذه الأخبار من وفيات الأعيان ١٧٨/١ - ١٨٠، وانظر: تاريخ ابن خلدون ٦٦/٤ - ٦٨، والبداية والنهاية ١٦٢/١٢، واتعاظ الحنفا بأخبار الفاطميين الخلفا ١١/٣ - ٢٨، والخطط المقريزية ٣٥٦/١ - ٣٥٧، والنجوم الزاهرة ١٤٢/٥ - ١٥٤، وسير أعلام النبلاء ١٩٦/١٥ - ١٩٧، وتتمة المختصر ٢٣/٢، وتاريخ ابن القلانسي ٢١١، وبدائع الزهور ٢٢٠/١/١، والجوهر الثمين ٢٥٧/١ - ٢٥٨، والكامل في التاريخ ٢٥٥/٨، وشذرات الذهب ٢/٣ - ٤، والمختصر في أخبار البشر ٢١٤/٢، والوافي بالوفيات ١٨٣/٨.

(٤) وفيات الأعيان ١٧٩/١، وسير أعلام النبلاء ١٩٦/١٥، ويعطي ابن خلكان بعض التفاصيل، وفي تاريخ ابن القلانسي ٢١٨ - ٢٢٥: نزل الفرنج على بغراس وأغاروا على أنطاكية التي سقطت بين أيديهم سنة ٤٩١ هـ، ثم توجهوا إلى معرّة النعمان وملكوها في ٤٩٢ هـ، ثم توجهوا إلى بيت المقدس، فاحتلوا الرملة ثم احتلوا القدس، ثم افتتحوا عكا وارسوف وقيسارية.

(٥) المستعلي، ساقطة من (ب).

(٦) سير أعلام النبلاء، وتاريخ ابن القلانسي.

ويذكر المقريزي كيف هيأ الأفضل الخلافة للمستعلي القاصر، بعد أن أزاح أخويه الكبيرين، مما أدى إلى قيام ثورة ضد المستعلي تمكن الأفضل من اخمادها، ويذكر المقريزي أن عمل الأفضل بدفع المستعلي إلى الحكم كان بسبب صغر سن هذا الأخير، وان بإمكان الأفضل والقادة تجنب ما يمكن أن يثيره خليفة قوي.

واستمر في الولاية إلى أن مات بمصر لعشر بقين من صفر سنة خمس وتسعين وأربعماية، وكانت ولايته سبع سنين وشهراً.

[١٠] - ثم قام بالأمر بعده ولده[١]:

أبو علي الآمر بأحكام الله منصور بن المستعلي بالله[٢].

ولي وهو ابن خمس سنين وخمسة أيام[٣].

ونشأ ظالماً، جاهلاً، طماعاً، كثير الفسق متظاهراً بالفواحش، رديّ الطبع[٤].

وثب عليه الباطنية فضربوه بالسكاكين إلى أن مات، وفرح الناس بقتله[٥].

ثم إن جماعة من توابعه وثبوا على الباطنية فقتلوهم.

وكانت مدة ولايته ثلاثين سنة وثمانية أشهر[٦].

---

(١) في (ب): ثم أقام بالأمر بعده ولده.

(٢) في (ج): أبو علي الآمر بأحكام الله منصور بن أحمد.
وأخباره في اتعاظ الحنفا ١٣١/٣ - ١٣٣، والخطط المقريزية ٣٥٧/١، وبدائع الزهور ٢٢١/١/١، وتاريخ ابن خلدون ٦٨/٤ - ٧١، والمنتظم ١٥/١٠ - ١٦، ووفيات الأعيان ٢٩٩/٥ - ٣٠٢، وشذرات الذهب ٧٢/٤ - ٧٣، وسير أعلام النبلاء ١٩٧/١٥ - ١٩٩، والجوهر الثمين ٢٥٩/١ - ٢٦٠، وتاريخ ابن القلانسي ٣٦٢ - ٣٦٣، والكامل في التاريخ ٣٣١/٨ - ٣٣٢، والبداية والنهاية ٢٠٠/١٢ - ٢٠١، والنجوم الزاهرة ١٧٠/٥ - ١٨٥، والمختصر في أخبار البشر ٤/٣، وتتمة المختصر ٣٥/٢، وعيون التواريخ ٢٠٧/١٢.

(٣) في الجوهر الثمين؛ وفي الاتعاظ: ولي وهو طفل، وله من العمر خمس سنين وشهر وأيام.

(٤) وفيات الأعيان وسير أعلام النبلاء، وفي اتعاظ الحنفا تفصيل ذلك.

(٥) في بدائع الزهور ٢٢٣/١/١ وثب عليه غلام أرمني فقتله، وفي اتعاظ الحنفا: قتله جماعة من أنصار عمه نزار.

(٦) في بدائع الزهور ٢٢٤/١/١: وكانت مدة خلافته بمصر تسع وعشرين سنة وشهرين. وكان مقتله في ذي الحجة من سنة ٥٢٤ هـ.

[١١] - وقام بالأمر بعده ابن عمه الإمام[١]:

أبو الميمون الحافظ لدين الله عبد المجيد بن أبي القاسم [محمد بن المستنصر] [٢]:

ولي وعمره ثمان وخمسون سنة وشهر.

وكان وزيره ابن الأفضل هو المتحدث، ولم يكن للحافظ إلا الاسم[٣].

وكان الحافظ قد أظهر مذهب الإمامية[٤]. ثم إنه دبّر على وزيره حتى قتله وتصرف في مملكته.

وطالت يده، وأحسن تدبير نفسه إلى أن مات في عام أربعة وأربعين وخمسماية، وكانت ولايته تسع عشرة سنة وشهوراً[٥].

---

(١) لفظ (الإمام) ليس في (ج).

(٢) ما بين الحاصرتين من (ج).

وأخباره في وفيات الأعيان ٣/٢٣٥ - ٢٣٧، واتعاظ الحنفا ٣/١٣٧ - ١٩٢، وبدائع الزهور ١/١/٢٢٤، والبداية والنهاية ١٢/٢٢٦، وتاريخ ابن خلدون ٤/٧١ - ٧٤، وتاريخ ابن القلانسي ٣٨٢ - ٣٨٥، ٤٧٨، والكامل في التاريخ ٩/٢٤ - ٢٥، والنجوم الزاهرة ٥/٢٣٧ - ٢٤٦، والخطط المقريزية ١/٣٥٧، وسير أعلام النبلاء ١٥/١٩٩ - ٢٠٢، والجوهر الثمين ١/٢٦١ - ٢٦٢، وشذرات الذهب ٤/١٣٨، والمختصر في أخبار البشر ٣/٢١، وعيون التواريخ ١٢/٤٣٢ - ٤٣٣.

(٣) ابن الأفضل، أحمد بن الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي، استقرت له الوزارة بعد قتله الوزير السابق، على عادة الوزراء في مصر، في السادس عشر من ذي القعدة من سنة ٥٢٤هـ، فأول ما بدأ به أنه أحاط بالحافظ وسجنه في خزانة. ورغب ابن الأفضل في الحصول على رضا الأهالي، فأقر تعيين أربعة قضاة على المذاهب المالكية والشافعية والإمامية والإسماعيلية، ومن ناحية أخرى، قام بإخراج المخزون من القمح لمحاربة الغلاء، وأطلق الأموال، ورد الصادرات على أصحابها، قتل سنة ٥٢٦ هـ.

(٤) اتعاظ الحنفا ٣/١٤٠.

(٥) في سير أعلام النبلاء: فكانت دولته عشرين سنة سوى خمسة أشهر؛ وفي اتعاظ الحنفا ٣/١٨٩: مدة خلافته ثماني عشرة سنة وأربعة أشهر وتسعة عشر يوماً.

[١٢] - ثم قام بأمر المملكة بعده ولده:

أبو الفداء الظافر بالله إسماعيل بن الحافظ عبد المجيد[(١)].

وكان عارفاً عاقلاً ديّناً. عمر جامع الفكاهيين بالشوايين المعروف بالظافري[(٢)].

استوزر الملك عباس، وكان له ولد يسمى نصر، صحبه الظافر وكان لا يفارقه، فحسده أكثر الأمراء على ذلك، فخشي الوزير على ولده وعلى نفسه، فرمى بين الظافر وبين ولده بمواقع شنيعة بأمور/ قبيحة شنعها عليه، فعزم نصر ١٥٩ب
على الظافر فقتله في شهر المحرم سنة تسع وأربعين وخمسماية[(٣)].

(١) في (ج): أبو الفداء الظافر بأعداء الله إسماعيل بن عبد المجيد.
وفي اتعاظ الحنفا: الظافر بأمر الله، وفي سير أعلام النبلاء وبدائع الزهور: الظافر بالله، وكذا الأمر في سائر المصادر من اختلاف عودتناه في الكنى والألقاب، في أسماء الخلفاء الفاطميين.
وأخباره في وفيات الأعيان ١/٢٣٧ - ٢٣٨، واتعاظ الحنفا ٣/١٩٣ - ٢١٠، والخطط المقريزية ١/٣٥٧، وتاريخ ابن القلانسي ٥٠٦ - ٥٠٧، والكامل في التاريخ ٩/٤٣ - ٤٤، والبداية والنهاية ١٢/٢٣١، وتاريخ ابن خلدون ٤/٧٣ - ٧٥، والنجوم الزاهرة ٥/٢٨٨ - ٢٩٧، والمختصر في أخبار البشر ٣/٢٨، وتتمة المختصر ٢/٨٦، وسير أعلام النبلاء ١٥/٢٠٢ - ٢٠٤، والجوهر الثمين ١/٢٦٣ - ٢٦٤، وشذرات الذهب ٤/١٥٢ - ١٥٣، وعيون التواريخ ١٢/٤٨٤ - ٤٨٦، والوافي بالوفيات ٩/١٥١ - ١٥٣.

(٢) كان قبل ذلك زريبة للكباش، وسبب بنائه جامعاً أن خادماً كان يشرف على الزريبة، فرأى ذباحاً وقد أخذوا شيئاً من الغنم، فذبح أحدهما ورمى سكينه وذهب لقضاء حاجته، فأتى رأس الغنم الآخر، فأخذ السكين بفمه ورماها في البالوعة، وجاء الذباح فلم يجد السكين، فاستصرخ الخادم وخلصه منه، فرفعت القصة إلى أهل القصر، فأمروا بعمارته مسجداً. ويقال إن الظافر كان يريد دفن رأس الحسين، رضي الله عنه، بهذا المسجد، بعد أن استنقذها من عسقلان، عندما أخذها الفرنج، فأشار عليه أهل القصر بدفن الرأس الشريعة بداخل القصر (صبح الأعشى ٣/٣٦١، والخطط المقريزية ٢/٢٩٣، والخطط التوفيقية ٢/١٣٠)، ولا يزال هذا المسجد موجوداً إلى الآن ويعرف باسم جامع الفاكهاني، نسبة إلى السيد محمد الأنور الفاكهاني (الاتعاظ ٣/٢٠٩، الهامش الأول).

(٣) قصة مقتل الخليفة تحكي جانباً من صراعات أصحاب القصر ومن يحيط بهم من الإداريين =

وكانت مدته[1]، أربع سنين وثمانية شهور[2].

[١٣] ـ ثم قام بالأمر بعده ولده:

[أبو القاسم] الفائز بنصر الله عيسى بن الظافر إسماعيل[3].

ولي صبيحة قتل والده وعمره خمس سنين. ووزر له الصالح طلائع بن رزيك[4].

= والقادة العسكريين. وقد حكى جانباً منها أسامة بن منقذ الذي كان أحد قادة الجيش (الاعتبار ١٨)، ونكتفي هنا برواية المقريزي في الاتعاظ ٢٠٤/٣ ـ ٢٠٩، الذي اتهم أسامة بن منقذ بالتحريض على ذلك. فكان من العادة خروج العسكر من القاهرة لحفظ ثغر عسقلان من الفرنج كل ستة أشهر، فلمّا قدم البدل كانت النوبة للمظفر عباس، الذي كان ربيب العادل عليّ ابن السلّار الوزير وقد تمكن أسامة بن منقذ من أن يقنع العباس بقتل العادل زوج أمه، لعدم رغبتها في الذهاب الى الجبهة، وتمكن العباس بذلك من الوصول إلى الوزارة بمساعدة ابنه نصر، وبعدها بات عباس يخشى من أن يتمكن ابنه نصر من إقناع الظاهر بقتل أبيه عباس وتناهى الى علم الأمراء أن أسامة بن منقذ كان وراء مقتل العادل، فأستوحشوا منه، ورغبوا في إخراجه من مصر، فهو غريب ويُخشى عليه من إفساد أمور المملكة. وكان موقف أسامة أن أخذ يغري عباساً بابنه نصر ويشير إلى علاقته المشبوهة بالخليفة، وانتهى الأمر إلى أن استدرج نصر الخليفة إلى داره، فقتله غلمان أبيه. ولا يفوتنا هنا أن نذكر أنّ المؤرخين يربطون سقوط عسقلان بنتيجة هذه المؤمرات وتقاعس الجند عن نجدتها

أما ابن القلانسي فيروي أنّ مقتل الظافر كان بيدي أخويه.

(١) في (ج): مدة ولايته.

(٢) في (أ): وثمان شهور.

(٣) ما بين الحاصرتين من (ب) و (ج)، وفي (ب): أبو القاسم الفائز بنصر الله عيسى بن إسماعيل ابن الحافظ، وفي (ج): أبو القاسم الفائز بنصر الله عيسى بن إسماعيل.

وأخباره في الكامل في التاريخ ٦٨/٩، ووفيات الأعيان ٤٩١/٣ ـ ٤٩٤، والبداية والنهاية ٢٤٢/١٢، والمنتظم ١٩٦/١٠، وسير أعلام النبلاء ٢٦٥/١٥ ـ ٢٦٦، وبدائع الزهور ٢٢٨/١/١ ـ ٢٣٠، وتاريخ ابن خلدون ٧٥/٤ ـ ٧٦، واتعاظ الحنفا ٢١٣/٣ ـ ٢٣٩، والخطط المقريزية ٣٥٧/١، وتاريخ ابن القلانسي ٥٠٧، والمختصر في أخبار البشر ٣٧/٣.

(٤) بعد مقتل الظافر، دبّر عباس الوزير مقتلة في القصر ذهب ضحيتها أخوا الخليفة يوسف وجبريل وكثير من الموظفين (الاعتبار ١٦، وكتاب الروضتين ٢٤٥/١)، وقام من في القصر من بنات

ونشأ خيّراً عارفاً ديناً. عمر جامع الصالح(1) ، خارج باب زويلة، والمشهد الحسيني، في سنة ثلاث وخمسين وخمسماية(2).

وكان حسن الرأي والتدبير، وسار في الناس سيرة مشكورة إلى أن أدركته الوفاة في سابع عشر شهر رجب، عام خمسة وخمسين وخمسماية.

[١٤] - ثم قام بالأمر بعده:

أبو محمد العاضد لدين الله عبد الله بن [يوسف بن الحافظ](3) .

ولي وعمره احدى عشرة سنة.

وكان شديد التشيّع مبالغاً في سب الصحابة، وإذا رأى سنياً استحل دمه(4). ووزيره طلائع بن رزيك. قتل وتولى [بعده رزيك](5)، ولقب بالعادل(6).

= الحافظ بمكاتبة طلائع بن رزيك يستصرخونه، فحشد قواته وتوجه نحو القاهرة، وبعد معارك ضارية داخل سور القاهرة، تمكن طلائع بن رزيك من دخول القاهرة. قتل الصالح طلائع بن رزيك في سنة ٥٥٥هـ، بمؤامرة دبّرتها عمة الخليفة (انظر: اتعاظ الحنفا، أخبار ٥٥٥هـ).

(١) لفظ الصالح ليس في (ب).
والخبر في اتعاظ الحنفا ٢٥١/٣، وهو منسوب إلى الصالح، لقب طلائع بن رزيك.

(٢) صبح الأعشى ٣٦٢/٣، الخطط المقريزية ٢٩٣/٢ - ٢٩٤.

(٣) في (ب): ابو محمد العاضد لدين الله عبيد الله، وما بين الحاصرتين من (ج).
وأخباره في الكامل في التاريخ ١١١/٩ - ١١٢، والمنتظم ٢٣٧/١٠، ووفيات الأعيان ١٠٩/٣ - ١١٢، والبداية والنهاية ٢٦٤/١٢ - ٢٦٨، ومفرج الكروب ٢٠١/١ - ٢٢١، وسير أعلام النبلاء ٢٠٧/١٥ - ٢١٥، والنجوم الزاهرة ٣٣٤/٥ - ٣٣٧، والوافي بالوفيات ٦٨٥ - ٦٩٤، والمختصر في أخبار البشر ٣٧/٣ - ٥٠، وتاريخ ابن خلدون ٧٦/٤ - ٨٢، وبدائع الزهور ٢٣٠/١/١ - ٢٣٦، واتعاظ الحنفا ٢٤٣/٣ - ٣٣٩، والخطط المقريزية ٣٥٧/١ - ٣٥٩، والجوهر الثمين ٢٦٧/١ - ٢٦٩، وشذرات الذهب ٢٢٢/٤ - ٢٢٣.

(٤) وفيات الأعيان ١١٠/٣.

(٥) ما بين الحاصرتين زيادة من (ب) و(ج).

(٦) في (ب): ولقب العادل.
وترجمته في وفيات الأعيان ٥٢٩/٢ - ٥٣٠.

ثم قتل، وتولى شاور[1]، وهو الذي أخرب مصر، لأن الفرنج حاصروا القاهرة حصاراً شديداً، فخاف على مصر فأحرق مدينة باب النور وكانت مدينة عظيمة، يقال: إنه كان بها أربعماية حمام، وهي الكيمان التي بالقرافة خارج السور، خوفاً أن يملكها الفرنج[2]. وطلب الفرنج من[3] العاضد ألف ألف دينار، فسمح لهم ووعدهم[4].

وأرسل العاضد إلى نور الدين الشهيد، وكان إذ ذاك صاحب الشام، يستنصر به. وكان نور الدين بحلب فجهز له أسد الدين شيركوه[5] ومعه ابن أخيه يوسف بن أيوب، في جيش نحو العشرة آلاف فارس وخمسين ألف ماش[6]. فلما سمع[7] الفرنج بقدومه رحلوا عنه، ودخل أسد الدين ومن معه إلى القاهرة، فخلع العاضد عليه خلعة الوزارة، ومسك أسد الدين شاور وزير العاضد فقتله.

واستمر أسد الدين في وزارة العاضد شهرين وعشرة أيام ومات، وتولى مكانه في وزارة[8] العاضد، صلاح الدين يوسف بن أيوب. ثم قبض على العاضد وجعله في قصر تحت الحرز إلى أن مات في المحرم عام سبعة وستين وخمسماية، وهو آخر الفاطميين بمصر[9]. /

(١) وفيات الأعيان ٢/٤٤٠.

(٢) في الجوهر الثمين: وأخرب مدينة باب اليون، وفي بدائع الزهور ١/١/٢٣٢، والخطط المقريزية ١/٣٣٩، مدينة الفسطاط.

(٣) في (أ) وطلبوا الفرنج.

(٤) في (أ) وأوعدهم،
وانظر الخبر في البنداري، سنا البرق الشامي ٢٧٤، وأبي شامة، والروضتين ١/٤٣٣، والخطط المقريزية ١/٣٣٩.

(٥) كان توجه أسد الدين شركوه الى مصر في العام ٥٦٤هـ، وهي المرة الثالثة، انظر أخبار هذه الحملة في الكواكب الدريّة ١٧٥/١٧٩.

(٦) في (ب): في خمسين ألف فارس ماش.

(٧) في (أ) و (ب): فلمّا سمعوا.

(٨) في (ب): واستمر أسد الدين في وزارة العاضد، بسقوط ما بينهما.

(٩) بدائع الزهور ١/١/٢٣٢ - ٢٣٥، واتعاظ الحنفا ٣/٢٩٩ - ٣٢٧.

ومن غرائب مُا يحكى[1] : أن الفاطميين لما دخلوا[2] إلى مصر طلبوا من /١٦٠أ بعض العلماء[3] ، أن يكتب لهم ألقاباً يلبقون بها أولادهم، فكتب لهم ألقاباً أحد عشر، وجعل آخرهم العاضد، فتولى منهم في مصر أحد عشر لا يزيد ولا ينقص[4] . والعجب أن العاضد معناه القاطع وهو كان قاطعاً لدولتهم[5] فسبحان من لا يزول ملكه.

(١) في (أ): ومن أغرب ما يحكى.
(٢) في (ب): أن الفاطميين دخلوا، بسقوط (لمّا).
(٣) وطلبوا من العلماء، بسقوط (بعض).
(٤) في (ب): لا يزيدوا ولا ينقصوا.
(٥) وفيات الأعيان، واتعاظ الحنفا ٣٢٩/٣، وبدائع الزهور ٢٣٠/١/١.

الباب الثامن
في دولة بني أيوب
ملوك مصر والشام
[والقامعين لأهل الشرك والأزلام] (١)

وهم عشرة أنفار: تسعة رجال وامرأة. وهذه الدولة فرع من بني زنكي(٢)، وكان مدة ملكهم ثمانين سنة.

---

(١) ما بين الحاصرتين ليس في (أ).

(٢) بنو زنكي: كانت الدولة السلجوقية قوة عسكرية، قوام جيشها من المماليك والأتراك. ولم يكن يعتمد في القيادات العليا وإمارة الولايات على الأحرار. وكان هؤلاء المماليك المربون تربية عالية، يعتقون إذا ما أدّوا لسيدهم خدمات جلّى، وتسند اليهم وظائف عليا، وقد يحلون محل أسيادهم في إدارة شؤون الدولة للأمراء الفتيان او الشباب.

واستقل بعض المماليك حين استأنسوا من أسيادهم ضعفاً. وكان عماد الدين زنكي، وهو مؤسس دولة الأتابكة التي حكمت الموصل وحلب، ابن مملوك من مماليك السلطان ملكشاه، السلطان السلجوقي بخراسان.

والأتابك عماد الدين بن اقسنقر. قد قتل بسبب تمرده على تتش، من سلاجقة دمشق، عندما كان والياً على حلب في المدة من سنة ٤٧٨ الى ٤٨٧هـ. وفي سنة ٥٢١ هـ عُين ولده زنكي بن اقسنقر والياً على العراق بما في ذلك بغداد، واستولى في نفس العام على الموصل وسنجار وجزيرة ابن عمر وحرّان. ثم استولى في ٥٢٢هـ على حلب ومدن سورية أخرى، وأسس الدولة الأتابكية في الموصل.

وقد تميز عماد الدين بأنه كان بطل التصدّي للهجمة الصليبية، ولمّا توفي اقتسم ولداه نور الدين محمود وسيف الدين غازي بلاد أبيهما، فكان نور الدين الشهيد حاكماً على سورية وتابع الجهاد ضد الغزو الصليبي، وسيف الدين غازي حاكماً على الموصل والجزيرة. وعمل أيوب بن شاذي في خدمة نور الدين الشهيد، ومن هنا اعتبار المؤرخ دولة بني أيوب فرعاً من دولة آل زنكي.

١ ـ وأول من تولى الملك السلطان:

الملك الناصر صلاح الدين يوسف[١] بن أيوب بن شاذي بن مروان الحميدي[٢].

ذكر ابن الأثير في «**تاريخه**»[٣] أنهم من الأكراد الروادية.

وكان أيوب في خدمة زنكي، وبعده تولى بعلبك[٤]. توفي سنة ثمان وستين وخمسماية[٥].

وكان من أمر صلاح الدين أنه [لما] تولى الوزارة[٦] للعاضد العبيدي بمصر

(١) صلاح الدين، منارة من منائر الاسلام، مضيئة أبداً. وصفه صاحب «شفاء القلوب في مناقب بني أيوب» بأنه هو ونور الدين الشهيد في المتأخرين كالعمرين في المتقدمين (لوحة ٢٧ من مخطوط المتحف البريطاني) لذا فإن مصادر دراسته كثيرة جداً، فعدا عن مؤلفات التاريخ العام، قام بعض المؤرخين في وضع دراسات منفردة تطال حياة وأعمال صلاح الدين وخلفائه ونذكر من هذه المؤلفات: شفاء القلوب، الذي أشرنا اليه آنفاً، وصنف ابن شداد: «النوادر السلطانية» في سيرة صلاح الدين، وألف ابن واصل «مفرج الكروب في أخبار بني أيوبُ»، وأبو شامة: «كتاب الروضتين في أخبار الدولتين» وألف عماد الدين «البرق الشامي» وكتاب «الفتح القسي في الفتح القدسي» وجمع المرتضى الزبيدي أخبار بني أيوب في «ترويح القلوب في ذكر الملوك بني أيوب»، وفي الدراسات المتأخرة قام كثير من المؤلفين العرب والمشرقيين في متابعة أخبار صلاح الدين، وألف المستشرقان: ليونز وجاكسون كتاباً في سيرة صلاح الدين العسكرية.

وانظر: ابن واصل، مفرج الكروب ١٦٨/١، المختصر ٩٠/٣ ـ ٩١، سير أعلام النبلاء ٢٧٨/٢١، وطبقات الشافعية للسبكي ٣٢٥/٤، والبداية والنهاية ٢/١٣ ـ ٦، وشذرات الذهب ٢٩٨/٤ ـ ٣٠٠، والتكملة لوفيات الدولة ١٨٣/١ ـ ١٨١، (ترجمة ١٨٩) والكامل في التاريخ ٢٢٥/٩.

(٢) في (أ): يوسف بن أيوب بن مروان بن شاذي. وما أثبتناه يتفق وما أثبته المؤرخون من نسب الأيوبيين.

(٣) الكامل في التاريخ ١٠١/٩ (أخبار ٥٦٤هـ) في ترجمة أسد الدين شيركوه.

(٤) أبو شامة كتاب الروضتين ٥٣٣/١ ـ ٥٣٩.

(٥) في تاريخ ابن الأثير ١٠١/٩. توفي ٥٦٤هـ، وهو كذلك في اتعاظ الحلفا ٣٠٤/٣ ـ ٣٠٥.

(٦) ما بين الحاصرتين من (ج).

كما تقدم ذكره، فأرسل السلطان نور الدين الشهيد يأمره بقطع الخطبة العبيدية وإقامة الخطبة العباسية[١]. ففي أول جمعة من السنة أمر بإقامة الخطبة باسم المستضيء بالله، وأبطل اسم العاضد، وكانت قد قطعت دعوة بني العباس من مصر مائتين وعشرين سنة[٢].

ثم توفي العاضد، وتسلّم السلطان صلاح الدين القصر بما فيه من نفائس الأموال[٣]، واعتقل من وجد هناك من أقارب العاضد ومنعهم عن نسائهم لئلا يتناسلوا[٤]. ثم لما بلغ أمير المؤمنين المستضيء بنور الله العباسي[٥] إعادة الخطبة باسمه، أرسل رسوله بخلعتين: إحداهما للسلطان نور الدين الشهيد والأخرى للسلطان صلاح الدين[٦].

وكان صلاح الدين في الصورة الظاهرة نائباً عن السلطان نور الدين، والخطبة لنور الدين في البلاد كلها. وهذا السلطان صلاح الدين من خدم نور الدين الشهيد، ووالده[٧] وعمه من امرائه وتربيته ونشوئه، فلما استقل بالسلطنة بعد وفاة الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين الشهيد، قاتل الإفرنج وفتح منهم نيفاً وسبعين مدينة وحصناً[٨]. وكان يحكم من أقصى اليمن إلى الموصل، ومن طرابلس الغرب إلى النوبة.

وكان رحمه الله ملكاً شجاعاً، كريماً، حليماً، حسن الأخلاق، متواضعاً. عمّر المساجد والمدارس والخوانق، وعمّر قلعة الجبل، وسور القاهرة الذي هو

---

(١) أقيمت الدعوة لبني العباس في السابع من المحرّم في العام ٥٦٧هـ (اتعاظ الحنفا ٣/٣٢٥).
(٢) الجملة من: وكانت قد قطعت الى هنا ساقطة من (ب) وفي (أ): من مائتي وعشرين سنة.
(٣) كتاب الروضتين ١/٥٠٦، واتعاظ الحنفا ٣/٣٢٥.
(٤) سنا البرق الشامي ١/١١٠.
(٥) كذا، وقد ورد الاسم آنفاً: المستضيء بالله.
(٦) الكواكب الدرّية في السيرة النورية ٢٠٤.
(٧) في (أ) و (ب): وولده، وما أثبتناه من (ج).
(٨) الجوهر الثمين ٢/١٦.

١٦٠ب الآن موجود[١]، / وخلّص القدس من الإفرنج وطهرها من دنس الكفر كما سيأتي.

وكان شافعي المذهب أشعري الاعتقاد.

وكان قد ولد بتكريت سنة اثنتين وثلاثين وخمسماية[٢]، وولد في ليلة خروجهم من تكريت، فتشاءموا منه. فقال لهم رجل معهم فقيه[٣]: ﴿**وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم**﴾[٤]، فكان كذلك.

وتوفي بقلعة دمشق نهار الأربعاء سابع عشر صفر سنة تسع وثمانين وخمسماية، ودفن بقلعة دمشق، ثم نقل رحمه الله[٥] من القلعة إلى القرية المستجدة بالمدرسة العزيزية شمالي الجامع الملاصقة للكلاسة[٦]. ولم يوجد في خزائنه إلا سبعة وأربعون درهماً ودينار واحد لم يخلّف ملكاً ولا عقاراً[٧] وأقام في الملك أربعاً وعشرين سنة، وعمره سبع وخمسون سنة، وخلّف سبعة عشر ولداً ذكراً وابنة صغيرة[٨].

---

(١) انظر بدائع الزهور ١/١/٢٤١ ـ ٢٤٣.

(٢) تكريت بفتح التاء وكسرها، والغالب كسرها، في منتصف الطريق بين الموصل وبغداد.

(٣) في (ب): فقيهاً.
والخبر عن ابن خلكان ٧/١٤٦.

(٤) الآية ٢١٦ من سورة البقرة.

(٥) في (ب): وتوفي بقلعة دمشق ثم نقل من القلعة، بسقوط الباقي.

(٦) الكلاّسة: مدرسة متصلة بالجامع الأموي من شماله ولها باب إليه، أنشأها نورالدين الشهيد سنة ٥٥٥هـ. وسميت كذلك لأنه كان يعمل فيها الكلس أيام بناء الجامع الأموي.
وانظر الخبر في وفيات الأعيان ٧/٢٠٦، والنجوم الزاهرة ٦/٥٣ ـ ١٢٦، وسير أعلام النبلاء ٢١/٢٨٨.

(٧) أبو شامة كتاب الروضتين ٢/٢١٧، وعنه في سير اعلام النبلاء ٢١/٢٨٨.

(٨) في الروضتين ٢/٢١٧.

٢ ـ ثم ولي السلطنة من بعده ولده السلطان الثاني من بني أيوب :

العزيز عثمان بن السلطان صلاح الدين يوسف[١]

وكان ملكاً عادلاً كريماً، حسن الطوية والأخلاق والعقيدة، شديد الخوف من الله تعالى، محباً للعلماء، ولسماع الحديث. سمع وأسمع بالإسكندرية ومصر[٢]، وخالط الفقهاء واستفاد منهم، وصاحب العلماء وأهل الخير وأنالهم البر والإحسان.

وسار في الرعية سيراً حسناً إلى أن أدركته المنية[٣].

وكان مولده بالقاهرة ثامن جمادى الأولى سنة سبع وستين وخمسماية.

توفي في المحرم سنة خمس وتسعين وخمسماية[٤]، ودفن عند ضريح الإمام الشافعي رضي الله عنه، وكانت مدة دولته[٥] سنتين إلا شهراً، وعمره ثمان وعشرون سنة.

(١) في (ج): الملك العزيز عماد الدين عثمان بن صلاح الدين يوسف.
وأخباره في الكامل في التاريخ ٩/٢٤٣، والتكملة لوفيات النقلة ٢/٣٢٠، والوافي بالوفيات ٣/٢٥١، ودول الإسلام ٣١٦، والمختصر في أخبار البشر ٣/١٠٠، والبداية والنهاية ١٣/١٨، والسلوك لمعرفة دول الملوك ١/١٤٣، والنجوم الزاهرة ٦/١٤٦، وشفاء القلوب، لوحة ١٠٦، وشذرات الذهب ٤/٣١٩، وسير أعلام النبلاء ٢١/٢٩٢، وبدائع الزهور ١/١/٢٥٠، والجوهر الثمين ٢/٢٠ ـ ٢٢، ومفرج الكروب ٢/٤٢٤، وذيل الروضتين ١٦، وترويح القلوب ٦٩.

(٢) في (ب): سمع وأملى سمع.

(٣) انظر ترويح القلوب، ووفيات الأعيان والسلوك.

(٤) الجملة ساقطة من (ب).

(٥) في (ج): ملكه.

٣ ـ ثم تولى بعده ولده السلطان الثا' ث من بني أيوب:

الملك المنصور محمد بن السلطان العزيز بن عثمان بن صلاح الدين[١]:

جلس على سرير الملك يوم وفاة والده فأقام إلى أن أخذ الملك منه الملك العادل أبو بكر، فكانت مدة ملكه سنة وشهراً[٢].

٤ ـ وتسلطن السلطان الرابع من بني أيوب:

الملك العادل أبو بكر بن أيوب[٣]:

جلس على سرير الملك في شهر ربيع الآخر عام ست وتسعين وخمسماية[٤].

---

(١) في (ب): بسقوط لفظ الملك. وفي (ج): الملك المنصور ناصر الدين محمد بن العزيز عثمان بن صلاح الدين.
وانظر في أخباره: سير أعلام النبلاء ٢٩٢/٢٩٤، ومفرج الكروب ٨٩/٣ ـ ٩٠، والسلوك ١٧٦/١ ـ ١٧٧، والنجوم الزاهرة ١٤٦/٦، وبدائع الزهور ٢٥٢/١/١، وترويح القلوب ٧٠.

(٢) كان القائم بأمور دولته بهاء الدين قراقرش، وأتى أعمامه من البلاد الشامية، فهزم وسجن بقلعة الجبر، واستمر مسجوناً إلى أن مات في السجن فكانت مدة سلطنته بمصر نحو عشرة أشهر (بدائع الزهور ١/١ ـ ٢٥٢).

(٣) الوافي بالوفيات ٢٣٥/٢ ـ ٢٣٨، وبدائع الزهور ١/١ ـ ٢٥٣، والكامل في التاريخ ٣٢٦/٩، والتكملة لوفيات النقلة ٤٣٠/٢، والذيل على الروضتين ١١١، ووفيات الأعيان ٧٤/٥ ـ ٧٩، ومفرج الكروب ٣: في مواضع كثيرة، والسلوك ١/١ ـ ١٩٠، والنجوم الزاهرة ١٧٠/٦، والجوهر الثمين ٢٣/٢، وشذرات الذهب ١٥٦/٥، والبداية والنهاية ٧٩/١٣، وترويح القلوب ٤٢، والمختصر ١٢٦/٣، وسير أعلام النبلاء ١١٥/٢٢، والبداية والنهاية ٧٩/١٣ ـ ٨٠، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١١ ـ ٦٢٠هـ): ٢٤٧ ـ ٢٥٧.

(٤) في بدائع الزهور: في شهر شوال سنة خمس وتسعين وخمسماية.

وكان عارفاً شجاعاً / خبيراً بالحيل. وكان عنده حلم، يسمع ما يكره ولا /١٦١أ يظهر أنه سمع[١].

فتح الخابور ونصيبين وسنجار[٢].

وعند موته قسّم البلاد بين أولاده، واتفقوا اتفاقاً حسناً وصاروا كنفس واحدة. توفي في[٣] سابع جمادى الآخرة سنة خمس عشرة وستماية بمدينة دمشق، في وسط الشدة، والمسلمون يقاتلون الفرنج على ثغر دمياط، وعمره خمس وعشرون سنة وأشهر[٤]، وكانت مدة ملكه تسع عشرة سنة وشهراً.

٥ ـ ثم تولى بعده ولده السلطان الخامس من بني أيوب:

الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل أبو بكر[٥].

جلس على سرير الملك يوم وفاة والده.

وكان ديناً مهاباً شجاعاً، عارفاً، حسن التدبير.

عمّر مدرسته التي بين القصرين وجعلها دار الحديث، وعمرت والدته قبة

---

(١) الجوهر الثمين ٢/٢٦.

(٢) الجوهر الثمين ٢/٢٥، وكان ذلك في سنة ٦٠٦ هـ.

(٣) في (ب): توفي سابع جمادى الآخرة.

(٤) في (ب): وشهر.

(٥) في (أ): ابن العادل أبي بكر بن أيوب.
وأخباره في الكامل في التاريخ ٩/٣٢٧ وما بعدها، والذيل على الروضتين ١٦٦، والنجوم الزاهرة ٦/٢٢٧، وبدائع الزهور ١/١/٢٥٨، ووفيات الأعيان ٥/٧٩ ـ ٨٤، والوافي بالوفيات ١/١٩٣ ـ ١٩٧، والمختصر في أخبار البشر ٣/١٦٨ ـ ١٦٩، وشذرات الذهب ٥/١٧١ ـ ١٧٣، والجوهر الثمين ٢/٢٨، والبداية والنهاية ١٣/١٤٩، والسلوك ١/٢/ ١٥٤ ـ ١٦١، وتاريخ ابن العبري ٢٠٥، والتكملة لوفيات النقلة ٣/٤٨٥، وسير أعلام النبلاء ٢٢/١٢٧ ـ ١٣١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦٢١ ـ ٦٣٠): ٢٣٦ ـ ٢٤٠.

الشافعي على ما هي عليه الآن[1]، وأجرت ماء النيل من بركة الحبش إليها.

وفتح آمد وحصن كيفا والرها[2] وخرتبرت[3]. وعند موته قسم البلاد بين أولاده[4].

توفي[5] رحمه الله، حادي عشر رجب سنة خمس وثلاثين وستماية بقلعة دمشق[6] ودفن بها أياماً، ثم نقل إلى تربته التي انشأها شمالي الجامع الأموي، وفتح بالحائط شباكين في التربة[7].

وكانت مدة ملكه عشرين سنة وشهراً ونصف شهر[8].

٦ ـ ثم تولى بعده ولده السلطان السادس من بني أيوب:

الملك العادل الصغير أبو بكر بن الكامل محمد[9].

تولى المملكة باتفاق من الأمراء، وخلع عليهم الخلع السنية.

ثم إنه أخذ في اللهو واللعب والسكر، فقوي عليه السكر يوماً، فتكلم في قتل خدّامه فبلغهم ذلك، فاتفقوا عليه مع الأمراء فمسكوه. وكاتبوا الملك الناصر صاحب الكرك أن يطلق الملك نجم الدين أيوب من الأسر ويحضر به ليسلّموه

(١) وفيات الأعيان ٥/٨١، والذيل على الروضتين ١٤٢، والخطط المقريزية ٢/٣٧٥، وسير أعلام النبلاء ٢٢/١٢٨، وتكملة المنذري وتاريخ الإسلام.

(٢) مفرج الكروب ٥/١٠٩ ـ ١١٠، والنجوم الزاهرة ٦/٢٩٣.

(٣) خرتبرت: الاسم الأرمني لحصن زياد في أقصى ديار بكر، وانظر: مفرج الكروب ٥/٧٨ حيث يذكر ابن واصل دخول صاحبه في خدمة الكامل.

(٤) الجوهر الثمين ٢/٣١.

(٥) لفظ (توفي) ليس في (ج).

(٦) في (ب): بمدينة دمشق بقلعتها.

(٧) في سير أعلام النبلاء ٢٢/١٣١. ثم بعد سنتين عُملت له التربة، وفُتح شباكها الى الجامع.

(٨) في (ب): مدة مُلكه عشرين سنة وشهراً ونصف شهراً.

(٩) ترويح القلوب ٦٢، والسلوك ١/٢٩٦، والجوهر الثمين ٢/٣٢ ـ ٣٥، وبدائع الزهور ١/١/٢٦٨ ـ ٢٦٩، وشذرات الذهب ٥/٢٣٦، والوافي بالوفيات ١/٢٤٧.

المملكة. فلما وصل إليه الكتاب تحالف مع الصالح وحضر إلى الدّيار المصرية فوصلا إلى مدينة بلبيس[(١)]، فخرج العسكر للقائه[(٢)]، ودخل بشعار المملكة وحبس أخاه في القلعة وجلس على سرير الملك. وأقام فيها إلى أن قصد السفر إلى الشام في سنة أربع وأربعين وستماية، فخاف من غائلة أخيه، فقصد إرساله إلى قلعة الشوبك، فامتنع العادل/ من الخروج، فأرسل الصالح جماعة من الخدام فخنقوه سراً وأشاعوا موته[(٣)]. ١٦١/ب

٧ ـ وتولى مكانه وهو السلطان السابع من بني أيوب:

الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل [محمد][(٤)].

فلما جلس على سرير الملك و ستقر أمره، أحضر أخاه ليلاً وسأله عن موجب عزله ومن كان السبب فيه، فأخبره عن ذلك، ورده إلى مكانه مسجوناً[(٥)].

ثم أقبل على الخزائن وبيت المال، فلم يجد غير دينار واحد وألف درهم فسأل عن المال فقيل له: فرقه أخوك على الأمراء. فكتم ذلك عنده مدة أيام، وأخذ وأعطى، ثم أحضر القضاة والأمراء الذين كانوا سبباً في مسك أخيه وقال لهم

---

(١) في (ب): الى المدينة التي هي بلبيس.

(٢) في (ب): لاقاه.
وانظر وفيات الأعيان ٨٥/٥.

(٣) وفيات الأعيان ٨٦/٥، ومفرج الكروب ٣٧٩/٥ ـ ٣٨٠، والوافي ٢٤٨/١٠، والجوهر الثمين ٣٥/٢.

(٤) ما بين الحاصرتين من (ج) وفي (أ) و(ب): ابن الملك الكامل.
وأخباره في الذيل على الروضتين ١٨٢ ـ ١٨٣، ومفرج الكروب في مواضع كثيرة، والمختصر في تاريخ البشر ١٣٩/٣، ودول الإسلام ١١٥/٢، وتتمة المختصر ٢٦٠/٢، والسلوك ٢٩٦/١، والخطط المقريزية ٢٣٦/٢، والنجوم الزاهرة ٣٦١/٦، وبدائع الزهور ٢٦٩/١/١ ـ ٢٧٩، وسير أعلام النبلاء ١٨٧/٢٣ ـ ١٩٣، وشذرات الذهب ٢٣٧/٥، والوافي بالوفيات ٥٥/١٠ ـ ٥٨، والجوهر الثمين ٣٦/٢ ـ ٣٩.

(٥) في الجوهر الثمين ٣٦/٢.

بحضرة القضاة: لأي شيء مسكتم سلطانكم؟ فقالوا: كانوا سفيهاً، فقال الصالح[1]: من يكون سفيهاً يجوز تصرفه في بيت المال؟ فقالوا: لا. ثم إنه[2] قال للأمراء: أقسم بالله متى لم تحضروا المال الذي أخذتموه كانت أرواحكم عوضه. فخرجوا جميعاً وأحضروه، فكان[3] سبعماية ألف دينار وخمسة وثلاثين ألف دينار وألف ألف درهم وثلاثماية ألف درهم فضة. ثم قام قليلاً ومسك الأمراء على التدريج[4].

وعظم أمره وقويت شوكته، وعمّر قنطرة السد، وحفر أساس قلعة المقياس، وعمّر المدارس التي بين القصرين[5] للقضاة الأربعة.

وأخذ دمشق من صاحبها بعد حروب يطول شرحها[6].

وتوجه للقاء العدو من الإفرنج بالمنصورة، فضعف بها ومات في ليلة النصف من شعبان سنة سبع وأربعين وستماية[7].

وأوصى لولده المعظم تورانشاه بالسلطنة، وكان مقيماً بحصن كيفا.

وكانت زوجة الصالح شجر[8] الدر أم خليل الصالحية[9] مدبرة الأمور في مرضه، فلم يتغير شيء من معالم المملكة، وأخفت موت السلطان وأقامت مدة على ذلك ثم ظهر موته[10].

---

(١) (فقال الصالح) ساقطة من (ب)، وبعدها فيها: ومن يكون سفيهاً.
(٢) (ثم إنه)، ساقطة من (ب).
(٣) في (ب): وكان.
(٤) الخبر أورده ابن دقماق في الجوهر الثمين ٢/٣٦ ـ ٣٧.
(٥) في (ب): وعمر المدارس بين القصرين.
(٦) الخبر في الجوهر الثمين ٢/٣٧.
(٧) الجوهر الثمين ٢/٣٧.
(٨) الجوهر الثمين ٢/٣٨.
(٩) في (ح): شجرة الدّر.
(١٠) الجوهر الثمين ٢/٣٩.

وكان ملكاً شجاعاً ذا هيبة وسطوة، ما جسر أحد أن يشفع عنده. في مدة ملكه قتل خلقاً كثيراً[1] من الأمراء وغيرهم، وأخذ أموالهم، ومات وفي حبسه ما ينيف عن خمسة آلاف نفس [2].

وكانت مدة سلطنته عشر سنين إلّا خمسين/ يوماً. /١٦٢أ

ثم حضر ولده تورانشاه من حصن كيفا ونقل تابوت والده من المنصورة إلى تربته [3] بين القصرين، فدفن بها.

٨ ـ وكان السلطان الثامن من بني أيوب:

الملك المعظم تورانشاه بن السلطان الصالح أيوب[4].

تولى الديار المصرية والشامية في يوم الثلاثاء تاسع عشر شهر ذي القعدة سنة سبع وأربعين وستماية، فسافر إلى دمياط وكسر الفرنج كسرة عظيمة، وقتل منهم ماية ألف نفس وزيادة، وأسر ملكهم الفرنسيس واعتقله بالمنصورة[5].

ثم شرع المعظم في إبعاد أمراء والده ومماليكه، وتقريب من حضر معه[6].

---

(١) في (أ): خلقاً كثيرة.

(٢) الجوهر الثمين ٢/٣٩.

(٣) في (ب): إلى تربة بين القصرين.

(٤) في (ب): الملك المعظم تورانشاه ابن الصالح نجم الدين؛ وفي (ج): الملك المعظم تورانشاه ابن الصالح أيوب.
وأخباره في سير أعلام النبلاء ٢٣/١٩٣ ـ ١٩٦، وفوات الوفيات ١/٢٦٣ ـ ٢٦٥، والذيل على الروضتين ١٨٥، وشذرات الذهب ٥/٢٤١ ـ ٢٤٢، والوافي بالوفيات ١٠/٤٤٥ ـ ٤٤٨، وتاريخ مختصر الدول ٢٦٠، والمختصر في أخبار البشر ٣/١٨١، وتتمة المختصر ٢/٢٦٢، والبداية والنهاية ١٣/١٨٠، والسلوك ١/٣٥٩، والنجوم الزاهرة ٦/٣٦٤ ـ ٣٧٢.

(٥) في الذيل على الروضتين ١٨٤.

(٦) الجوهر الثمين ٢/٤٠.

وخالف والده في جميع ما أوصاه به. فاتفق[١] الأمراء على قتله وهجموا عليه، فهرب ولحقوه فقال: ما أريد ملكاً، دعوني أرجع إلى حصن كيفا. واستغاث بمن يجيره فلم يجره، وقطعوه قطعاً بالسيوف[٢].

وكانت مدة سلطنته سبعة وستين يوماً.

٩ ـ ثم اتفق الأمراء على سلطنة:

شجر الدر[٣].

أم خليل الصالحية: لما علموا أنها كانت أحسن تدبيراً من زوجها الصالح. واستمرت تعلم[٤] على المناشير والتواقيع، فحلف لها جميع العساكر، وخطب باسمها، وضربت السكة باسمها، وعلمت وحكمت وأقطعت وخلعت[٥]، وجعلت الأمير عز الدين أيبك التركماني نائباً عنها وأتابك العساكر، وذلك في عاشر صفر عام ثمانٍ وأربعين وستماية. وأطلقت إفرنسيس ملك الإفرنج بعد مراسلات كثيرة، واشترطت عليه أن يسلم دمياط للمسلمين، ويحمل أموالاً مقررة[٦]، وتوجه إلا بلاده [بعد أن سير إلى الفرنج بدمياط يأمرهم بتسليمها إلى المسلمين، فسلّموها][٧] بعد أن أقامت بيد الفرنج أحد عشر شهراً وتسعة أيام.

---

(١) في (ب): فاتفقوا.

(٢) في (ب): فلم يجيره واحد، وقطعوه بالسيوف قطعاً.
والخبر في الوافي ١٠/٤٤٦.

(٣) في (ج): الملكة عصمة الدين شجرة الدر.
وانظر في أخبارها في سير أعلام النبلاء ٢٣/١٩٩ (في ترجمة المعزّ أيبك)، وبدائع الزهور ١/١/٢٨٦، والسلوك ١/٣٦٨، والخطط المقريزية ٢/٢٣٧، والجوهر الثمين ٢/٤٤، والذيل على الروضتين ١٩١، وشذرات الذهب ٥/٢٦٨.

(٤) واستمرت، ساقطة من (أ) و(ب).
وانظر الجوهر الثمين ٢/٤٤، وبدائع الزهور ١/١/٢٨٦.

(٥) وخلعت، ساقطة من (ب).

(٦) الجوهر الثمين، والسلوك.

(٧) ما بين الحاصرتين من (ج).

ثم تزوجت بنائبها الأمير عز الدين أيبك[1].

١٠ ـ ثم اتفق رأي الأمراء أن يسلطنوا التاسع من بني أيوب هو:

الملك الأشرف مظفر الدين موسى[2] بن الملك الناصر صلاح الدين.

جلس على سرير الملك يوم الأربعاء ثاني جمادى الأولى عام ثمانية وأربعين وستماية، وأشركوا اسمه مع اسم شجر الدّر على السكة، ويعلمان معاً على المناشير وغيرها[3].

وفي ذلك الوقت عظم أمر المماليك البحرية وتسلطنوا على المسلمين/ وكانوا ألف مملوك من الترك بالروضة، فكانوا يسبون الحريم ويأخذون الأموال. /١٦٢ب

(١) ذكر في بدائع الزهور ١/١/٢٨٧ ان القاضي تاج الدين ابن بنت الأعزّ أشار بأن تتزوج شجرة الدر بالأمير أيبك التركماني، فلا زال يتلطف بها حتى أذعنت بذلك، فما قام من المجلس حتى عقد العقد بينهما.
وانظر أخباره في سير أعلام النبلاء ٢٣/١٩٨، والوافي بالوفيات ٩/٤٦٩، والبداية والنهاية ٣/١٩٨، والنجوم الزاهرة ٧/٣ـ٤١، وشذرات الذهب ٥/٢٦٧، وبدائع الزهور ١/١/٢٨٩.

(٢) ما أثبتناه من (أ). وفي (ب): الملك الأشرف مظفر الدين بن موسى، وفي (ج): الملك الأشرف موسى.
وأخباره في بدائع الزهور ١/١/٢٨٩، والوافي بالوفيات ٩/٤٧٠ (في ترجمة المعز أيبك) والجوهر الثمين ٢/٤٧، وسير أعلام النبلاء ٢٣/١٩٨ (في ترجمة المعز أيبك التركماني)، والنجوم الزاهرة ٧/٥.

(٣) كانت سلطنة الأشرف موسى بضغط من المماليك البحرية الذين قالوا: لا بد من واحد من بني أيوب يجتمع الكل على طاعته. وكان الاتفاق من أقطاي الجمدار وبيبرس البندقداري وبلبان الرشيدي وسنقر الرومي، فأقاموا مظفر الدين موسى، وكان عند عماته وعمره نحو عشر سنين، فأحضروه وسلطنوه وجعلوا التركماني أتابكه بعد سلطنة المعز بخمسة أيام، وكانت التواقيع تخرج وصورتها: «رُسم بالأمر العالي المولوي السلطاني الملكي الأشرفي والملكي المعزي». وعملت الصراعات الداخلية بين أرباب الحكم، فقام المعز باغتيال أقطاي، ثم خلع الأشرف بعد قتل أقطاي، واستقل بالأمر بمفرده (الوافي بالوفيات ٩/٤٧١ ـ ٤٧٣).

وكان كبيرهم الفارس أقطاي الصالحي، وكلما طلب من الأموال أخذ من الخزائن، حتى أقطع ثغر الاسكندرية بمفرده(1).

وهذا الأشرف هو آخر من ملك من ملوك بني أيوب، رحمه الله تعالى.

(1) انظر أخبار أقطاي في سير أعلام النبلاء ٢٩٨/٣، والوافي بالوفيات ٣١٧/٩-٣١٨، وعيون التواريخ ٧٦/٢٠-٧٧، والنجوم الزاهرة ٣٣/٧، وشذرات الذهب ٢٥٥/٥.

الباب التاسع
في ذكر دولة التركية بالديار المصرية

عددهم أربعة وعشرون نفراً، ومدة توليتهم ماية وأربع وستون سنة.

[١] وأولهم:

السلطان الملك المعز عز الدين أيبك[١]، زوج شجر الدر. وسبب استيلائه أن الأشرف موسى كان صغيراً، وبلغ أهل مصر قدوم التتار للبلاد، فاجتمعت الآراء على إقامة المعز بمفرده؛ فتسلطن ودبّر المملكة، وشرع في تحصيل الأموال، واستخدام الرجال، واستجد وزيره الأسعد الفائزي[٢] مكوساً كثيرة وضمانات، وسماها حقوقاً.

ثم إن المعز لما تمكّن وهربت جماعة البحرية[٣] إلى الشام، ورئيسهم بيبرس البندقداري، وقلاوون الألفي، وسنقر الأشقر[٤]، وبيسري[٥]، احتاط على موجودهم، وأبطل ما قرّره الوزير من المكوس، وخطب بنت صاحب

(١) السلطان الملك عز الدين أيبك التركماني، أول سلاطين المماليك البحرية. قتلته زوجته شجر الدر عام ٦٥٥هـ/١٢٥٧م، وولي بعده ولده الملك المنصور.
الذهبي، تاريخ الاسلام ٢٠/١٣٦ظ-١٣٨و؛ ابن كثير، البداية والنهاية ١٣/١٩٨-١٩٩؛ المقريزي، السلوك ١/٢: ٤٠٢-٤٠٣.

(٢) شرف الدين أبو سعيد هبة الله بن صاعد المعروف بالأسعد الفائزي، وهو أول قبطي ولي الوزارة بمصر الإسلامية.
المقريزي، الخطط ٢/٢٣٧.

(٣) يقصد المماليك البحرية.

(٤) توفي خنقاً بأمر من الأشرف خليل بن قلاوون عام ٦٩١هـ/١٢٩١م.
اليونيني، ذيل مرآة الزمان ٢٩٠٧/٣: ١٨و الصفدي، تحفة ذوي الألباب: ١٧٧ظ-١٧٨ظ.

(٥) كذا؛ وفي (ج): «بيبرس».

الموصل[1]، فسمعت بذلك زوجته شجر الدر، فتغيّرت عليه، فلما علم تغيّرها عليه، عزم على قتلها، فبلغها ذلك، فخافت على نفسها، واتفقت مع الطواشي محسن الجوهري[2] على قتله، فقتلوه في الحمام.

فلما بلغ مماليكه قتل المعز، دخلوا على الملكة شجر الدّر ليقتلوهـا، فسبقتهم زوجة المعز أم ولده وجواريها، فقتلوها بالقباقيب إلى أن ماتت.

وكان المعز ملكاً حازماً، شجاعاً كريماً، حسن التدبير والسياسة، غير أنه كان سفّاكاً لدماء الناس. وكانت مدة سلطنته سبع سنين إلا ثلاثة وثلاثين يوماً.

[٢] ثم تولى الملك السلطان الثاني من ملوك الترك:

الملك المنصور نور الدين علي ابن الملك المعز عز الدين أيبك

جلس على سرير الملك في اليوم الثاني من قتـل والده، وعمـره عشر سنين[3]، وجعل الأمير قطز نايبه وأتابكاً[4]، كما كان في أيام والده.

وفي أيامه أخذ التتار بغداد، وقتلوا الخليفة المستعصم بها وولده، كما

تقدم، وقصدوا/ الشام. /١٦٣أ

ثم إن الأمير قطز استشار الأمراء في أمر المنصور ووالدته، لأنها كانت تدبر

(١) الملك الرحيم بدرالدين لؤلؤ الأرمني. توفي عام ٦٥٦هـ، وقيل ٦٥٧هـ/١٢٥٨ - ١٢٥٩م.
ابن العبري، تاريخ مختصر الدول: ٤٨٦؛ الذهبي، العبر ٢٤٠/٥.

(٢) كذا؛ وفي المقريزي (السلوك ٢/١ : ٤٠٣): «الجوجري»، والنسبة الى بلدة جوجر بمركز سمنود من مديرية الغربية، وهي واقعة على الشاطىء الغربي لفرع دمياط.
ياقوت، معجم البلدان ١٧٨/٢.

(٣) كذا؛ وفي أبي الفدا والمقريزي: «وعمره خمس عشرة سنة».
أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر ١٩٢/٣؛ المقريزي، السلوك ٢/١ : ٤٠٥.

(٤) يتألف هذا اللفظ من قسمين: «أتا» أو «أطا» بمعنى «أب»، و«بك» بمعنى «أمير»، وهو لقب أطلقه السلاجقة على كبير أمرائهم، يولونه الوصاية والرعاية على سلطان أو أمير قاصر صغير، ثم أطلق هذا اللقب، في عصر المماليك، على مقدم العساكر، على اعتبار انه أبو العساكر والأمراء جميعاً، وكان يدعى: «أتابك العساكر».
القلقشندي، صبح الأعشى ١٨/٤.

أمره بتدبير النساء، فأشاروا بمسكهم، فكتم أمره إلى أن خرج الأمراء، ووجد الأمير قطز الفرصة، فقبض على المنصور ووالدته وإخوته، في ثامن عشري ذي القعدة[1]، عام سبعة وخمسين وستماية، واعتقلهم بثغر دمياط ببرج السلسلة[2].

وكانت مدة مملكته سنتين وثمانية شهور وثلاثة أيام.

[٣] ثم تولى السلطان الثالث من ملوك الترك.

الملك المظفر سيف الدين قطز المعزي، وهو الوزير المتقدم ذكره، فلما تولى السلطنة، عظم أمر المملكة.

وفي عام ثمانية وخمسين وستماية، وصلت التتار إلى حلب فاخذوها، ثم وصل كتاب من هلاكو مضمونه:

«إلى المظفر قطز، الذي هو من جنس الترك الذين هربوا من سيوفنا. إننا جند الله في أرضه، خلقنا من سخطه، فسلّموا إلينا تسلموا من قبل أن تندموا. وقد سمعتم أننا أخربنا البلاد، وقتلنا العباد، فلكم منا الهرب، ولنا منكم الطلب. فمن طلب حربنا ندم، ومن قصد أماننا سلم؛ فإن أنتم لأمرنا أطعتم، فلكم ما لنا ولنا ما لكم[3]، وإن خالفتم هلكتم، فلا تهلكوا أنفسكم بأيديكم، فقد أعذر من أنذر، فعجلوا بالجواب قبل أن تضرم الحرب بنارها[4]، وترميكم بشرارها، فما بقي لنا مقصد سواكم، والسلام»[5].

وكان الكتاب صحبة أربعة رسل من عنده.

فلما سمع المظفر لفظ الكتاب، تغيّر تغيراً شديداً، وأمر بتوسيط الرسل

---

(١) كذا؛ وفي أبي الفدا (المختصر ١٩٩/٣): «في أوائل ذي الحجة». أما في المقريزي (السلوك ٤١٧:٢/١): «رابع عشري ذي القعدة».

(٢) كذا؛ وفي المقريزي، المصدر السابق: «واعتقلهم في برج بقلعة الجبل».

(٣) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «فلكم ما لنا، وعليكم ما علينا».

(٤) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «نارها».

(٥) ما جاء هنا هو جزء من كتاب هولاكو الى المظفر قطز، وقد أثبت المقريزي (السلوك ٤٢٧:٢/١ - ٤٢٩) نص الكتاب كاملاً.

الأربعة، فوسّطوا[١]. ثم إنه أنفق المال على العسكر، وسار بهم[٢] إلى البلاد الشامية، فوجدوا أول التتار بغزة، فهربوا منهم، والتقوا بهم في عين جالوت، من أرض كنعان، فتقاتلوا[٣] قتالاً عظيماً، حتى كسروا التتار، وأسر[٤] منهم خلقاً كثيراً.

ثم توجه إلى حلب ورتّب حال الممالك، ورجع إلى الديار المصرية. فلما قرب، انحرف عن الدرب للصيد، فقتله بعض خواصه.

قيل قتله الملك الظاهر بيبرس بيده، وذلك أنه طلب منه بنتاً من بنات التتار، فسمح له بها، ثم أخذ يده ليقبلها، فضربه رجل من الأمراء[٥]، فما بالغت ضربته، فضربه الملك الظاهر، فقتله، وصار سلطاناً مكانه، في نصف ذي القعدة، عام ثمانية وخمسين وستماية.

وكانت مدة ملكه سنة إلا ثلاثة عشر يوماً.

[٤] ثم اتفقوا على سلطنه السلطان الرابع من ملوك الترك:

الملك الظاهر بيبرس البندقداري العلائي /

/١٦٣ب وكان ملكاً جليلاً، عظيماً، مشهوراً بالشجاعة والإقدام، فتح قلعة بانياس، ويافا، والشقيف[٦]، ومدينة أنطاكية، وقلعة البيرة، والكرك، والشوبك، وقيسارية، وقلعة الهوى، وصفد، وسائر حصون الإسماعيلية، وحصن الأكراد،

(١) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «وأمر بتوسيط الأربعة رسل، فوسطوهم».
(٢) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «وسار».
(٣) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «فقاتلوا».
(٤) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «وأسروا».
(٥) يشير المقريزي (السلوك ١/٢: ٤٣٥) إلى أن مبادرة بيبرس إلى أخذ يد قطز لتقبيلها كانت بمثابة إشارة بينه وبين الأمراء للانقضاض على قطز. قارن بما جاء عند أبي الفدا، المختصر ٣/٢٠٧.
(٦) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «فتح قلعة الشقيف وبانياس ويافه».

وحصن عكا(1)، وكنبول(2)، وأذنة، والمصيصة، وأبطل ما كان أحدثه المظفر، وهو تسقيع الأملاك وتقويمها وزكاتها على كل إنسان ديناً، وأخذ ثلث التركة الأهلية(3).

وفي عام ستين وستماية، غلت الأسعار، فأمر بجمع الحرافيش والفقراء، وفرقهم على أولاده وعلى الأمراء بقدر مقامهم، وأخذ لنفسه خمسماية، وألزمهم بكفايتهم(4)؛ فما رؤي في ذلك الغلاء العظيم من يسأل.

وفي سنة سبع وستين وستماية، حج من غزة، ومر على الكرك، فلما دخل المدينة المنورة(5)، زار وتصدق على الفقراء، وتوجه إلى مكة، فغسل البيت الشريف بيده بماء الورد، ورجع صحبة الركب الشامي إلى بيت المقدس والخليل. ثم حضر إلى مصر، فأمر بعمارة الحرم الشريف وقبة الصخرة بالقدس الشريف، بعد أن تداعت إلى السقوط، وعمّر قناطر وأسواراً ومدنا وقلاعاً، وهي التي أخربها هلاكو، وعمّر قلعة دمشق والقصر الأبلق.

---

(1) في الأصل و (ج): «حصن عكار»، وهو خطأ؛ وما هنا من (ب). وحصن عكا فتحه الظاهر بيبرس عام ٦٦٩هـ/١٢٧١م. (أبو الفدا، المختصر ٤/٦؛ ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر ٣٧٩ - ٣٨٠؛ ابن أبي الفضائل، النهج السديد؛ ٥٣٢ - ٥٣٣). بينما سقطت عكا على يد الأشرف خليل بن قلاوون عام ٦٩٠هـ/١٢٩١.

أبو الفدا، المختصر ٤/٢٤ - ٢٥، الذهبي، دول الاسلام ٢/١٤٤ - ١٤٥، ابن أيبك الدواداري، كنز الدرر ٨/٣٠٨ - ٣١٠.

(2) كذا في (ب) و (ج)؛ والصحيح: «كينوك»، وهي بلدة من بلاد الروم في آسيا الصغرى، سمّاها العرب «الحدث الحمراء»، لأن سيف الدولة الحمداني قد بناها من حجر أحمر، وللمتنبي قصيدة مشهورة في المناسبة، مطلعها:

«على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم».

ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر: ١٦١، ١٧١، ١٧٩، ١٨٢.

(3) المقصود بذلك التركة التي مات عنها صاحبها من غير المماليك.

(4) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «كفايتهم».

(5) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «فلمّا دخل يثرب».

وكان ذا قصد حسن وفعل جميل، أدركته المنية في مدينة دمشق، في ثامن عشري المحرم[1]، سنة ست وسبعين وستماية، وعمره نحو من سبع وخمسين سنة، ودفن في تربته المعروفة بدمشق.

وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة وشهرين، وخلّف ثلاثة بنين وسبع بنات.

[٥] ولما مات تولى الملك بعده السلطان الخامس من ملوك الترك ولده[2]:

الملك السعيد محمد بركة خان

فلما تولى السلطنة، قام بتدبير الملك الأمير بيليك الخازندار[3]، نائب والده[4] خامر.

ثم إن السلطان المذكور، نافر مماليك والده ومسك أكابر الأمراء، وقدم الأصاغر، وأبعد الأكابر، وسافر إلى الشام، فجرت له أمور عظيمة يطول شرحها. فلما رجع إلى بلبيس[5]، تمرد عليه العسكر الشامي، ورجعوا مع نائب الشام[6]، ولم يبق معه إلا نفر قليل من الأمراء/ ومماليكه، وطلع قلعة الجبل، فحاصره /١٦٤أ

(١) كذا في ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر: ٢٢٣، بينما يشير العديد من المصادر إلى أن وفاة السلطان كانت في ٢٧المحرم من السنة.
ابن عبد الظاهر، الروض ٤٧٣؛ أبو الفدا، المختصر ٤/١٠، المقريزي، السلوك ١/٢: ٦٣٦.

(٢) لم ترد هذه اللفظة في (ب).

(٣) هو بيليك بن عبد الله، الأمير بدر الدين الخزندار الظاهري، كان نائباً للسلطنة أيام الظاهر بيبرس وولده السعيد. توفي في ٦ ربيع الأول عام ٦٧٦هـ/٧ آب ١٢٧٧م، وقيل انه مات مسموماً.
النويري، نهاية الأرب ٢٩/٦٩، اليونيني ٣/٢٦٢ ـ ٢٦٤.

(٤) كذا في (ج)، وفي (ب): «بأمر والده».

(٥) مدينة من الأعمال الشرقية في الديار المصرية.
أبو الفدا، تقويم البلدان: ١١٨ ـ ١١٩، المقريزي، الخطط ١/١٨٣.

(٦) يقصد الأمير عز الدين أيدمر الظاهري الذي ولي نيابة دمشق منذ ١٢ صفر سنة ٦٧٠هـ/ ١٩ أيلول ١٢٧١م. توفي في ربيع الأول عام ٧٠٠هـ/١٣٠٠م.
اليونيني، ذيل مرآة الزمان ١/٢٤٨، الصفدي، تحفة الناظرين: ١٧٧ظ ـ ١٧٨ظ.

الأمراء، وهرب مماليكه أولاً فأولاً، فأقام في المحاصرة أسبوعاً. ثم إن الخليفة أرسل إلى الأمراء يختبر منهم غرضهم، فقالوا: «يخلع الملك نفسه، ويرحل إلى الكرك!» فنزل من القلعة، وأشهد على نفسه أنه لا يصلح للملك، ثم سافر من وقته إلى الكرك، فوصل إليها وتسلمها.

وكانت مدة سلطنته سنتين وشهراً وأياماً.

[٦] ثم تولى الملك بعده السلطان السادس من ملوك الترك:

الملك العادل سلامش ابن الظاهر بيبرس

جلس على سرير الملك في ربيع الأول، عام ثمانية وسبعين وستماية، وعمره سبع سنين وشهور، واستقر الأمير قلاوون أتابك العساكر، فأخذ في القبض على الأمراء الظاهرية، وصار يمهد لنفسه، فأمر ونهى، وأنعم وأعطى، واستمال قلوب الأمراء، وأحسن التدبير لنفسه. فلما بلغ مقصوده، خلع الملك العادل سلامش، بعد أن تملك خمسة شهور وأياماً[١].

[٧] ثم تولى السلطان السابع من ملوك الترك:

الملك المنصور قلاوون الصالحي النجمي

تولى السلطنة في ثاني عشر رجب، عام ثمانية وسبعين وستماية، فأفرج عن أيبك الأفرم[٢]، وجعله نايبه بالديار المصرية، فأقام مدة ثم استعفى، فأعفاه

---

(١) اختلف المؤرخون حول مدة ولاية سلامش، فمنهم من حددها بثلاثة أشهر، ومنهم من حددها بمئة يوم، وقال آخرون غير ذلك، ولكنهم يجمعون على أن ولايته كانت قصيرة جداً.
أبو الفدا، المختصر ١٢/٤؛ الصفدي، الوافي بالوفيات ٣٢٦/١٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية ٣٢٦/١٣، المقريزي، السلوك ٢/١: ٦٥٨؛ ابن العماد، شذرات الذهب ٤١١/٥ - ٤١٢.

(٢) هو أحد كبار أمراء المماليك. كان أمير جاندار الظاهر بيبرس وابنه السعيد والمنصور قلاوون، وبعض سلطنة الأشرف خليل بن قلاوون. ولد بمصر وتوفي بها عام ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م، ودفن بتربته بالرصد.
الذهبي، تاريخ الاسلام ٢٧٧/٢١و.

واستناب مملوكه طرنطاي[1]، وولى سنقر الأشقر[2] نيابة دمشق، فعصى بها، وتسلطن، وحلّف الأمراء لنفسه، وتلقب بالملك الكامل. ثم إن السلطان جهّز له عسكراً، فقاتلهم، فكسروه، وهرب إلى صهيون[3].

وتوجه السلطان إلى ملاقاة التتار، فالتقى العسكران واقتتلا في مرج حمص، وحمل المسلمون عليهم، فانهزموا وانكسروا[4].

وفي سنة اثنتين وثمانين وستماية، عمر البيمارستان[5] بين القصرين الذي عمت صدقته الأحياء والأموات.

وكان حسن الشكل[6]، معتدل القامة دريّ اللون، فصيحاً في اللغة التركية، بعيداً من الكلام العربي، شجاعاً عارفاً.

/١٦٤ب فتح مدينة طرابلس في سنة/ ثمان وثمانين وستماية، بعد أن حاصرها أربعة وثلاثين يوماً ثم أحرقها. وعمّر مدينة غيرها بالقرب منها[7]، وهي الموجودة

(١) هو طرنطاي بن عبدالله المنصوري، الأمير حسام الدين. ولّاه المنصور قلاوون نيابة السلطنة بالديار المصرية في ١٤ رمضان عام ٦٧٨هـ/١٢٧٩م.
ابن حبيب، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه ١/٤٩؛ المقريزي، السلوك١/٣: ٦٦٥.

(٢) ولّاه المنصور قلاوون نيابة السلطنة بدمشق، فدخلها في ٣ جمادى الآخرة عام ٦٧٨هـ/١٢٧٩م. قتل عام ٦٩١هـ/ ١٢٩٢م.
ابن الدواداري، كنز ٨/٣٤٠؛ ابن حبيب، المصدر نفسه: ٤٩، ١٥٤؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ٧/٢٨٧.

(٣) بلدة من جند قنسرين ذات قلعة حصينة مشهورة.
أبو الفدا، تقويم: ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

(٤) وذلك في شهر رجب عام ٦٨٠هـ.
أبو الفدا، المختصر ٤/١٤ ـ ١٥؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه ١/٦٢ ـ ٦٣.

(٥) ويقال ايضاً: المارستان، وهو لفظ فارسي مركب من «بيمار» أي مريض، و«ستان» أي محل، وهو مستشفى لمعالجة المرضى وإقامتهم. (محيط المحيط).

(٦) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «شكلاً حسناً».

(٧) عن فتح طرابلس راجع:
أبو الفدا: المختصر ٤/٢٣؛ ابن كثير، البداية والنهاية ١٣/٣١٣؛ المقريزي، السلوك ١/٣: ٧٤٧.

الآن[1].

وأخذ من يد الفرنج مرقب[2]، وجبلة[3]، واللاذقية، وأبطل أشياء كثيرة من المكوس والجرايم.

توفي، رحمه الله، في سادس ذي القعدة، سنة تسع وثمانين وستماية، ودفن بتربته المنصورة بين القصرين، ومدة سلطنته احدى عشرة سنة وثلاثة أشهر وستة أيام[4]. وخلف ثلاثة أولاد، وولد له بعد وفاته آخر.

[٨] وتولى بعده السلطان الثامن من ملوك الترك ولده:

الملك الأشرف صلاح الدين خليل[5] ابن الملك المنصور قلاوون الألفي

جلس على سرير الملك في اليوم الثامن من وفاة والده. وكان ملكاً كريماً شجاعاً، ذا همة عالية.

فتح عكا وقلعة الروم[6]، وأبطل ما كان يؤخذ بدمشق بباب الجابية؛ وهو على كل حمل خمسة دراهم.

ثم سرح السلطان إلى البحيرة، ونزل بخيمة، ووقف لطعم الطيور، فحضر

---

(١) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «اليوم».

(٢) قلعة حصينة على البحر المتوسط، كانت تابعة لنيابة طرابلس.
القزويني، آثار البلاد: ١٧٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى ٤/١٤٥ - ١٤٦.

(٣) كانت إحدى ولايات حمص.
ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر: ٣٢٦.

(٤) كذا في أبي الفدا، المختصر ٤/٢٤؛ وفي ابن حبيب (تذكرة النبيه ١/١٣٥): «احدى عشرة سنة وشهرين».

(٥) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «الملك الأشرف خليل».

(٦) حصن منيع قرب نهر الفرات.
أبو الفدا، المختصر ٤/٢٧.

إليه من الأمراء بيدار[1]، ولاچين[2] ومعهما جماعة، فاستفهم منهم السلطان عن سبب حضورهم[3]، في تلك الساعة، فقال بيدار: أنهي بين يدي مولانا السلطان كلاماً! ،وقرب من السلطان، وجرّد سيفه، وضرب السلطان على وجهه، فتلقاها بيده فجرح، فصاح لاچين على رفيقه بيدار، وقال: من يقصد قتل الملوك ليكون ملكاً تكون ضربته كذا؟ ثم وكس، وضرب السلطان على كتفه الأيمن فقطعه، فمات، ومسك من كان معه من الأمراء. وكان ذلك وقت العصر، خامس عشر المحرم[4]، عام ثلاثة وتسعين وستماية، ومدة سلطنته ثلاث سنين وشهران وأيام.

[٩] واتفقت أركان الدولة على تولية أخيه السلطان التاسع من ملوك الترك:

الملك الناصر محمد بن قلاوون الألفي

ولي السلطنة في المحرم، وعمره تسع سنين، فمسك جماعة من الأمراء الذين قتلوا أخاه، فاعتقلهم بخزانة البنود[5]، وتولى عقوبتهم بيبرس الچاشنكير[6]، إلى أن أقروا بما قدموا عليه، فقطعت أيديهم وأرجلهم، وعلقت

(١) ورد في معظم المصادر «بيدرا» الأمير بدر الدين، وقد حاول أن يتسلطن ولقب بالملك القاهر. مات مقتولاً في المحرم سنة ٦٩٣هـ/١٢٩٣م.
أبو الفدا، المختصر ٣٠/٤؛ المقريزي، السلوك ٣/١: ٧٩٢.

(٢) وقد تسلطن ولقب بالملك المنصور، وسيرد ذكره لاحقاً.

(٣) كذا في (ج). وفي (ب): «فاستفهم السلطان منهم في سبب حضورهم».

(٤) كذا؛ وفي أبي الفدا (المختصر ٢٩/٤): «في أوائل المحرم»؛ أما في المقريزي (السلوك ٣/١: ٧٩٠): «ثاني عشر المحرم».

(٥) بناها الخليفة الظاهر الفاطمي بين قصر الشوك وباب العيد في القاهرة، لخزن أنواع البنود من الرايات والأعلام، إضافة الى أصناف السلاح والآلات الحربية. وكان فيها ثلاثة آلاف صانع من سائر الصنائع، وبها مدرسة لتعليم مماليك الدولة أنواع العلوم وفنون الحرب، ثم احترقت تلك الخزانة سنة ٤٦١هـ، وجعلت بعد هذا الحريق سجنا للأمراء وكبار رجالات الدولة، واستمرت كذلك حتى عهد الناصر محمد بن قلاوون.
المقريزي، الخطط ٤٢٣/١ وما بعدها.

(٦) وقد تسلطن ولقب بالملك المظفر، وسيرد ذكره لاحقا. والجاشنكير: هو الذي يتصدى لذوقان =

في رقابهم، وسمّروا على جمال، وأشهروا بمصر والقاهرة.

وفي / عام أربعة وتسعين وستماية، تجمع من مماليك الأشرف [خليل] ما ينيف عن ثلاثماية نفر، وفتحوا سوق باب السعادة[1]، فمُسكوا صباحاً وقطعت أيديهم وأرجلهم، وصلبوا على باب زويلة[2]. ١٦٥/ أ

ثم إن الأمراء والجند استصغروا سن السلطان، وطمع الأمير كتبغا بالمملكة، فخلع الناصر في حادي عشر المحرّم منها، وكانت مدة ولايته أحد عشر شهراً وأياماً.

[١٠] وتولى بعده العاشر من ملوك الترك:

الملك العادل كتبغا المنصوري

تولى السلطنة في يوم خلع الناصر، وكان أسمر اللون، مغلياً، قصيراً، في ذقنه شعرات قليلات، قصير العنق جداً، موصوفاً بالشجاعة والدين وسلامة الباطن، لكن يفوته الحزم والرأي.

وفي أيامه حدث غلاء عظيم لجدب الأرض، حتى بلغ القمح كل إردب[3]

= المأكول والمشروب قبل السلطان أو الأمير خوفاً من أن يُدس عليه فيه سم ونحوه، وهو مؤلف من لفظين فارسيين: «جاشنا» أي الذوق، و«كير» أي المتعاطي لذلك، ويكون المعنى: الذي يذوق.

القلقشندي، صبح ٥/ ٤٦٠.

(١) أحد أبواب القاهرة، وقد عرف هذا الباب باسم باب السعادة، نسبة إلى سعادة بن حيان، غلام الخليفة الفاطمي المعز لدين الله.

المقريزي، خطط ١/ ٣٨٣؛ السلوك ١/ ٣: ٨٠٥.

(٢) أحد أبواب القاهرة، بناه أمير الجيوش بدر الجمالي، وزير الخليفة المستنصر الفاطمي، عام ٤٨٥هـ/١٠٩٢م.

المقريزي، خطط ١/ ٣٨٠ - ٣٨١.

(٣) بكسر الهمزة وإسكان الراء، وفتح الدال المهملتين وتشديد الباء الموحدة، وهو مكيال ضخم بمصر يضم ٢٤ صاعاً، والصاع: مكيال يأخذ ٤ أمداد، والمد عند الرومان هو مكيال للسوائل والجوامد.

المقريزي، النقود: ١٠٣، ١٠٦، ١٠٨.

ماية وخمسين درهماً، وبلغ إردب الشعير ماية درهم، وأكلت الناس الميتة والقطط، ووصل في الشام الإردب[1] إلى ما ينيف عن ألف درهم، وصارت الناس في شدة الله بها عليم.

ثم سافر السلطان إلى الشام، وعاد، فوصل إلى وادي قمحة، فركب عليه لاچين وقيل بتخاص العادلي وبكتوت الأزرق، وكانا صاحبي العادل كتبغا. فلما سمع كتبغا بذلك ركب فرس النوبة، وساق إلى دمشق ومعه خمسة أنفس، فأقام بها خمسة عشر يوماً[2]. وأما لاچين فاحتوى على الخزاين وساق الجيش، ودخل تحت العصائب، وعاد إلى القاهرة، فتسلطن وأذعن له كتبغا، فرسم له بنيابة صرخد[3]، وإمرة غزة، ثم أنعم عليه بنيابة حماه، فأقام بها إلى أن مات، ثم حُمل إلى دمشق ودُفن بجبل قاسيون.

[١١] ثم تسلطن السلطان الحادي عشر من ملوك الترك:

الملك المنصور لاچين [4]

ولي[5] الملك في صفر عام ستة وتسعين وستماية[6]. وكان طويلاً أشقر، أزرق العين، شجاعاً، مهاباً، ديّناً، كريماً، عاقلاً، متفعلاً إلى الخير، حسن

(١) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «ووصل الإردب في الشام».

(٢) وذلك في المحرّم عام ٦٩٦هـ، على أثر مؤامرة ضد السلطان، قام بها نائبه حسام الدين لاجين المنصوري.

المقريزي، السلوك ١/٣: ٨١٨؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ٨/٦٣.

(٣) بالفتح ثم السكون، والخاء المعجمة، والدال المهملة: قلعة حصينة ملاصقة لبلاد حوران من أعمال دمشق.

ياقوت، معجم البلدان ٣/٤٠١.

(٤) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «الملك المنصور لاجين المنصوري».

(٥) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «تولّى».

(٦) كان دخول حسام الدين لاجين إلى قلعة الجبل في ٩ صفر سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م.

المقريزي، السلوك ١/٣: ٨٢٣؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ٨/٨٧.

الرأي، عمر جامع ابن طولون[1].

وفي ليلة الحادي عشر من ربيع الآخر، سنة سبع وتسعين وستماية، لعب السلطان بالشطرنج، وعنده قاضي القضاة حسام الدين الحنفي[2]، فدخل عليه بعض الأمراء، وقال للسلطان: ماتصلي؟. فقال: نعم!. /ثم قام ليصلي، فضربه على كتفه، وضرب الآخر على رجليه فقطعا، ثم انقلب قتيلاً[3]، فصاح القاضي، فلم يجب، وتركوه عنده في تلك الليلة، وغلقوا عليهما الباب إلى باكر النهار. /١٦٥ ب

فلما أصبح، اجتمع الأمراء واتفقوا على إحضار الملك الناصر من الكرك، فأحضروه بعد أن استمر تخت الملك خالياً من السلطنة أحد وأربعين يوماً، فحضر الملك الناصر محمد المرة الثانية، فمسك أمراء وأفرج عن أمراء، وتصرف في المملكة بأتمّ رأي وأحسن تدبير.

ثم وردت الأخبار عليه بمجيء التتار إلى البلاد الشامية، فسافر السلطان إليهم، والتقى معهم بوادي الخزندار[4]، بالقرب من سلمية[5]، فقويت التتار

(١) بناه الأمير أحمد بن طولون عام ٢٥٩هـ/٨٧٢م، وفرغ من عمارته عام ٢٦٦هـ/٨٧٩م، وقيل عام ٢٦٥هـ، وبلغت نفقات بنائه ١٢٠ ألف دينار، ورمم الجامع مرات عدة بعد ذلك، ومنها في أيام المنصور لاجين.
ابن دقماق ٤/١٢٢ - ١٢٤.

(٢) هو حسام الدين أبو الفضائل الحسن بن أحمد بن الحسن أنوشروان الرازي الحنفي، قاضي القضاة. توفي سنة ٦٩٩هـ/١٢٩٩م.
الصقاعي، تالي وفيات الأعيان: ٦٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية ١٤/١٣؛ ابن العماد، شذرات الذهب ٥/٤٤٦.

(٣) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «ميتاً».

(٤) حصلت هذه الوقعة عام ٦٩٩هـ/١٣٠٠م، وانتهت بهزيمة الجيش المملوكي ودخول التتار بقيادة قازان إلى دمشق.
أبو الفدا، المختصر ٤/٤٢ - ٤٤؛ المقريزي، السلوك ١/٣: ٨٨٦ - ٨٨٨.

(٥) مدينة قريبة من حمص، تمر بها طرقات هامة تصلها بالعديد من المناطق.
أبو الفدا، تقويم البلدان ٢٦٤ - ٢٦٥.

وانهزم جيش المسلمين، وهرب السلطان وطايفة معه إلى بعلبك، ودخل التتار إلى دمشق، كما تقدم ذكره، ثم حضر السلطان إلى الديار المصرية، وفتح الخزاين وأنفق الأموال على العساكر، ورجع إلى التتار، فوصل إلى دمشق في مستهل رمضان عام اثنين وسبعماية، فوجد التتار على الكسوة، فالتقى معهم، وحمل المسلمون عليهم، فانكسروا، بعد أن استشهد من الأمراء والمماليك ألف نفس، وولوا هاربين[1]، وعاد السلطان إلى مصر مؤيداً منصوراً.

فأقام يدبر المملكة إلى عام ثمانية وسبعماية، فتجهّز للحج، وخرج جماعة من خواصه يودعونه.

فلما وصل إلى العقبة، خرج من الوطاق[2]، ليتصيّد، فتوجه إلى نحو الكرك، وأمر نايب الكرك أن يأخذ الوطاق والمال[3]، ويعود إلى القاهرة [وقعد السلطان][4] بهما[5]، وأرسل يقول لجماعة الأمراء: إنني قد قنعت بالكرك، فاطلبوا لكم ملكاً تختارونه! فحضر الكتاب، وقرىء عليهم بدار النيابة بقلعة الجبل، وكانت مدة سلطنته الثانية عشر سنين وأشهراً.

[١٢] واتفق الأمراء على تولية السلطان الثاني عشر من ملوك الترك:

الملك المظفر بيبرس الچاشنكير

تولى السلطنة ثالث عشر شوال[6] منها، وكتب تقليداً للملك الناصر

---

(١) عن وقائع هذه المعركة انظر: أبو الفدا، المختصر ٤/٤٨؛ ابن حبيب، تذكرة النبيه ١/٢٤٥ - ٢٤٦؛ المقريزي، السلوك ١/٣: ٩٣٠ - ٩٣٨.

(٢) الوطاق: المخيم

Dozy, supplément aux dictionnaires arabes, II, P. 819.

(٣) لفظة «والمال»: لم ترد في (ب).

(٤) ما بين الحاصرتين من (ب).

(٥) يقصد: بالكرك.

(٦) كذا؛ وفي أبو الفدا (المختصر ٤/٥٥)، والمقريزي (السلوك ٢/١: ٤٥)، وابن العماد (شذرات ٦/١٨): في الثالث والعشرين من شوال.

محمد بنيابة الكرك، وجهز إليه، فأقام في نيابة الكرك إلى سنة تسع وسبعماية. فخرج جماعة من الأمراء والمماليك، وتوجهوا إلى الملك الناصر، فتلقاهم بالرحب وأكرمهم، / فتدخلوا عليه في التوجه إلى الشام، فأجابهم، وتوجه بهم ١٦٦/ أ إلى دمشق، فتلقاه العسكر الشامي، وزينت دمشق، ودُعي له على المنابر، واجتمعت عليه النواب، فحضر بهم إلى الديار المصرية، فتلقاه الأمراء إلى غزة، وأخبروه أن بيبرس نزل عن الملك، وأخذ نفايس الأموال، وتوجه إلى الصعيد، وأن الحرافيش رحمته، فنثر عليهم أكياس الذهب، فاشتغلوا بها، وهرب، فوصل إلى إخميم[١]، ومعه ثمانماية مملوك.

وترددت الأخبار بينه وبين بيبرس، فأنعم عليه بصهيون، فتوجه إليها من البرية، فجهز له الناصر جماعة للقبض عليه، فمسكوه وكان آخر العهد به. وكانت مدة سلطنته أحد عشر شهراً[٢].

وتولى المملكة السلطان السابق من ملوك الترك وهو[٣]:

الملك الناصر محمد بن قلاوون، للمرة الثالثة.

وكان ملكاً عظيماً مهاباً، ديناً كريماً، أطاعته العباد، ودانت له البلاد.

وكان ذا عسكر عظيم ومماليك كثيرة. وكان دخوله إلى الديار المصرية في مستهل شوّال عام تسعة وسبعماية.

وعمّر عماير ما قاربه ملك فيها، منها: أنه عمّر القصر الأبلق بقلعة الجبل، وأجرى الماء من النيل إلى قلعة الجبل، وعمّر الجامع الجديد بمصر والسواقي، وعمّر المدرسة بين القصرين، وقناطر في أماكن متعددة.

---

(١) بالكسر ثم السكون، وكسر الميم، وياء ساكنة، وميم أخرى: بلد بالصعيد المصري على شاطىء النيل.
ياقوت، معجم البلدان ١: ١٢٣ - ١٢٤.

(٢) كذا؛ وفي المقريزي (السلوك ٢/١: ٧١): «عشرة أشهر وأربعة وعشرين يوماً».

(٣) لفظة «وهو»: ساقطة من (ج).

وأبطل غالب المكوس والرسومات، وحج مرة ثانية، فأبطل مكوس مكة والمدينة، وأقطع أميريهما إقطاعات كثيرة بمصروالشام، وهي بأيديهم إلى الآن.

وفي أيامه، بيع القمح كل إردب بخمسة دراهم، والشعير بثلاثة دراهم. وحج مرة ثالثة، وفعل فيها من الخيرات ما لا يحصر، وسالمته الأيام، وهابته ملوك الدنيا شرقاً وغرباً، وهادته وأذعنت له.

توفي، رحمه الله، في سنة احدى وأربعين وسبعماية، وعمره سبع وخمسون سنة، وكانت مدة سلطنته، خاصة، خمساً وأربعين سنة وشهراً ونصفاً. وخلّف أربعة عشر ذكراً وعدة بنات، ودفن بمدرسة الناصرية بين القصرين بمصر.

[١٣] ثم تولى السلطنة من أولاده ولده السلطان الثالث عشر من ملوك الترك:

الملك المنصور أبو بكر بن الملك الناصر محمد بن قلاوون

ولي الملك صبيحة وفاة والده، وحلف له أركان الدولة، وأقام مدة يسيرة، ١٦٦/ب ثم وقع بينه وبين الأمير قوصون[١]، فخلعه، وأرسله إلى /قوصون، وكان آخر العهد به.

وكانت مدة مملكته شهرين.

[١٤] ثم تولى بعده أخوه السلطان الرابع عشر من ملوك الترك:

الملك الأشرف علاء الدين كجك ابن الناصر محمد بن قلاوون

تولى السلطنة في حادي عشر صفر، سنة اثنتين وأربعين وسبعماية، وكان عمره سبع سنين، وأقام مدة يسيرة. ثم وصل الخبر من الشام بأن طاشتمر[٢]،

(١) قوصون الساقي الناصري، الأمير سيف الدين. كان من كبار الأمراء، تزوج ابنة السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وهو صاحب الجامع الكبير بالقاهرة والخانقاه المشهورة بباب القرافة. قبض عليه وحبس في سجن الاسكندرية بعد أن صودر، ومات في سجنه عام ٧٤٢هـ/ ١٣٤١ - ١٣٤٢م.

المقريزي، السلوك ٢/٣: ٦١٥، ابن حجر، الدرر الكامنة ٣/٢٥٧ - ٢٥٨.

(٢) طاشتمر أو طشتمر بن عبد الله الساقي الناصري، الأمير سيف الدين المعروف بحمص أخضر، =

نايب حلب، والفخري[1]، نايب الشام، مع أهلها، خامروا جميعهم، واختاروا أن يكون سلطانهم الناصر أحمد ابن الناصر محمد. ثم بعد ذلك أمسك أيدغمش[2] ثلاثين أميراً، وخلع الأشرف من السلطنة، فكانت مدة ملكه خمسة أشهر.

[١٥] ثم خطبوا للناصر أحمد وهو بالكرك، وأرسلوا له بذلك، فحضر وحضرت العساكر الشامية صحبته إلى الديار المصرية، وطلع إلى القلعة في موكب عظيم، وهو السلطان الخامس عشر من ملوك الترك:

الملك الناصر أحمد[3] ابن الناصر محمد بن قلاوون

جلس على سرير الملك في عاشر شوال سنة اثنتين وأربعين وسبعماية، فأقام في المملكة بعض أيام، ومسك جملة من الأمراء[4]، وسجنهم. ثم توجه إلى الشام في ذي الحجة، وأخذ معه طاشتمر والفخري وأيدغمش مقيّدين، وتوجه إلى الكرك فأقام به، وقتل طاشتمر والفخري.

ثم إن الأمراء اتفقوا على سلطنة أخيه إسماعيل، فأخرجوه وسلطنوه، ثم جردوا نحواً من ألفي فارس، وجمعوا عليهم عسكر الشام، وحاصروا الكرك، فأقام بها والعساكر تتبدل عليه نحواً من ثلاث سنين، ثم مسك في صفر سنة خمس

= لأنه كان يحب أكله. مات مقتولاً بالكرك سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢ - ١٣٤٣م.
المقريزي، المصدر نفسه: ٦٣٧؛ ابن حجر، المصدر نفسه ٢/٢١٩ - ٢٢٠؛ ابن تغري بردي، النجوم ١٠/١٠٣.

(١) وهو الأمير قطلو بغا الناصري المعروف بالفخري، نائب الشام. مات مقتولاً بالكرك سنة ٧٤٣هـ/ ١٣٤٢ - ١٣٤٣م.
المقريزي، المصدر نفسه: ٦٣٨؛ ابن حجر، المصدر نفسه ٣/٢٥٠ - ٢٥٢.

(٢) الأمير علاء الدين أيدغمش الناصري. ولي نيابة حلب ونيابة دمشق، توفي بدمشق في جمادى الآخر عام ٧٤٣هـ/١٣٤٢م.
الصفدي، الوافي ٩/٤٨٨ - ٤٨٩، المقريزي ٢/٢: ٥٤١، ٢/٣: ٦٣٧.

(٣) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «الملك الناصر شهاب الدين أحمد».

(٤) «من الأمراء»: ساقطة من (ب).

وأربعين، فتوجه إليه منجك اليوسفي(١)، وقطع رأسه وأحضره.

وكانت مدة سلطنته شهرين واثني عشر يوماً، ولم يكن في إخوته مثله، فإنه كان أحسنهم وأكرمهم وأشجعهم، لكنه لم يعط سعداً.

[١٦] ولما توفي تولى مكانه السلطان السادس عشر من ملوك الترك:

الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ابن الناصر محمد بن قلاوون

وهو الرابع من أولاده. تولى الملك في يوم السبت ثاني عشر ذي الحجة(٢)، عام ثلاثة وأربعين وسبعماية.

وكان خيراً ديّناً، كريماً، رتّب دروساً للقضاة الأربعة بمدرسة جده المنصور
قلاوون بين القصرين. وكان يحب العلماء، ويوقرهم(٣)، /ويحب الشجاعة ١٦٧/أ
وأهلها.

مرض ومات في العشرين من ربيع الأول(٤)، عام ستة وأربعين وسبعماية، فكانت مدة ملكه سنتين وشهرين.

[١٧] ثم تولى بعده أخوه السلطان السابع عشر من ملوك الترك:

الملك الكامل شعبان ابن الملك الناصر محمد

وهو الخامس من أولاد الناصر، ولي الملك في يوم وفاة أخيه، وانتظم له أمر المملكة إلى عام سبعة وأربعين. ثم خامر عليه الأمراء وخرجوا إلى قبة النصر(٥)، فخرج لهم السلطان، ووقع بينهم القتال، فهرب السلطان وصحبته

(١) توفي عام ٧٧٦هـ. راجع ترجمته في:
ابن حجر، الدرر ٤/٣٦٠-٣٦١.

(٢) كذا؛ وفي الصفدي (الوافي ٩/٢١٩)، والمقريزي (السلوك ٢/٣: ٦١٩): «يوم الخميس ثاني عشري المحرم».

(٣) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «ويودهم».

(٤) كذا؛ وفي المصدرين السابقين: «رابع ربيع الأخر».

(٥) وهي تقع خارج القاهرة. المقريزي، السلوك ٢/٢: ٣٧٣.

أربعة مماليك إلى القلعة، فدخل من باب السر[1] إلى والدته، فتخبّأ.

ثم حضر بعض المماليك إلى الدهيشة بالقلعة، وكان بها الملك المظفر أمير حاجي بن محمد بن قلاوون مسجوناً، فدخلوا عليه، وقبّلوا الأرض بين يديه، وحضرت أعيان الأمراء، وهم ملبسون، فحلفوا له وسلطنوه، ودخلت الأمراء بيت الملك وفتشوه، فوجدوا الكامل بين الأزبار، فمسكوه وسجنوه في المكان الذي كان مسجوناً فيه أمير حاجي، وكان آخر العهد به.

[١٨] ولما توفي، تولى مكانه السلطان الثامن عشر من ملوك الترك:

الملك المظفر ابن الملك الناصر محمد[2]

ولي الملك في يوم الاثنين مستهل جمادى الآخر عام سبعة وأربعين وسبعماية.

وكان مغرماً بلعب الحمام، عدل عن النوم في القصر لأجل اللعب به، فنهاه الأمير ألجبغا[3] العادلي عن ذلك، وخوّفه من ركوب المماليك عليه بسبب ذلك، فأمر بذبح الحمام، وأرسل إلى الأمير ألجبغا يعرفه عن ذبحه الحمام، وقال: «لأذبحن خياركم مثلها!»[4]. فاغتاط الأمير ألجبغا لذلك، واتفق مع الأمراء، فلبسوا وخرجوا إلى قبة النصر.

ثم ركب السلطان ومماليكه وهم مخامرون عليه، فاحتاطوا به، ورموه عن فرسه وقتلوه في ساعة في ثالث عشر رمضان، عام ثمانية وأربعين وسبعماية. وكانت مدة سلطنته سنة وثلاثة أشهر[5]

---

(١) احد أبواب قلعة الجبل.

(٢) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «الملك المظفر زين الدين حاجي بن الناصر محمد بن الناصر قلاوون».

(٣) في المقريزي: «ألجيبغا» وهو أحد المقربين من السلطان المظفر حاجي. توفي في ٧ ربيع الآخر عام ٧٥٤هـ.
المقريزي ٢/٣: ٧٢٩، ٩٠٥.

(٤) سبق للسلطان حاجي أن هدد الأمير ألجيبغا بهذا النوع من التهديد، بسبب لعب الحمام. انظر المصدر نفسه: ٧٢٩.

(٥) في المصدر نفسه (٧٤٤): «فكانت مدة سلطنة حاجي سنة وثلاثة أشهر واثني عشر يوماً».

[١٩] وفي صبيحة ذلك اليوم تسلطن السلطان التاسع عشر من ملوك الترك:

الملك الناصر حسن ابن الملك[١] الناصر محمد، وهو السابع من أولاده.

وفي أيامه، في سنة تسع وأربعين وسبعماية حصل وباء عظيم، فطبق الأرض، وأخرب البلاد، وأخلى مصر إلى أن بلغت الراوية الماء[٢] عشرة دراهم فضة، وطعنت/ فيه غالب الطيور والوحوش، وبلغ الدفن في القاهرة، في كل يوم، ما يزيد عن عشرين ألف آدمي[٣]. /١٦٧ ب

وفي سابع جمادى الآخرة، خرج جماعة من الأمراء إلى قبة النصر، وطلع الأمير طاز[٤] إلى القلعة راكباً ملبساً، فتخوف السلطان من ذلك، فخلع نفسه، فقبضوا عليه، وسجنوه بالقلعة.

وكانت مدة ملكه ثلاث سنين وتسعة أشهر[٥].

[٢٠] ثم تولى الملك بعده السلطان العشرون من ملوك الترك:

الملك الصالح صالح ابن الملك الناصر محمد بن قلاوون[٦]

ولي السلطنة في ثامن عشر[٧] جمادى الآخرة، عام اثنين وخمسين وسبعماية. وكان ذا رأي تام، فوقع بينه وبين الأمراء فتن، فركبوا عليه، فظفر بهم، ووسَّط غالبهم.

---

(١) لفظة «الملك»: ساقطة من (ب).

(٢) كذا في (ب)؛ وفي (ج) «الرواية من الماء».

(٣) عن أخبار هذا الوباء الذي شمل مناطق عدة، راجع ما ورد عند المقريزي، السلوك ٢/٣: ٧٧٢ - ٧٩١.

(٤) توفي في ٢٠ ذي الحجة بالشام عام ٧٦٣هـ.
المصدر نفسه ٣/١ - ٧٨.

(٥) في المصدر نفسه: (٢/٣: ٨٤٢): «فكانت مدة سلطنته ثلاث سنين وتسعة أشهر وأربعة عشر يوماً».

(٦) «بن قلاوون»: ساقطة من (ب).

(٧) في المقريزي (السلوك ٢/٣: ٨٤٣): «ثامن عشري».

وفي أيامه كثر فساد العربان في الصعيد، فجرّد لهم الأمير شيخو[١] فكسرهم وأبادهم بالقتل[٢].

وفيها، منعت اليهود والنصارى أن يباشروا بالدواوين، وأن تكون عمايمهم دون العشرة أذرع، ولا يدخل أحد منهم الحمام إلا بصليب في رقبته، ولا يدخلن نساؤهم مع نساء المسلمين، وأن تكون إزر النصارى زرقاً، واليهود صفراً، وأن يلبس الخف لونين، كل فردة من لون.

ثم إن الأمراء قصدوا إعادة الناصر حسن، فاتفق غالب الأمراء ودخلوا على الصالح فخلعوه، وأعادوا أخاه الناصر حسن.

وكانت مدة الصالح ثلاث سنين وثلاثة أشهر ونصف[٣]، وسجن بالقلعة إلى أن مات في سنة احدى وستين وسبعماية.

وتسلطن الناصر حسن المرة الثانية يوم خلع الصالح، في ثاني شوال سنة خمس وخمسين وسبعماية، فمشى في السلطنة على أتم الوجوه، وشرع في عمارة مدرسة بالرملة. وفتح في أيامه سيس وأذنة بالأمان، وطرسوس عنوة، وفتح المصيصة، وقلعة كلال، والجديدة[٤].

وفي عام اثنين وستين وسبعماية، وقع [الخلاف] بين السلطان وبين مملوكه يلبغا العمري[٥]، فلزم يلبغا مخيمه، فركب عليه السلطان ليلاً وكان معه الخبر،

---

(١) الأمير شيخو العمري، رأس نوبة. توفي في ٢٥ ذي القعده عام ٧٥٨هـ.
المصدر نفسه ٣/١: ٣٤.

(٢) حصل ذلك عام ٧٥٤هـ/١٣٥٣م، وعن أخبار الحادثة، راجع: المقريزي، السلوك ٣/٢: ٩٠٨ - ٩١٥.

(٣) في المصدر نفسه (٩٣٠): «فكانت مدة سلطنته ثلاث سنين وثلاثة أشهر وثلاثة أيام».

(٤) حصل ذلك عام ٧٦١هـ/١٣٥٩م.
المصدر نفسه ٣/١: ٥٠.

(٥) يلبغا بن عبد الله الخاصكي، الأمير الكبير، قتل في ربيع الآخر عام ٧٦٨/١٣٦٦م.
المقريزي، السلوك ٣/١: ١٣٦ - ١٣٧؛ ابن حجر، الدرر الكامنة ٤/٤٣٨ - ٤٣٩.

فخرج عن خيامه وأكمن لهم، فكبس السلطان عليه بالمخيم، فخرج يلبغا ومن معه من خلفهم فكسروهم. وهرب السلطان ومن معه إلى القلعة، وألبس مماليكه، فلم يجد لهم خيولاً، لأن خيولهم كانت في الربيع، وحجز يلبغا ما بينهم وبينها، فتيقن السلطان الغلب، فلبس لبس العرب هو و[الأمير
١٦٨/أ عز الدين] (١) أيدمر الدوادار، نزلا من القلعة/ في آخر الليل بمفردهما قاصدين الشام، فلقيهما بعض المماليك، فأحضروهما إلى الأمير يلبغا، وكان آخر العهد بالناصر.

وكانت مدة سلطنته الثانية ست سنين وسبعة أشهر وأياماً، وخلف عشرة بنين وست بنات.

[٢١] ولما فقد، تسلطن السلطان الحادي والعشرون من ملوك الترك:

الملك المنصور محمد ابن الملك المظفر حاجي بن محمد بن قلاوون

تولى السلطنة نهار الأربعاء تاسع جمادى الأولى، سنة اثنتين وستين وسبعماية، واستبد بتدبير الأمور الأمير يلبغا، فأقام مدة. ثم تخيل الأمير يلبغا من السلطان، فاتفق مع الأمراء وخلعوا المنصور في نصف شعبان، عام أربعة وستين وسجنوه بالقلعة.

وكانت مدة مملكته سنتين وثلاثة أشهر وستة أيام.

[٢٢] ثم تولى الملك بعده السلطان الثاني والعشرون من ملوك الترك:

الملك الأشرف شعبان بن حسين ابن الناصر محمد بن قلاوون

تولى الملك وعمره عشر سنين، وكان هيّناً، ليناً حليماً، نشأ محباً لأهل الخير، مقرّباً للعلماء والفقراء، مقتدياً بأمور الشريعة.

وفي أيامه أخذ الفرنج مدينة اسكندرية، وأسروا جماعة من المسلمين،

---

(١) ما بين الحاصرتين بعد مراجعة المقريزي ، السلوك ٣/١: ٦١.

فخرج لهم السلطان، فلما سمعوا به هربوا. ثم إن السلطان جدد ما تهدم من أسوارها(١).

وفي عام ستة وسبعين وسبعماية، حصل غلاء عظيم، ووصل القمح الإردب ماية وعشرين درهماً(٢)، وفرقت الحرافيش وأولادهم المستعطون على الأمراء والدواوين بقدر مقام كل واحد، ونودي: «أي سائل سأل صلب!».

وفي سنة سبع وسبعين وسبعماية، هجموا على الأشرف [شعبان] فهرب، فكبسوا القصر فوجدوه معلقاً داخل الباذهنج(٣)، فأحضروه وخنقوه في خامس ذي القعدة(٤)، ورموه في بئر، ثم أخرجوه بعد أيام ودفنوه في تربة والده.

وكانت مدة مملكته أربع عشرة سنة، وكان عمره أربعاً وعشرين سنة، وخلّف ستة بنين وسبع بنات.

[٢٣] ثم تسلطن السلطان الثالث والعشرون من ملوك الترك:

الملك المنصور علي بن الأشرف شعبان بن الحسين

جلس على سرير الملك وهو ابن ثمان سنين.

وفي أيامه وقعت فتن كثيرة بين الأمراء بحيث يطول ذكرها(٥).

وفي سنة احدى وثمانين وسبعماية، في أوائل رجب، ظهر كلام من شخص

---

(١) حصل ذلك عام ٧٦٧هـ/١٣٦٥م. وعن تفاصيل هذه الحادثة، راجع: المقريزي، السلوك ٣/١: ١٠٤-١٠٨.

(٢) في المصدر نفسه (٣/١: ٢٣٣): «ماية درهم.»

(٣) منفذ للتهوية في البيوت.
Dozy, suppl, I,P. 47.

(٤) يشير المقريزي إلى أن مقتل السلطان الأشرف شعبان كان في ٦ ذي القعدة عام ٧٧٨هـ/١٧ آذار ١٣٧٧م.
المقريزي ٣/١: ٢٨٢.

(٥) عن أخبار هذه الفتن، راجع ما ورد في المقريزي ٣/١: ٣١٢-٣١٦.

/١٦٨ ب في حايط/ يسمع ولا يرى[١]، وكان ذلك في جدار القيسي[٢]، وفيه يقول شهاب الدين بن العطار شعراً:

يا ناطقاً من جدار وهو ليس يُرى — اظهر وإلا فهذا الفعل فتّانُ
ما جاء في السَّمع للحَيطان ألسنةٌ — وإنما قيل للحيطان آذانُ

وأقام يتكلم إلى ثالث شعبان، ثم ظهر أن المتكلم زوجة صاحب المنزل، فأحضرهما الأتابكي[٣]، وأمر بتسميرهما، بعد أن ضرب الزوج بالمقارع والمرأة عصيّاً، ثم سمر تسمير سلامة.

وفي يوم الأحد ثالث عشْري صفر، سنة ثلاث وثمانين وسبعماية، توفي الملك المنصور، وكانت مدة سلطنته خمس سنين وثلاثة أشهر وعشرين يوماً.

[٢٤] وتسلطن بعده السلطان الرابع والعشرون من ملوك الترك:

الملك الصالح حاجي ابن الأشرف شعبان

ولي السلطنة بعد موت أخيه، وأطاعته العباد ودانت له البلاد.

وفي أيامه خرجت التراكمة، فأرسل المقر الأتابكي دواداره[٤] لإخراج العساكر الشامية، ثم جاءت الأخبار بأن التركمان انكسروا[٥].

---

(١) يثبت المقريزي هذه الحادثة مع تفاصيل طريفة.
راجع: المقريزي، المصدر نفسه: ٣٦١ ـ ٣٦٤.

(٢) كذا؛ وفي المصدر نفسه: «الشهاب أحمد بن الفيشي».

(٣) في المقريزي: «الأمير الكبير»، والمقصود الأمير برقوق الأتابكي حسب ما ورد في المقريزي، و في الصفحة التالية من الكتاب.

(٤) ويقال أيضاً دويْدار، وهو اسم مركب من لفظين: أحدهما عربي وهو الدواة، والثاني فارسي وهو دار، ومعناه ممسك، ويكون المعنى «ممسك الدواة». وللدوادار مهام عدةٌ يمكن الاطلاع عليها في: ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر: ٢٤٢؛ Dozy, suppl., I, P. 469.

(٥) وذلك في جمادى الأولى عام ٧٨٣هـ/ تموز ١٣٨١م.
المقريزي، السلوك ٣/٢: ٤٤٣.

وفي أيامه حصل غلاء عظيم، لكن لم يقم إلا قليلاً [1].

ثم إن برقوق الأتابكي اتفق مع الأمراء على خلع الصالح فخلعوه[2]. وكانت مدة سلطنته سنة ونصفاً وخمسة وعشرين يوماً، وبه انقرضت الدولة التركية، كذا في «**كوكب الملك في دولة الترك**».

(١) وذلك في رمضان عام ٧٨٣هـ/ تشرين الثاني ١٣٨١م.
المصدر نفسه: ٤٥٧.

(٢) حصل ذلك يوم الأربعاء تاسع عشر رمضان عام ٧٨٤هـ/٢٦ تشرين الثاني ١٣٨٢م.
المصدر نفسه: ٤٧٤ ـ ٤٧٥.

الباب العاشر

في ذكر ملوك الجراكسة

ملوك مصر والشام(١)

وكان ابتداء دولتهم سنة أربع وثمانين وسبعماية، وانقراضهم في سنة اثنتين وعشرين وتسعماية، فتكون مدة ملكهم ماية وثمـان وثلاثين سنة، وعددهم ثلاثة وعشرون نفراً.

[١] أولهم:

الملك الظاهر سيف الدين برقوق بن آنص العثماني الچركسـي

اشتراه الأتابكي يلبغا العمري، ومات يلبغا وهو من صغار مماليكه. وإنما سمي برقوق لجحوظ في عينيه، وتنقلت به الأحوال إلى أن صار أمير ماية مقدم ألف.

وكان أتابكاً للملك الصالح المقدم ذكره، وليس للصالح سوى الإسم لصغر سنة. فلما اتفق مع الأمراء وخلعه، تولى مكانه في يوم الأربعاء تـاسع عشـر رمضان، عام أربعة وثمانين/ وسبعماية. /١٦٩ أ

فلما جلس على سرير الملك، حلفت له الأمراء، وزينت القاهرة سبعة أيام.

وفي سنة سبع وثمانين، ابتدأ بعمارة مدرسة بين القصرين، وكان المباشر على عمارتها، رجلاً يقال له الخليلي، ولما كملت عمارتها نزل إليها السلطان ومد بها سماطاً عظيماً وملأ فسقيتها سكراً، وفيها قال ابن العطار:

قد أنشأ الظاهر السلطانُ مـدرسةً　　　فاقت على إرمٍ مع سرعة العملِ

(١) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «في ذكر ملوك الجراكسة بمصر والشام وسيرتهم الماضية في الأنام».

يكفي الخليلي أن جاءت لخدمتهِ صمّ الجبال له تسعى على عجلِ .

وفي يوم الثلاثاء سادس جمادى الأولى، سنة تسعين وسبعماية[١]، اجتمع رأي الأمراء واتفقوا على خلع الظاهر برقوق، وسلطنة السلطان السابق الملك الصالح حاجي ثانياً فسلطنوه، وذلك بعد فتن كثيرة وقعت بين الأمراء، يطول شرحها، فكانت مدة ملكة ست سنين وأياماً، وسجن برقوق بالقلعة، وفي ما بعد أرسل إلى الكرك[٢].

وفي تاسع رمضان، وصل البريدي[٣] بقتل برقوق. ثم إن نائب الكرك[٤] وقاضيه اتفق رأيهما وقالا: «هذا كتاب أمير من الأمراء نقتل من له ستة أعوام سلطاناً بكتاب أمير، ولكن نصبر حتى يجيء كتاب آخر!». فاتفقوا على ذلك. ففي أثناء النهار وصل كتاب الناصري[٥] بالإطلاق، فانتصر له جماعة وأخرجوا برقوقاً وبايعوه يوم الثلاثاء تاسع رمضان، فحكم بالكرك وتراجعت إليه الناس، وخرج قاصداً نحو الشام، فكان كلما مر ببلد أطاعته أهلها إلى أن وصل دمشق، فخرج إليه عسكرها فاقتتلوا معه فكسرهم، فتحصّنوا بالمدينة، ولم يسلّموها له، فأقام عند قبة يلبغا.

وفي رابع المحرم، سنة اثنتين وتسعين وسبعماية، وصل السلطان المنصور ومعه الخليفة المتوكل والقضاة والعساكر من القاهرة، واقتتلوا من بكرة النهار إلى

---

(١) ورد في المقريزي أن عزل برقوق حصل في سنة ٧٩١هـ.
المقريزي ٣/٢: ٦٢٠-٦٢٣.

(٢) وذلك في ليلة الخميس ٢٢ جمادى الآخرة عام ٧٩١هـ/١٨ حزيران ١٣٨٩ م.
المصدر نفسه: ٦٣٢.

(٣) ويُعرف بالشهاب البريدي، قُتل بالكرك ليلة الأربعاء ١٠ رمضان سنة ٧٩١ هـ/١٣٨٩ م.
المصدر نفسه: ٦٥٦-٦٥٧.

(٤) هو حسن بن عليّ الكجكني، كما ورد في المقريزي ٣/٢: ٦٣٠-٦٥٥، وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة ١١/٣٢٦، والصيرفي، نزهة النفوس والأبدان ١/٢٢٤.

(٥) يقصد الأمير يلبغا الناصري.
المقريزي، المصدر نفسه: ٦٢٠.

العصر، وكانت وقعة عظيمة انجلت على تراجع بعض الأمراء ومماليكهم إلى برقوق.

فلما رأى المنصور ذلك خلع نفسه، وتقلّد السلطان الظاهر برقوق ثانياً، فملك الشام، ورجع إلى الديار المصرية، فدخل القاهرة/ يوم الثلاثاء رابع عشر صفر، وطلع إلى القلعة، وجُدّدت له البيعة، وأصبحت أيامه زاهرة، وهي كما قيل: ١٦٩/ب

كـأن أيامـه من حُسن سيرتـهِ مواسم الحج والأعياد والجمعُ.

وفي ثالث عشر صفر، سنة تسع وتسعين[1] وسبعماية، حضرت رسـل تمرلنك، وهم أربعة ومعهم كتاب نسخته: «بعد البسملة الشريفة

﴿**قُل اللَّهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب، والشهادة، أنت تحكمُ بين عبادِك، فيما كانوا فيه يختلفون**﴾[2]. اعلموْا أننا جند الله في أرضه، مخلوقون من سخطه، مسلطون على من يحل عليه غضبه، لا نرق لشاكٍ، ولا نرحم عبرة باكٍ، قد نزع الله الرحمة من قلوبنا.

فالويل ثم الويل لمن لم يكن من حزبنا، قد خرّبنا البلاد، ويتّمنا الأولاد، وأظهرنا في الأرض الفساد، خيولنا سوابق، وسيوفنا صواعق، وسهامنا خوارق، وقلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال، ملكنا لا يُرام، وجارنا لا يُضام.

من سالمنا سلم، ومن رام حربنا ندم؛ فإن أنتم قبلتم شرطنا، وأطعتم أمرنا، فلكم ما لنا، وعليكم ما علينا. وإن أنتم خالفتم، وعلى بغيكم تماديتم، فلا تلوموا إلا أنفسكم، وذلك بما كسبت أيديكم؛ فالحصون لا تمنع، والعساكر لا ترد، ولا تدفع، ودعاءكم لا يسمع، لأنكم أكلتم الحرام، وضيّعتم الجمع؛

(١) في المقريزي: أن رسالة تيمور المثبت نصها هنا، بعثت إلى السلطان برقوق في ربيع الآخر عام ٧٩٦هـ/ شباط ١٣٩٤م.
المقريزي، المصدر نفسه: ٨٠٣.

(٢) سورة الزمر، الآية ٤٦

فابشروا بالمذلة والهوان. ﴿فاليوم تُجزون عذابَ الهُوْنِ بما كُنتم تَسْتَكْبِرون في الأرضِ [بغير الحق] وبما كنتم تَفْسِقون﴾(١).

فقد صحّ عندكم أننا كفرة، وثبت عندنا أنكم فجرة، وقد سلّطنا عليكم من بيده أمور مدبّرة، وأحكام مقدّرة، فعزيزكم عندنا ذليل، وكثيركم لدينا قليل، وقد أوضحنا لكم الخطاب، فاسرعوا بردّ الجواب قبل أن ينكشف الغطا، ويدخل علينا منكم الخطا، وترمي الحرب نارها، وتلقي أوزارها، وتدهون منا بأعظم داهية، ولا يبقى لكم باقية، وينادي عليكم منادي الفنا: ﴿هل تُحِسّ منهم من أحدٍ أو تَسْمَعُ لهم رِكْزا﴾(٢).

الآن قد أنصفناكم، إذ راسلناكم، فردوا رسلنا بجواب هذا الكلام والسلام».

/١٧٠ أ فلما سمع السلطان هذا الكتاب، / اغتاظ غيظاً عظيماً، وأمر بتوسيط الرسل، فوسطوا وعلقوا، وأمر بكتب جواب، فكتب ذلك بإنشاء ابن فضل الله العمري(٣)، رحمه الله تعالى، ونسخته:

«بعد البعدية والإصدار، حصل الوقوف على كتاب ورد مخبراً عن الحضرة الإيلخانية ما وقفنا عليه، فقولكم إننا مخلوقون من سخطه، مسلطون على من يحل عليه غضبه، وإنكم لا ترقون لشاك، ولا ترحمون عبرة باك، وقد نزع الله الرحمة من قلوبكم، وذلك من أكبر عيوبكم، وهذه صفات الشياطين لا صفات السلاطين. ﴿قُلْ يا أيها الكَافِرون، لا أَعبدُ ما تَعْبدون﴾(٤).

ففي كل كتاب لعنتم، وعلى لسان كل رسول ذكرتم، وبكل قبيح وصفتم،

(١) سورة الأحقاف، الآية ٢٠.
(٢) سورة مريم، الآية ٩٨.
(٣) بدر الدين محمد بن علّي بن يحيى بن فضل الله العمري، كاتب السر. توفي بدمشق في ٢٠ شوّال ٧٩٦هـ/١٣٩٤م.
ابن حجر، الدرر الكامنة ٤/٩٧ ـ ٩٨؛ ابن تغري بردي، النجوم ١٢/١٤٠ ـ ١٤١.
(٤) سورة الكافرون، الآية الأولى.

وعندنا خبركم من حين خلقتم، وأنتم الكفرة كما زعمتم، ألا لعنة الله على الكافرين!.

من تمسك بالأصول لا يبالي بالفروع؛ نحن المؤمنون حقاً، لا يدخلنا عيب، ولا يخامرنا ريب، القرآن على نبينا نزل، والرب بنا رحيم لم يزل. إنما النار لكم خلقت، ولجلودكم أضرمت، إذا السماء انفطرت، ومن أعجب العجاب تهديد الرتوت[1] بالتوت، والسباع بالضباع، والكماة بالكراع، ونحن خيولنا برقية، وسهامنا يمانية، وسيوفنا شديدة المضارب، ذكرها في المشارق والمغارب. إن قتلناكم فنعم البضاعة، وإن قتلنا فبيننا وبين الجنة ساعة. **﴿ولا تحْسبنَّ الذين قُتلوا في سَبِيلِ الله أَمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرْزَقون﴾**[2].

وقولكم: قلوبنا كالجبال، وعددنا كالرمال؛ فالقصَّاب لا يبالي بكثرة الغنم، وكثير من الحطب يكفيه قليل من الضرم؛ **﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين﴾**[4]. الفرار الفرار من الرّزايا لا من المنايا، ونحن من الطمأنينة على عادة الأمنية، إن قُتلنا فشهداء، وإن عشنا كنا سعداء، ألا إن حزبَ الله هُم الغالبون.

أبعد أمير المؤمنين، وخليفة رسول رب العالمين، تطلبُون منا طاعة؟ لا سمعاً لكم ولا طاعة! وطلبتم أن نوضح لكم أمرنا قبل أن ينكشف/ الغطاء، ويدخل علينا منكم الخطا! هذا الكلام في نظمه تركيك، وفي سلكه تفكيك، لو كشف لبان [القصد][3] بعد التبيان، أكفر بعد إيمان، واتخاذ رب ثان؟ **﴿لقد جئتم شيئاً إدّاً، تَكَادُ السَّموات يتفطّرن منه وتَنْشَقُّ الأرضُ وتَخِرُّ الجِبَالُ هَدّاً﴾**[5]. قل ١٧٠/ب

(١) مفردها الرت، والرتوت هم الرؤساء من الرجال في الشرف والعطاء.
ابن منظور، لسان العرب.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

(٣) ما بين الحاصرتين بعد مراجعة المقريزي ٣/٢: ٨٠٦.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٤٩.

(٥) سورة مريم، الآيتان ٨٩ - ٩٠.

لكاتبك الذي وضع رسالته، ووصف مقالته، وصل كتاب كصرير الباب أو كطنين ذباب فسنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مداً».

فلما وصل إليه الكتاب، غضب غضباً شديداً، وبعد أيام مرض السلطان، وتوفي ليلة الجمعة خامس عشر شوال سنة احدى وثمانماية، ودفن في تربته، وعهد لولده.

[٢]وفي صبيحة نهار الجمعة اجتمع الخليفة والأمراء وسلطنوا ولده:

الملك الناصر فرج ابن الظاهر برقوق

تولى السلطنة وعمره عشر سنين، وظن الناس بموت والده قيام فتنة عظيمة، فلم يتحرك ساكن. وأنشد ابن الأوحدي(١) في ذلك:

مضى الظاهر السلطان أكرم مالكٍ   إلى ربه يرقى إلى الخلد في الدرجِ
وقالوا ستأتي شدة بعد موته   فأكذبهم ربي وما جا سوى فرجِ

وفي سنة ثلاث وثمانماية، ورد الخبر بأن تمرلنك أصبح محيطاً بحلب إحاطة السوار بالمعصم، وتقاتلت التتار مع أهلها مقاتلة عظيمة، ثم إن النواب وغالب عساكر الممالك برزت إليهم، فأخذ سودون(٢)، نائب الشام، الميمنة ومرداش(٣)، نائب حلب، الميسرة، وبقية النواب بالقلب، وقدموا العامة بين أيديهم، فركب تيمور وزحف عليهم بجيوشه، فما كان غير ساعة حتى دهمهم

---

(١) أحمد بن عبد الله بن الحسن الأوحدي، شهاب الدين. توفي في جمادى الآخرة عام ٨١١هـ/تشرين الأول ـ تشرين الثاني ١٤٠٨م.
السخاوي، الضوء اللامع ٣٥٨/١، ابن العماد، شذرات الذهب ٨٩/٧ ـ ٩٠.

(٢) توفي بدمشق آخر رجب عام ٨٠٣هـ/آذار١٤٠١م، ودفن خارج دمشق بقيده، وهو في أسر تمرلنك.
المقريزي ٣/٣: ١٠٧٢.

(٣) والأصح: دمرداش المحمدي، كما جاء في السلوك والنجوم الزاهرة، وقد تدرج هذا الأمير في مناصب عدة إلى أن انتهى أمره مسجوناً في ثغر الاسكندرية، في رمضان عام ٨١٦هـ/تشرين الأول ـ تشرين الثاني ١٤١٣م.
المقريزي ١/٤: ٢٧١.

خلق كأمواج البحر، فولّوا على أدبارهم منهزمين نحو البلد، وقد أحالت العساكر بالحوافر أجساد العامة، وجرى من دخول المنهزمين بالأبواب من فساد الأجسام وذهاب المهج ما أذهب العقول، وتعلقت النواب بالقلعة[1]، ومعهم خلق كثير، فاقتحمت عساكر التتار في المدينة[2]، وامتدت أيديهم/في أقطارها، وجالت خيولهم، بأرجائها سفكاً ونهباً وسبياً، فاحتمى بالمساجد الجم الغفير من النساء المخدرات والكواعبُ الناهدات، فمالوا عليهم وقرنوهم أسرى في الحبال، وأسرفوا في قتل الأطفال، ونهب الأموال، وتخريب المنازل، وافتضاض البكور وانتهاك الستور.

واستمر الحال على هذا المنوال من يوم السبت إلى يوم الثلاثاء، وهم مع ذلك مشتغلون بثقب القلعة وردم الخندق؛ فعند ذلك نزل مرداش في طائفة من الأمراء من القلعة يطلبون الأمان، فأجابهم تيمور وخلع عليهم، واطمأن خاطرهم، فنزل بقية أصحابهم من القلعة؛ كل نائب وطائفته، فنظم كل رجلين في قيد وفزقهم في قومه، ثم قدم إليه النهب، وأقام بحلب نحواً من شهر وأصحابه تعدوا في نهب المدينة والقرى وإفسادها، وتعبث بقطع أشجارها، وهدم أحجارها.

وأخبر بعض من يُوثق به أنه شاهد بظاهر حلب قد بُني شبه المواذن من رؤوس الرجال، مرتفعة البناء، دورها نيف وعشرون ذراعاً، وعلوها في الهواء[3] نحو عشرة أذرع، والوجوه بارزة تسفى عليها الرياح، وعدتها عشرة. ثم ارتحل عنها بعدما تركها خالية.

وفي اليوم السادس من جمادى الأولى، دخل السلطان إلى دمشق، فأقام بها يومين، وخرج في اليوم الثالث فخيّم بقبة يلبغا. ثم ظهر في أثناء النهار بعض

---

(١) يقصد: قلعة حلب.

(٢) وذلك يوم السبت ١١ ربيع الأول من السنة (٨٠٣هـ).
المقريزي ٣/٣: ١٠٣٣.

(٣) الأصل: «الهوى».

جماعة على الجبل[1]، مما يلي عقبة دمّر من عسكر تيمور، وهم مقدار ألف فارس، فخرج إليهم من العسكر المنصور دون المابة فالتقوا معهم، فانكسر أصحاب تيمور كسرة قوية.

ثم إنهم مسكوا من العسكر المنصور ثلاثة فوارس، فأضرم تلك الليلة ناراً عظيمة، ثم تخيّل للسلطان أن التتار ملأوا الأرض بقدر أماكن النار، وأخذ تيمور اثنين من الأسارى وسيَّخهم وشواهم على النار كالغنم، وأطلق الثالث، فرجع وأخبر السلطان بذلك، فانقطع قلوب العسكر.

ففي تلك الليلة رجع السلطان إلى الديار المصرية هارباً صحبة الخليفة والأمراء، مع كل أمير تقدير مملوكين/ أو ثلاثة، وليس معهم خيل ولا قماش، /١٧١ ب
وتشتت بقية العسكر حفاة عراة.

وأما أهل دمشق فلم يشعروا برجوع السلطان، فأصبح ورأيهم جميعاً للمناصبة للحرب، فركبوا الأسوار، وأعلنوا بالنداء يستحثون بعضهم بعضاً على الجهاد، فتراموا مع التتار على الأسوار، وقتلوا منهم وغنموا من خيلهم، وكانت بينهم مقاتلة هائلة، حتى قيل إنهم قتلوا من التتار نحواً من ألف فارس.

وفي آخر النهار حضر اثنان من أصحاب تيمور، ينادي أحدهم بطلب الصلح، وأن يحضر أحد ممن يعقل حتى يكلمه الملك، فوقع الاختيار على إرسال القاضي [تقي الدين إبراهيم بن محمد][2] بن مفلح الحنبلي، فغاب ثم رجع، وأخبر أنه اجتمع بتيمور وتلطف معه، حتى قال له: «هذه بلد الأنبياء، وقد أعتقتها صدقة عن أولادي».

وأخذ ابن مفلح يحل عزائم أهل البلد، حتى صاروا فرقتين؛ فرقة ترى ما يراه ابن مفلح من بذل الطاعة، وهم الفقهاء ونحوهم، وفرقة باقية على المحاربة،

---

(١) كذا؛ وفي المقريزي (٣/٣: ١٠٤١): «من جهة جبل الثلج».

(٢) ما بين الحاصرتين من المقريزي ٣/٣: ١٠٤٦.

وهم سواد الناس، فباتوا تلك الليلة على ذلك، ثم أصبحوا وقد غلب رأي ابن مفلح.

ومن عادة تيمور إذا أخذ بلداً صلحاً، أن يخرج إليه أهل البلد، من كل نوع [من أنواع المآكل والمشارب، والدواب والملابس][1]، تسعة أشياء، ويسمون ذلك الطقزات. فطلب منهم تجهيز ذلك، وهموا بإخراجه من باب النصر، فمنعهم نائب القلعة وهدّدهم بإحراق البلد، فأعرضوا عن ذلك، وتدلّوا من أعلى السور، فباتوا في مخيم تيمور، ورجعوا وقد تقرر منهم قضاة ووزير ومستخرج للأموال، ومعهم فرمان ومرسوم فيه تسعة أسطر، يتضمن الأمان لأهل دمشق خاصة. فقرىء ذلك على المنبر[2]، وفتحوا الباب الصغير، وقعد أمير من أمراء تيمور[3].

ثم شرعوا في جباية الأموال التي قررها عليهم، وهي ألف ألف دينار، وحُملت إليه. فلما وضعت بين يديه غضب، وأمر بأن يحمل له ألف ألف تومان، والتومان عشرة آلاف دينار [من الذهب][4]، فرجعوا يأخذون في جباية الأموال، فتزايد البلاء.

وفي هذه المدة كلها لم تقم الجمعة إلا مرة واحدة.

١٧٢/ وفي أثناء الجباية خرب ما بين الجامع والقلعة بالنار/ نحواً من ثلث البلد، ثم سلمت القلعة بعد تسعة وعشرين يوماً من الاستيلاء على البلد، وجمعت الأموال التي قررها ثانياً، وأُحضرت بين يديه، فقال لابن مفلح وأصحابه: «هذه ثلاثة آلاف دين، بلادنا، وقد بقي عليكم سبعة آلاف ألف ألف، وأراكم عجزتم عن الإستخلاص!». ثم طلب منهم ما تركه العسكر من كل شيء، ثم طلب جميع ما في البلد من الأموال والدواب؛ فكان عدتها نحو اثني عشر ألفاً، ثم طلب جميع ما فيها من السلاح.

(١) ما بين الحاصرتين من المصدر نفسه: ١٠٤٦-١٠٤٧.
(٢) في المصدر نفسه: «منبر جامع بني أمية».
(٣) عبارة المقريزي كما يلي: «وقدم أمير من أمراء تمرلنك، فجلس به ليحفظ البلد ممن يعبر إليها».
(٤) ما بين الحاصرتين من المصدر نفسه.

فلما انقضى ذلك كله أمر باستكتاب خطط دمشق، وكتب بها أوراقاً فرّقها على أمرائه، فحينئذ تلاطمت الأمواج، فنزل كل أمير في خط، وطلب سكان ذلك الخط، فكان الرجل يُطالب بالمال الثقيل الذي لا يقدر عليه؛ فإذا امتنع عوقب بأنواع العذاب، ثم تُخرج نساؤه وبناته فيوطأْن بين يديه، فأقاموا على ذلك تسعة عشر يوماً.

فلما علموا أنهم قد أتوا على ما في البلد خرجوا منها، ثم صحَّ فيهم عذاب الله المنزل، فهجم عليهم كالجراد المنتشر، فانتهبوا ما بقي، وسبوا النساء والشباب والرجال، وألقوا الأطفال وأطلقوا النار في الجامع والبلد، فاحترقت حتى صارت ترمي بشرر، واستمر ذلك ثلاثة أيام حتى اندرست رسومها.

وفي ثالث شعبان(١)، ركب تيمور وسار نحو حلب راجعاً لبلاده، وكانت مدة إقامته في دمشق أربعة وسبعين يوماً ثم بعد رحيله، كل من بقي يعرّيهم الفلاحون والعشير، وجرى عليهم منهم ما لم يجري من تيمور.

وفي هذه السنة(٢)، وقع بطرابلس وأعمالها زلزلة عظيمة، هدمت برج أيتمش وبرجاً من قلعة المرقب، فقتل نحو مائتي نفر وغارت أرض كانت بستاناً وبالقرب منها بستان، فزحفت أرضه واستقرت مكان البستان الغائر، وكتب بذلك محاضر وأثبتت.

وفيها، وقع فتن بين الأمراء، وخاف السلطان على نفسه من ذلك واختفى،
/١٧٢ب فلم يعلم أحد أين/ ذهب، وكانت مدة ملكه ست سنين وخمسة شهور وعمره ثلاث وعشرون سنة.

[٣] فاجتمعت القضاة والأمراء عند الخليفة واستشاروا بتولية أخيه، وهو الثالث من الجراكسة:

---

(١) في المقريزي (٣/٣: ١٠٥١): «وفي ثالث رجب».
(٢) أي سنة ٨٠٦هـ، كما جاء في المصدر نفسه ٣/٣: ١١٢٢.

الملك المنصور عبد العزيز ابن الناصر برقـوق

تولى الملك في شهر ربيع الأول، سنة ثمان وثمانماية، وكان عمره ثمان سنين.

وفي ثامن عشر ربيع الآخر، ركب جماعة من المماليك، وقالوا: «نريد أستاذنا الملك الناصر فرج، إن كان حياً فأرونا إياه، وإن كان ميتاً فأرونا قبره!». وطال الكلام، فقال لهم أينال الأشقر[1]: «إن أستاذكم عندي، فمن أراد أن ينظره فيحضر عندي بآلة الحرب!».

فحضر من المماليك نحو الثلاثماية، فخرج إليهم بعض جماعة أينال فضربوهم بالسيوف والدبابيس فكسروهم، وسحتوهم إلى باب زويلة، ومسك منهم جماعة.

وفي رابع جمادى الآخرة، أشيع في القاهرة أن الأمراء يريدون الركوب، ولا يُعلم الطالب من المطلوب، وضربت الكوسات، ورموا بالنفط وقت التسبيح.

فلما أصبحوا، ظهر السلطان فرج بن برقوق المرة الثانية؛ خرج من بيت سودون الخمراوي، فاجتمع إليه جماعة من الأمراء والمماليك، فدخلوا القلعة بعدما كانوا امتنعوا من فتحها، وملكوا القصر الأبلق.

وكانت مدة دولة المنصور عبد العزيز شهرين وتسعة أيام، وأمر بحمل أخيه المنصور المذكور، وأخيه إبراهيم، إلى ثغر الاسكندرية.

وفي سنة خمس عشرة وثمانماية، اتفق الأمير شيخ[2]، ونوروز[3]، ويشبك بن أزدمر وغيرهم على العصيان، فخرج لهم السلطان في فرسان إلى أن

---

(١) قبض عليه في ٢٣ شعبان وسجن بالاسكندرية عام ٨٠٨هـ/١٤٠٥م. المصدر نفسه ٤/١: ١٥.

(٢) الأمير شيخ المحمودي، وقد أصبح السلطان الرابع من الجراكسة، وسيرد ذكره فيما يلي.

(٣) الأمير نوروز الحافظي، أحد كبار أمراء المماليك. وليَ عدة نيابات، قتل عام ٧١٧هـ/١٣١٧م. المقريزي ٤/١: ٢٩٤؛ العيني، السيف المهنّد في سيرة الملك المؤيد: ٣٢٦.

وصل إلى غزة، خامر عليه أعيان عسكره وتوجهوا للأمير شيخ ونوروز إلى حمص، فتوجه السلطان في طلبهم.

فلما قرب من حمص، قصدوا القاهرة من على بعلبك ووادي التيم، فعاد السلطان في طلبهم إلى أن وصل إلى اللجون، واقتتلوا قتالاً شديداً، فانكسر السلطان وهرب إلى دمشق، فتبعوه وحاصروه بقلعتها أيّاماً.

/١٧٣ أ ثم اشتد/ الحصار على السلطان، فطلب الأمان فأمنوه، فنزل من القلعة وهو حامل لبعض أولاده وبعضهم حوله وهو يبكي، ويتضرّع لهم، فقبض [عليه][١] وسجن[٢].

ثم ادعى عليه ابن أزدمر بقتل أخيه بغير حق، فحكم بقتله عوضه، فجهّز إليه ثلاثة فداوية، فقتلوه في سادس عشر صفر، فأقام يومين مرمياً على مزبلة بإحدى شوارع دمشق، فكانت مدته، سوى أيام غيبته أولاً وثانياً، ثلاث عشرة سنة.

ثم أضيفت السلطنة إلى أمير المؤمنين المستعين بالله أبي الفضل العباس بن محمد العباسي، وصار خليفة وسلطاناً مدة ستة أشهر[٣].

ثم إن الچراكسة اختاروا أن السلطنة لا تخرج منهم، فرغبوا [الأمير] شيخ فيها، وخلعوا المستعين بالله من الخلافة والسلطنة، وتولى الخلافة بعده الفضل داود العباسي.

[٤] وتولى السلطنة السلطان الرابع من الچراكسة:

الملك المؤيد شيخ

جلس على سرير الملك في ثاني شعبان، سنة خمس عشرة وثمانماية،

---

(١) توفي عام ٧١٧هـ/ ١٣١٧م.
المقريزي ٤/١: ٢٩٥.

(٢) المصدر نفسه: ٢٠٦ - ٢١٤؛ العيني، السيف المهنّد: ٢٥٨ - ٢٥٩؛ السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٥٠٦.

(٣) المقريزي ٤/١: ٢١٤ - ٢١٦؛ العيني، السيف المهنّد: ٢٥٩؛ ابن تغري بردي، النجوم ١٣: ١٩٠؛ السيوطي، تاريخ: ٥٠٦.

وكانت البلاد وجلة والعربان عاصية، وأمر الرعايا غير منتظم، فمهّد البلاد، ووطن العباد، وأمنت الطرقات.

وكان شجاعاً، كريماً، مهاباً، حسن الشكل، ميمون الطلعة. فلما بلغ نوروز، نائب الشام، سلطنة الملك المؤيد، حنق وغضب، وأظهر العصيان، فسافر السلطان إلى دمشق، فلم يذعن له بالطاعة، وتحارب مع السلطان أياماً، ثم ضعف عسكره فهرب وتحصن بالقلعة، فحوصر. فلما غُلب طلب الأمان له ولمن معه، فأمنهم ونزلوا إلى السلطان، وكان آخر العهد بهم.

وعمر السلطان الجامع الذي بباب زويلة، وجدد ثلاث خطب بالقلعة وغيرها، فمرض وأدركته المنية في المحرم، عام أربعة وعشرين وثمانمائة، وكانت مدته ثماني سنين وخمسة أشهر وستة أيام(١).

[٥] وتسلطن بعده ولده، وهو الخامس من ملوك الچراكسة:

الملك المظفر أحمد ابن الملك(٢) المؤيد شيخ

تولى الملك يوم موت والده، وكان عمره إذ ذاك سنة وستة أشهر وأياماً(٣)، ولم يكن تولى أحد من الخلفاء، ولا من الملوك أصغر/ منه، واستبد بالأمر الأمير ١٧٣/ ب
ططر(٤)، وكان أمير مجلس، وكان كريماً، فاستمال عقل الترك بالإعطاء، فقبض في ذلك اليوم على بعض الأمراء.

وكان چقمق(٥)، نائب الشام، فوثب وأخذ قلعة دمشق، وأظهر العصيان، فسافر السلطان إلى الشام، فحضر إليه فرقة من الأمراء بغزة، ودخلوا تحت الطاعة.

(١) كذا؛ وفي المقريزي (٤/١: ٥٥٠): «وثمانية أيام».
(٢) لفظة «الملك»: ساقطة من (ج).
(٣) كذا؛ وفي المصدر نفسه (٤/٢: ٥٦٣): «سنة واحدة وثمانية أشهر وسبعة أيام».
(٤) وقد أصبح السلطان السادس من ملوك الجراكسة باسم الملك الظاهر ططر، وسيرد ذكره لاحقاً.
(٥) قتل في شعبان ٨٢٤هـ/١٤٢١م.
المقريزي ٤/٢: ٦٠٠م.

ثم وقعت الفتنة بين الأمراء فتقاتلوا، فهرب بعضهم إلى صرخد وتحصن بقلعتها إلى أن استقر الركاب الشريف، ودخل دمشق، فجهز إليها نائبها فحاصرهم إلى أن سلموا أنفسهم. ثم توجه السلطان إلى حلب، فحضر إليه جماعة من الأمراء الهاربين من المؤيد [شيخ] في بلاد الشمال، فأقبل عليهم، ورجع إلى الشام وهم في خدمته(١).

وفي مستهل رمضان من السنة المذكورة، قبض على المظفر أحمد وسجن بقلعة دمشق، وكانت مدته سبعة أشهر واثنين وعشرين يوماً(٢).

[٦] ثم تولى السلطنة بعده، وهو السادس من ملوك الچراكسة:

الملك الظاهر ططر

ركب بشعار المملكة في قلعة دمشق، وفرح الناس بذلك لقمع الأعداء، وأرضى العسكر بالمال، فلم يختلف فيه اثنان، وأخذ بقلوب الناس، وعاد من دمشق ودخل القاهرة في رابع شوال، وأقام أياماً يسيرة طيبة، ثم عرض له قولنج صفراوي، فمات منه يوم الأحد، رابع ذي الحجة سنة أربع وعشرين وثمانماية، ودفن بمقام الإمام أبي الليث(٣). وكانت مدة سلطنته ثلاثة أشهر وثلاثة أيام.

[٧] وتولى الملك بعده ولده، وهو السابع من الچراكسة:

الملك الصالح محمد بن ططر

ولّي الملك وعمره عشر سنين، واستبد بالأمر الأمير جاني بك الصوفي(٤)، فاتفق بعض الأمراء على قبض الأمير المذكور، فتحصن بالقلعة، فطلبوه فلم ينزل، ثم جاء له من باب السلسلة بعض الأمراء، وأظهروا له المناصحة وسألوه أن

---

(١) راجع ما ورد في المقريزي ٤/٢: ٥٧٦.

(٢) في المصدر نفسه (ص٥٨١): «فكانت مدته سبعة أشهر وعشرين يوما».

(٣) كذا؛ وفي المصدر نفسه (ص ٥٨٨): «دفن في جوار الليث بن سعد من القرافة».

(٤) كذا في ابن إياس، بدائع الزهور ٢/٧٦؛ وفي المقريزي ٤/٢: ٥٩٠: «جانبك الصوفي». توفي يوم الجمعة ١٥ ربيع الآخر عام ٨٤١هـ/ ١٤٣٧م، وقيل ١٥ ربيع الأول. المقريزي ٤/٣: ١٠٦١؛ الصيرفي، نزهة ٣/٤٣٠.

ينزل بمكان للمشاورة فنزل، وتوجهوا به إلى بيت الأمير نوروز، فمسكوه واعتقلوه بثغر الاسكندرية، واستقر الأمير برسباي مكانه.

ثم إن البلاد قصرت/ بما عليها، والطرقات فسدت لصغر سن السلطان، فاجتمع أهل الحل والعقد وخلعوا الصالح، وكانت مدته أربعة شهور. /١٧٤ أ

[٨] وبايعوا السلطان الثامن من الچراكسة، وهو:

الملك الأشرف برسباي

جلس على سرير الملك نهار الأربعاء، ثامن شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانماية، وجعل الصالح في قاعة بين أولاده، وهو من عتقاء الملك برقوق.

فلما استقر على تخت الملك، منع الناس من تقبيل الأرض بين يديه، وجعل مكانه تقبيل يد السلطان(١).

وفي سنة ثمان وعشرين وثمانماية، جهز السلطان أغزية لفتح جزيرة قبرس، وتوجهت الخيول في البر إلى مدينة طرابلس.

وفي تاسع شوال من السنة المذكورة، وردت الأخبار بنصرة المسلمين، ودقت البشائر وزيّنت القاهرة، وفيما بعد وردت الأمراء المجاهدون برّاً وبحراً، ومعهم من الغنائم ومن الأسارى بحيث لا تحصى، وأسروا الملك(٢)، وهو مقيد راكب على بغل، فرسم بسجنه. ثم بيعت الغنائم، وتقرر على ملك الافرنج مايتا ألف دينار، ثم أفرج عنه، وجُهز إلى بلاده(٣).

(١) يشير كل من المقريزي وابن إياس إلى اعتراض الناس على قرار السلطان في هذا الصدد، مما جعله يعود عن قراره.

(٢) المقريزي ٤/٢: ٦٠٨-٦٠٩؛ ابن إياس، بدائع٢/٨٢.
وهو متملك قبرص، ويدعى جينوس بن جاك.
المقريزي ٤/٢: ٧٢٤.

(٣) عن أخبار هذه الحادثة، راجع ما ورد في المقريزي ٤/٢/ ٦٩٤-٦٩٦، ٧١٩-٧٢٥؛ ابن إياس، بدائع ٢/١٠٠-١٠١؛ ١٠٦-١٠٧؛ ١٠٨-١٠٩.

ومن الحوادث في أيامه:

في سنة ثلاث وثلاثين وثمانماية، مطرت بحمص ضفادع خضر، فملأت الأزقة والأسطحة[1].

وفيها، حصل وباء عظيم بإقليم مصر، ووجد كثير من التماسيح والأسماك مطعوناً طافياً على وجه الماء، ووجد بين السويس والقاهرة كثير من الضبا والذياب أمواتاً مطعونات، وبلغ الموتى في اليوم زيادة عن ستة آلاف، ثم أهمل العدد[2].

وفي يوم الجمعة نصف جمادى الآخرة، اجتمع أربعون شريفاً، اسم كل منهم محمد بالجامع الأزهر، فقرأوا ما تيسّر إلى أذان العصر، فصعدوا على السطح وأذّنوا جميعاً بصوت واحد، ونزلوا فصلّوا العصر وانفضوا، وفي يوم السبت أخذ يتناقص في كل يوم عن الآخر حتى انقطع.

وفيها[3]، وردت الأخبار بأنه كانت زلزلة عظيمة/ بجزيرة الأندلس وبمرج غرناطة، سقطت منها أبنية كثيرة، وخسف بثلاث مدن [في مرج غرناطة][4]، وهي: همدان وواسط وداروما[5]، ابتلعتها الأرض بأهلها. وروي أن حائطاً بمسجد غرناطة ارتفع قدر عشرة أذرع ثم رجع، وأقامت الأرض خمسة عشر يوماً[6] تهتز حتى خرج الناس إلى الصحراء، خوفاً أن يقع عليهم البنيان.

وفي سنة خمس وثلاثين وثمانماية، ورد الخبر بأن الخراب شمل بلاد

(١) كذا وردت هذه الرواية عند المقريزي (٤/٢: ٨١٧) وعند ابن إياس ١٢٧/٢.

(٢) راجع تفاصيل أخبار هذا الوباء عند:
المقريزي ٤/٢: ٨٢١ - ٨٣٣؛ الصيرفي، نزهة النفوس ٢٠١/٣ - ٢٠٢؛ ابن إياس، بدائع الزهور ١٣١/٢ - ١٣٣.

(٣) المقصود سنة ٨٣٤هـ، كما جاء في المصادر التي بين أيدينا.

(٤) ما بين الحاصرتين بعد مراجعة المقريزي والصيرفي وابن إياس.

(٥) كذا ورد ذكر هذه الأماكن؛ وفي المقريزي: «بلد همدان وبلد أوطورة وبلد دارما». أما في الصيرفي فقد وردت كما يلي: «بلد همدان وبلد أوطورة وبلد داريا».

(٦) كذا؛ وفي المقريزي والصيرفي: «خمس وأربعين يوماً». أما في ابن إياس: «نحو من أربعين يوماً».

الشرق من تبريز إلى بغداد، وأرسل عليها جراد لم يدع فيها خضراً، ووقع الغلاء عندهم، حتى بيع رطل اللحم بالمصري بنصف دينار، وبيع لحم الكلب بستة دراهم فضة، ثم أعقب ذلك وباء ببغداد والجزيرة وديار بكر[1].

وفيها[2]، طلق رجل زوجته وهي حامل فغيبت الحمل، وتزوجت بغيره، ثم طلقها، فتزوجت بثالث فطلقها، فولدت ضفدعاً في قدر الطفل، فدفنه أهلها خوف العار.

وفيها زاد النيل أربعة أذرع في غير أوانه، فغرقت غالب الزراعة الصيفية.

وفي رابع ذي القعدة، سنة احدى وأربعين وثمانماية، جمع السلطان الخليفة والأمراء والقضاة، وعهد بالسلطنة لولده، ثم تولى عليه الصرع، حتى توفي بمصر يوم السبت ثالث عشر ذي الحجة، وكانت مدة ملكه خمس عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام[3].

وكان بدو أمره أنه كان أبوه في بلاده فقيراً، فسلمه لحداد ينفخ له الكير، فأقام عنده مدة، ثم مات أبوه، فتزوجت أمه برجل فقير، فاحتاج، فباعه ليهودي يسمى صادقاً، فخدمه مدة، ثم باعه لبعض التجار فجاء به إلى مدينة حلب، فاشتراه نائبها الأمير دقماق، فأقام عنده مدة، ثم أرسله تقدمة للظاهر برقوق. وما زال يترقى إلى أن بلغ ما بلغ.

[٩] ثم استقل بعده ولده السلطان التاسع من الچراكسة:

الملك العزيز أبو المحاسن يوسف ابن الأشرف برسباي

ولي السلطنة في حياة والده بعهد منه، في رابع ذي القعدة سنة احدى وأربعين وثمانماية، وعمره أربع عشرة سنة وسبعة أشهر.

---

(١) راجع أخبار هذه الحادثة عند المقريزي (٤/٢: ٨٦٤)، والصيرفي (٣/٢٢٩).

(٢) وردت هذه الرواية عند المقريزي (٤/٢: ٩٢١) وعند الصيرفي (٣/٢٩٢)، في حوادث سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م.

(٣) كذا؛ وفي ابن إياس (٢/١٨٨): «ست عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام.»

/١٧٥ أ وفي أيامه(١)، وقع الاختلاف/ بين الأمراء، ونهبت العرب الحاج في عودهم بوادي عنتر(٢)، فأخذوا منهم ثلاثة آلاف جمل بأحمالها، وأسر من الركب جماعة وقتل جماعة، وتخلف بالبرية جماعة، ولم يعتن بأمرهم أحد لاشتغال أهل الدولة بأنفسهم.

ثم إن السلطان خلع على الأمير جقمق(٣)، وفوض إليه الأمر أن يعزل ويولي، ولم يبق للسلطان سوى الاسم.

فلما كان يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الأول خلع العزيز، وكانت مدته أربعة وتسعين يوماً.

[١٠] وتسلطن السلطان المذكور، وهو العاشر من ملوك الچراكسة:

الملك الظاهر أبو سعيد جقمق

جلس على سرير الملك في الساعة الثالثة من يوم خلع العزيز وسجنه في دار بالقلعة، وأجري عليه من وقف أبيه في كل شهر عشرة آلاف درهم.

وفي سلخ رمضان(٤)، فقد العزيز من القلعة، فاشتد قلق السلطان وماجت الناس وتخوفوا وقوع فتنة. وسبب إخفائه أنه كان بخدمته طواشي يسمّى صندلاً(٥)، احتوى على عقل العزيز وخوفه، وكان له طبّاخ فداخله صندل في إخراج العزيز، فقال: «أنا أنهض بذلك!».

فلما كان وقت الإفطار، والناس على أسمطتهم، ألبسه الطباخ ثيابه،

(١) وذلك في المحرم عام ٨٤٢هـ/١٤٣٨م.
المقريزي ٤/٣: ١٠٧٠ - ١٠٧١؛ الصيرفي، نزهة ٣/٤٣٤.

(٢) جاء في المقريزي، نفسه: أن هذا الوادي قريب من أزلم.

(٣) وقد أصبح السلطان العاشر من ملوك الجراكسة باسم الملك الظاهر أبو سعيد جقمق، وسيرد ذكره فيما يلي.

(٤) المقصود: سلخ رمضان سنة ٨٤٢هـ.
راجع: المصدر نفسه: ١١١٦.

(٥) في المقريزي (٤/٣: ١٠٨٧): «صندل الهندي».

وحمل على رأسه قدراً وأخرجه من باب القلعة، وصار ينتقل من مكان إلى مكان، وكبس عليه أماكن كثيرة حتى فساقي الأموات ودور النصارى.

ثم إن العزيز قوي عليه الخوف، فأذن للطواشي والطباخ أن ينصرفا عنه، وصار مع مملوكه أزدمر يتنكر في كل يوم في زي، حتى دخل في زي النساء، فلم يزل يتنقل حتى قُبض عليه وعلى مملوكه أزدمر في هيئة مغربيّين، ليلة الأحد سابع عشر شوال، وسُجن بالقلعة، ثم وُجه إلى ثغر الإسكندرية، فسجن بها، ورتب له كل يوم ألف درهم من وقف أبيه.

وفي سنة خمس وأربعين وثمانماية شاع بالقاهرة أن الشيخ القدوة الشريف العلّامة سيدي أحمد البدوي[1]، سار إلى بلاد الفرنج، وخلص من أيديهم ثلاثة رجال أسرى، وأتى بهم إلى مقامه، وكسر قيودهم، وأ... الناس ترى الرجال والقيود، وما ذلك على الله بعزيز.

وفيها[2]، وصلت/ قصاد ملك الحبشة صحبة قاصد السلطان، وقدموا /١٧٥ ب
التحف من جملتها عشرة أقفاص مملوة قضبان ذهب وتبر، وعشرة رماح ذهب، وخمس وستون جارية حبشية بكراً، بأعناقهن قلائد المسك والعنبر.

وفيها، رجع العسكر المجهز إلى جزيرة رودس، ومعهم بنت الملك وأسرى رجال وصبيان ونساء، وصحبتهم من الذهب العين ثمانية عشر صندوقاً؛ في كل صندوق نحو ثلاثة قناطير ذهب واثنتي عشرة جرة نحاس مختومة الفم بالرصاص؛ في كل جرة قنطار ونصف ذهباً، وغير ذلك من الجواهر واليواقيت والتحف، أخذوا ذلك كله من قلعة تشتيل، من أعمال رودس، وهدمت القلعة بهذه الغزوة[3]. وذكروا أنهم رأوا في وادٍ فيها ثعباناً طائراً في الهواء طوله نحو خمسة

(١) أثبت ابن إياس رواية طريفة عن هذا الشيخ.
انظر ابن إياس ٢/٢٥٨.

(٢) حصل ذلك في رجب عام ٨٤٧هـ/١٤٤٣م.
قارن بابن إياس ٢/٢٣٩.

(٣) عن أخبار الحملة على رودس، قارن بالمصدر نفسه: ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٤٣.

وعشرين ذراعاً بضفيرتين شعيراً يميناً وشمالاً، رأسه مثل رأس النخلة، وذنبه مفروق فرقتين طاير بغير جناح، سألوا عنه أهل المراكب، فقالوا: «هذا الجنس بهذا الوادي كثير!».

وفي سنة احدى وخمسين وثمانماية، ظهرت مدينة يقال لها قرقص، من عمل الفيوم، كانت غرقت مع ما غرق من القرى، وبهذه المدينة جامع من خصوصاته أنه لا ينام فيه إنسان إلا وجد نفسه خارج الجامع. وفي ليالي الجمع يظهر منه نور ساطع، ورجل عظيم قائم بالتسبيح والتحميد إلى يومنا هذا، وإن دخله جنب أو حائض أغلق الباب في وجهه.

وذكر أن رجلاً أراد الدخول إليه، ومعه شيء من الأفيون، فعُمي عليه باب الجامع، ولا زال حتى ألقى ما معه، ففتح له الباب.

وفي سنة سبع وخمسين وثمانماية، حصل للسلطان ضعف وتزايد عليه المرض، فخلع نفسه، وتوفي بعد ثلاثة أيام، واجتمعت الأمراء على ولاية ولده. وكانت مدة ملكه أربع عشرة سنة، وعشرة أشهر ويومين.

[١١] ثم تولى بعده ولده، وهو السلطان الحادي عشر من ملوك الچراكسة:

الملك المنصور أبو السعادات عثمان ابن الملك الظاهر جقمق

/١٧٦أ ولي السلطنة يوم خلع/ والده، وسنه دون العشرين، وركب بشعار المملكة، وحمل الأمير الكبير إينال العلائي[١] القبة والطير على رأسه، ودقت الكوسات، ونُودي بالأمان والاطمئنان.

وفي اليوم السابع عشر من ولايته، أراد كسر العسكر وإقامة مماليك أبيه، لكثرة ما سمع من الكلام، وكان تدميره في تدبيره، فرسم بمسك بعض الأمراء، فمسكوا وقيّدوا، وأرسلوا إلى ثغر الاسكندرية[٢]، فانقلبت عليه بقية الأمراء

(١) سيصبح إينال المذكور السلطان الثاني عشر من ملوك الجراكسة باسم الملك الأشرف أبو النصر سيف الدين إينال العلائي، وسيرد ذكره لاحقاً.

(٢) وهم الأمير دولات باي الدوادار، والأمراء: برسباي، ويلباي، وجاني بك قرا. ابن إياس ٣٠٣/٢.

بمسك إخوانهم، وخافت على أنفسها منه، وقالوا: «إذا كان هذا فعله فيمن يتعلق به وأفنوا أعمارهم في خدمة والده!»[١]. فوقع الاضطراب في العسكر، وصاروا فرقتين، فوقع بينهما حرب عظيم[٢]، يطول شرحها، حتى حاصروا القلعة ومنعوا عنهم الأكل، وقطعوا الماء.

فعند ذلك اتفق الرأي على خلع السلطان، فخلع، وكانت مدته ستة وأربعين يوماً[٣]، ولا يعلم أحد أقل مدة منه مع عظم شوكته.

[١٢] ولما خلع من السلطنة، عقدت البيعة بإجماع أهل الحل والعقد للسلطان الثاني عشر من ملوك الچراكسة وهو:

الملك الأشرف أبو النصر إينـال

ولي الملك يوم خلع المنصور، وهو يوم الاثنين ثامن شهر ربيع الأول عام سبعة وخمسين وثمانماية.

وأصله من مماليك الظاهر برقوق، اشتراه مع أخيه طوخ، فأعتق أخاه لكونه كان الأكبر، وترك إينال هذا كتابياً إلى أن ملكه ولده الملك الناصر فرج، فأعتقه وجعله بعد مدة خاصكياً، ثم انتقل إلى إمرة أُخرى، إلى أن ولّي الإمرة الكبرى، وتسلطن.

فلما ملك، خلع على الأمراء وفرح به الناس لعقله وسكينته، واستقر الأمير خوشقدم، حاجب الحجاب أمير سلاح[٤].

---

(١) وذلك يوم الأثنين مستهل ربيع الأول عام ٨٥٧هـ/١٠أيار ١٤٥٣م.
المصدر نفسه: ٣٠٤.

(٢) استمرت سبعة أيام متوالية. راجع أخبار هذه الحادثة في المصدر نفسه: ٣٠٤-٣٠٥.

(٣) كذا؛ وفي المصدر نفسه: «ثلاثة وأربعون يوماً».

(٤) هو أمير كبير (من أمراء المئين) يحمل سلاح السلطان في المواكب العامة، ويتولى الإشراف على السلاح خاناه (بيت السلاح).
Huart: art. «Silāh dār», EI, VI, P.424a.

وفي اليــوم الثـالث من ولايتــه، أطلق الأمـراء المسجــونين في ثغـر الاسكندرية، وسجن الملك المنصور مكانهم.

ولما تولى الأشرف، لم يتحرك ساكن في البلاد، لما يعهدونـه منه من الفروسية والعقل.

وفي هذه السنة، وقع من الأمر الغريب أن السهم الذي خلف ميـزاب
/١٧٦ ب الرحمة بسقف الكعبة المشرفة كسر، وكان خشبه عود قاقلي، /ففتش أهل مكة على مثله فلم يجدوا.

فبينما هم في ذلك، إذ بلغهم أن مركباً لبعض التجار قدمت من الهند وفيها أربعة صواري، مقدار السهم الذي انكسر، فسافر جماعة من مكة إلى جدة حتى أتوا التاجر صاحب المركب، وأعطوه في السهم خمسماية دينار ءبى، فأعطوه حتى وصل ألفاً ومائتي دبنار فأبى. ولما ألحوا عليه في الطلب خرج عن المينة وأخذ في السفر، فلم يخرج عن المينة إلا قليلاً، واختلفت الرياح وهاجت عليه الأمواج فكسرت المركب، وخرجت ألواحاً. ولا زال الريح يحمل ذلك الصاري المطلوب حتى أتى به ساحل جدة، فحمل بأمان حتى أتوا به إلى مكة، فوجدوه عوداً قاقلياً كأنه ذلك الذي انكسر، فوضعوه موضعه.

وفي السنة التي تولى فيها الأشرف، فتح السلطان محمد بن مرادخان بن عثمان مدينة قسطنطينية[١]، ووردت قصاده إلى القاهرة وعلى يدهم كتاب بفتح القسطنطينية وبعض هدايا إلى الملك الأشرف، فخلع على القـاصد، ورسم بكتب جواب الكتاب وتهنية هذا الفتح العظيم.

وفي سنة ثلاث وستين وثمانماية، سقط بمنوف العليا[٢] نجم عظيم ساطع

(١) وكان فتح القسطنطينية يوم الثلاثاء في ٢٠ جمادى الآخرة عام ٨٥٧هـ/٢٨ حزيران ١٤٥٣م، ابن إياس ٣١٦/٢.

(٢) من قرى مصر القديمة، ويضاف إليها كورة، فيقال كورة رمسيس ومنوف، وهي من أسفل الأرض من بطن الريف، ويقال لكورتها المنوفية.
ياقوت، معجم ٢١٦/٥.

النور بالأفق، سقط على شجرة من بعض أشجارها، فانفلقت الشجرة نصفين، نصفاً سجد، فعاد طرياً أخضر، والنصف الذي لم يصبه، لم يسجد، احترق وجف لوقته، ونظر إلى ذلكَ النور رجلان، فماتا، في تلك الساعة.

وورد خبر أن في تلك الساعة من ذلك اليوم، أمطرت السماء بناحية إسنا[1]، وأرمنت[2]، مطراً عظيماً لم يعهد مثله، ووجد في ذلك المطر السمك حيّاً، وهذا يؤيد قول من قال: «إن بين السماء والأرض بحراً يقال له المكفوف، وبه من أنواع الحيوانات ما لا يعلم قدر خلقها إلا الله تعالى!».

وفي يوم الأربعاء، رابع عشر جمادى الأولى سنة خمس وستين وثمانماية، أمر السلطان بإحضار الخليفة والقضاة والأمراء، وعهد لولده، لضعف تزايد في بدنه، وخلع نفسه وتوفي بعده/.

[١٣] وكانت مدة ملكه ثمان سنين، وشهرين وخمسة أيام[3]، وهو الثالث عشر من ملوك الچراكسة: ‎/١٧٧

الملك المؤيد أبو الفتح أحمد ابن الملك الأشرف إينال

ولي السلطنة وقت الظهر، يوم خلع أبوه نفسه، وركب بشعار المملكة، وحمل الأمير خوشقدم القبة والطير على رأسه والأمراء في ركابه، حتى أتى القصر فدقت البشائر، وجلس على سرير الملك، وخلع على الخليفة والأمراء على العادة.

ثم بعد ذلك وقع بينه وبين الأمراء، وهجموا حتى ملكوا الاصطبل، ولم يكن عند السلطان في القلعة سوى ماية مملوك من مماليك والده، فلبسوا ونزلوا من

(١) بالكسر ثم السكون، مدينة بأقصى الصعيد، على شاطىء النيل من الجانب الغربي في الأقليم الثاني.
المصدر نفسه ١/١٨٩.

(٢) بالفتح والسكون وفتح الميم، وسكون النون وتاء فوقها نقطتان: كورة بصعيد مصر.
المصدر نفسه ١/١٥٨ ـ ١٥٩.

(٣) كذا؛ وفي ابن إياس (٢/٣٦٧): «وستة أيام.»

السبع حدرات، وحصل بينهم وبين العسكر وقعة عظيمة، وقاسوا من تلك الفئة القليلة ذلاً وهواناً لا يُعبر عنه، ولم يستطع أحد يقرب القلعة من تلك الفئة القليلة، وباتوا تلك الليلة على ما هم عليه[١]. وقد أيقن السلطان بالزوال، فركب وطلع إلى البحيرة، وطلبت جماعته الأمان، فأخرجوهم بالذل والهوان، وخلعوه من السلطنة وأرسلوه لثغر الاسكندرية، فكانت مدته أربعة أشهر[٢].

[١٤] واجتمع أهل الحل والعقد وأعيان العسكر على سلطنة الأمير الكبير الأتابكي، هو الرابع عشر من ملوك الچراكسة، وليس منهم:

الملك الظاهر أبو سعيد خوشقدم

ركب من محل ولايته في نهار الأحد، تاسع عشر شهر رمضان المبارك سنة خمس وستين وثمانماية، وطلع إلى القصر، وحمل الأمير الكبير بلباي[٣] القبة والطير على رأسه، ودقت الكوسات والبشائر، ونُودي بالأمان والاطمئنان وجلس على سرير الملك.

وكان ملكاً صالحاً كاملاً مطيعاً لأوامر الشرع مهاباً. ووقع بين الأمراء في زمانه وقعات[٤].

وفي سنة ست وستين وثمانماية، حصل بمكة المشرفة سيل عظيم، حتى وصل الماء في الحرم إلى القناديل، وغطى باب الكعبة مقدار ذراعين، وعام المنبر في الماء، واستمر ذلك يومين.

/١٧٧ ب وفيه، أخبر رجل صالح من الوجه القبلي / بمصر، يسمى طه، أنه حصل في تلك البلاد سيل عظيم، وانحدر فيه حية عظيمة طولها اثنتان وعشرون خطوة، رأسها كرأس العنزة، فقتلها أهل الناحية بعد مشقة عظيمة.

(١) راجع أخبار هذه الحادثة عند ابن إياس ٢/٣٧٥ ـ ٣٧٦.

(٢) في المصدر نفسه: «فكانت مدة الملك المؤيد في السلطنة أربعة أشهر وثلاثة أيام».

(٣) وهو الأمير بلباي، وقيل يلباي المؤيدي الذي سيصبح السلطان الخامس عشر من ملوك الجراكسة، باسم الملك الظاهر بلباي المؤيدي، وسيرد ذكره لاحقاً.

(٤) راجع أخبار هذه الوقعات بين أمراء المماليك في ابن إياس ٢: ٣٨١، ٣٨٦ ـ ٣٨٧، ٣٨٨.

وذكر **السخاوي** في تاريخه أن في سنة اثنتين وسبعين وثمانماية، في أواخر ربيع الأول، أمطرت السماء وقت العصر حصىً أبيض، زنة الحصاة ما بين رطل وأكثر وأقل، مع برق ورعد وظلمة، بحيث التجأ كثير من حاضري المساجد وغيرهم بالضجيج والبكاء والذكر حتى انجلى.

وفي نهار السبت عشرين ربيع الأول[1]، من السنة المذكورة، مات السلطان، ودفن بتربته التي أنشأها، وكانت مدة ملكه ست سنين ونصفاً[2]، وعمره خمس وسبعون سنة[3].

[١٥] واجتمعت آراء الخليفة والقضاء والأمراء على سلطنة الأتابكي، وهو الخامس عشر من ملوك الچراكسة:

الملك الظاهر بلباي

جلس على سرير الملك يوم وفاة خوشقدم، وكان ضعيف الرأي والتدبير، واستقر في الأتابكية تمربغا[4]، واستمر في السلطنة ستة وخمسين يوماً، ثم بعد ذلك اجتمع أهل الحل والعقد، واتفقوا على خلعه لكونه عاجزاً في تدبير المملكة، وأرسلوه إلى الاسكندرية فسجنوه بها.

[١٦] واتفق رأيهم على سلطنة الأتابكي [تمربغا]، وهو السادس عشر من ملوك الچراكسة:

الملك الظاهر أبو سعيد تمربغا

ولى الملك يوم خلع بلباي، وصارت الأتابكية لقايتباي المحمودي الظاهري[5]

وكان [الملك الظاهر] رومي الأصل، من مماليك الظاهر جقمق. وكان له

---

(١) في المصدر نفسه (٢/٤٥٥): «العاشر من ربيع الأول».

(٢) في المصدر نقسه: «فكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية، ست سنين وخمسة أشهر وواحد وعشرين يوماً».

(٣) في المصدر نفسه: « نحو سبعين سنة».

(٤) ولـي السلطنة بعد الظاهر بلباي.

(٥) كان قبلاً رأس نوبة النوب، ثم أصبح السلطان السابع عشر من ملوك الجراكسة، باسم الملك الأشرف أبو النصر قايتباي المحمودي الظاهري، وسيرد ذكره لاحقاً.

فضل وصلاح مع الفروسية التامة، ومع ذلك ما صفا له الدهر يوماً، واستقر في السلطنة شهرين إلا يوماً واحداً، فخلع وجهز لدمياط، فسجن.

[١٧] ثم اجتمع رأي الخاص والعام على تولية السلطان السابع عشر من ملوك الچراكسة:

الملك الأشرف أبو النصر قايتباي المحمودي الظاهري

جلبه الخواجا[١] محمود إلى مصر [في سنة تسع وثلاثين وثمانماية][٢]، فنسب إليه، واشتراه منه برسباي، وعتقه الظاهر جقمق وإليه انتسب، وتنقل في المراتب إلى أن صار أتابكاً.

/١٧٨ أ جلس على سرير الملك/ يوم الاثنين، سادس رجب سنة اثنتين وسبعين وثمانماية، فسار في المملكة بشهامة وصرامة ما سار بها ملك قبله.

وكان يحكي عن نفسه أنه لما جُلب إلى مصر للبيع، وهو في حد البلوغ[٣]، كان معه رفيقه أحد المماليك، فتسامرا مع الجمال، في ليلة من ليالي شهر رمضان، فقالوا: لعل هذه الليلة ليلة القدر، والدعاء فيها مستجاب، فليدع كل واحد منا بدعاء يحبه! فقال قايتباي: أنا أطلب من الله تعالى سلطنة مصر. فقال رفيقه: وأنا أطلب أن أكون أميراً كبيراً. فقال الجمال: وأنا أطلب من الله تعالى خاتمة الخير. فصار قايتباي سلطاناً ورفيقه أميراً كبيراً، فكانا، إذا اجتمعا، يقولان: «فاز الجمال من بيننا، رحمه الله تعالى!».

وكان ملكاً جليلاً، وسلطاناً نبيلاً، له اليد الطولى في الخيرات والمبرات؛ بنى المدارس الثلاث[٤]، وعدة ربط في الحرمين وبيت المقدس، وله بمصر

(١) لقب من ألقاب التكريم، بمعنى أستاذ أو معلم، وغالباً ما يُطلَق هذا اللقب على التُّجار والأثرياء. القاموس الإسلامي: ٢٩١.

(٢) ما بين الحاصرتين من ابن إياس ٣/٣.

(٣) وقيل انه تولى الملك وله من العمر نحو خمس وخمسين سنة. ابن إياس ٣/٤.

(٤) يشير ابن إياس (٣/٣٢٩) إلى أنَّ السلطان قايتباي قد أنشأ ست مدارس، وهي: «مدرسة =

والشام وغزة وغيرها آثار جليلة وخيرات جميلة، أكثرها باقٍ إلى يومنا هذا، وهو أواخر سنة ست وألف. وقد أطاعته العباد ودانت له البلاد، بحيث أنه سافر من مصر إلى الفرات في طائفة يسيرة جداً من الجند.

وخرج إلى الحج في سنة أربع وثمانين وثمانماية، وأقام الأمير الكبير يشبك الدوادار[1] نائباً عنه، ولم يحج أحد من ملوك الچراكسة غيره[2]. ووقف على أهالي المدينة المنورة والوافدين إليها، مما يحمل منه إليها، كل سنة سبعة آلاف إردب قمحاً، ليفرق على كبيرهم وصغيرهم، غنيهم وفقيرهم، حرهم وعبدهم، ذكرهم وأنثاهم بالسوية بينهم، ويعمل دشيشة[3]، كل يوم للفقراء مع قرصين.

وعمر حرم المدينة لما احترق[4]، وأجرى عين عرفة وأبطل المكوس، واجتهد في تعمير البلاد حق الاجتهاد.

فلما استهلت سنة احدى وتسعماية، وهي أول القرن العاشر، وكان أولها يوم الاثنين. فيها[5]، وقعت فتنة بالمدينة النبوية من أميرها حسن بن زبيري، فإنه

= بشبابيك مطلة على الحرم النبوي، وأنشأ مدرسة بمكة عند باب السلام، وأنشأ مدرسة ببيت المقدس، ومدرسة بدمشق، ومدرسة بثغر الاسكندرية، ...، وأنشأ مدرسة بغزة».

(١) قتل في وقعة مع عسكر يعقوب شاه بن حسن المغلي بالقرب من الرها، وذلك في سنة ٨٨٥هـ/١٤٨٠م.
السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٥١٥؛ ابن إياس ١٦٥/٣ - ١٦٦.

(٢) وقد علق السيوطي (المصدر نفسه: ٥١٥) على ذلك بقوله: «وذلك أمر لم يعهد لملك أكثر من مائة سنة».

(٣) ويقال أيضاً «جشيشة»، وأن الجشيشة ما جشَّ من الحب أي دق، وقيل طحن طحناً غليظاً جريشاً. والجشيش أن تطحن الحنطة طحناً جليلاً، ثم تنضب به القدر ويُلقى عليها لحم أو تمر فيطبخ، ويقال لها: دشيشة، بالدال.
ابن منظور، لسان العرب ٢٧٣/٦ - ٢٧٤.

(٤) كذا؛ وفي ابن إياس (٣٢٩/٣): «أنه (السلطان) جدد عمارة المسجد الشريف النبوي لمَّا احترق».

(٥) في شهر ربيع الآخر من السنة.
المصدر نفسه ٣١٨/٣.

/١٧٨ ب تعدى وفتح خزانة النبي ﷺ، وأخذ غالب ما فيها/ من ذهب وفضة (١).

وفيها(٢)، وقعت فتنة بين العساكر المصرية آل أمرها إلى أن غضب السلطان على جماعة من الأمراء، وانقلب الدست جميعه حتى آل الأمر إلى وفاة السلطان (٣). يقال إن السلطان لما رأى اختباط العساكر بعضها على بعض ضعف من القهر، واستمر مريضاً خمسة عشر يوماً.

وتوفي بعد غروب الشمس يوم الأحد سابع عشري ذي القعدة، ودفن بتربته، وكان له مشهد عظيم لم يعهد مثله لملك، وكانت مدته ثلاثين سنة إلا ثمانية أشهر(٤).

[١٨] وكانت الأمراء قد اجتمعوا يوم السبت والخليفة والقضاة وأهل الحل والعقد، وبايعوا ابن الملك، وهو الثامن عشر من ملوك الچراكسة:

الملك الناصر أبو السعادات محمد بن قايتباي

ولي الملك يوم وفاة والده، وسنّه نحو خمس عشرة سنة، لأنه ولد تقريباً في سنة ست وثمانين وثمانماية، وأمه چركسية. فاستمر قانصوه الغوري(٥) أتابكاً. وكان ضعيف العقل سفيهاً له أفعال صغارية، واختل نظام الملك لعدم تدبيره. [و] يحكى عنه أمور قبيحة.

منها: أنه كان إذا سمع بامرأة حسناء، هجم عليها وقطع دايرة فرجها، ونظمه في خيط أعده لنظم فروج النساء.

(١) في المصدر نفسه: «فاستولى على اثني عشر ألف دينار، وأخذ عدة قناديل ذهب كانت معلّقة بالحجرة الشريفة».

(٢) في شهر ذي القعدة من السنة.
المصدر نفسه: ٣٢٢.

(٣) راجع تفاصيل هذه الحادثة في المصدر نفسه: ٣٢٢ ـ ٣٢٤.

(٤) في المصدر نفسه: (٣٢٥): «وكانت مدة سلطنته بالديار المصرية والبلاد الشامية تسعة وعشرين سنة وأربعة أشهر وواحد وعشرين يوماً».

(٥) وقد أصبح سلطاناً عام ٩٠٦هـ، باسم الملك الأشرف أبو النصر قانصو الغوري، وسيرد ذكره لاحقاً.

ومنها: أن والدته كانت من أعقل النساء وأجملهن، هيأت له جارية جميلة جداً وجمعتها به في بيت مزين أعدته لهما،فدخل عليها، وقفل الباب على نفسه وعليها وربطها، وشرع يسلخ جلدها كالجلادين، وهي حية تصرخ. فلما سمعوا صراخها أرادوا الهجوم عليها، فما أمكنهم الدخول، واستمر إلى أن سلخها وحشا جلدها بالأثواب، وخرج يظهر لهم أستاذية في السلخ.

ومنها: أنه مرَّ، وهو في موكبه، بدكان حلواني يبيع الحلاوة، فأقامه من دكانه وجلس مكانه يبيع الحلاوة. وكانت له حركات من هذه الخرافات، منها ما يضحك، ومنها ما يبكي إلى أن سقط من أعين العسكر.

١٧٩/ أ وفي سنة احدى وتسعماية، وصل كتب الحاج إلى دمشق، / أرسلوها من أرض البلاط، وأخبروا بأن الحاج مكث بمكة ستة عشر يوماً، وأن المحمل الذي أخذه عرب بني لام بمنزل الحسا عام أول، رده حداد أمير بني لام إلى أمير الحاج، وأن أمير الحاج دخل إلى الحرمين بالمحملين.

وفي سادس عشر صفر، دخل المحملان إلى دمشق في أبهة عظيمة، ولله الحمد.

وفي سنة ثلاث وتسعماية، حصل للسلطان ضيق عظيم من شدة الاختلاف بمصر، وهو محصور بالقلعة[١]، وحصل لأهل دمشق، من العصاة، ضيق شديد، من نهب وقتل، وسبي حريم وحريق، بحيث يطول شرحه[٢].

وفي سنة أربع وتسعماية، استمر السلطان محصوراً وليس له من الأمر شيء.

وفي هذه السنة، بيع بدمشق حمل الانجاص العثماني بسبعة دراهم، والحمل التفاح الفاطمي مثله، والنبطي الحمل بدرهمين، والخبز الخاص، الكماجة الرطل بدرهمين إلا ربعاً، وما دونه بدرهم وربع، وما دونه بدرهم، لكون

(١) و(٢) راجع تفاصيل هذه الحوادث عند ابن إياس ٣/٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤ـ ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤.

غرارة القمح بيعت بنحو مائتين أو أقل، والشعير بماية أو أقل، والدبس القنطار بأربعماية.

ذكر صاحب «**الدر الفاخر في القرن العاشر**» أن الملك الناصر توجه للصيد، فجاء إليه طومانباي العادل[1]، وهو راكب ومعه قدح لبن، فناوله إياه، فامتنع الناصر من شربه، فضربه طومانباي بطبر كان معه[2]، ثم ظهر من الكمين رفقته، فقتلوا الناصر وابن عم له، وهما راكبان على خيلهما بمكان يقال له الطالبية بالقرب من الأهرام، في نهار الأربعاء خامس عشر ربيع الأول سنة أربع وتسعماية، فعاد العسكر في يومهم إلى القاهرة، ودفنوا الناصر في تربة والده، فكانت مدة ملكه عامين وثلاثة أشهر وتسعة عشر يوماً.

[١٩] وولي مكانه خاله الملك التاسع عشر من ملوك الچراكسة:

الملك الظاهر أبو سعيد قانصوه

تولى الملك نهار الجمعة سابع عشر ربيع الأول، سنة أربع وتسعماية، وسكن في زمانه اضطراب الفتن، وسار في أحكامه السير الحسن، وارتكن إلى صهره زوج اخته الأشرف جان بلاط[3]، فصار طومانباي يرمي الفتنة بينهما حتى استمر/ مختفياً نحو نصف شهر، وبعد ذلك ظفر جان بلاط بقانصوه، فقيّده ١٧٠ ب
وأرسله إلى الاسكندرية، ووضعه في البرج[4]. فاستمر محبوساً سبع عشرة سنة، وولد له هناك أولاد، وكانت مدة ولايته عاماً واحداً، وثمانية أشهر ويومين[5].

[٢٠] وتولى مكانه السلطان العشرون من ملوك الچراكسة:

---

(١) وقد أصبح سلطاناً عام ٩٠٦هـ/١٥٠٠م، باسم الملك العادل طومانباي، وسيرد ذكره لاحقاً.

(٢) قارن بابن إياس ٣/٤٠١ - ٤٠٢.

(٣) كان نائباً على الشام. استدعاه السلطان في صفر عام ٩٠٥هـ وعينه أتابكاً، ثم أصبح السلطان العشرين باسم الملك الأشرف جان بلاط في ٢ ذي الحجة سنة ٩٠٥هـ/أول حزيران ١٥٠٠م. ابن إياس ٣/٤٢٥، ٤٣٩ - ٤٤٠.

(٤) راجع تفاصيل هذه الحوادث عند ابن إياس ٣: ٤٣٤، ٤٣٥ - ٤٣٦.

(٥) في المصدر نفسه (٣/٤٣٦): «سنة وثمانية أشهر وثلاثة عشر يوماً».

الملك الأشرف جان بلاط

جلس على سرير الملك ثاني شهر ذي الحجة، سنة خمس وتسعماية، فعصى عليه قصروه، نائب الشام، فأرسل له عسكراً مقدمهم الدوادار الكبير طومانباي(١)، فاتفق مع العاصي، وعاد إلى القاهرة مع العساكر المجهزة إلى الشام، فحاصروا القلعة جمعة، ثم خامر عسكره عليه، فهربوا عنه، فخرج مع الحريم في زي امرأة. واستمر الملك شاغراً ثلاثة أيام، فطلع له طومانباي، فمسكه وأرسله إلى الاسكندرية، ثم قتله خنقاً، فكانت مدة ولايته نصف عام وأيّاماً يسيرة.

[٢١] ثم تولى الملك الحادي والعشرون من ملوك الچراكسة وهو:

الملك العادل طومانباي

جلس على سرير الملك بمصر بعد أن تسلطن بالقصر الأبلق بدمشق، نهار الجمعة خامس شهر جمادى الأولى سنة ست وتسعماية. وصلى الجمعة بالجامع الأموي، ثم دخل قلعة دمشق وسكن بها، وخُطب له، ثم سافر من دمشق إلى مصر، وفي خدمته قصروه أتابكه الذي كان نائب الشام(٢).

وفي تاسع عشر جمادى الآخرة، طلع العادل طومانباي، إلى قلعة مصر(٣)، وأحضر القضاة والخليفة، وقرئت عليهمْ مبايعته بدمشق، فأمضى له الجميع وفرح الناس بذلك لبغضهم لجان بلاط لخبث طويته، ورجاء لعدل هذا الملك.

ولما تمكن من الملك، بعد نصف شهر، قتل قصروه، واستخف بالأمراء المقدمين، فحقدوا عليه(٤)، فاتفق قنبل الرماح أمير سلاح والأشرف الغوري

(١) وقد أصبح سلطاناً عام ٩٢٢هـ/١٥١٦م، وكان آخر سلاطين المماليك. قتل مصلوباً في باب زويلة بالقاهرة، سيرد ذكره لاحقاً.

(٢) وعين في نيابة الشام بدلاً من قصروه الأمير دولات باي نائب حلب. ابن إياس ٣/٤٥٣.

(٣) يقصد قلعة الجبل.

(٤) يبدو أن سبب حقد كبار أمراء المماليك على السلطان طومانباي هو اقصاؤه لهؤلاء، وتعزيز مكانة =

الدوادار الكبير وغيرهما، فركبوا عليه في سابع عشر رمضان سنة ولايته، فنزل في آخر نهاره من القلعة هارباً، واختفى، فتبعه العسكر إلى أن ظفروا به، فقتلوه
١٨٠ أ / وقطعوا رأسه، ودفنوه في تربته التي أعدها / لنفسه أيام إمرته، في أطراف الصحراء من جهة القبلة، فكانت مدة ولايته ثلاثة أشهر ونصفاً.

[٢٢] وتولى الملك بعده الثاني والعشرون من ملوك الچراكسة، وهو آخرهم (١):

الملك الأشرف أبو النصر قانصوه الغـوري

تولى السلطنة نهار الجمعة، مستهل شوال سنة ست وتسعماية، يوم عيد الفطر. وكان رجلاً بطيناً سميناً، مربوع القامة، خطب باسمه، وكان كثير الدهاء، ذا رأي وفطنة ويقظ، إلا أنه كان شديد الطمع، كثير الظلم والعسف بخيلاً، وكثرت العوانية في أيامه لكثرة ما يصغي إليهم.

وصار إذا شاهد إنساناً توسع في دنياه، وأظهر التجمل في ملبسه أو مثواه، فيرسل إليه الأعوان ويطالبه بالقرض، ويستصفي أمواله، ويهلك أهله وعياله، إلى أن يصير فقيراً. وصار إذا مات أحد يأخذ ماله جميعاً، ويترك أولاده فقراء، وجمع من هذا الباب أموالاً عظيمة وخزائن وسيعة، فاستجاب الله فيه دعاء المظلومين، وقطع دابر القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين.

حكي أن رجلاً من أولياء الله تعالى رأى بمصر، في آخر دولة قانصوه الغوري، رجلاً من جماعة السلطان، أخذ متاعاً من دلال، ولم يرضه في ثمنه، فقال له الدلال: بيني وبينك شرع الله! فضربه بالدبوس فشج رأسه، وقال: هذا شرع الله!. فسقط الدلال مغشياً عليه، ومضى الجندي بالمتاع، وما قدر أحد من المسلمين على منعه. قال الرجل الصالح: فرفعت يدي إلى الله تعالى، ودعوت على الجندي المذكور وعلى سلطانه وعلى الظلمة من أعوانه، فصادف ساعة

= من منهم أقل منزلة، وتوليتهم المناصب الرئيسة في الدولة. وقد علق ابن إياس على ذلك بقوله: «حتى عُدّ ذلك من النوادر».
ابن إياس ٣/٤٧٥.

(١) المقصود آخر سلاطين الجراكسة ممن جمعوا في ملكهم مصر والشام.

الإجابة. وبتّ تلك الليلة، وأنا أفكر في أمرهم، فرأيت فيما يرى النائم ملائكة نزلت من السماء، وبأيديهم مكانس، وهم يكنسون الجراكسة من أرض مصر، ويلقونهم في بحر النيل، فاستيقظت من النوم، وإذا بقارئ يتلو القرآن، يقرأ قوله تعالى: ﴿**فانتقمنا مِنهم، وأَغْرَقْنَاهُمْ في اليمِّ بأنهم كذَّبوا بآياتِنَا، وكانوا عنها غافِلين**﴾(١)، فعلمت أن الله تعالى يأخذهم أخذاً وبيلاً!.

فما مضى [وقت](٢)، قليل إلا وبرز السلطان/ وصحبته الخليفة والعساكر إلى حلب(٣)، وأشاع بأنه يصلح بين ملك الروم السلطان سليم خان العثماني وصاحب العجم شاه إسماعيل الصفوي. /١٨٠ ب

فلما وصل إلى مدينة غزة شكى إليه أهل بيت المقدس ظلم نايبهم، فلم يلتفت إلى كلامهم، وأهانهم بالطرد والضرب، ثم دخل دمشق ونائبها سيباي الكافلي(٤)، وهو حامل القبة والطير على رأس الملك، إجلالاً له كعادة الملوك، ونزل في المصطبة عند وطأة برزه(٥)، وأقام سبعة أيام، وتوجه إلى حلب. ومر على حمص، فشكى له أهل البلد ظلم نائبهم، فلم يلتفت إليهم، فأذاقهم الطرد والصغار، ولم يزر السيد الجليل خالد بن الوليد، مع أن الطاغية تيمور لما دخل حمص زاره، وجعل أهلها في غفارته. وعند وصوله إلى حلب جاءه قاصدان من السلطان سليم خان العثماني، أحدهما قاضي عسكر الروم إيلي ركن الدين بن

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٣٦.

(٢) ما بين الحاصرتين يقتضيه السياق.

(٣) وذلك في جمادى الأولى سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م.
ابن إياس ٣٨٢/٤.

(٤) تولى نيابات عدة منها: نيابة سيس ونيابة حلب ونيابة دمشق، وكان يعرف بنائب سيس. وكانت نيابته لدمشق عام ٩١٢هـ/١٥٠٦م.
ابن إياس ٣٤/٤، ١٠٤.

(٥) قرية من غوطة دمشق.
ياقوت ٣٨٢/١.

زيرك، والآخر قراجا باشا، وأخبراه بوصول ملك الروم إلى مدينة قيسارية[1]، ونيته التوجه لقتال الصوفية[2]، فأكرمهما وذكر لهما الصلح بين ملكهم وبين شاه إسماعيل الصفوي، وأرسل بسبب ذلك إلى ملك الروم قاصداً يقال له مغلباي دوادار.

فلما وصل [القاصد][3] إليه قبض عليه حتى وصل له قاصداه، ثم حلق لحيته، فأخذ جميع الذي معه، وقال له: قل لأستاذك هذا خارجي وأنت مثله، وأقاتلك قبله، والميعاد بيني وبينك في مرج دابق! . فلماوصل إليه القاصد، خرج من حلب بعد إقامته بها نحو الشهرين، وترك ولده في قلعتها، وذلك في يوم الثلاثاء عشري شهر رجب [سنة اثنتين وعشرين وتسعماية][4]، وصحبته العساكر وهم نحو ثلاثين ألفاً، فوصل إلى مرج دابق[5]، ونزل عند القبر المنسوب لنبي الله داود، عليه السلام، ومكث به ثلاثة أيام أو أكثر.

وفي نهار الاثنين، سادس عشري شهر رجب، وصل إليهم أول العساكر الرومية وقت الظهر، فركبوا خيولهم وارتصوا لهم، فوقعت المحاربة بينهم.

ثم بعد ذلك، وصلت المدافع الكبار على عجل تجرها خيول، فرموا بها عليهم، فأظلم الأفق وصار لها دويّ، فجفلت الخيل، وهرب/ الغلمان، فقتل /١٨١ أ
جماعة من المقدمين وغيرهم، فوقع الغوري عن فرسه، فأركبوه بلا عمامة، ثم طاح ثانياً فأقعدوه،وقالوا له: أثبت لنا؟. فقال لهم :ما بقي شي!. فرغت وسكت من وقته. ثم زحفت عليهم العساكر الرومية، ففر عنه عسكره شذر مذر، وتركوه ملقى

(١) مدينة من بلاد الروم.
أبو الفدا، تقويم: ٢٣٩؛ القزويني، آثار البلاد: ٣٧١ - ٣٧٢.
(٢) راجع تفاصيل المواجهة بين السلطان سليم والشاه إسماعيل الصفوي عند ابن إياس ٤/٤٠٠ - ٤٠١، ٤٠٢ - ٤٠٤.
(٣) ما بين الحاصرتين يقتضيه السياق.
(٤) ما بين الحاصرتين بعد مراجعة ابن إياس (نشر كالي، استنبول ١٩٣٢) ٥/٦٧ وما يلي.
(٥) وهو واقع على مسيرة يوم من حلب شمالاً.

على وجه الأرض تحت سنابك الخيل، فمات ولم يعلم به أحد، واستولى على بلاده السلطان سليم خان، تغمده الله بالرحمة والغفران، كما سيأتي بيانه في محله، إن شاء الله تعالى، وهرب بقية السيوف من الچراكسة إلى مصر، وصيروا الدوادار **طومانباي** سلطاناً، وهو الثالث والعشرون من ملوك الچراكسة.

ولما دخل السلطان سليم خان إلى مصر[1]، هرب طومانباي إلى البر، فمسكه شيخ عرب، وجاء به إلى أوطاق السلطان سليم، فأمر بصلبه في باب زويلة، وبه انقطعت الچراكسة، وهذا شأن الدنيا في أبنائه تنقلب بهم وتتحول عنهم، فسبحان من لا يزول ملكه.

ثم اعلم بأن الخلفاء الإسلامية ثلاث طبقات، كلهم من قريش، من نسل إسماعيل، عليه السلام:

الأولى: الخلفاء الراشدون، أولهم أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، وآخرهم الحسن بن علي، رضي الله عنهما.

والثانية: الطبقة الأموية.

والثالثة: الطبقة العباسية.

وتفرقت في الخلافة العباسية من الملوك والسلاطين طوائف كثيرة، فلنذكرهم إن شاء الله تعالى.

قيل: ما الفرق بين الخلافة والملك والسلطنة من حيث الشرع؟

نقل عن عمر بن الخطاب، رضي الله تعالى عنه، أنه قال لبعض الصحابة: أملك أنا أم خليفة؟ فقال له: إذا وضعت شيئاً من بيت المال في غير حقه، وأخذته من غير موضعه مصادرة أو غصباً قصداً لا خطأً، فأنت ملك غير خليفة!.

والخليفة هو الذي يأخذ بحق، ويضع في حق.

(١) وذلك في ربيع الآخر عام ٩٢٣هـ/١٥١٧م.
ابن إياس (نشر كالي) ١٣٨/٥.

والملك هو الذي لا يبالي من أين يأخذ، يعسف الناس، يأخذ من هذا ويعطي هذا.

والسلطان هو الذي يكون في ولايته ملوك. فيكون ملك الملوك، فيكون أقل عسكره عشرة آلاف فارس، ويملك ممالك متعددة، وجاز أن يُطلق عليه اسم
/ ١٨١ ب السلطان الأعظم، ويُشترط أن يُخطب له/ في ممالك متعددة وبلاد مختلفة، أقل ذلك ثلاثة أيام، وأكثرها ثلاثة أشهر.

وكانت قاعدة الخلافة المحمدية، المدينة النبوية، على ساكنها أفضل التحية، وذلك مدة خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم.

فلما قتل عثمان، تعلقت إرادة الله تعالى برفع الخلافة عنها، لأن الخلافة، لما انتهت إلى علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه، انتقل من المدينة إلى الكوفة واتخذها قاعدة خلافته، وربما استوطن البصرة، وكذلك ابنه الحسن، وسيتخذها قاعدة لخلافته الإمام الخاتم المحمدي المهدي، عليه السلام، في آخر الزمان.

فلما ولي معاوية انتقلت قاعدة الخلافة إلى دمشق، ولم تزل إلى آخر الدولة الأموية.

فلما انتقلت الدولة إلى بني العباس، سكن السفاح مدينة الأنبار. فلما ولي المنصور بنى بغداد وسكنها، فصارت قاعدة الخلافة له ولبنيه إلى أيام المعتصم بالله، فبنى بلدة سُرّ من رأى، فانتقلت قاعدة الخلافة إليها، ثم عادت قاعدة الخلافة إلى بغداد إلى وقعة التتار[١]، فانتقلت قاعدة الخلافة إلى مصر[٢].

---

(١) وذلك عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م.

(٢) حصل ذلك عام ٦٥٩هـ/١٢٦٠م، عندما أحيا السلطان الظاهر بيبرس البندقداري الخلافة العباسية في القاهرة.
ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر: ١٠٠؛ المقريزي، السلوك ١/٢: ٤٥٠.

وقد كانت بخارى[1] قاعدة السلطنة زمن بني ساسان، ثم صارت غزنة زمان محمود بن سبكتكين[2]، ثم همذان زمان دولة السلجوقية، ثم مدينة خوارزم زمان الملوك الخوارزمشاهية، ثم دمشق زمن الملك العادل نور الدين الشهيد، ثم مصر زمن السلطان صلاح الدين الأيوبي وبنيه. ثم استقرت قاعدة السلطنة الكاملة بمصر زمن الأتراك والچراكسة، إلى أن سلبها السلطان سليم خان، أسكنه الله فسيح الجنان، فانتقلت الآن قاعدة السلطنة إلى مدينة القسطنطينية، أيدها الله تعالى وأبّدها.

فانظر تقلب قواعد الخلافة والسلطنة من بلد إلى بلد بتنقل الزمان والأوان، والله وارث الأرض لا رب سواه، ولا نعبد إلا إياه. وما أحسن قول العلامة أبي السعود، رحمه الله تعالى، في هذا المعنى:

سلطنة الدهر هكذا دولٌ فعز سلطان من يداولها.

ولله درّ من قال:

ما اختلف الليل والنهار ولا دارت نجوم السماء في فلكِ
إلا لنقل السلطان من ملك قد نال سلطانه إلى ملكِ
وملك ذي العرش دايم أبداً ليس بفانٍ ولا بمشتركِ /

(١) الأصل: بخارا.

(٢) توفي في ربيع الآخر عام ٤٢١هـ/١٠٣٠م.
ابن الأثير، الكامل ٣٤٦/٧؛ أبو الفدا، المختصر ١٥٧/٢.

/١٨٢ أ

الباب الحادي عشر
في ذكر دولة بني طباطبا
بالكوفة واليمن[(١)]

ذكر السيوطي في تاريخه أن أول من قام بالخلافة من بني طباطبا العلوية الحسنية:

أبو عبد الله محمد بن إبراهيم طباطبا في جمادى الأولى سنة تسع وتسعين ومابة، وسبب تلقيب جد هذه الطائفة بطباطبا، أنه كان يلثغ بالقاف، فيجعلها طاءً، فطلب يوماً من الجارية ملبوسا، فقالت له: «تريد فرجية أم قبا؟». فقال لها: «بل طباطبا، يريد قباقبا». فلقب بذلك لذلك.

وقام باليمن في هذا العصر الهادي يحيى بن الحسين بن قاسم بن إبراهيم طباطبا، ودعي له بإمرة[(٢)] المؤمنين ومات في ذي الحجة سنة ثمان ومائتين.

وقام مكانه ابنه المرتضى محمد مدة في سيرة حسنة، وتوفي في سنة عشرين وثلاثمائة[(٣)].

وقام مكانه أخوه الناصر أحمد، ومات في صفر سنة ثلاث وعشرين وثلاثماية، وكانت مدة خلافته ثلاث سنين.

وقام بالأمر بعده ولده المنتخب الحسين، وسار سيرة أبيه في العدل، وكانت مدة خلافته ست سنين.

---

(١) كذا؛ وفي (ب) و (ج): «في ذكر دولة بني طباطبا بالكوفة واليمن منبع الصفات الحميدة والمنن».

(٢) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «بأمير».

(٣) كذا؛ وفي السيوطي (تاريخ الخلفاء: ٥٢٥): «مات سنة عشر وثلثماية».

فلما مات، قام مكانه أخوه **المختار القاسم**، وكان وقوراً مهيباً، أديباً لبيباً، مؤيداً موفقاً، فكانت مدة خلافته إلى أن مات خمس عشرة سنة.

ولما توفي، تولى مكانه أخوه **الهادي محمد** مدة.

فلما مات، تولى مكانه **الرشيد العباس**، وبه انقرضت دولتهم، وانطوت خلافتهم.

الباب الثاني عشر
في ذكر دولة الطبرستانية[1]

ذكر السيوطي في تاريخه أنه تداولها ستة رجال: ثلاثة من بني الحسن، ثم ثلاثة من بني الحسين.

فأول من قام منهم داعياً إلى الحق وإلى الطريق القويم:

الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد الجواد بن الحسن بن علي بن أبي طالب[2]، سنة خمس وثمانين ومائتين[3]، بالري والديلم.

ثم قام أخوه **القائم بالحق محمد** وقتل سنة ثمان وثمانين[4].

---

(١) كذا؛ وفي (ب) و (ج): «في ذكر دولة الطبرستانية من الدوحة الحسنية والحسينية».

(٢) كذا في الطبري والسيوطي؛ وفي ابن الأثير: «الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن زيد بن الحسين...».

(٣) ولعل هنا خطأ؛ والراجح أن ما ورد في ابن الأثير والسيوطي هو الصحيح، حيث جاء في المصدرين المذكورين أن ظهور الحسن بن زيد بطبرستان كان في عام ٢٥٠ هـ، وأن وفاته كانت في عام ٢٧٠هـ/٨٨٣م.
ابن الأثير، الكامل ٣١٦/٥، ٥٥/٦؛ السيوطي، تاريخ: ٥٢٥. انظر أيضاً: أبو الفدا، المختصر ٥٣/٢.

(٤) وذلك إثر معركة جرت بينه وبين عسكر إسماعيل الساماني. وكان القائم بالحق محمد بن زيد أديباً وشاعراً حسن السيرة.
أبو الفدا، المختصر ٥٨/٢ - ٥٩.

فقام حفيده المهدي حسن بن زيد ابن القائم بالحق.

وقام بعده محمد بن الحسن[1]. /

(١) ثم قام بعده آخران، وهما: الناصر أحمد بن الحسن، والثائر لدين الله جعفر بن محمد بن الحسن بن عمر الأشرف الذي ملك طبرستان بأسرها، ومات بها عام ٣٤٥هـ/٩٥٦م، وانقرضت دولته.

السيوطي، تاريخ: ٥٢٥ ـ ٥٢٦.

/١٨٢ ب

الباب الثالث عشر
في ذكر جرهم بالحجاز[(١)]

ذكر المسعودي في «مروج الذهب» أن إبراهيم، عليه السلام، لما أسكن ولده إسماعيل مكة[(٢)] مع أمه هاجر، واستودعهما خالقه، أمر إبراهيم، عليه السلام، هاجر أن تتخذ عليه عريشاً يكون لهما سكناً وكناً.

وكان من ظمأ إسماعيل وهاجر ما كان إلى أن أنبع الله لهما زمزم، وأقحط الشحر واليمن، فتفرقت العماليق نحو تهامة يطلبون الماء والمرعى والديار المخصبة، وأميرهم السميدع، فأشرف روّادهم لطلب الماء على الوادي، فنظروا إلى العريش، وفيه هاجر وإسماعيل، فنزلوا مستبشرين بما أصابوا من نور النبوة وموضع البيت، واستمروا إلى أن وقع التنازع بين قحطان وبين جرهم بسبب أنهم كثروا، وضاقت عليهم أرض اليمن وطردوا جرهم. فأقبلوا حتى نزلوا بقرب مكة، فأرسلوا إلى العماليق، وقالوا: «نحن أحق منكم بهذا المكان لأنَّا أقرب قرابة من إسماعيل وأمس به رحماً، لأنَّا نلتقي نحن وإياه إلى هود، عليه السلام، وأنتم لا تلتقون معه إلا إلى سام بن نوح، عليه السلام، فاخرجوا عن هذا المكان!».

فقال العماليق عند ذلك: «إن هذا المكان إرث لنا عن جدنا معاوية بن بكر، وهو أول من سكن هذا المكان عند مهلك عاد بالريح العقيم!». فلم يسلموا، وتأهبوا للحرب واقتتلوا قتالاً شديداً، فغلبتهم جرهم واحتووا عليه وقطنوه، ونفوا العماليق عنه. وكان رئيسهم مضاض بن عمرو، فرأسوا عليهم إسماعيل، عليه السلام، وعرفوا فضله، وزوّجوه امرأة من أشرافهم.

---

(١) كذا، وفي (ب) و (ج): «في ذكر جرهم بالحجاز وما سلك كل منهم من المحاسن وحاز».

(٢) في ابن الأثير (الكامل ١/٥٩): «فوضعها بموضع زمزم».

ذكر صاحب «المختصر في أخبار البشر» أن المؤرخين قسمت العرب إلى ثلاثة أقسام: بائدة وعاربة ومستعربة.

وأما **البائدة**، فهم العرب الأول الذين ذهبت عنا تفاصيل أخبارهم لتقادم عهدهم، وهم: عاد وثمود وجرهم الأولى، وكانت على عهد عاد، فبادوا ودرست أخبارهم. وأما جرهم الثانية فهم من ولد قحطان، وبهم اتصل إسماعيل، عليه
/١٨٣ أ السلام، ولم يبق من/ العرب البائدة إلا القليل.

وأما **العرب العاربة**، فهم عرب اليمن من ولد قحطان.

وأما **العرب المستعربة**، فهم ولد إسماعيل، عليه السلام، لأن أصل لسان إسماعيل كان عبرانياً [ثم دخل في العربية][1]، فلذلك قيل له ولولده: العرب المستعربة.

أجمع النسابون على أن اليمن كلها من ولد قحطان، وكان لقحطان من الولد أحد وثلاثون ولداً ذكوراً، وأمهم امرأة واحدة، وكانوا نزولاً ببعض بلاد الهند، فلما هلكت عاد وبادت، وقد بقي من عقبهم بمكة طائفة، وهم عاد الأخرى هلكوا.

وفي الحديث أنهم مسخوا نسناساً[2]، لكل نسناس منهم يد ورجل من شق واحد، ينقرون كما ينقر الطائر، ويرعون كما ترعى البهائم[3]، وقيل أولئك انقرضوا، والموجودون من النسناس خلق على حدة[4]، وليسوا منهم.

واختلف الناس في قحطان، فحكى هشام بن الكلبي، عن أبيه، أن قحطان بن الهميسع بن ثابت بن إسماعيل الذبيح بن إبراهيم، عليهما السلام،

---

(١) ما بين الحاصرتين من أبي الفدا، المختصر ١/١٠٤.
(٢) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «نسانيس».
(٣) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «الطاير».
(٤) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «هذه».

وكان جرهم الثاني أخا يعرب بن قطحان، فملك يعرب اليمن، وملك أخوه جرهم الحجاز. ثم ملك بعده ابنه عبد ياليل بن جرهم، ثم ابنه جرشم.

فلما هلك، ملك ابنه عبد المدان بن جرشم، ثم ابنه نفيلة بن عبد المدان؛ ثم ابنه عبد المسيح بن نفيلة، ثم ابنه مضاض بن عبد المسيح، تولى الملك مابة سنة، ثم ابنه عمرو بن مضاض، ثم تولى أخوه الحارث بن مضاض مائتي سنة، ثم ابنه عمرو بن الحارث مابة وعشرين سنة، ثم أخوه بشر بن الحارث تولى الملك مدة، ثم مضاض الأصغر مدة أربعين سنة.

وجرهم المذكورون هم الذين اتصل بهم إسماعيل، عليه السلام، ونزلوا عنده بمكة، وتزوّج منهم إسماعيل، عليه السلام.

ولما بغت جرهم في الحرم وطغت، بعث الله عليهم الرعاف والنمل وغير ذلك من الآفات، فهلك كثير منهم، وكثر ولد إسماعيل، وصاروا ذوي قوة ومنعه، فغلبوا على أخوالهم جرهم، فأخرجوهم من مكة، فلحقوا ببلاد جهينة، فأتاهم في بعض الليالي السيل، فذهب بأجمعهم. وفي خروجهم من مكة يقول عمرو بن الحارث [الجرهمي][1] في قصيدته التي منها: /

وكنا ولاة البيت من عهد ثابتٍ ... نطوف بذاك البيت والأمر ظاهرُ ‏/١٨٣ ب
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا ... أنيسٌ ولم يسمرْ بمكة سامرُ
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا ... صروف الليالي والجدود العواثرُ.

وبانقراض جرهم انقرضت العرب العاربة، ولم يبق من العرب إلا من كان من عدنان وقحطان.

(١) ما بين الحاصرتين من أبي الفدا، المختصر ١/١٠٤.

الباب الرابع عشر
في ذكر دولة الحسينية والدوحة الزكية
الهاشمية بمكة والمدينة شرفهما الله تعالى[1]

ذكر القلقشندي في «نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب» أن المهدي بن محمد بن عبد الله الكامل بويع له بالخلافة بمكة في آخر الدولة الأموية، ثم ظهر بالحجاز بنو الأُخيضر، في سنة احدى وخمسين ومائتين، فاستمرت بأيديهم إلى أن غلب عليهم القرامطة سنة سبع عشرة وثلاثماية.

وفي «عمدة الطالب» أن يوسف الأُخيضر بن إبراهيم بن موسى الجون أعقب ثلاثة أولاد منهم:

إسماعيل بن يوسف، ظهر بالحجاز وتسمى بالسفاك، سنة احدى وخمسين ومايتين، ثم قصد مكة وغلب عليها أيام المستعين، وغوّر العيون واعترض الحاج، فقتل منهم جمعاً كثيراً ونهبهم، ثم مات على فراشه فجأة في ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين ومائتين ولا عقب له.

ثم قام أخوه محمد بن يوسف بعد وفاته، وسار في سيرته في السفك والنهب، فأرسل المعتز السفاح الأشتر في عسكر ضخم، فهرب منه محمد، وسار إلى اليمامة فملكها، وملك أولاده بعده، فيقال لهم الأخيضريون وبنو يوسف أيضاً.

وتولى الإمرة بعده محمد الحسن بن يوسف.

ثم ولده أبو جعفر أحمد بن الحسن.

---

(١) كذا؛ وفي (ب) و (ج): «في ذكر الدولة الحسينية والدوحة الزكية الهاشمية بمكة المشرفة والمدينة المنورة».

ثم تولى بعده ولده **أبو عبد الله محمد بن أحمد**، ولم تزل بيده إلى أن غلب عليها القرامطة.

وتولى أيضاً **صالح بن إسماعيل بن يوسف**، ثم استقل بملك مكة بعد نواب بني العباس بنو سليمان بن داود بن الحسن المثنى بن الحسن السبط، وملك بعض من هؤلاء معها المدينة وجمعوا الحرمين، ثم انقرض الملك منهم، /١٨٤ أ لأن آخرهم شكر لم يعقب، / وغلب عليها بنو هاشم، وكانت وفاة شكر في سنة اثنتين وخمسين وأربعماية، وله شعر حسن منه:

فوّض خيامكَ عن أرضٍ تُضام بها ... وجانب الذُّل إن الذل يُجتنبُ
وارحل إذا كان في الأوطانِ منقصةٌ ... فالمندل[1] الرطب في أوطانه حطبُ

ثم استقل بملك مكة الهواشم، وأول من ملك منهم:

أبو هاشم محمد، العلوي الحسني، ثم توفي محمد المذكور سنة سبع وثمانين وأربعماية عن نيف وتسعين سنة.

وملك بعده ابنه **قاسم بن أبي هاشم محمد**[2]، وتوفي في سنة سبع عشرة وخمسماية.

وولي بعده ابنه **فليتة بن قاسم**، وتوفي في سنة سبع وعشرين وخمسماية.

وولي مكانه ابنه **قاسم بن فليتة**، فلما قرب الحاج من مكة أحس بالشر فصادر المجاورين وأعيان مكة، وأخذ أموالهم وهرب إلى البرية.

فلما وصل الحاج إلى مكة رتب أمير الحاج مكانه عمه **عيسى بن قاسم بن أبي هاشم**[3]، فبقي إلى شهر رمضان، ثم إن قاسم المذكور جمع العرب وقصد عمه عيسى، فلما قارب مكة رحل عنها عيسى، وعاد قاسم فملكها، ولم يكن معه

(١) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «فالمنزل». والمندل بفتح أوله هو عود الطيب الذي يتبخر به. ابن منظور، لسان العرب ١١/٦٥٤.
(٢) في الأصل و(ب): «قاسم بن هاشم»؛ وما أثبتناه من (ج).
(٣) في الأصل و (ب): «عيسى بن قاسم بن هاشم»؛ وما أثبتناه من (ج).

ما يرضي به العرب، فكاتبوا عمه عيسى، وصاروا معه، فقدم عيسى إليهم فهرب قاسم وصعد إلى جبل أبي قبيس، فسقط عن فرسه فأخذه أصحاب عمه فقتلوه، ودفن بالمعلّى عند أبيه، واستقرت إمرة مكة لعيسى.

ثم توفي عيسى، وولي مكانه ابنه **داود بن عيسى**.

وفي سنة سبع وثمانين وخمسماية أخذ داود المذكور أموال الكعبة، حتى انتزع طوقاً من فضة كان على دائرة الحجر الأسود، وكان ذلك قد لمّ[1] شعثه حين ضربه القرمطي بالدبوس، وكان أخوه مكثر قد بنى على جبل أبي قبيس قلعة تحصن بها عند انهزامه من أخيه داود.

فلما بلغ صاحب مصر خبر داود عزله، وولى مكانه أخاه **مكثراً**، وأمر بنقض القلعة التي على جبل أبي قبيس. وما زالت إمارة مكة له تارة ولأخيه مكثر تارة.

ثم غلب على الملك بنو قتادة الذين منهم أمراء مكة والمدينة المنورة وينبع الآن، وهؤلاء غير الثعالبة التي بالينبع، فإنهم بنو صرحة بن إدريس.

/١٨٤ ب وكان من أمر **قتادة** أن/ قتادة بن إدريس كان شيخاً طويلاً مهيباً، جليلاً شهماً شجاعاً، وكانت له قلعة الينبع. فلما رأى ضعف الهواشم غلب عليهم، واقتلع مكة من يد مكثر المذكور، وهو آخر أمراء الهواشم بمكة في سنة تسع وتسعين وخمسماية، واستكثر جنده وخافته العرب في تلك البلاد خوفاً عظيماً، وكانت ولايته قد اتسعت من حدود اليمن إلى المدينة المنورة.

وكان قتادة لا يخاف من أحد من الخلفاء والملوك، ويرى أنه أحق بالأمر منهم. وكتب إليه الناصر لدين الله، صاحب مصر، كتاباً يستدعيه، فكتب إليه هذه الأبيات:

ولي كفُ ضرغام أصول ببطشها ... وأشري بها رق الورى وأبيعُ
وكلّ مُلوكِ الأرض يُلثم ظهرها ... وفي وسطها[2] للمجذبين ربيعُ

(١) لفظة «لم»: ساقطة من (ب).
(٢) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «وفي بطنها».

أأجعلها تحت الرحى ثم أبتغي[1] خلاصاً لها إني إذاً لرقيعُ
وما أنا إلا المسك في كل بقعةٍ يضوع وأما عندكم فيضيعُ

وكان عادلاً منصفاً، ذا نعمة، ثم عكس هذا الأمر في آخر عمره، وأحدث المكوس ونهب الحاج غير مرة، فقتله ابنه الحسن، وكان له من العمر نحو تسعين سنة[2].

فلما استقر الملك للحسن المذكور أرسل إلى أخيه الذي بقلعة ينبع على لسان أبيه يستدعيه، فلما حضر أخوه عنده قتله أيضاً، وارتكب أمراً عظيماً بقتل أبيه وعمه وأخيه، فلا جرم أن الله تعالى سلب ملكه، ولم يمهله.

وكان لقتادة ابن آخر[3]، يقال له راجح، وكان مقيماً عند العرب، بظاهر مكة، ينازع أخاه الحسن في إمرة مكة، فلما قدم الملك معواد بن قيس مكة[4]، في رابع ربيع الأول سنة ست وعشرين وستماية، لقيه حسن بن قتادة في المسعى وقاتله ببطن مكة، فانهزم الحسن، وملك المعواد مكة، واستولى عليها، وذاق الحسن وبال أمره بقتل أبيه وعمه وأخيه.

وولى إقسيس بمكة والياً من قبله، وعاد إلى اليمن، ومضى الحسن إلى دمشق، فلم ير بها وجهاً، ثم مضى إلى بغداد، فلم ير بها أيضاً قبولاً، بل أرادوا قتله. ولم تزل مكة في ولاية إقسيس حتى مات سنة ست وعشرين وستماية. /

ولما تغلب على اليمن الملك المنصور عمر بن علي بن رسول[5]، جهز العساكر إلى مكة المكرمة، ووليها الشريف راجح بن قتادة، واستمر أميراً إلى عام /١٨٥ أ

(١) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «أأجعلها تحت الرهان ثم أبتغي».
(٢) وذلك في آخر جمادى الآخرة سنة ٦١٧ هـ/١٢٢٠م.
المقريزي، السلوك ١/١:٢٤٢.
(٣) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «ابن أخ» وهو خطأ.
(٤) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «مكثر» وهو خطأ أيضاً.
(٥) هو مؤسس دولة بني رسول باليمن، وقد استقل بالملك باليمن في سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٢م.
الخزرجي، العقود اللؤلؤية ١/٥-٦.

سبعة وأربعين وستماية، فولي إمرة مكة المشرفة **أبو سعد حسن بن علي بن قتادة**، واستمر أبو سعد المذكور في ذلك إلى أن قتل في شوال سنة احدى وخمسين وستماية، قتله جماعة.

واستقر في الإمرة **جماز بن حسن بن قتادة**، ثم عاد إليه راجح بن قتادة.

ثم أخذها من راجح ولده **غانم** بن **راجح**.

ولم تزل مكة مع غانم بن راجح حتى أخذها منه **إدريس بن قتادة**[١] **وأبو نمي محمد بن قتاد**[٢]، في الخامس والعشرين من شوال عام اثين وخمسين وستماية.

ثم أخذها من المذكورين **برطاش** قاصد صاحب اليمن في ذي القعدة من السنة المذكورة، ثم أخرجه منها الشريفان المذكوران إدريس وأبو نمي.

ثم أخرج أبو نمي إدريس من مكة، واستقل بالإمرة، ثم حصلت المشاركة بينهما. ثم قتل أبو نمي إدريس في حرب كان بينهما بخليص[٣]، وانفرد أبو نمي بالإمرة حتى أخرجه منها جماز بن شحنة الحسني، صاحب المدينة، وإدريس بن حسن بن قتادة، صاحب ينبع، في صفر سنة سبعين وستماية. ثم عاد **أبو نمي** إلى مكة المكرمة بعد أربعين يوماً، واستمر فيها إلى أن أخرجه ثانياً **جماز بن شحنة** بمعاونة أمراء[٤] المنصور قلاوون صاحب مصر والشام[٥]، وخطب لجماز المذكور، وضربت السكة باسمه، وبطل ذلك بعد مدة يسيرة من السنة المذكورة، وعاد الشريف أبو نمي إلى مكة، ولم يزل بها حتى تركها لولديه **حميضة ورميثة**

---

(١) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «إدريس بن حسن بن قتادة».

(٢) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «أبو نمي محمد بن حسن بن علي بن قتادة».

(٣) حصن بين مكة والمدينة.
ياقوت، معجم ٢/٣٨٧.

(٤) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «أمير».

(٥) يقصد السلطان المملوكي المنصور قلاوون الذي ولي السلطنة سنة ٦٧٨ هـ/١٢٧٩ م.

قبل وفاته بيومين، وكانت وفاته في رابع شهر صفر، عام إحدى وسبعماية، ومدة ملكه قريب من خمسين سنة.

واستمر حميضة ورميثة في الإمرة، حتى صرفهما أخواهما **أبو الغيث وعطيفة**. ثم عادا وأظهرا عدلاً، وأسقطا المكوس. ولم تزل المخاصمة والمنازعة في الإمرة بين الإخوة حميضة ورميثة وأبو الغيث وعطيفة؛ فمنهم من قتل ومنهم من مات، حتى انتقلت إمرة مكة ليد **عجلان بن رميثة** في سنة ثمان وأربعين وسبعماية، / ثم شاركه أخوه ثقبة بن رميثة، فمات عجلان، وولي مكانه ولده **أحمد بن عجلان**. /١٨٥ ب

ولم يزل أحمد أميراً بمكة المكرمة، حتى مات في العشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين وسبعماية، وولي بعده ابنه **محمد بن أحمد بن عجلان**، وكان قوي النفس، عالي الهمة شجاعاً.

ولما توفي، تولى عمه **كبيش بن عجلان**، فقتل.

وتولى مكانه **علي بن عجلان** وشريكه **عنان بن مغامس بن عجلان**، ثم إنهما توجها إلى مصر وأعطى الملك الظاهر(١) علياً مالاً وخيلاً، ورجع إلى مكة، وسار سيرة حسنة، وأقام عنان بمصر معزولاً مسجوناً في القلعة، حتى مات بها. وكانت مدته ثمان سنين وشهرين.

وقرر مكانه أخاه **حسن بن عجلان**، وخطب له على منبر المدينة المنورة(٢).

وفي سنة اثنتين وثمانمائة، في عاشر جمادى الأولى، حصل بمكة في الليلة العاشرة مطر عظيم حتى هجم السيل، وبلغ الماء إلى الباب، ودخل البيت الشريف، وخرب منازل كثيرة، ومات في السيل جماعة.

---

(١) يقصد السلطان الملك الظاهر سيف الدين برقوق بن آنص الجركسي العثماني.
(٢) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «النبوية».

وفي هذه السنة، في شوال، وقع بالحرم الشريف المكي حريق عظيم احترق نحو ثلث الحرم، واحترق مابة وثلاثون عموداً، فصارت كلساً. واستمر إلى سنة اثنتي عشرة وثمانماية، فعزله السلطان[1]، وعين مكانه **علي بن مبارك بن رميثة**، ولم يتم أمره، ومات. وعاد إلى الملك **حسن بن عجلان**، المقدم ذكره.

وفي ربيع الأول سنة ثماني عشرة وثمانماية، عزل الشريف حسن، وولي مكانه ابن أخيه **رميثة بن محمد بن عجلان**.

فلما بلغ حسناً خبر العزل، أخذ من التجار المقيمين بمكة أموالاً عظيمة، وعاد إلى الإمرة وعزل رميثة، فوقع الحرب بين حسن وبين رميثة، وغلب حسن، واستمر في الإمرة شريكاً مع ولده **بركات**.

وفي سنة سبع وعشرين، صرف الحسن عن الإمرة، وولي عوضه **علي بن عنان بن مغامس**.

وفي أواخر سنة تسع وعشرين، أُعيد الحسن إلى إمرة مكة، فاتفق أنه مات/ يوم الخميس سادس عشر جمادى الآخرة من هذه السنة، وقدم ولده ١٨٦/ أ
الشريف بركات من مكة إلى القاهرة، والتزم كل سنة بأن يحمل عشرة آلاف دينار، وأن يكون مكس جدة له وما يحصل من مراكب الهند يكون لصاحب مصر، فمضى **بركات** والياً على مكة، وكان حسن السيرة في الناس.

ولما مات الأشرف[2]، واستقر الظاهر جقمق بمصر، عزله وولى مكانه أخاه علياً أميراً على مكة عوضاً عن ابن أخيه بركات.

وفي سنة خمسين وثمانماية، توجه السيد محمد بن بركات إلى القاهرة لإعادة الإمرة لأبيه الشريف **بركات**، فأجيب لذلك وأُعيد. وكان ملكاً شهماً عارفاً بالأمور، واستمر متولياً على مكة المكرمة إلى عام تسعة وخمسين وثمانماية، فمات.

---

(١) وذلك أيام السلطان الملك الناصر زين الدين فرج بن الظاهر برقوق.

(٢) يقصد السلطان الملك الأشرف سيف الدين برسباي الدقماقي الظاهري الجركسي.

وفي سنة احدى وثلاثين وتسعماية توفي الشريف بركات والد أبي نمي ودفن بالمعلى، واستقل بالإمرة بعده ولده الشريف **أبو نمي**، وعاش مدة مديدة حتى توفي في المحرم سنة احدى وتسعين وتسعماية، وعمره اثنان وثمانون سنة. وقد رأيته بمنى سنة ثمان وسبعين، وهو محرم، وهو في غاية القوة والصلابة بهذا العمر.

وتولى مكانه ولده الشريف **حسن**، وهو الآن أمير بمكة في الدولة المؤيدة العثمانية، واستناب ولده الشريف حسين، على الأقطار الحجازية، على قاعدة أسلافه الزكية. وكان في غاية اللطف والملايمة، فمات.

وولي مكانه ولده الشريف **مسعود**، وكان ظالماً جايراً، فلم تطل مدته ومات.

فولي مكانه أخوه **أبو طالب بن حسن بن أبي نمي**، وهو الآنَ أمير ويرجى منه الخير.

توفي الحسن والد المذكور في ثالث جمادى الآخرة سنة عشر وألف.

ولأبي طالب المشار إليه سيرة حسنة لا سيما بقتله ابن معتوق[1]، عليه ما يستحق:

توفي أبو طالب في تاسع عشر جمادى الثانية سنة اثنتي عشرة بعد الألف، وتولى مكانه أخوه **إدريس بن الشريف حسن بن أبي نمي**، والسيد **محسن بن السيد حسين**[2].

(١) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «عبد الرحمن بن عتيق».
(٢) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «والسيد محسن بن حسين بن نمي».

/١٨٧ أ

الباب الخامس عشر
في ذكر أقيال اليمن
ولمع من أخبار الاسكندر وسيف بن ذي يزن

قال **المسعودي**: تنازع الناس في اليمن وتسميته يمناً، فمنهم من زعم أنه إنما سُمي يمناً لأنه عن يمين الكعبة.

وأول من تولى الملك والرياسة باليمن **يعرب بن قحطان**، جمع إخوته واستولى على جميع اليمن سنين متطاولة. وهو أول من نطق بالعربية، وأول من حيَّاه ولده بتحية الملك، أبيت اللعن وأنعم صباحاً.

ذكر **السيوطي** أن أول من كتب بالعربية حرب بن أمية، قيل له: «من أين تعلمته؟» قال: «من عبد الله بن جدعان». وهو أخذه من طريق كاتب الوحي لهود، عليه السلام. فلما هلك يعرب ملك بعده ابنه **يشجب بن يعرب**. تولى الملك بعد والده سنين كثيرة.

ثم ملك بعده ابنه **عبد شمس**[١]. ولما ملك أكثر الغزو في أقطار البلاد، وسبى خلقاً كثيراً، وهو أول من فعل ذلك من ولد قحطان، فسمي سبأ، وهو الذي بنى السد بأرض مأرب باليمن، وفجَّر إليه سبعين نهراً، وساق إليه السيول من أمدٍ بعيدة على بعض الأقوال. وكان فرسخاً في فرسخ، وكانت مدة ملكه أربعماية سنة[٢]. وهو المذكور في قوله تعالى: **﴿لقد كان لسَبأ في مَسْكَنهم آيةٌ جَنَّتَان، عن**

---

(١) ويعتبره المسعودي أنه «أول من يعد من ملوك اليمن»، ويقال له أيضاً: «سبأ». انظر: المسعودي، مروج ٣/١٤٩.

(٢) كذا؛ وفي المسعودي (٣/١٥٠): «أربع ماية سنة وأربعاً وثمانين سنة».

يَمينٍ وشمالٍ، كَلوا من رزقِ ربّكم، واشكُروا له بلدةً طيبةَ، وربٍ غفور﴾ الآيةً[١].

ومدينة سبأ كانت على ثلاثة فراسخ من صنعا، ومن جملة طيبتها إثنا عشر طيبة:

الأول: لا عقرب فيها، ولا حية، ولا نملة، ولا جراد؛ ولا براغيث، ولا بعوضة، ولا بق، ولا فار.

والثاني: أن الرجل إذا مر ببلادهم، وفي ثوبه القمل والبراغيث، فيموتون من طيب الهواء.

والثالث: لم يكن فيها مرض، وإذا أتى المريض من مسيرة ألف فرسخ يشفيه الله تعالى من مرضه، لأنه كان يهب فيها نسيم الجنة متى يصل إلى جسد المريض برأ من مرضه[٢].

والرابع: إذا أتوا بذي[٣] العاهات الذي لم يوجد لمرضه دواء[٤]؛ فإذا دخلوا به في تلك/ المدينة يشفيه الله تعالى من ساعته بفضله. /١٨٧ ب

والخامس: لم يكن فيها أعمى، ولا أعور، ولا أحول، ولا أخرس، ولا زمن، ولا أعرج، ولا مجنون، وما أشبه ذلك.

والسادس: إذا أُتي بالمجنون من البلدان ودخل في حدود البلد، واغتسل من مائها يبريه الله من ساعته.

والسابع: إذا زرعوا زرعاً[٥]، وأُدرك الحصاد، وحصدوها وجمعوها[٦]،

---

(١) سورة سبأ؛ الآية ١٥.
(٢) عبارة «لأنه كان يهب ... من مرضه»:ساقطة من (ب).
(٣) الأصل: «بذوي»؛ وفي (ب): «البدوي»؛ وما أثبتناه من (ج).
(٤) الأصل: «التي لم يوجد لمرضها دواء». وما هنا من (ب) و (ج)
(٥) ساقطة من (ج).
(٦) كذا؛ وفي (ب) و (ج): «وحصدوه وجمعوه».

في البيدر ودقوها(1)، فعند ذلك يرسل الله تعالى(2)، ريحاً فيخلص الحبة من التبن.

والثامن: الثياب التي يلبسونها في الصيف فما يزيدون عليها في الشتاء، ولا ينقصون في الصيف.

والتاسع: لم يكن فيها حر الشمس مثل حر سائر البلدان حتى يحتاجوا إلى البرودة.

والعاشر: إذا تزوج الرجل امرأة وجدها بكراً كلما يأتيها.

والحادي عشر: إذا أرادت المرأة أن تضع حملها لم تجد الألم والوجع مثل ما تجد في زماننا بأن يرسل الله، تبارك وتعالى، النوم على المرأة ثم تستيقظ من نومها، فتجد الولد قد انفصل عنها مقطوع السرة، وقد طهرت من نفاسها في الحال(3).

والثاني عشر: إذا ألبست المرأة ولدها قميصاً أو ثوباً وقت صغره، فكلما كبر الولد كبر القميص(4). معه.

وكان الله تعالى قد أعطى لهم النعمة غلى هذه الصورة، فطلب منهم الطاعة على لسان نبيهم الذي بعث إليهم، كان اسمه أثغيا، على نبيّنا وعليه السلام، ولم يطيعوه، فأرسل الله عليهم سيل العرم. فلما رأوا ذلك جمعوا الحدادين والصيّاغين، وبنوا حول المدينة سوراً من الحديد والنحاس والرصاص، فأمهلم الله تعالىماية سنة حتى يكملوا بنيانهم.

فلما كمل ما بنوه، وباتوا تلك الليلة وهم مسرورون آمنون، فأمر الله تعالى الجرد والفار؛ كل واحد مثل الكلب، ولهم أسنان كأمشاط الحديد.

---

(1) كذا؛ وفي (ب): «ودرسوه»؛ وفي (ج): «ودقوه».

(2) كذا في (ج)؛ وفي (ب) «يرسل الله تعالى».

(3) كذا في (ج)؛ بينما تنتهي الفقرة الحادية عشرة في (ب) عند لفظة «الألم»، ويسقط ما بعدها.

(4) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «الثوب».

فلما أصبحوا دخل الماء في المدينة من الأثقاب التي ثقبها الفار والجرذ،
/١٨٨ أ وغرق جميع ما في المدينة من الخلق وغيره، وقد جعل الله بساتينهم/ شوكاً بقدرته[١].

وقيل إن مأرب لقب للملك الذي كان على اليمن، وقيل إن مأرب هو قصر الملك والمدينة سبأ.

ولما هلك سبأ، خلّف عدة أولاد منهم، حمير وعمرو وكهلان.

ولما مات سبأ[٢]، تولى الملك بعده ابنه **حمير**[٣]، وكان أشجع الناس في وقته وأفرسهم وأكثرهم جمالاً، وكان أول من وضع التاج الذهب[٤] على رأسه من ملوك اليمن، وإنما سمي بحمير لكثرة لباسه الثياب الحمر، وكان ملكه خمسماية[٥] سنة.

ولما توفي ملك أخوه **كهلان بن سبأ**، فطالت مدته حتى قربت من ثلاثماية سنة[٦].

ثم عاد الملك بعده إلى ولد حمير[٧]، وهو **وائل بن حمير**.

ثم ملك بعده ابنه **السكسك بن وائل**.

ثم ملك بعده ابنه **يعفر بن السكسك**.

ثم وثب على ملك اليمن **ذو رياش**، وهو عامر بن مازان بن عوف بن حمير.

---

(١) كذا في (ج)؛ وفي (ب) صياغة مختلفة لهذه الرواية.
(٢) العبارات: «ولما هلك سبأ... سبأ»: ساقطة من (ب).
(٣) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «حمير بن سبأ».
(٤) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «المذهب».
(٥) كذا؛ وفي المسعودي (مروج ٣/١٥٠): «وكان ملكه خمسين سنة، وقيل أكثر من ذلك، وقيل أقل».
(٦) كذا؛ وفي المصدر نفسه: «فكان ملكه ثلثماية سنة وقيل أقل من ذلك».
(٧) حول تسلسل ملوك سبأ باليمن، قارن بالمسعودي، مروج ٣/١٥٠ وما بعدها.

ثم نهض من بني واثل **نعمان بن يعفر بن السكسك بن واثل بن حمير**، واجتمع عليه الناس.

ثم ملك بعده ابنه **أمسح بن نعمان** المذكور.

ثم ملك بعده، على قول بعضهم[1]، **عاد بن عوص**.

ثم ولده الأكبر **شديد**.

ثم **شداد بن عاد**. وكان لعاد ابنان: أحدهما شديد والآخر شدّاد، وهو الذي بنى مدينة إرم في بعض صحاري عدن في خمسماية سنة، وكان عمره تسعماية سنة.

ثم ملك بعده ابنه **مرشد بن شداد**، وكان آمن بهود، عليه السلام، وكان يكتم إيمانه من قومه خوفاً من أن يخلعوه.

ولما مات ملك بعده ابنه **عمرو بن مرشد**، وكان هو أيضاً مؤمناً بالله تعالى، يكتم إيمانه، فكانت مدة ملكه ماية سنة. ولما هلك ملك بعده عم أبيه **لقمان بن عاد**، عاش دهراً طويلاً.

ثم ملك بعده أخوه **دوسدد بن عاد**.

ثم ملك بعده ابنه **الحارث**، ويقال له الحارث الرايش، وهو تبع الأول[2]. وكان ملكه ماية وخمساً وعشرين سنة، وكان يسمى الفيلسوف لعقله وأدبه، فتزوج بامرأة من غسان، وكانت على دين الروم، فولدت ذا القرنين، فسماه أبوه الاسكندر.

فلما هلك الحارث تولى مكانه ابنه/ **الاسكندر**، فهو الاسكندر بن فيلسوف الحميري، وإنما نسبته الروم إلى أمه، لأن أباه مات وهو صغير. وكان رجلاً طويل القامة رحب الجبين، اختلف العلماء في نبوته، قال مقاتل: نبي، لأن /١٨٨ ب

(١) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «على بعض الأقوال».
(٢) العبارات «فكانت مدة ملكه... وهو تبع الأول»: ساقطة من (ب).

الله تبارك وتعالى أوحى إليه قوله تعالى: ﴿قلنا يا ذا القَرْنَين﴾[1]، والوحيُ للأنبياء. وقال علي بن أبي طالب، كرم الله وجهه: إنه ليس بنبي، لكنه رجل صالح مطيع لأوامر الله تعالى. قال أبو الحسن في قصيدته:

وذو القَرْنين لم يُعرف نبياً كذا لُقمان فاحذرْ عن جِدال

واختلفوا في نسبه. قال أهل التفسير هو ابن فيلقوس اليوناني أخو دارا الأصغر[2]. وقال **الدميري** في «**حياة الحيوان**»: إنهما اثنان: **أحدهما على عهد** إبراهيم عليه السلام، وهو أول القياصرة، وهو الذي بنى الاسكندرية، قيل إنه عاش ألفاً وستماية سنة، كذا في «**المحاضرة**». **والثاني** قبل مولد المسيح بثلاثماية وثلاث سنين، والغالب أنه كان في الفترة بين عيسى، عليه السلام، وبين نبينا ﷺ. وسبب تسميته بذي القرنين، قيل كان في مقدم رأسه شبه القرنين من لحم، وقيل كان له ذوابتان حسنتان[3]، والذوابة تسمى قرناً، وقيل كان كريم الطرفين من أبيه وأمه.

قال صاحب «**ابتلاء الأخيار**»: كان أبو الاسكندر أعلم أهل الأرض بالنجوم، ولم يراقب أحد الفلك ما راقبه، وكان قد مد الله تعالى له الأجل، فقال ذات ليلة لزوجته: «قد قتلني السهر فدعيني أرقد ساعة، وانظري في السما؛ فإذا رأيت قد طلع في هذا المكان نجم، وأشار إلى موضع طلوعه، فنبهيني[4]، حتى أطأك فتعلقين بولد يعيش إلى آخر الدهر!». وكانت أختها تسمع كلامه، ثم نام أبو الاسكندر، فجعلت أخت زوجته تراقب النجم، فلما طلع، أعلمت زوجها بالقصة، فوطيها فعلقت منه بالخضر، عليه السلام، فهو ابن خالة الاسكندر

(١) سورة الكهف؛ الآية ٨٦.
(٢) العبارة: «أخو دارا الأصغر» ساقطة من (ج).
(٣) ساقطة من (ب).
(٤) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «فأنبهيني».

ووزيره(١). فلما استيقظ أبو الاسكندر رأى النجم قد نزل في غير(٢) البرج الذي كان يرقبه، فقال لزوجته: «هلاَّ نبَّهتني!». فقالت: «استحييت والله!». فقال لها: «أما تعلمين أني أراقب هذا النجم منذ أربعين سنة، / والله لقد ضيّعت عمري في غير شيء، ولكن الساعة يطلع في أثره نجم، فأطأك فتعلقين بولد يملك قرني الشمس(٣)، ولكن لا يعيش كثيراً!». فما لبث أن طلع النجم فواقعها، فحملت بالاسكندر، وولد الاسكندر وابن خالته الخضر في ليلة واحدة. ١٨٩ / أ

وفي «**بلغة الغواص في أوهام الخواص**»(٤)، أن ذا القرنين نشأ يتيماً في بني حمير. اسمه صعب بن جبل وأمه هيلانة، فحملته أمه إلى بيت الصنائع في القسطنطينية، فقالت: «اختر يا بني ما تريد منها!». فرأى صانعاً يصلح تاج الملك فوضع يده عليه، فانتهرته مراراً فلم ينته. وكان يونان الحكيم يبصرهما فناداهما، وقال لأمه [هيلانة]: «أنت هيلانة، وهذا ابنك صعب بن جبل!» قالت: «نعم!». فأخذ منه العهد له ولذريته بالأمان، وقال له: «أنت الملك الذي يسحب ذيله في مشارق الأرض ومغاربها!». وأمر أمه بكتم أمره، فحملته إلى أرض بابل.

فلما بلغ الحلم رأى ثلاث منامات في ثلاث ليال؛ رأى ليلة كأن الأرض كلها خبزاً فأكله، ورأى ليلة أخرى أنه شرب البحار وأكل طينها(٥)، ورأى في اللّيلة الثالثة أنه قد رقي السماء فقدّ نجومها ورماها إلى الأرض، وركب الشمس وسحب بناصيته القمر. فلما أصبح اجتمع بالخضر وقررها عليه، فبشره بالملك الأعظم، فعلت همته واشتدت شوكته، وعظم في قومه، وألقى الله عليه الهيبة، واجتمع مع إبراهيم، عليه السلام، في سفر بقرب مكة، فأعطاه الراية، وعانقه وصافحه، وقبَّله بين عينيه.

(١) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «فعلقت منه بالخضر عليه السلام، وكان حكيماً عظيماً، وكان وزيراً للإسكندر».
(٢) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «عين».
(٣) العبارات؛ «ولكن الساعة... قرني الشمس»: ساقطة من (ب).
(٤) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «وفي بلغة الغواص».
(٥) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «طيبها».

وهو أول من لبس العمامة، وكانوا يلبسون التيجان قبله. وأول ما جمع عليه رأيه أنه أسلم وحسن إسلامه، واستولى [على][1] الملك، فهدم بيوت النيران ببلاد الفرس، وبيوت الأوثان، وأحرق كتبهم، ودعا الناس إلى الإسلام، وبنى اثنتي عشرة مدينة؛ ثلاث مدائن بأعمال خراسان: هراة، ومرو، وسكند[2]، ومدينة بأرض بابل، ومدينة الاسكندرية بمصر والباقي متفرقة.

وذكر **القرطبي** في تفسير قوله تعالى: ﴿**إِنَّا مَكَنَّا له في الأرضِ وآتَيْنَاهُ من**
/١٨٩ ب **كل شَيء سَبَباً**﴾[3]. إن الله تعالى سخر له السحاب ومد له الأسباب، /وسخر له الظلمة والنور، فكانا جنداً من أجناده يهديه النور [مـن][4] أمامه، وتحفظه الظلمة من ورائه، وأحصى عسكره فكانوا ألف ألف وستماية ألف رجل.

فلما بلغ مغرب الشمس وجد جموعاً، لا يحصيها إلا الله تعالى، أصحاب قوة وبأس، فضرب حولهم جند الظلمة مثل الدخان، فأحاط بهم من كل مكان حتى دخلت في أفواههم وأنوفهم وأعينهم، فتحيّروا وأيقنوا بالهلاك، فضجوا إلى الله تعالى فجمعهم في مكان واحد، ودخل عليهم بالنور، فـدعاهم إلى الله تعالى، فآمنوا ودخلوا في طاعته، وفعل مثل ذلك لما بلغ مطلع الشمس. وكان إذا أتى بحراً أو نهراً عظيماً بنى سفناً من ألواح تحمل معه، فنظمها، ثم حمل عليها جميع ما معه.

قال **الطبري**[5]: من حيله في حروبه أنه لما تلقاه ملك الهند بالفيلة، نفرت منها خيل أصحابه، فعاد عنه، وأمر باتخاذ فيلة من نحاس وألبسهـا السلاح، وجعلها مع الخيل حتى ألفتها، ثم عاد إلى الهند. فخرج إليه ملكهم بعساكره وفيله، فأمر الاسكندر، فمليت بطون الفيلة من النفط والكبريت، وركبت على

---

(١) ما بين الحاصرتين يقتضيها السياق.
(٢) كذا في (ب)؛ وفي (ج): اسكندر، ولم نقع عليها في المصادر.
(٣) سورة الكهف؛ الآية ٨٤.
(٤) ما بين الحاصرتين إضافة من (ج).
(٥) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «ومن».

العجل[١]، وجرّت وسط العسكر ومعها جمع من أصحابه.

فلما نشب الحرب أمر بإشعال النار في تلك الفيلة، فلما حميت انكشف أصحابه عنها[٢]، وغشيها فيلة الهند فضربتها بخراطيمها، فاحترقت وولّت هاربة راجعة[٣] على عسكر الهنود، فانهزموا بين يديها، فأهلكت غالب عسكرهم، وقتل ملك الهند لقور[٤]، وانقاد إليه[٥]، جميع ملوك الهند.

يُروى[٦]، أنه لما توجه نحو المشرق، رأى مدناً خراباً فسأل عن سبب ذلك، فقيل له أخربها يأجوج ومأجوج، وشكوا إليه من شرهم، وسألوه أن يجعل بينهما سدّاً، ومكان السد جبلان متقابلان أملسان كالحائط يزلق عنهما كل شيء [لا يرتقي فيهما. فوجد هناك معدنين، فاستخرج منهما ما كفاهما[٧] من الحديد والنحاس. ثم أمر بحفر الأساس حتى بلغ الماء، ثم جمع الحديد والحطب وجعله صفوفاً بعضها فوق بعض، صف حطب، وصف قطع الحديد، حتى ساوى[٨] بالبناء الجبلين. أشعل النار/ في الحطب فحمي الحديد، وأفرغ عليه النحاس المذاب، فصار موضع الحطب النحاس والحديد، واستمر مكانه، فبقي السد كأنه برج مخطط[٩] بسواد الحديد وحمرة النحاس، وجعل ارتفاعه مايتي ذراع وخمسين ذراعاً، وطول السور ما بين الجبلين ماية فرسخ وعرضه خمسون فرسخاً. ١٩٠/ أ

عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، أن يأجوج ومأجوج يخرقون السد كل يوم

(١) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «عجل».
(٢) كذا في (ج)؛ وفي (ب)؛ «فلما حميت أمر أصحابه بالإنكشاف عنها».
(٣) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «فولت راجعة».
(٤) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «لقوره».
(٥) يقصد: إلى الاسكندر.
(٦) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «ويروى».
(٧) كذا؛ وفي (ب): «ما كفاهم»، وفي (ج): «ما كفاه».
(٨) في الأصل و (ج): «ساوا»، وما هنا من (ب).
(٩) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «متخطط».

حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا، فستخرقونه غداً، فيعيده الله تعالى كأشد ما يكون، حتى إذا أراد الله تعالى أن يبعثهم على الناس حفروا حتى إذا كانوا يرون شعاع الشمس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستخرقونه غداً، إن شاء الله تعالى، فيعودون إليه فيجدونه كما تركوه، فيخرقونه ويخرجون على الناس مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان، ثم يهلكهم الله تعالى بالنغف في رقابهم.

فلما فرغ الاسكندر من أمر السد، بلغه أن الله تعالى خلق في الأرض ظلمة لم يطأها أنس ولا جان[1]. وفي تلك الظلمة عين الخلد تنبع من الفردوس من شرب ماءها لم يمت أبداً إلى يوم القيامة.

فلما سمع ذلك تأهب لرؤيتها، وكان مسيره مما يلي القطب الشمالي والشمس جنوبية، فلهذا كان مظلماً، وإلا فليس في الأرض موضع لا تطلع الشمس عليه أبداً[2].

فلما بلغوا أطرف الظلمة، فإذا ظلمة تفور مثل الدخان ليس كظلمة الليل، فعين الخضر عليه السلام على مقدمته بألفي رجل، ومعه أربعة آلاف رجل، فصار الخضر يرتحل[3]، وذو القرنين ينزل مكانه، فسار فيها ثمانية عشر يوماً، فوصل الخضر وادياً وتحقق أن العين فيه، فقال لأصحابه: «قفوا هنا، ولا يبرح رجل من موضعه!». فمشى وحده حتى انتهى إليها، فرأى ماء أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من الشهد، فشرب منه، واغتسل، وتوضأ، وصلى ركعتين، ولبس ثيابه، ثم رجع

(١) بداية الحديث الذي نقله أبو هريرة عن الرسول ﷺ لم ترد في (ب) حيث الصياغة مختلفة، وجاءت كالتالي: «فلما تم بنيانه قال: كما أخبر الله تعالى في كتابه العزيز: هذا رحمة من ربي، فإذا جاء وعد ربي جعله دكاً». فإذا أراد الله تعالى بخروجهم فيخرجون على الناس، مقدمهم بالشام، وساقتهم بخراسان. ثم إن الإسكندر بلغه أن الله تعالى خلق في الأرض ظلمة لم يطأها أنس ولا جان». والتكملة كما في الأصل و (ج).

(٢) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «لا تطلع عليه الشمس أبداً».

(٣) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «يرحل».

فاجتمع مع أصحابه، وأخطأ ذو القرنين الوادي، فسلك في الظلمة أربعين يوماً، ثم انصرفوا راجعين، ورأوا في طريقهم نملاً كالنجاتي، فكانت النملة تخطف الفارس عن فرسه(١). فوصلوا/ العراق، ومات الاسكندر في طريقه بشهر زور، /١٩٠ ب وقيل ببلاد نصيبين، من بلاد ديار ربيعة، بعلة الخوانيق.

فلما اشتد مرضه قال له الحكماء: «إنك لا تموت إلا على أرض من حديد وسقف من ذهب»، فأخذه الرعاف، وكان راكباً، فسقط عن دابته، فبسط درعه على الأرض فنام، فأدركته الشمس، فأظلوه بترس من ذهب، فنظر وهو مضطجع على حديد وفوقه ذهب، فأيقن بالموت. فلما توفي طُلي جسَمه بالأطلية الماسكة لأجزائه، وحمل إلى أمه بالاسكندرية، في تابوت من ذهب، مرصع بالجوهر، ودفن في أرض مصر، وله قبر يعرف بقبر الاسكندر.

وللاسكندر، في أسفاره وقطعه الأقاليم، ومشاهدته الأمم(٢)، وملاقاته الحكماء مع تنائي ديارهم وبعد أوطانهم، واختلاف لغاتهم، وعجائب صورهم، أخبار كثيرة من حروب ومكايد وفنون لا يسعها هذا المختصر، وسنذكر شيئاً من أخباره في ذكر ملوك اليونانيين. وكان عمره ستاً وثلاثين سنة، ومدة ملكه أربع عشرة سنة.

ولما توفي الاسكندر، ملك بعده ابنه **ذو المنار أبرهة**، وإنما سمي ذو المنار لأنه أول من بنى المنار على طريقه في مغازيه ليهتدي بها إذا رجع، وكان ملكه ماية وثلاثاً وثمانين سنة(٣).

ثم ملك بعده ولده **إفريقس بن أبرهة**، وهو الذي نقل البربر من أرض فلسطين ومصر والساحل إلى مساكنهم اليوم. وكانت البربر أهل بعثة يوشع، عليه السلام، وإفريقس هو الذي بنى إفريقية، وبه سميت. وكانت مدة ملكه ماية وأربعاً وستين سنة.

(١) العبارتان: «ورأوا في طريقهم...: عن فرسه» لم تردا في (ب).
(٢) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «للأقاليم».
(٣) كذا في (ج)؛ وفي (ب) والمسعودي (مروج ٣/١٥١): «مماية وثمانين سنة».

ثم ملك بعده أخوه **ذو الإذعار عمرو بن ذي المنار**، وسمي بذي الإذعار، لأنه غزا بلاد النسناس، فقتل منهم مقتلة عظيمة، ورجع إلى اليمن من سبيهم بقوم وجوههم في صدورهم، فذعر الناس منهم، فسمي بذي الإذعار، وكان ملكه خمساً وعشرين سنة.

ثم ملك بعده **شرحبيل بن مالكَ بن الريان**[١].

ثم ملك بعده **الهُدهاد بن شرحبيل**، وهو أبو بلقيس زوجة سليمان، عليه السلام.

وكان أبوه ملكاً عظيم الشأن، قد ولد له أربعون ملكاً هو آخرهم. وكان يملك أرض اليمن كلها، وكان يقول لملوك الأطراف: «ليس أحد منكم كفوءاً
١٩١/أ لي!»/. وأبى أن يتزوج منهم، فخطب من الجن، فزوّجوه امرأة منهم يقال لها ريحانة بنت السكن.

وذكر[٢] في سبب وصوله إلى الجن حتى خطب منه، أنه كان كثير الصيد، فربما اصطاد الجن[٣]، وهم على صور الظبا، فيخلي عنهم، فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك، واتخذه صديقاً، فخطب ابنته فزوجه إياها، وقيل خرج متصيّداً فرأى حيتين تقتتلان بيضاء وسوداء، وقد ظهرت السوداء على البيضاء فقتل السوداء، وأطلق البيضاء، فإذا هو ملك الجن. وكانت السوداء من عبيده قد عصت عليه، ثم ظهرت البيضاء في صورة شاب جميل، فعرض على الملك المال، فاستعفى، وقال: «إن كان لك بنت فزوجنيها»، فزوجه ابنته[٣]، فولدت له بلقيس[٤].

---

(١) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «شرحبيل بن عمرو»، مع الإشارة إلى أن هذا الملك لم يرد ذكره في المسعودي.

(٢) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «وذكروا».

(٣) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «من الجن».

(٤) رواية الحيتين ساقطة من (ب)، ومثبتة في المسعودي: ١٥٢/٣.

فلما توفي أبوها جلست مكان أبيها **بلقيس بنت هدهاد**. فلما استولت على سرير الملك أطاعها الملوك، فكانت تجلس[1]، من كل أسبوع يوماً للحكومة، وتتحجب عن الناس وترخي ستوراً رقيقة بحيث تراهم ولا يرونها، والناس وقوف في حضرتها مطرقين رؤوسهم من هيبتها. وإذا كان لأحد عندها حاجة يسجد لها أولاً، ثم يعرض حاجته، وقد مر بعض وصفها وصفة عرشها في ذكر سليمان، عليه السلام. وكانت مدة ملكها عشرين سنة.

وملك سليمان، عليه السلام، اليمن ثلاثاً وعشرين سنة[2]، ثم عاد من بعده الملك إلى حمير.

وتولى الملك بعده عم بلقيس **ناشر النعم بن شرحبيل**[3]، وكان اسمه مالك بن عمرو بن يعفر بن عمرو الحميري[4]، وسُمي ناشر النعم لإنعامه على الناس. وكان شديد السلطان، وكان ملكه خمساً وثلاثين سنة.

ثم ملك بعده **شَمِّر يرعش بن إفريقس بن أبرهة ذي المنار**، وسمي شمر يرعش لارتعاش كان به، وخرج نحو العراق، ثم توجه يريد الصين ودخل مدينة الصغد وهدمها، فسميت شمركند أي شمر خربها وعمرت بعد، فقيل سمرقند، وقيل الذي بناها شمر يرعش فقيل شمركند[5]، فعرّبت فقيل سمرقند.

ثم ملك بعده/ ابنه **أبو مالك بن شمر**[6]. /١٩١ ب

ثم ملك بعده **عمران بن عامر الأُزدي**[7]، من نسل كهلان بن سبأ.

---

(١) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «في».

(٢) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «وكانت مدة ملكها باليمن ثلاثاً وعشرين سنة». وفي المسعودي (١٥٣/٣ ـ ١٥٤): «فكان ملك بلقيس عشرين وماية سنة... فملك سليمان اليمن ثلاثاً وعشرين سنة».

(٣) كذا في النسخ الثلاث؛ وفي المسعودي، نفسه: «ياسر بن عبد بن يعفر».

(٤) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «مالك».

(٥) العبارات: «وعمرت بعد... فقيل شمركند»؛ ساقطة من (ب).

(٦) لم يرد ذكره في المسعودي.

(٧) لم يرد ذكره في المصدر نفسه.

ثم ملك بعده أخوه **عمرو بن عامر الازدي المزيقيا**[1]، وإنما سمي مزيقيا لأنه كان يلبس في كل يوم حلة أو حلتين، فإذا أمسى مزقها لئلا يلبسها أحد غيره. وهو الذي أحس بسيل العرم، المقدم ذكره، وخرج من اليمن إلى أرض عك[2]، وتوفي بها، ثم تفرق أولاده إلى البلاد.

وقد ذكر في كتب السير والتفاسير أن أرض مأرب كانت العمارة فيها أكثر من مسيرة شهرين للمجدّ[3]. وكانوا يقتبسون النار من بعضهم بعضاً[4] مسيرة ستة أشهر، وكانت المرأة إذا أرادت أن تجني من ثمرها شيئاً وضعت مكتلها على رأسها، وخرجت تمشي تحت الأشجار، وهي تغزل أو تعمل ما شاءت، فلا ترجع حتى يمتلي مكتلها مما شاءت من الثمار التي تتساقط طيباً. وكانوا لا يرون بها السوء من حسن هوائها. وكان متجرهم من اليمن إلى الشام، يبيتون بقرية ويقيلون بأخرى[5]، ذات مياه وأشجار لا يحتاجون إلى حمل زاد أصلاً.

قيل كانت قراهم أربعة آلاف وسبعماية متصلة من سبأ إلى الشام. ثم إنهم بطروا النعمة وسئموا الراحة، فقالوا: «ربنا باعد بين أسفارنا، فاجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز لنركب فيها الرواحل، ونتزود الأزواد!»، فجعل الله لهم الإجابة، فأخرب بلادهم.

ثم ملك اليمن من بعده أخوه **الأقرن**[6].

ثم ملك بعده ابنه **ذو حبشان**[7]، وهو الذي أوقع بطسم وجديس، وذكر بعضهم أن الذي أوقع بجديس وطسم هو حسان بن تبع، والله أعلم.

---

(١) لم يرد ذكره في المسعودي.
(٢) يقصد أرض عك بن عدنان.
(٣) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «للراكب المجد».
(٤) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «بعضهم من بعضهم».
(٥) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «بقرية».
(٦) في المسعودي (١٥٤/٣): «تبع الأقرن بن شمر».
(٧) لم يرد ذكره في المصدر نفسه.

ثم ملك الأمر بعد حبشان أخوه **تبع بن الأقرن**، وكان غزا بلاد الروم حتى بلغ وادي الياقوت، فمات قبل أن يدخله، وكان ملكه مابة وخمسين سنة.

ثم ملك بعده **مليك يكرب**[1]، وطال زمانه حتى قيل إنه ملك أكثر من ثلاثماية سنة[2].

ثم ملك بعده **أبو كرب أسعد بن مليك يكرب**، وهو تبع الأوسط الذي ذكره الله تعالى في القرآن، وكان آمن بنبينا محمد ﷺ، قبل أن يبعث/ بسبعماية عام. ١٩٢/أ
وهو أول من كسا البيت الحرام، وأوصى أهله بنظره، وكان له باباً ومفتاحاً، وكان يدين بدين اليهودية، فمن هناك كان أصل اليهودية باليمن[3].

ثم قتل أبو كرب، وتولى مكانه ابنه **حسان بن تبع**، فتتبع قتلة أبيه فقتلهم عن آخرهم. وهو الملك السائر من اليمن إلى يثرب، وبنى بيوتها وأراد هدم الكعبة، فمنعه من كان معه من أحبار اليهود، فكساها القصب اليماني، وكان ملكه خمساً وعشرين سنة.

ثم قتله أخوه عمرو بن تبع، فتوارثته الأسقام حتى كان لا يمضي إلى لخلاء إلا محمولاً على نعش، فسمي **ذا الأعواد** لذلك. وكان ملكه أربعاً وستين سنة[4]، وكان يتفحص كتب آبائه، فوجد بعثة النبي ﷺ في كتب جده إفريقس بن أبرهة، فآمن به، وقال في ذلك:

فيا ليت ذا الأعواد أدرك أحمدا ... فيعقل عنه كل من جار واعتدى
ويا ليت ذا الأعواد أُخِّر يومُه ... إلى أن يرى ذا المكرمات محمدا
شهدتُ بأن الله لا ربّ غيره ... وإني له أضحيت عبداً موحِّدا
وإن الذي يعطيه صفقة كفّه ... على نصره يوماً فقد فاز واهتدى

(١) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «كليكرب»؛ وفي المسعودي: «ملكيكرب بن تبع».
(٢) كذا؛ وفي المصدر نفسه؛ «فكان ملكه ماية سنة وعشرين سنة».
(٣) قارن بالمسعودي ٣/١٥٥.
(٤) قارن بالمصدر نفسه: ١٥٤ ـ ١٥٥.

ثم ملك بعده **عبد كلال بن ذي الأعواد**(١).

ثم ملك بعده **تبع بن حسان بن مليك يكرب**، وهو تبع الأصغر.

ثم ملك بعده ابن أخيه **الحارث بن عمرو**(٢).

ثم ملك بعده **مرثد بن كلال**(٣)، وكان ملكه أربعين سنة، ثم تفرقت بعده ملوك حمير.

والذي اشتهر بعده أنه ملك **وليعة بن مرثد** مدة تسع وثلاثين سنة.

ثم ملك بعده **أبرهة بن الصباح**(٤)، فكان ملكه ثلاثاً وتسعين سنة(٥).

ثم ملك بعده **ابن دقيقان**(٦) الذي كان له سيف عمرو بن معدي كرب المعروف بالصمصامة، وفي ذلك يقول:

وسيف لابن دقيقان عندي ... تخيّر نصله من عهد عادِ

وذكر أن مَلك الروم أهدى إلى الرشيد جملة سيوف قلعية، فأمر الرشيد بإحضار صمصامة عمرو ليحقر عندهم سيوفهم(٧)، فجعل يقط بها السيوف سيفاً

١٩٢/ب فسيفاً كما يقط الفجل في حضور رسل / ملك الروم، ثم أراهم حد الصمصامة، فإذا ليس به فلّ ولا أثر. وكان مدة ملكه تسع عشرة سنة.

ثم ملك بعده **لخثيعة**(٨) **ذو الشناتر**، لقب به لأصبع زايدة له، ولم يكن من أهل بيت الملك. وكان ينكح الأحداث من أبناء الملوك لئلا يملكوا لأنهم لم يكونوا يملكون من نُكح.

ولم يزل يظهر الفسق واللواط، وعدل مع ذلك في الرعية، وأنصف

(١)(٢) لم يرد ذكرهما في المصدر نفسه.

(٣) كذا في أبي الفدا، المختصر ٦٨/١؛ وفي المصدر نفسه: «مرثد بن عبد كلال».

(٤) كذا؛ وفي المسعودي: «أبرهة بن الصباح بن وليعة بن مرثد»، وكان يدعى شبيه الخير.

(٥) كذا؛ وفي المصدر نفسه: «فكان ملكه ثلاثاً وتسعين سنة، وقيل أقل من ذلك».

(٦) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «عمرو بن دقيقان»؛ وفي المصدر نفسه (١٥٥/٣): «عمرو بن ذي قيقان».

(٧) العبارتان: «فأمر الرشيد ... سيوفهم» ساقطتان من (ب).

(٨) كذا؛ وفي (ب): «يخشيعة»؛ وفي (ج): «لخنيعة». أما في المسعودي، المصدر السابق: «لخنية».

المظلوم، وبعث[1] إلى يوسف ذي نُواس، وكان من أبناء الملوك، فلما أتاه الرسول عرف ما يريده، فأخذ سكيناً لطيفاً فأخفاه بين نعله وقدمه. فلما خلى معه وثب إليه ذو نواس، فقضى عليه ثم حز رأسه، وكان في قصره كوة يشرف منها على عبيده، إذا قضى حاجته من الغلام الذي يباضعه، فوضع الرأس فيها، ثم خرج على العبيد، فقالوا له: «يا أبا نواس، أرطب أم يابس؟». فقال لهم: «سلوا الخناس، شيطان ذو نواس!»[2]، أي سلوا الرأس الذي في الكوة يخبركم، واتركوا ذا نواس.

فلما رأوا ما فعل ذو نواس بلخثيعة، قالوا: «ينبغي أن لا يملّك علينا غيره الذي أراحنا منه!»، فملكوا **ذو نواس**، واسمه يوسف[3]، وكان يهودياً جباراً، وهو صاحب الأخدود الذي ذكره الله تعالى في القرآن، قال مقاتل: كانت الأخدود التي في الدنيا ثلاثة: واحد بنجران ليوسف المذكور، وكانت في الفترة قبل البعث[4]، بسبعين سنة، والثانية بالشام لانطياقوس الرومي، والثالثة بفارس لبخت نصر.

فأما التي بالشام وفارس فلم تذكر في القرآن، وأُنزل في التي كانت بنجران، كذا في «**معالم التنزيل**».

قيل أطيب البلاد نجران من الحجاز، وصنعاء من اليمن، ودمشق من الشام، والري من خراسان، وبروسا من الروم.

ثم غلب أرياط على اليمن، فخرج ذو نواس هارباً بعد حروب طويلة خوفاً من العار، فاقتحم البحر بفرسه فغرق، وهو آخر من ملك من أهل اليمن. وكان مدة ملكه ستا وستين سنة[5]، فجملة زمان ولايتهم نحو ثلاثة آلاف سنة.

(١) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «وكان بعث».
(٢) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «سلوا الشيطان الخناس، وليترك ذو نواس».
(٣) وفي المسعودي (١٥٦/٣): «يوسف ذو نواس بن زرعة بن تبع الأصغر بن حسان بن تبع بن أبي كرب».
(٤) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «البعثة».
(٥) كذا؛ وفي المسعودي (١٥٧/٣): «فكان ملكه مايتي سنة وستين سنة، وقيل أقل من ذلك بكثير».

وسبب استيلاء الحبشة على اليمن أن النجاشي ملك الحبشة، لما بلغه
١٩٣/أ فعل ذي نواس بأتباع المسيح، وما يعذبهم به من أنواع/ العذاب والتحريق[١] بالنيران، عبر الحبشة إليهم وعليهم **أرياط بن أضخم**[٢]، فملك اليمن عشرين سنة، ثم وثب عليه **أبرهة الأشرم**[٣] **أبو يكسوم** فقتله، وملك اليمن.

فلما بلغ النجاشي ذلك غضب وحلف بالمسيح أن يجز[٤] ناصيته ويهرق دمه ويطأ تربته، يعني أرض اليمن. فبلغ ذلك أبرهة فجز ناصيته وجعلها في حُقّ من عاج، وجعل[٥] من دمه في قارورة، وجعل من تربة اليمن في جراب، وأنفذ ذلك إلى النجاشي ملك الحبشة وضم إلى ذلك هدايا كثيرة وألطافاً، وكتب إليه يعترف له بالعبودية، ويحلف له بدين النصرانية أنه في طاعته، وأنه بلغه أن الملك حلف بالمسيح أن يجز ناصيتي ويريق دمي ويطأ أرضي، وقد أنفذت إلى الملك بناصيتي فليجزها بيده، وبدمي في قارورة فليهرقه، وبجراب من تربة بلادي فليطأها بقدمه، وليطف الملك عني[٦] غضبه، فلقد بررت يمينه وهو على سرير الملك.

فلما وصل ذلك إلى النجاشي استصاب رأيه واستحسن عقله، وصفح عنه، وكان ذلك في ملك قباذ ملك فارس.

وأبرهة أبو يكسوم هو الذي سار بأصحاب الفيل إلى مكة لإخراب الكعبة، وذلك لأربعين سنة خلت من ملك أنوشروان، فعدل إلى الطائف، فبعثت معه ثقيف بأبي رغال[٧] ليدله على الطريق السهل[٨] إلى مكة، فهلك أبو رغال

(١) كذا في (ج) والمسعودي؛ وفي (ب): «الحريق».
(٢) كذا في (ب) والمسعودي؛ وفي (ج): «الأضخمة».
(٣) في الأصل و(ب): «أخو»؛ وما هنا من (ج) والمسعودي.
(٤) في الأصل و(ب): «يأخذ»؛ وما هنا من (ج) والمسعودي.
(٥) لفظة «جعل» لم ترد في (ب).
(٦) لفظة «عني» ساقطة من (ب).
(٧) كذا في (ج) والمسعودي (١٥٩/٣)؛ وفي (ب): «ابن أبي رعال».
(٨) في الأصل و(ب): «السفلى»؛ وما هنا من (ج) والمصدر نفسه.

بالطريق في موضع يقال له المُغَمَّس، بين الطائف ومكة، فرجم قبره بعد ذلك[1].

فلما قرب أبرهة مكة، أمر عبد المطلب قريشاً أن تلحق ببطون الأودية ورؤوس الجبال من مضرة الحبشة، وقلّد الإبل النعال وخلّاها في الحرم، وهو يقول:

يـا رب إن المرء يمنـع رحله فـامنـع رحـالـكْ
لا يـغـلبـنَّ صـليبـهـم ومحالهم غدواً محـالكْ

ذكر العلامة أبو السعود في تفسيره أن أبرهة بنى بصنعا كنيسة وسماها القليس، وأراد أن يصرف إليها الحاج، فخرج رجل من كنانة، فقعد فيها ليلاً فأغضبه ذلك. وقيل أججت رفقة من العرب ناراً فحملتها الريح فأحرقتها، فحلف ليهدمنَّ الكعبة. فخرج مع الحبشة ومعه فيل اسمه محمود، وكان قوياً عظيماً، واثنا عشر فيلاً غيره، وقيل ثمانية، وقيل ألف فيل، وكان أبرهة أخذ لعبد المطلب مايتي بعيراً التي كان خلّاهـا في الحرم، فخرج إليه في شأنها. فلما رآه أبرهة عظم في عينه وأجلسه معه على سريره، وقال لترجمانه: «قل له ما حاجتك؟». فلما ذكر له المايتي بعير، قال: «سقطت من عيني حيث جئت لأهدم البيت الذي هو دينك ودين آبائك، ولا تكلمني فيه، إلهك عند إبل أخذت لك؟». فقال عبد المطلب: «أنا رب الإبل، وإن للبيت رباً يحميه!». ثم رجع عبد المطلب، وأتى باب الكعبة، وأخذ بحلقته ومعه نفر من قريش يدعون الله عز وجل، فأرسل الله عليهم الطير الأبابيل أمثال اليعاسيب، ترميهم بحجارة من سجيل، وهو طين مختلط بحجارة، خرجت من البحر[2]، مع كل طير ثلاثة أحجار، فأتلفهم الله تعالى، وجعلت

(١) عن سبب مقتل أبي رغال، يذكر المسعودي أن صالح النبي كان قد وجهه على صدقات الأموال، فخالف أمره وأساء السيرة، فوثب عليه ثقيف، وهو قسي بن منبه، فقتله قتلة شنيعة لسوء سيرته في أهل الحرم.
المسعودي ٣/١٥٩ ـ ١٦١.

(٢) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «وهو مختلط بحجارة من البحر».

الحبشة يومئذ[1] تسأل عن دليلها على الرجوع، وقد تاهوا.

/١٩٣ ب وذكر في «حدائق الأذهان» أن أبرهة بعد أن رجع من الحرم سقطت/ أنامله وتقطعت أوصاله حتى بعث الله عليه الطير الأبابيل فأهلكه، وكانت مدة ملكه إلى أن هلك نحو خمسين سنة.

وتولى مكانه ابنه **يكسوم بن أبرهة**، فعم أذاه سائر اليمن، وكان ملكه إلى أن هلك سنتين.

ثم ملك بعده **مسروق بن أبرهة**، فاشتدت وطأته على اليمن، وعم أذاه سائر الناس، وزاد على أبيه وأخيه في الأذى[2]. وكانت أمه من آل ذي يزن، وكان سيف بن ذي يزن الحميري، وكان يكنى بأبي مرة، قد ركب البحار ومضى إلى قيصر يستجيره، فأقام ببابه سبع سنين، فلم ينجده لبعد بلاده وقلّة خيرها[3]، فمضى إلى كسرى أنو شروان يستنجده، فوعده أنو شروان بالنصرة، واشتغل بحرب الروم وغيرها من الأمم.

ومات سيف بن ذي يزن، فأتاه[4] ابنه **معدي كرب بن سيف**، فصاح على باب الملك، فلما سأل عن حاله، قال: «لي قبل الملك ميراث!». فوقف بين يدي أنو شروان، فسأله عن ميراثه، فقال له: «أنا ابن الشيخ الذي وعده الملك النصر على الحبشة!». قال: «ما لي حاجة في بلادك الآن، في سجوننا رجال حبستهم للقتل نبعثهم معك، فإن هلكوا هلكوا، وإن ظفروا نلت مناك وازددت ملكاً إلى ملكي!». فبعثهم وهم، ثمانماية[5] رجل، واستعمل عليهم وهرز بن أصبهبذ

(١) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «حينئذ».

(٢) في الأصل: «الأذا».

(٣) يزعم المسعودي أن سبب تخلف ملك الروم عن مؤازرة سيف بن ذي يزن ضد الحبشة يعود إلى أن هذا الأخير كان يهودياً، وقال له: «أنتم يهود والحبشة نصارى، وليس في الديانة أن ننصر المخالف على الموافق».

المسعودي ١٦٢/٣.

(٤) الضمير عائد لأنوشروان.

(٥) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «ثمانية آلاف».

الديلمي(١)، وكان أفضلهم حسباً ونسباً، فحملوا في ثمان سفاين من دجلة ومعهم خيولهم وغلمانهم وعددهم، حتى أتوا أبلّة البصرة، وهي فرج البحر، ولم يكن يومئذٍ بصرة ولا كوفة، وهذه مدن إسلامية، فركبوا في سفن البحر وساروا حتى أتوا ساحل حضرموت موضعاً يقال له مثوب(٢)، فخرجوا من السفن، وقد كان أصيب بعضهم في البحر، فأمرهم وهرز أن يحرقوا السفن، ويعلموا أنه الموت ولا مفر منه، فيجهدون أنفسهم.

فنما خبرهم إلى ملك اليمن مسروق بن أبرهة، فأتاهم في ماية ألف من الحبشة وغيرهم، فتصاف القوم، وكان مسروق على فيل عظيم، فقال وهرز لمن كان معه من الفرس: «اصدقوهم الحملة، واستشعروا الصبر!».

ثم تأمل ملكهم وقد نزل عن الفيل فركب جملاً، ثم نزل عن الجمل فركب فرساً، ثم أنف من محاربة الفرس/ على فرس استصغاراً لأصحاب السفن، فدعا /١٩٤ أ بحمار فركبه، فقال وهرز: «ذهب ملكه وتنقل عن كبير إلى صغير!». وكان بين عيني مسروق ياقوته حمراء، معلقة في تاجه بمعلاق من الذهب تضيء كالنار، فرماه وهرز بسهم في جبهته فقتله، وكان مجيد الرمي لا يوتر قوسه غيره لشدتها.

ثم حملت الفرس عليهم، فانهزموا فقتل منهم نحو ثلاثين ألفاً.

وقد كان أنو شروان شرط على معدي كرب شروطاً منها: أن الفرس تتزوج من اليمن ولا تتزوج اليمن منها، وخراجها يحمل إليه، فتوَّج وهرز لمعدي كرب بتاج كان معه(٣)، وبدلة من الفضة ألبسه إياها، وكتب إلى أنو شروان بالفتح، وأخرجت الحبشة من اليمن، وكانت معهم نحو اثنتين وسبعين سنة، ثم عاد ملك اليمن إلى حمير، وكان مدة مسروق إلى أن قتل ثلاث سنين.

وكان معدي كرب، بعد أن جلس على سرير الملك، وأتته الوفود من العرب

---

(١) كذا؛ وفي المسعودي (١٦٣/٣): «وهرز أصبهبد الديلم».

(٢) الأصل: «موت»؛ وما أثبتناه من المصدر نفسه: ١٦٤.

(٣) في المسعودي (١٦٥/٣): «وغيرهم من حمير وكهلان، ومن سائر من يسكن اليمن».

تهنيّه بعود الملك إليهم، قد اصطفى جماعة من الحبشان وجعلهم من خاصته، فاغتالوه وقتلوه، وبه انقطع المُلك باليمن عن أولاد سبأ.

وكان وهرز والي معدي كرب، فأعلم ملك الفرس بذلك، فسير له من البر أربعة آلاف من الأساورة وأمره بإصلاح اليمن، وأن لا يُبقي أحداً من الحبشة، فأتى وهرز اليمن ونزل صنعا[1]، فلم يترك أحداً من السودان ولا من أنسابهم، وملّك أنو شروان وهرز على اليمن إلى أن هلك بصنعا.

ثم ملك بعده ولده مرزبان بن وهرز إلى أن هلك، فولى كسرى مكانه رجلاً من فارس يقال له **سيحان**[2].

ثم مات سيحان فأمَّر كسرى ابنه جرجس، ثم عزله.

وأمر **بازان**[3] **بن ساسان**، فلم يزل عليها حتى بعث رسول الله ﷺ، وأسلم بازان المذكور[4].

وكان سبب إسلامه، أن النبي، ﷺ[5]، لما أرسل كتاباً لكسرى يدعوه إلى الإسلام، فمزقه وأمر بازان المذكور، وهو ملك اليمن أن ارسل إليَّ رأس هذا الذي يدّعي أنه نبي، فأرسل بازان قاصده إلى المدينة لينظر حيلة في قتل النبي ﷺ، فأوحى الله تعالى إلى نبيه ما أضمر بازان وقاصده، فأخبر النبي ﷺ القاصد أن كسرى قتل في يوم كذا، في شهر كذا، فرجع القاصد خايباً خاسراً. فما لبث أن جاء الخبر بقتله، فأسلم بازان ومن معه وحسن إسلامه، وتوفي بازان في السنة العاشرة من الهجرة، وعين رسول الله ﷺ بعضاً من اليمن إلى ابنه شهر بن بازان، وهو أول أمير ولي باليمن في الإسلام.

(١) ساقطة من (ب).
(٢) كذا؛ في المسعودي: «سبحان».
(٣) كذا؛ وفي المصدر نفسه: «باذان».
(٤) عبارة: «وأسلم بازان المذكور» ساقطة من (ب).
(٥) العبارتان: «وكان سبب إسلامه... وسلم» ساقطة من (ب).

وقد ذكرنا جوامع من أخبار اليمن وملوكها، فلنذكر الآن ملوك الحيرة من بني نضر وغيرهم للحوقهم باليمن، ثم نعقب ذلك بملوك الشام من اليمن وغيرهم إن شاء الله تعالى وتعاظم.

الباب السادس عشر
في ذكر ملوك الحيرة
وما سلكوه من السيرة /

وكانت دولتهم من أعظم دول ملوك العرب، أولهم:

مالك بن فهم الأزدي [١]، وكان خرج مع عمرو لما أحس بسيل العـرم باليمن ونزل بالحيرة. وكان ملكاً على مشارق الشام إلى الفرات من قبل الروم، وكانت دياره بالموضع المعروف بالمضيق من بلاد الخانوقة وقرقيسيا[٢]، وكان ملكه في أيام ملوك الطوائف، وكانت مدة ملكه على الحيرة عشرين سنة.

ثم ملك بعده أخوه **عمرو بن فهم الأزدي**.

ثم ملك بعده ابن أخيه **جذيمة الوضاح**، وكان يقال له الأبرش لبرص كان به. وهو أول من عمل له المنجنيق من ملوك العرب، وأول من جذيت له البغال، وأول من رفع بين يديه الشمع. وكان من تجبره لا ينادم أحداً من الناس، وكان ينادم الفرقدين، وإذا شرب قدحاً صب لهذا قدحاً ولهذا قدحاً.

وكان جذيمة جمع[٣] غلماناً من أبناء الملوك يخدمونه، منهم عدي بن نصر بن ربيعة من ولد لخم بن عمرو بن سبأ، وكان جميلاً فعشقته رقاش أخت

---

(١) والأزد من ولد كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.
أبو الفدا ١/٦٩.

(٢) ساقطة من (ب)؛ وفي الأصل و(ج): «قرقيسا»؛ وفي المسعودي: «قرقيسيا»، مدينة واقعة في مثلث بين نهري الخابور والفرات، من الإقليم الرابع.
ياقوت، معجم ٤/٣٢٨ - ٣٢٩.

(٣) ساقطة من (ب).

جذيمة، فقالت له: «إذا أسقيت الملك فسكر، اخطبني إليه، فإنه يزوجك، وأشهد القوم عليه!». فلما سقى عدي [جذيمة](١)، وسكر، قال له: «سلني ما أحببت؟». قال: «زوّجني أختك رقاش». قال: «قد فعلت!». فخطبها، وأشهد القوم عليه، فعلمت رقاش أنه سينكر إذا أفاق، فقالت: «ادخل عليّ!»، ففعل. فلما أصبح جذيمة وعلم بذلك عظم عليه، فهرب عدي المذكور ولحق بقومه، وقيل إنه ظفر به وقتله، وحبلت رقاش، فقال لها جذيمة:

حدّثيني وأنت غير كذوبٍ(٢) أبِحُرٍّ زنيت أم بهجينِ
أم بعبدٍ وأنت أهل لعبدٍ أم بدونٍ وأنت أهل لدونِ

فأجابته رقاش تقول:

أنت زوّجتني وما كنت أدري وأتاني النساء للتزيينِ
ذاك من شربك المدامة صرفاً وتماديك في الصبا والمجونِ

فنقلها جذيمة إليه وحصّنها في قصره، وجاءت بولد وسمته عمراً وتبناه جذيمة وأحبه حباً شديداً، وكان لا يولد له ولد، ثم عدم الغلام، وتزعم العرب أن
١٩٥/أ الجن اختطفته ثم وجده رجلان، يقال/ لأحدهما مالك وللآخر عقيل، بوادي سماوة(٣)، فحملاه إلى جذيمة، وذلك بعد أن بالغ جذيمة في السؤال عنه في الآفاق فعرفه وضمه إليه، وقال لهما: «اطلبا ما شئتما؟» فقالا له: «نطلب منادمتك ما بقيت وبقينا!». وهما اللذان يضرب بهما المثل فيقال: «كندماني جذيمة»، ويقال إنهما نادماه أربعين سنة، ولم يعيدا عليه حديثاً.

وفي أيامه، كان قد ملك الجزيرة وأعمال الفرات ومشارق الشام رجل من العمالقة، يقال له عمرو بن قطرب بن حسان العمليقي، فجرى بينه وبين جذيمة

---

(١) ما بين الحاصرتين اقتضاه السياق.
(٢) كذا؛ وفي أبي الفدا، المختصر (١/٦٩): «خبريني رقاش لا تكذبي».
(٣) وهي بين الكوفة والشام، وقيل: سميت بالسماوة لأنها أرض مستوية لا حجر بها. ياقوت ٣/٢٤٥.

حروب، فانتصر جذيمة عليه وقتل عمرو. وكان لعمرو بنت تدعى الزَّباء واسمها نايلة، فملكت بعده، وبنت مدينتين متقابلتين على شاطىء الفرات من الجانب الشرقي والغربي، وهما اليوم خراب.

وكان فيما ذكر[1] قد أسقفت الفرات[2]، وجعلته طريقاً بين مدينتيها، وأخذت في الحيلة على جذيمة وأطمعته بنفسها حتى اغتر، وكانت بكراً، فجمع جذيمة أصحابه فاستشارهم، فأشاروا عليه بالمضي إليها، وخالفهم قصير بن سعد تابع، كان له من لخم، وقال له: «لا تفعل!». فخالفه، وقدم إليها فظفرت به وقتلته، وأخذت بثأر أبيها.

فلما قتل جذيمة، ملك بعده ابن أخته[3] **عمرو بن عدي**، وأخذ في الحيلة، فاتفق عمرو مع قصير، وجذع أنف قصير، فضربه بالسياط، وهرب قصير على تلك الحالة إلى الزبَّاء على أنه مغاضب لعمرو. فلما رأته على تلك الحالة أنعمت عليه وقربته، وصار من أخصائها.

وكان قصير يتجر للزبَّاء[4]، ويأخذ المال من مولاه ويعطيه للزبَّاء على أنه كسب متجرها مرة بعد أخرى، حتى أتى بقفل نحو ألف جمل من الصناديق وأقفالها من داخل، وفيها رجال معتدون للحرب. فلما شاهدت الزبَّاء ثقل تلك الأحمال ارتابت منها، وقالت:

ما للجمال مشيها وئيدا[5] أجندلاً يحملن أم حديدا
أم صرفانا بارداً شديدا أم الرجال جثَّماً قعودا

فلما دخلت الإبل إلى حصن الزبَّاء خرجت الرجال من الصناديق، وأخذوا

(١) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «فيما قيل».
(٢) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «أسقفت الفرات من الجانب الشرقي». قارن بالمسعودي ١٨٩/٣ - ١٩٠.
(٣) يقصد: ابن رقاش.
(٤) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «فجعل يتجر للزبا».
(٥) كذا في (ج) والمسعودي وأبي الفدا؛ وفي (ب): «رويداً».

المدينة عنوة، فخرجت الزبّاء هاربة من قصرها إلى سرب تبعد منه إلى حصن أختها[1]، في الجانب الآخر، وكان قصير قد وقف على طريق السرب، فأبصرت قصيراً ومعه عمرو وبيده السيف، فمَصّت خاتماً كان في يدها فيه سمّ ساعة، وقالت: /«بيدي لأبيد عمرو!»فذهبت مثلاً، وخربت المدينة وسبيت الذراري[2]، ١٩٥/ب
وأخذ عمرو بثأر خاله جذيمة، وطال ملكه إلى أن بلغماية سنة.

ثم ملك بعده ابنه **امرؤ القيس بن عمرو** مدة[3] ستين سنة.

ثم ملك بعده **عمرو بن امرىء القيس** خمساً وعشرين سنة. وكان ملكه في أيام سابور ذي الأكتاف، وكانت أمه مارية التي يضرب المثل بقرطها، فيقال: «قرط مارية».

ثم ملك بعده من العمالقة **أوس بن قلام العمليقي**.

ثم ملك آخر من العماليق.

ثم رجع الملك إلى بني عمرو بن عدي بن نضر بن ربيعة اللخميين المذكورين، وملك منهم **امرؤ القيس الثاني** المعروف بالمحرق، لأنه أول من عاقب النار.

ثم ملك بعده **النعمان الأعور بن امرىء القيس**، وهو الذي بنى الخورنق وكردس الكراديس، وبقي في الملك ثلاثين سنة. ويقال إنه أشرف يوماً على جانب الخورنق، فقال: «أكل ما أراه إلى نفاد!». فقيل له: «نعم!». فتزهد وخرج عن الملك، فقال: «أي خير في ملك آخره إلى نفاد؟». وكان ذلك في زمن بهرام جور.

ولما تزهد ملك بعده ابنه **المنذر بن النعمان**.

(١) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «إلى السرب الذي اتخذته تحت الفرات إلى حصن أختها».
(٢) يذكر المسعودي هذه الرواية إضافة إلى رواية أخرى.
المسعودي ٣/١٩٧ - ١٩٨.
(٣) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «مدته».

ثم ملك بعده ابنه **الأسود بن المنذر**، قتلته غسان[1]، وانتصرت عليه[2].

ثم ملك بعده أخوه **المنذر بن المنذر بن النعمان**.

ثم ملك بعده **علقمة الذميلي**[3]، وذميل بطن من لخم.

ثم ملك بعده **امرؤ القيس بن النعمان**، وهو الذي قتل سنمار الذي بنى لامرىء القيس قصره لئلا يبني لغيره مثله، فألقاه من أعلاه. قيل: إنه كان واقفاً يوماً بين يدي الملك، وذكر القصر وحسن بنائه، فاعتز وقال: «والله أقدر أن أبني قصراً بديعاً كلما مضت ساعة من النهار تَلوَّن بلون الشمس!». فغضب امرؤ القيس وقال: «قصَّرت في حقي!». فأمر به، فألقي من أعلى القصر، فمات. قال الشاعر:

وَمَنْ يفعل المعروف مع غير أهلهِ   يُجازِ الّذي جوزي قديماً سنمارُ

ثم ملك بعده ابنه **المنذر بن امرىء القيس**، ويقال لأمه ماء السماء لحسنها وجمالها واسمها مارية[4]، وقيل لولدها بنو ماء السمّاء، وطرد كسرى قباذ المنذر المذكور عن ملك الحيرة[5]، وولى / مكانه **الحارث بن عمرو بن حجر الكندي**. /١٩٦ أ

ثم لما تمكّن كسرى أنوشروان في الملك، طرد الحارث وأعاد المنذر المذكور.

ثم ملك بعده **عمرو بن المنذر**[6]، أربعاً وعشرين سنة. ولثمان سنين مضت من ملكه كان مولد النبي ﷺ.

(١) يقصد قبيلة غسان.

(٢) قارن بما ورد في أبي الفدا، المختصر ١/٧٠-٧١.

(٣) كذا في (ج) وأبي الفدا؛ وفي (ب): «الديلمي».

(٤) مارية بنت عوف بن النمر بن قاسط النوارية، المعروفة بماء السماء. المسعودي ٣/٢٠٠.

(٥) يشير أبو الفدا (المختصر ١/٧١) إلى أن السبب في طرد كسرى قباذ للمنذر، وتوليته للحارث بن عمرو الكندي مكانه، أن قباذ كان قد دخل في دين مردك، ووافقه الحارث، ولم يوافقه المنذر فطرده لذلك.

(٦) وهو عمرو بن المنذر بن ماء السماء، المعروف بعمر بن هند، نسبة الى أمه. المصدر نفسه: ٧١-٧٢.

ثم ملك بعده أخوه **قابوس بن المنـذر**[1].

ثم ملك بعده أخوهما **المنذر بن المنذر بن امرىء القيس**.

ثم ملك بعده **النعمان بن المنذر بن ماء السماء**، ملك اثنتين وعشرين سنة، وقتله كسرى أبرويز[2]، وهذا هو الذي ينسب إليـه الزهـر المعروف بشقـائق النعمان، ولقد أحسن من قال في حق أبي حنيفة، رحمه الله تعالى:

أيـا جبلي نعمـان إن حصـاكمـا ليحصى وما تحصى مناقب نعمانِ
جلايل كتب الفقه طالع تجدْ لها حقـايق نعمـانٍ شقـايق نعمـانِ

حُكي أنه كان له نديمان، يقال لأحدهما عمرو بن سعد، وللآخر عمرو بن الملك، فسكر النعمان ذات ليلة فأمر بدفنهما حَيين. فلما أصبح، سأل عنهما، فأُخبر بخبرهما، فبنى عليهما بناء، وجعل لنفسه يوم بؤس ويوم نعيم، فإذا لقيه أحد يوم بؤسه قتله وطلى بدمه ذلك البناء، وهو موضع معروف بالكوفة. وكان إذا لقيه أحد يوم نعيمه أغناه. فاستقبله في يوم بؤسه أعرابي من طيء فأراد قتله، فقال: «حيّا الله الملك، إن لي صبيةً صغاراً ولم أوصِ بهم أحداً، فإن رأى الملك أن يأذن لي في إتيانهم، وأعطيه عهد الله أن أرجع إليه إذا أوصيت بهم!». فرقَّ له النعمان، وقال له: «لا، إلا أن يضمنك رجل ممن معنا، فإن لم تأت قتلناه!».
وكان مع النعمان وزيره شريك بن عمرو، فنظر إليه الطائي، فقال:

يـا شـريـك بن عمـرٍو[3] هـل من الموت محـالـهْ؟
يــا أخـا كـل مُصـابٍ يــا أخـا من لا أخـا لهْ!
يــا أخـا النعمــان فيــك اليـوم عن شيـخ عــلالـهْ

(١) وقيل إنه لم يتملك، وإنما سمي ملكاً لكون أبوه وأخوه ملكين.
المصدر نفسه: ٧٢.

(٢) وبسبب مقتله كانت وقعة ذي قار المشهورة بين العرب والفرس.
المصدر نفسه: ٧٢.

(٣) كذا في (ب)؛ وفي (ج): « يا شريكاً، يا ابن عمرو».

ابـن شـيـبـان قـتـيـل أحـسـن الله فـعـالـهْ

فقال شُريك: هو عليّ[1]، أصلح الله الملك!». فمضى الطائي وأجل أجلاً يأتي فيه. فلما كان ذلك اليوم أحضر النعمان لشريك[2]، وجعل يقول له: «إنّ صدر هذا اليوم قد ولّى!». وشريك/ يقول: «ليس لك عليَّ سبيل ١٩٦/ ب
حتى يمسي!». فلما أمسى أقبل شخص من بعيد، والنعمان ينظر إليه وإلى شريك، فقال له: «ليس لك عليَّ سبيل حتى يدنو الشخص، فلعله صاحبي!». فبينما هما[3] كذلك إذ أقبل الطائي، فقال النعمان: «والله ما رأيت أكرم منكما، وما أدري أيكما أكرم، أهذا الذي ضمنك في الموت، أم أنت إذ رجعت إلى القتل؟» ثم قال لشريك الوزير: «ما حملك على ضمانه، مع علمك أنه الموت؟». قال: «لئلا يقال ذهب الكرم من الوزراء!». وقال للطائي: «ما حملك على الرجوع، وفيه تلافك؟». قال: «لئلا يقال ذهب الوفاء من الناس، ويكون عاراً في عقبي وفي قبيلتي!». قال النعمان: «فوالله، لا أكون ألأم الثلاثة، فيقال ذهب العفو من الملوك!». فعفا عنه، وأمر برفع يوم بؤسه، وأنشد الطائي:

ولقد دعتني للخلاف جماعةٌ فأبيت عند تجهّم الأقوالِ
إني امرؤ مني الوفاء خليقةٌ وفعال كُل مهذب بَذّالِ

فقال له النعمان: «ما حملك على الوفاء مع ما ذكرت!». قال: «أيها الملك، ديني!». قال: «وما دينك؟». قال: «النصرانية!». قال: «أعرضها عليّ!». فعرضها عليه فتنصّر النعمان. ويقال إنه قتله كسرى بعد مبعث النبي ﷺ بست سنين وثمانية أشهر.

ثم انتقل الملك في الحيرة إلى إياس بن قبيصة الطائي، وكان ملكه تسع سنين.

(١) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «عليَّ ضمانه».
(٢) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «شريكاً».
(٣) في الأصل و(ج): «هم»؛ وما هنا من (ب).

ثم ملك بعده زادويه بن **ماهسان** الهمداني.

ثم عاد الملك إلى اللخميين، فملك بعد زادويه المذكور **المنذر بن النعمان**، وسمته العرب المغرور، واستمر ملكاً بالحيرة إلى أن قدم إليها **خالد بن الوليد، رضي الله عنه**، واستولى على الحيرة. وكانت مدة ملكهم[1] ستماية سنة واثنتين وعشرين سنة وثمانية أشهر. ولم يزل عمرانها يتناقص من الوقت الذي ذكرنا إلى أيام المعتضد، وأنه استولى عليها الخرب. وقد كان جماعة من الخلفاء العباسية ينزلونها لطيب هوائها، وصحة تربتها وقرب الخورنق والنجف منها. وكانت آل نصر بن ربيعة عمالاً للأكاسرة على عرب العراق مثل ما كان ملوك غسان عمالاً للقياصرة على عرب الشام.

(١) يقصد: ملوك الحيرة.

الباب السابع عشر
في ذكر ملوك الشام
من آل غسان ولمع من سيرهم وما ملكوه من الزمان /

ذكر صاحب «**البحر الزخار والعيلم التيار**»، أن أصل غسان من اليمن من ١٩٧/أ بني الأزد من أولاد سبأ، تفرقوا من اليمن بسيل العرم ونزلوا على ماء بالشام يقال له غسان فنسبوا إليه، وكان قبلهم بالشام عرب يقال لهم الضجاعمة، فأخرجتهم غسان عن ديارهم وقتلوا ملوكهم وصاروا موضعهم.

وأول من ملك من غسان **جفنة بن عمرو**[1]. وكان ابتداء ملكهم قبل الإسلام بما يزيد على أربعماية سنة، وقيل أكثر من ذلك، وبنى بالشام عدة مصانع، ثم هلك.

وملك بعده ابنه: [**عمرو بن جفنة**،وبنى بالشام عدة ديورة، منها دير حالي ودير أيوب ودير هند][2]، ثم هلك، وملك ابنه **ثعلبة بن عمرو**، وهو الذي بنى الغدير في أطراف حوران مما يلي البلقاء.

ثم ملك بعده ابنه **الحارث بن ثعلبة**.

ثم ملك بعده ابنه **جبلة بن الحارث**، وهو الذي بنى القناطر وأدرج القساطل.

---

(١) كذا في أبي الفدا: ٧٢؛ وفي المسعودي (٢١٧/٣): «فكان أول من ملك من ملوك غسان بالشام الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن؛ وهو غسان بن الأزد بن الغوث». مع الإشارة الى الاختلاف في تسلسل ملوك غسان في المصدرين الآنفي الذكر.

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل و(ب). وما أثبتناه من (ج) وأبي الفدا.

ثم ملك أخوه **النعمان بن الحارث**[١]، وهو الذي بنى دير صخم ودير النبوة[٢].

ثم ملك **عمرو بن الحارث**.

ثم ملك **جفنة الأصغر بن المنذر الأكبر**، وهو الذي أحرق الحيرة، وبذلك سموا آل محرق.

ثم ملك أخوه **النعمان الأصغر ابن المنذر الأكبر**.

ثم ملك **النعمان بن عمرو بن المنذر**، وبنى قصر السويداء، ثم انخلع وملك ابنه **جبلة**، وهو الذي قاتل المنذر بن ماء السماء، وكان جبلة ينزل بصفين.

ثم ملك بعده **النعمان بن الأيهم بن الحارث**.

ثم ملك بعده أخوه **الحارث بن الأيهم**.

ثم ملك بعده **النعمان بن الحارث**، وهو الذي أصلح صهاريج الرصافة، وكان قد خربها بعض ملوك الحيرة من اللخميين.

ثم ملك بعده ابنه **المنذر بن النعمان**.

ثم ملك بعده أخوه **عمرو بن النعمان**.

ثم ملك **أخوهما حجر بن النعمان**.

ثم ملك بعده ابنه **الحارث بن حجر**[٣]، وكنيته أبو كرب، ولقبه قطام[٤]

---

(١) في المختصر: ولِّي بعد جبلة بن الحارث‌الحارث بن جبلة، ثم المنذر الأكبر بن الحارث بن جبلة، فالنعمان بن الحارث، وجبلة بن الحارث، والأيهم بن الحارث، ثم عمرو بن الحارث...

(٢) في المصدر نفسه: أن الذي بنى دير صخم ودير النبوة هو الأيهم بن الحارث، وليس النعمان بن الحارث.

(٣) في الأصل و(ب): «الحارث بن الحارث». وما أثبتناه من (ح) وأبي الفدا، كونه أقرب إلى الصواب.

(٤) ورد في أبي الفدا أن النعمان بن الحارث هو المكنى بأبي كرب والملقب بقطام، وليس الحارث بن حجر.

المصدر نفسه: ٧٣.

ثم ملك بعده **الأيهم بن جبلة بن الحارث**، وهو صاحب تدمر، وبنى له بالبرية قصراً عظيماً ومصانع.

ثم ملك بعده أخوه **المنذر بن جبلة**.

ثم ملك بعده أخوهما **شراحيل بن جبلة**[١].

ثم ملك بعده أخوهم **عمرو بن جبلة**.

ثم ملك بعده **جبلة بن الحارث بن جبلة**.

ثم ملك بعده **جبلة بن الأيهم بن جبلة**، وهو آخر ملوك غسان، وهو الذي أسلم في خلافة عمر بن الخطاب، رضي الله تعالى عنه، ثم عاد إلى الروم فتنصَّر.

وسبب ذلك أنه خرج إلى الحج مع عمر، فبينما هو يطوف/ بالبيت إذ ١٩٧/ ب
وطىء رجل من فزاره على إزاره فلطمه جبلة فهشم أنفهَ، فأقبل الفزاري إلى عمر، رضي الله عنه، فشكى، فأحضره عمر، وقال: «افتد نفسك وإلا أمرت الفزاري أن يلطمك!». فأنف من ذلك جبلة، وقال: «أمهلني هذه الليلة حتى أنظر في أمري.». فلما جاء الليل سار جبلة بخيله ورحله إلى الشام، ثم سار إلى القسطنطينية وتبعه خمسماية رجل من قومه فتنصَّروا عن آخرهم، وفرح هرقل بهم وأكرمه وأقطعه الأموال وغيرها.

فلما بعث عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، رسولاً إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام أو إلى الجزية، فأجاب إلى الجزية، فاجتمع الرسول بجبلة فوجده في نعيم لا يوصف، وقال له: «ويحك يا جبلة، ألا تسلم، وقد عرفت الإسلام وفضله!». قال: «إن كنت تضمن لي أن يزوّجني عمر ابنته ويوليني الأمر من بعده، رجعت إلى الإسلام!». قال: فضمنت له التزويج، ولم أضمن له الأمر. فلما أخبرت عمر بخبره وما اشترط عليّ، وما ضمنت له قال: «فهلا ضمنت له الأمر، فإذا أتى الله به

(١) العبارات «ثم ملك بعده أخوه المنذر بن جبلة... شراحيل بن جبلة»: ساقطة من (ج)

مضى علينا بحكمه!». ثم جهزني عمر إلى هرقل ثانية وأمرني أن أضمن له ما اشترط. فلما دخلت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته، فعلمت أن الشقاء غلب عليه في أمِّ الكتاب، وكان ندم على تنصره، وقال:

تنصرت الأشرافُ من عار لطمةٍ ... وما كان فيها لو صبرتُ لها ضررْ
تكنَّفني منها لجاجٌ ونخوةٌ ... فبعتُ لها العين الصحيحة بالعورْ
فيا ليت أمي لم تلدني وليتني ... رجعت إلى الأمر الذي قاله عمرْ
ويا ليتني أرعى المخاض بقفرةٍ ... وكنت أسيراً في ربيعة أو مضرْ
ويا ليت لي بالشام أدنى معيشةٍ ... أجالس قومي ذاهب السمع والبصرْ

وقد اختلف في مدة ملك الغسانية، فقيل أربعماية سنة، وقيل ستماية سنة. وكانت ديار ملوك غسان اليرموك بالجولان وغيرها من غوطة دمشق وأعمالها، ومنهم من نزل الأردن من أرض الشام.

وجميع من ملك الشام من آل غسان أحد وعشرون[1] ملكاً، وقد كان
١٩٨ أ بالشام/ملوك ببلاد مأدب[2]من أرض البلقاءمن بلاد دمشق، وكذلك مداين قوم لوط من أرض الأردن وبلاد فلسطين[3]. وقد كان لكندة، وغيرها من العرب من قحطان، ملوك لم نذكر إلا من اشتهر ملكه، وعرفت مملكته، وسائر الأمم الخالية والممالك الباقية، لم نذكرها ميلاً إلى الاختصار.

(١) كذا؛ وفي المسعودي (٣/٢٢١): «أحد عشر».
(٢) كذا في النسخ الثلاث، وهي الآن مأدبا، من المملكة الأردنية الهاشمية.
(٣) في المصدر نفسه: «وكانت خمس مدن،وكانت دار المملكة منها، والمدينة العظمى مدينة سدوم».

الباب الثامن عشر
في ذكر ملوك كندة في أرض بكر بن وائل[1]

ذكر صاحب «**البحر الزخار**» أن أول ملوكهم **حُجر**[2]، بضم الحاء المهملة، هو من أولاد سبأ، وكانت كندة قبل أن يملك حُجر بغير ملك، فأكل القوي الضعيف. فلما ملك حُجر سدّد أمورهم وساسهم وانتزع من اللخميين ما كان بأيديهم من أرض بكر بن وائل.

ثم ملك بعده ابنه **عمرو بن حجر**، ويقال لعمرو المذكور المقصور، لأنه اقتصر على ملك أبيه.

ثم ملك بعده ابنه **الحارث بن عمرو**، فلما عاد المنذر إلى ملك أبيه زمن أنوشروان، هرب الحارث إلى ديار كلب، وبقي بها حتى عدم.

وملك بعده ابنه **حُجر بن الحارث** على بني أسد بن خزيمة بن مدركة، وملك باقي بنيه على قبائل العرب، فملك ابنه شراحيل بن الحارث على بكر بن وائل، وملك ابنه معدي كرب[3] على قيس بن غيلان، وملك ابنه مسلمة على تغلب.

أما حُجر المذكور، وهو أبو امرىء القيس الشاعر، فبقي أمره متماسكاً في بني أسد مدة، ثم تنكروا عليه، فقاتلهم وقهرهم وبالغ في نكايتهم، ودخلوا تحت

---

(١) كذا؛ وفي (ب) و (ج): «في ذكر ملوك كندة ذي سطوة وشدة في أرض بكر بن وايل أحسن العشائر والقبايل».

(٢) في المختصر (٧٤/١): «حجر آكل المرار بن عمرو، وهو من ولد كنده».

(٣) وكان يُلقَّب غلفا لتغليفه رأسه بالطيب.
المصدر نفسه: ٧٤.

طاعته، ثم هجموا عليه بغتة وقتلوه غيلة[١].

ولما بلغ امرؤ القيس قتل أبيه، وكان في شربه مع أصحابه، فقال: «ضيّعني أبي صغيراً، وحملني ثقل الثأر كبيراً. اليوم خمر، وغداً أمر، اليوم لحاف وغداً ثقاف!». فأرسل ذلك مثلاً. وكان أبوه طرده حين قال الشعر وشهر به، وقال: «الملوك لا تمدح، وإنما هي تُمدح!».

ثم استنجد امرؤ القيس لأخذ ثأر أبيه ببكر وتغلب على بني أسد فأنجدوه وهربت بنو أسد منهم وتبعهم فلم يظفر بهم، فأوقع ببني كنانة ظناً منه أنهم بنو أسد فقتلهم قتلاً ذريعاً، فقالت عجوز: «واللات[٢]، أيها الملك، ما نحن بثأرك،
/١٩٨ ب وإنما/ ثأرك بنو أسد، وقد ارتفعوا من قبل الليل حين استشعروا بك!». ثم صار يدخل قبائل العرب وينتقل من أناس إلى أناس[٣]، حتى دخل على قيصر، فاستنصره، فأجابه.

وكان بنو أسد بعثوا من عندهم رجلاً إلى الروم ليفسد الأمر على امرىء القيس، يقال له الطماح، فوشى به إلى قيصر أن يقتله، فوجه معه جيشاً، ثم أتبعه رجلاً ومعه حلة مسمومة، فقال له: «أقره السلام، وقل له إن الملك قد بعث هذه ليكرمك بها، وأدخله الحمام، فإذا خرج فألبسه إياها!». ففعل ذلك الرجل. فلما ألبسها تفطّر بدنه، فكان يُحمل في محفة، وذلك قوله:

لقد طمح الطماح من بعد أرضه	ليلبسني من دائه ما تلبسا
فبدّلت قرحاً دامياً[٤] بعد صحة	فيا لك من هم يحاول أبؤسا

(١) وفي ذلك يقول امرؤ القيس:
«بنو أسد قتلوا ربهم ... ألا كل شيء سواه خلل!».
المصدر نفسه: ٧٥.

(٢) كذا في(ج)؛ وفي (ب)؛ «واللات والعزى».

(٣) ومنهم السموأل بن عاديا، وقصته مع امرىء القيس مشهورة.
للمزيد راجع: المصدر نفسه: ٧٥.

(٤) إشارة الى قرحة أصابته وطالت به.
المصدر نفسه: ٧٥.

ثم نزل إلى جنب جبل، يقال له عسيب، بقرب مدينة أنكورية الروم، وفي سفحه قبره، فقال:

أجارتنا إن الخطوب تنوب ... وإني مقيمٌ ما أقام عسيبُ
أجارتنا إنّا مقيمان ههنا ... وكل غُريبٍ للغريبِ نسيبُ
فإنْ تصلينا فالقرابة بيننا ... وإنْ تصرمينا فالغريب غريبُ

ولنذكر بعد هذا خبر عمرو بن عامر، وخبر سيل العرم وتفرقهم في البلاد، وبعض أخبار العرب.

وكان أول من خرج من اليمن في أيام تمزيقهم عمرو بن عامر، ويقال له مزيقيا، لأنه يمزق في كل يوم حلتين لئلا يلبسهما أحد بعده، كما مر.

وسبب خروجه من اليمن أنه كانت له زوجة كاهنة يقال لها طريفة، وكانت رأت في منامها أن سحابة غشيت أرضهم فأرعدت وأبرقت، ثم أصعقت فأحرقت كل ما وقعت عليه، ففزعت طريفة فزعاً شديداً، فأتت زوجها وهي تقول: «ما رأيت أزال عني النوم؛ رأيت غيماً أرعد وأبرق طويلاً، ثم أصعق، فما وقع على شيء إلا احترق!».

فلما رأى ما داخلها من الفزع سكّنها. / ثم إنهما دخلا حديقة كانت لهما، فرأيا الشجر تتحرك من غير ريح. /١٩٩ أ

قال عمرو: «وما ترين في ذلك؟». قالت: «أجل، إن فيه الويل، وما لك فيه من قبل، وأن الويل فيما يجيء به السيل». قال: «وما علامات ما تذكرين؟». قالت: «اذهب إلى السد، فإذا رأيت جُرُذاً يكثر[1] في السد بيديه الحفر، ويقلب برجليه جلامد الصخر، فاعلم أن العفر عفر، وأنه قد وقع الأمر!». قال: «وما هذا الذي تذكرين؟». قالت: «وعد من الله نزل، وباطل بطل، ونكال نكل!». فانطلق عمرو إلى السد فحرسه، فإذا الجرذ يقلب برجليه صخرة ما يقلبها خمسون

---

(١) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «يكسر».

رجلاً، فرجع إلى زوجته فأخبرها بذلك، وقال لها: «متى يكون هلاك السد؟». قالت: «لا يعلم ذلك إلا الله عز وجل!». فعلم أن ذلك واقع، وأن بلادهم ستخرب، فكتم ذلك وأخفاه وأجمع على بيع كل شيء له بأرض مأرب.

ولما خرج عمرو من اليمن، خرج لخروجه منها خلق كثير، فنزلوا أرض عك بن عدنان، وبقوا بها حتى مات عمرو، فكان عمره ثمانماية سنة، أربعماية سوقاً وأربعماية ملكاً[١]، وتفرقوا في البلاد، فمنهم من سار إلى الشام، وهم أولاد جفنة، ومنهم من سار إلى يثرب، وهم أبناء قبيلة الأوس، والخزرج. وسارت أزد إلى السّراة وعُمان، وسار مالك بن فهم إلى العراق، ونزلت ربيعة تهامة، وسموا خزاعة لانخزاعهم، وتمزقوا في البلاد كل ممزق، ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه، وهو سيل العرم الذي ذكره الله تعالى في كتابه العزيز.

وكان لربيعة المذكور ولد اسمه كليب الذي يُقال فيه: «أعز من كليب وائل»، وبلغ من عزه في قومه أنه كان لا توقد نار مع ناره، ولا يراد أحد مع إبله[٢]، ويقول: «وحش الفلاة في جواري فلا تهاج». فاجتمعت عليه معد كلها حتى بلغ من بغيه وعزّه ما قد ذكرناه، وقتله جساس بن مرة، وهو صهره وابن عمه.

وكان سبب قتله أنه كانت لجساس جارة يقال لها البسوس، وكانت لها ناقة يقال لها السراب، وبها تضرب العرب المثل في الشؤم، فيقال: «أشأم من البسوس، وأشأم من السراب»، /وذلك لأجل ما جرى بين بني وائل بسببها، فإنه يقال إن الحرب دامت بينهما أربعين سنة.

وكانت هذه الناقة معقولة بفناء بيت البسوس يوماً من الأيام، فمرت إبل كليب، فقطعت السراب عقالها، وتبعت إبل كليب. فلما انتهت إلى كليب أنكرها، فرمى السراب بسهم[٣]، فأصاب ضرعها، فنفرت الناقة. وقيل إن سبب

(١) كذا؛ وفي (ج): «وكان معه أربعماية ملك».
(٢) كذا؛ وفي (ب) و(ج): «ولا ترد إبل مع إبله».
(٣) كذا في(ج)؛ وفي (ب): «فرماها بسهم».

رميه لها، وهي ناقة البسوس، أنه كان كليب في بعض الأيام يمشي في حماه، فوجد قنبرة قد باضت في تلك الحماة، فقال كليب: هذه القنبرة في جواري، وكان يسمي ذلك الأرض بحماة المعمر، وكان يخاطبها، فقال:

يا لك من قنبرة بمعمر ... خلا لك الجو فبيضي واصفري
قد رفع الفخ فماذا تحذري ... ونقّري ما شئت أن تنقري
قد ذهب الصياد عنك فابشري ... لا بد من أخْذِكِ يوماً فاحذرِي

فدخلت ناقة البسوس ذلك الحمى، فوطئت على بيض القنبرة، فكسرت بيضها. فلما علم كليب أن السراب صنعت ذلك رماها بسهم خرم ضرعها. فلما رأتها البسوس ألقت خمارها وصاحت: «وادلاه، واجاراه!». فلما سمعها جساس، وعلم بذلك ركب فرساً له وأخذ رمحه بيده، وركب معه عمرو بن الحارث على فرس له حتى دخلا على كليب في حماه، فطعنه جساس فقصم صلبه، وطعنه عمرو فوقع كليب يفحص برجله حتى مات.

ولما قتل جساس كليباً، وقعت الحرب بين بكر وتغلب، وشمر مهلهل أخو كليب لحرب بكر وسمي مهلهل لأنه أول من هلهل الشعر، أي رقّقه، وهو خال امرىء القيس الشاعر، فاستعد مهلهل لحرب بني تغلب وترك النساء والغزل وحرم القمار والخمر، وأرسل رجالاً من تغلب إلى بكر، وعرض عليهم أربع خصال، فأتت رسله إلى مرة أبو جساس، وهو في نادي قومه، فقالوا لهم: «إنكم أتيتم عظيماً في قتلكم كليباً لأجل ناقة، وقطعتم بيننا وبينكم الرحم، ونريد أن نعرض عليكم خصالاً أربعاً». فقال مرة: «وما هي؟». قال: «تحيي لنا كليباً، وتدفع لنا جساساً فنقتله، أو هماماً أخاه، أو تمكنا من نفسك، فإن فيه وفاء من دمه!». فقال: «أما إحياء كليب فلا/ سبيل إليه، وأما جساس فإنه غلام طعن طعنة على عجل، ثم ركب فرسه، فلا أدري أي البلاد احتوت عليه، وأما أخوه همام، فإنه أبو عشرة، وأخو عشرة، وعم عشرة كلهم فرسان قومهم، ولن يسلّموه إليّ فأدفعه إليكم ليقتل بجريرة غيره. وأما أنا فما هو إلا أن تجول الخيل غداً جولة، فأكون

أول قتيل بينهما، فما أتعجل من الموت، ولكن عندي خصلتان: أما أحديهما فهؤلاء بنيّ الباقون، وهم تسعة. ضعوا في عنق من شئتم منهم، فانطلقوا به إلى رجالكم فاذبحوه ذبح الخروف(١)، وإلا فألف ناقة سوداء المقل أقيم لكم!». فغضب القوم، وقالوا: «لقد أسأت، تبذل لنا صغار ولدك وتسوّمنا اللبن من دم كليب!». ووقعت الحرب بينهما، فقال المهلهل يرثي كليباً:

كليبُ لا خيرَ في الدنيا ومن فيها ... إذ أنت خلّيتها فيمن يخلّيها
نعى النعاة كليباً لي فقلت لهم: ... مالت بنا الأرض أو زالت رواسيها
الحزم والعزم كانا من صنايعه ... ما كل آياته(٢) يا قوم أحصيها
ليس السماء على من تحتها وقعت ... وانشقت الأرض فانحلت بمن فيها

ولم يزل المهلهل يطلب بثأر كليب ولا يبالي بمن يقتل من بكر، واستمر الحرب بين بكر وتغلب زماناً إلى أن قتل همام بن مرة أخو جساس، واصطلحت بكر وتغلب، ففر المهلهل بنفسه، فنزل بمذحج في قوم يقال لهم جنب، فأجاره معاوية الخير وتزوج ابنة المهلهل، واستمر عندهم إلى أن قتل.

وكان سبب قتل المهلهل، أنه لما نزل من مذحج اشترى عبدين يغزوان معه، فغزا بهما حتى طال عليهما فأحبا الراحة منه، فأجمعا على قتله بموضع قفر، فلما شعر بهما لم ير لنفسه ملجأ(٣). قال لهما: «إذا قتلتماني وعولتما، فابلغا عني هذه الرسالة لأهلي». فقالا له: «هات رسالتك!». فأنشدهما:

مَنْ مبلغٌ عني بأن مهلهلاً ... لله دركما ودر أبيكما

فلما قتلاه وانصرفا نحو بنيه، قالوا لهما: «ما فعل سيّدكما؟». قالا: «مات بأرض كذا، فدفناه بها سليماً». فقيل لهما: «فما أوصى بشيء/ حين مات؟». قالا: «أوصانا بكيت وكيت»، فلم يدر أحد ما أراد، وقالوا: «ما هذا بشعر

(١) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «الشاة».
(٢) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «أوصافه».
(٣) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «نجاة».

مهلهل؟!». فقالت ابنته: «والله ما كان أبي ردي الشعر، ولا سفساف الكلام، وإنما أراد أن يخبركم أن العبدين قتلاه، وإنما معنى هذا البيت:

مَنْ مبلغٌ عني بـأن مهلهـلاً ... أضحى قتيلاً بالفـلاة مجندلا
لله درّكـمـا ودرّ أبيـكـمـا ... لا يبـرح العبدان حتى يُقتلا»

فقتل العبدان بعد أن أقرا بذلك، وأنهما أحبا الراحة منه لطول ما أتعبهما من الغزو والسفر[1].

(١) وينتهي هذا الباب في النسخة (ب) بما يلي:
«وهذا ما انتهى من كليب وقصته وقتل أخيه المهلهل».

الباب التاسع عشر
في ذكر بني زياد ملوك اليمن[1]

وكان ابتداء ملكهم في سنة ثلاث ومايتين.

أولهم: **محمد بن زياد وقيل إبراهيم بن عبد الله بن زياد**. وكان المأمون سيّره وجماعة من بني أمية إلى الفضل بن سهل ذي الرياستين، وبلغ المأمون اختلاف أمر اليمن، فأثنى ابن سهل على محمد بن زياد المذكور، فأمر المأمون بإرساله إلى اليمن. فسار ابن زياد المذكور ومعه جماعة، وفتح تهامة بعد حروب جرت بينه وبين العرب، واستقرت قدم ابن زياد باليمن، وبنى مدينة زبيد في سنة أربع ومايتين، وملك أقاليم اليمن بأسرها، وبه كملت دولة بني زياد حتى قتل ابن زياد، وبقي محمد بن زياد كذلك حتى توفي.

ثم ملك بعده ابنه **إبراهيم بن زياد بن محمد**.

ثم ملك بعده ابنه **زياد بن إبراهيم**، ولم تطل مدته.

ثم ملك بعده أخوه **أبو الجيش إسحاق بن إبراهيم**، وطالت مدته وتوفي في سنة احدى وسبعين وثلاثماية، وخلف في الملك طفلاً اسمه **زياد**، وبقي في الملك مدة، ثم توفي. وانتقل ملك اليمن إلى طفل آخر من زياد اسمه **إبراهيم**، فقتل، وهو آخر ملوك اليمن من بني زياد، فتكون مدة ملك بني زياد باليمن مايتي سنة وأربع سنين، والله أعلم.

---

(١) كذا؛ وفي (ب) و(ج): «في ذكر ملوك اليمن من بني زياد القامعين حزب الإشراك والإلحاد».

الباب العشرون
في ذكر آل نجاح ملوك اليمن[1]

ولما قتل إبراهيم المذكور، ملك اليمن عبد من عبيده يقال له **نجاح**، فضرب السكة باسمه، وكان له عدة أولاد، واستقل بملك اليمن/في سنة اثنتي عشرة وأربعماية حتى توفي سنة اثنتين وخمسين وأربعماية. ‎/٢٠١ أ

ثم ملك بعده ابنه **سعيد الأحول**، وبقي في الملك سنتين، وغلب عليهم **الصليحي** في سنة خمس وخمسين وأربعماية، فهرب بنو نجاح إلى دهلك. وكان الصليحي[2] أبو الحسن علي بن محمد عالماً بارعاً، وكان أبوه قاضياً باليمن، وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة.

ثم إن سعيد الأحول وأخاه جيَّاشاً سارا، ومعهما سبعون رجلاً من زبيد، حتى أدركا الصليحي، وهو نازل عند بئر أم معبد، وقد سارا إلى الحج، فبغتاه فقتلاه وقتلا أخاه عبد الله، وحزّ سعيد رأسيهما، واحتاط على امرأة الصليحي أسماء بنت شهاب، وسارا عائدين إلى زبيد والرأسان قدامهما أمام هودج أسماء. واستوثق الأمر بتهامة لسعيد بن نجاح، واستمرت أسماء مأسورة، فأرسلت كتاباً إلى ابنها الملك المكرم أحمد بن الصليحي، وكان ملكاً في بعض حصون اليمن، تخبره وتستحثه على الوثوب على ملك نجاح، فجمع جموعاً، وهرب سعيد ومن سلم معه إلى دهلك.

---

(١) كذا؛ وفي (ب) و (ج): «في ذكر ملوك اليمن من آل نجاح ذوي الأخلاق العظام السجاح».

(٢) العبارات «في سنة خمس وخمسين وأربعماية ... الصليحي»: ساقطة من (ب).

واستولى **الملك المكرم أحمد** على زبيد، وأنزل الرأسين ودفنهما وولى على زبيد خاله **أسعد بن شهاب**، وماتت أسماء المذكورة بعد ذلك.

ثم عاد بنو نجاح وملكوا زبيد، وأخرجوا أسعد منها في سنة تسع وسبعين، ثم غلب عليهم الملك المكرم وملك زبيد، وقتل سعيداً ونصب رأسه مدة.

ولما قتل سعيد هرب أخوه **جيّاش** إلى الهند، وأقام ستة أشهر، ثم عاد إلى زبيد[1]، فملكها في بقايا سنة احدى وثمانين وأربعماية، ومات في سنة خمسماية، وترك عدة أولاد فملك ولده **فاتك**، ثم مات فملك ابنه **منصور** دون البلوغ، ثم ملك بعده ولده **فاتك بن منصور**، ثم ملك بعده ابن عمه واسمه أيضاً **فاتك بن محمد بن فاتك**، وهو آخر ملوك اليمن من بني نجاح، وكانوا قائمين بدعوة الفاطمية، وكانت مدة دولة آل نجاح باليمن ماية وبضع عشرة سنة، ثم انتقل الملك إلى بني المهدي الحميري.

(١) العبارات «وقتل سعيداً. . .الى زبيد»: ساقطة من (ج).

الباب الحادي والعشرون
في ذكر بني المهدي ملوك اليمن(١)

وكان المهدي من حمير من أهل قرية يقال لها العنبرة، من سواحل زبيد. وكان رجلاً صالحاً، ونشأ ابنه علي بن/ المهدي على طريقة أبيه، ثم حج واجتمع /٢٠١ ب بالعراقيين وتضلع من معارفهم، واجتمع عليه الناس، واستفحل أمره حتى قصد يغازي الغارات وقطع الحرث والقوافل، وحاصر زبيد وقتل(٢) فائك بن محمد آخر ملوك بني نجاح بعد حروب كثيرة، واستقر في دار الملك يوم الجمعة رابع شهر رجب سنة أربع وخمسين وخمسماية. وبقي ابن المهدي في الملك شهرين وواحداً وعشرين يوماً ومات.

ثم ملك بعده ولده مهدي بن علي بن مهدي.

ثم ملك بعده ولده عبد النبي.

ثم خرجت المملكة عن عبد النبي إلى أخيه عبد الله، ثم عادت إلى عبد النبي المذكور، واستقر في ملك اليمن إلى أن سار توران شاه بن أيوب من مصر في سنة تسع وستين وخمسماية، ففتح اليمن، وأسر عبد النبي، واستولى على أموال عظيمة لعبد النبي.

وعبد النبي آخر من ملك اليمن من بني حمير، وكان مذهبهم التكفير بالمعاصي، وكان من دأبهم قتل من خالف اعتقادهم من أهل القبلة، واستباحة وطي سباياهم واسترقاق ذراريهم.

(١) كذا؛ وفي (ب) و(ج): «في ذكر ملوك اليمن من بني المهدي الناصرين لدين الله القويم المحمدي».

(٢) كذا؛ في (ج)؛ وفي (ب): «وقاتل».

الباب الثاني والعشرون
في ذكر ملوك اليمن من أولاد رسول(1)

أولهم:

الإمام المهدي لدين الله الشريف **أحمد بن يحيى بن رسول**.

ثم ولده النجيب السيد الجليل المدعو(2) بالخليفة والإمام أمير المؤمنين **شرف الدين يحيى بن شمس الدين المهدي لدين الله**، وكان جد شرف الدين من عظماء الزيدية، وهو مصنف كتاب «**الأحكام في أصول الزيدية**».

وكان شرف الدين هذا يدَّعي الاجتهاد ويقول: «تقليد الحي خير من تقليد الميت». وكانت عامة بلاد اليمن في يده إلى أن ذهب من بلاد الروم أويس باشا في شهر شعبان سنة ثلاث وخمسين وتسعماية، وانتزع زبيد وظمار وغيرهما من يده بعد مقاتلة عديدة، ثم استولى على مدينة تعز واستصفى أموالها، وبذلك تزلزل أمر الشريف وعصى كل عامل له في ناحية ثم وقعت(3) الوحشة بينه وبين ولده الكبير الشريف **مطهر**، واستبد بالأمر، وتوفي والده الإمام في جمادى الآخرة سنة أربع وستين وتسعماية، ودفن بالحجلة. وفي أيام الشريف مطهر، عظم أمر الأروام بالديار اليمنية. /

٢٠٢/ أ وفي هذه السنة سار أزدمر باشا إلى صنعاء اليمن، وبها الشريف صلاح الدين ابن الإمام من قبل مطهر فغلب عليه واستولى على صنعاء، فأباحها

---

(1) كذا؛ وفي (ب) و (ج): «في ذكر ملوك اليمن من أولاد الرسول وأبناء فاطمة الزهراء البتول».

(2) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «ثم ولده النجيب المدعو».

(3) في الأصل و (ج): «وقح»؛ وما هنا من (ب).

ثلاثة أيام قتلاً ونهباً، ثم اقتتل هو والشريف مطّهر في قاع صنعاء قتالاً شديداً انتصر فيه أزدمر باشا، واستولى على خزائن الشريف، ثم امتدت الحروب والفتن إلى سنة ثمان وستين وتسعماية.

وفيها وصل من الروم مصطفى باشا المشهور بالمنشاري، ومعه كتاب من السلطان سليمان مضمونه: «هذا مثالنا الشريف السامي السلطاني، وخطابنا المنيف العالي الخاقاني، لا زال نافذاً بالعون الصّمداني واليمن الرباني، إلى الأميري الكبيري، الحسيني النسيبي، فرع الشجرة الزكية الطاهرة، وطراز العصابة العلوية الفاخرة، الشريف مطهر بن شرف الدين، نخصه بسلام أتم، وثناء أعم.

نبدي بعلمه الكريم أنه لا يزال يتصل بمسامعنا الشريفة إخلاصه لدينا، وانقياده إلى جنابنا، وبلغنا الآن عنه خلاف ذلك، وتغيّر ما كاتبنا به في السابق، وأنه وقع بينه وبين أمرائنا وعساكرنا بتلك البلاد خلف كبير، ووقائع متناقضة، عم ضررها المأمور والأمير، وهذا عين الخطأ المحض المرتب عليه ذهاب الأرواح لمن عقل وفهم. ﴿إن الله لا يغيِّر ما بقومٍ حتى يغيِّروا ما بأَنفُسِهم﴾[1].

أما تعلم أن عساكرنا المنصورة لا يعجزهم صغير ولا كبير، ولا جليل ولا حقير، ولما اخترنا ألقينا شرذمة من عساكرنا المنصورة قليلون[2]، نحو ماية ألف أو يزيدون، ونلحق الجيش بالجيش حتى تصل عساكرنا المنصورة أولهم في البلاد اليمنية وآخرهم في مملكتنا المحمية. ولكن غلب حلمنا عليه، لكونه سلالة سيد المرسلين، ومن آل بيت النبوة الطاهرين، ولازم على ناموس سلطنتنا الشريفة، قبل اتساع الخرق عليه، أن نعرفه بعقبى الأمور، وقد اقتضت أوامرنا الشريفة تعيين افتخار الأمراء الكرام، المختص بمزيد عناية الملك العلاّم،

(١) سورة الرعد؛ الآية ١١.
(٢) كذا في (ج)؛ وفي(ب): «فليكونوا».

مصطفى باشا، بكلربكي[1]/ زبيد سابقاً، دامت معدلته، باشا على العساكر /٢٠٢ ب
المنصورة، وصحبته ثلاثة آلاف من جنودنا المنصورة، معونة لأمير الأمراء الكرام، المختص بمزيد عناية الملك العلّام أزدمر باشا، دامت معدلته. فحال وصول ركاب مصطفى باشا المشار إليه إلى تلك الديار، تقابله بقلب منشرح، وصدر منفسح، وتمشي تحت صناجقنا الشريفة، وتكون مع عساكرنا المنصورة على قلب رجل واحد؛ فإن فعلت فأنت من الفائزين، ولا تخف ولا تحزن إنك من الآمنين، وإن حصل والعياذ بالله خلاف ذلك، واستمر على الضلال والعناد فيصير ذنبه في رقبته، ويهلك نفسه، ويدخل في قول أصدق القائلين: يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين، ويصير بعد الوجود إلى العدم، ويندم حيث لا ينفعه الندم. وقد حذرناه رأفة به، وتحنناً عليه؛ فإن خالف أتيناه بجنود لا قبل له بها، وأخرجناه منها ذليلاً لا ملجأ من سلطاننا إلا إليه، ومثله لا يدل [إلا] على صواب».

صورة كتاب المطهر

«نوّر الله شموس الإسلام وأطلعها، وفجر عين معين الشريعة النبوية وأنبعها، وفتح أكمام السعادة الأبدية وأينعها، ولألأ كواكب الدين الحنيفي وأسطعها، وأعلى منارات الملّة البيضاء ورفعها، وكسر نواجم قرون الشرك والبغي وقمعها. بدوام أيام مولانا السلطان العظيم، ذي الملك الباهر، القاهر المستقيم، القاطع بسيوف عزمه عنق كل جبار أثيم، الهادي بأوامره ونواهيه إلى سواء الصراط المستقيم، المتسم بحماية آل الرسول[2]، وأبناء فاطمة البتول، الملك المظفر المنصور، والهمام المؤيد المشهور، السلطان سليمان بن سليم، أهدي إلى مقامه الشريف نجايب ركائب التحيات والتسليم، ورحمته الطيبة، وبركاته الصيِّبة، الموصلة بنعيم دار النعيم، وحرس جنابه العالي من صروف الأيام والليالي.

(١) يعني أمير الأمراء.
ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر: ١٧٣.
(٢) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «المتمم لحماية آل الرسول».

/٢٠٣ أ وبعد، فإنه ورد إلينا من تلقائه، / أطال الله تعالى للمسلمين والإسلام في بقائه، مرسوم سطعت أنواره، وطلعت بالمسرّات شموسه وأقماره، وعرفنا ما ذكره سلطاننا سلطان الأمم، ومالك رقاب العرب والعجم. فالحمد لله الذي وفقنا لطاعته، وأزالنا عن السلوك في مسالك مخالفته، كيف وطاعتكم من طاعة الملك الخالق، ومعصيتكم يظلم منها المغارب والمشارق، ونحن من مودتكم على يقين، ونرجو أنكم لا تصغوا أذناً لكلام الفاسقين، ولا تقطعوا حقاً لذرية النبي الأمين، وأبناء عليّ الأنزع البطين، كرم الله وجهه في عليين. قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى، وذلك هدى الكتاب المبين، وأنتم أولى برعاية ما أمر الله به أن يُرعى، ويُقرّ من عين النبي الكريم عيناً[1] وسمعاً.

والذي أشرتم إليه من بلوغ مخالفتنا لعساكركم المنصورة، وجيوشكم القاهرة الموقورة، ليس له صحة ولا ثبات، ولا كان لنا إلى حربهم تعدٍ[2] ولا التفات، بل ضيّقوا علينا مسالك المعيشة خلفاً وأماماً، ورمونا بمدافع لا يرمى بها إلا الذين يعبدون أصناماً، ولم يعلموا أنا ممن أوجب الله لهم رعاية واحتراماً، ومن الذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً، فدفعنا عن أنفسنا وأولادنا ما أمكن من الدفاع، وذدنا[3] عن محارمنا وترك الذيادة[4] عنها لا يستطاع. وحين وصل وكيلكم الباشا مصطفى إلى هذه الجهات اليمنية، والديار التي هي بسيوف قهركم محميّة، بسط عدله في أهل اليمن، وأخمد نيران الفتن، ما ظهر منها وما بطن، واطلع على الحقائق، وهو يعرفكم عن حالنا السابق، وما نحن عليه من حسن المساعي والطرائق. ولعمري إنه أجل عظيم، وذو شأن فخيم؛ فالله تعالى يجعل سعيه مشكوراً، ويدفع بعنايته عن الأنام والإسلام شروراً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم».

(١) كذا في (ج)؛ وفي(ب): «بصراً».
(٢) كذا في (ب)؛ وفي(ج): «قصد».
(٣) كذا؛ في (ب): «ورددنا»؛ وفي(ج): «وردأنا».
(٤) كذا في(ب) وفي (ج): «الدرائة».

ثم إن الباشا مصطفى والباشا أزدمر صعدا إلى صنعاء وحشدا عسكراً كثيفاً، وحاصرا الشريف في حصن تُلا مدة طويلة، فلم يغنيا شيئاً، وقيل دخلا/ بعد أن ٢٠٣/ ب استأمنا على أنفسهما، فوقع بينهما المهادنة والمسالمة، ثم نزلا.

وفي سنة اثنتين وستين وتسعماية[1]، وقع القحط العظيم باليمن حتى أكل الناس الشجر والعشب، ومات أكثرهم جوعاً، ومات من أهل الجبال بمدينة آب نحو خمسة آلاف نفر، ومن أهل المدينة نحو أربعة آلاف نفر، وكان سبب ذلك حدوث الجراد بها وطول مكثه حتى أكل الأشجار والنبات، ثم دخل على الناس في بيوتهم، فخاف الناس منه خوفاً عظيماً.

وفي عام أربع وسبعين وتسعماية، عزل نائب صنعاء الباشا رضوان وعين مكانه مراد باشا، فقبل أن يصل مراد باشا أقام رضوان باشا مكانه نائباً باليمن أميراً يقال له قزل باش محمد بيك، وارتحل هو إلى الباب العالي. فاغتنم الفرصة الشريف، فقام واستولى على صنعاء ونواحيها، وقاتل الأروام قتالاً شديداً حتى أفناهم.

وكان الباشا مراد قد وصل إذ ذاك إلى زبيد فرأى أن يسير إلى تعز خوفاً عليها وعلى ما فيها من الخزائن السلطانية. فلما كان بوادي حنان استقبلهم العرب، وهم في عدد لا يعلمهم إلا الله تعالى، وكان عدد الأروام ثلاثة آلاف نفر، فوقع القتال بين الفريقين حتى انتصر العرب، وهزموا الأروام، وأفنوهم قتلاً وأسراً. ثم ساروا وغلبوا على عامة بلاد اليمن حتى لم يبق بيد الأروام إلا زبيد، ثم حاصروا زبيد مدة أربعين يوماً إلى أن وصل من باب السلطان عثمان باشا بن أزدمر في جمادى الأولى سنة ست وسبعين وتسعماية؛ فدخل زبيد وأصلح شأنها. ثم سار منها، بعد أن مكث بها مدة أشهر بالعسكر، / فحاصر تعز وبها علي بن سوغان ٢٠٤/ أ نائب الشريف، إلى أن انتصر عليه، وانتزع البلدة من يده.

ثم قدم محمد بن شمس الدين، قائد الشريف، بعسكر كثير، فحاصر

(١) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «وفي سنة ستة وستين وتسعماية»، وهو خطأ.

عثمان باشا بتعز في منتصف هذا العام، ثم انضم إلى عثمان باشا سنان باشا الوزير لمعونة عثمان باشا، فقاتلوا القائد المذكور من الضحى إلى الليل حتى أجلوه عن البلد، وغنموا أسبابه.

ثم لم يزل يسير الباشا سنان بالعساكر والجنود يقاتل العرب حتى وصل إلى القاعدة، ثم إلى الشوافي، ثم إلى جيش ثم إلى التفكر ونعران، ثم إلى زياد، ثم إلى صنعا، ثم إلى قيعان، ثم إلى كوكبان، فحاصرها مدة سبعة أشهر، ثم افتتحها.

ثم وصل من السلطان بهرام باشا مولى على البلاد اليمنية، فوصل إلى تعز، ثم إلى القاعدة.

وفيها، قدم علي ابن الإمام صاحب جب في ثلاثين ألف مقاتل، وقاتل بهرام باشا من الضحوة إلى بعد الظهر، فانتصر بهرام باشا، وقتل من العرب مايـة وعشرين نفراً، ثم حاصر بهرام باشا الأمير المذكور في حصن جب، فلم يزل يعمل الحيلة في إحراق بيت البارود حتى تم له ذلك، ثم لم يلبث أن مات الأمير المذكور، فأذعن أهله بالطاعة، وذلك في رجب. ثم كان لبهرام باشا المذكور في فتح البلاد اليمنية قدم راسخة.

وفي غرة رجب سنة ثمانين وتسعماية، توفي صاحب البلاد اليمنية الشريف مطهر، ودفن في ثُلا، وتولى مكانه ولده **يحيى بن علي بن مطهر**.

والآن آل الأمر إلى قريبه وصهره **علي بن سويع**، استمال القلوب وقاد الجيوش، واستولى على صعدة، فصار يحيى مغلوباً بالوجود. /

/٢٠٤ ب

الباب الثالث والعشرون
في ذكر ملوك الطوايف بالغرب[(١)]

فلما انقرضت الدولة الأموية من الغرب[(٢)]، اقتسمها أصحاب الأطراف وصاروا مثل ملوك الطوايف.

فأما قرطبة فاستولى عليها **أبو الحسن علي بن جهور** إلى أن مات سنة خمس وثلاثين وأربعماية.

وقام بأمر قرطبة بعده ابنه **الوليد محمد بن علي**.

ثم صار [الأمر][(٣)] إلى **الأمير المعتمد بن عباد**.

ثم أخذها منه **ابن تاشفين**، وقتل المذكور ووزيره أبا بكر بن زيدون، وكانا من خيار الناس، والوليد هذا هو الذي أنشأ القصيدة الفراقية المشهورة التي يقول فيها:

بنتم وبنــا فمــا ابتلَّت جــوانحنــا	شــوقــاً إليكم ولا جفت مــآقينــا
تكــاد حين تنـاجيكم ضمــايــرنــا	يقضي علينــا الأسى لـولا تــأسّينا
حــالت لبعـدكم أيــامنــا فغــدت	سـوداً وكـانت بكم بيضــاً ليـالينــا
بــالأمس كنـا ولا نخشى تفــرقنــا	واليــوم بنًـا ولا يُــرجى تـلاقينـا

---

(١) كذا؛ وفي (ب) و(ج): «في ذكر ملوك الغرب من الطوايف ذوي المفاخر والمعارف».

(٢) وكان آخر خلفاء الدولة الأموية بالأندلس هشام بن محمد عبد الملك بن الناصر عبد الرحمن، المعروف بالمعتمد. توفي في صفر عام ٤٢٨هـ، وزالت بموته الدولة الأموية بالأندلس. السيوطي، تاريخ: ٥٢٣ ـ ٥٢٤.

(٣) ما بين الحاصرتين يقتضيه السياق.

وهي قصيدة طويلة صنيعة.

وأما **بطليوس**(١)، فاستولى عليها بعد المنصور سابور الفتى العلوي، ينسب إلى بني الأفطس البربري.

وأول من ملك منهم **أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن مسلم** المعروف بابن الأفطس، ويلقب بالمظفر.

فلما توفي، تولى بعده ولده **عمر بن أبي بكر بن محمد**، ويلقب بالمتوكل، واتسع ملكه وقتل صبراً مع ولديه الفضل والعباس عند تغلب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على الأندلس، وهو الذي رثاه الشاعر في قصيدته المشهورة الموسومة بالعبدونية: /

/٢٠٥ أ بني المظفر والأيام ما برحت ... مراحلاً والورى منها على سفرِ
سحقاً ليومكم يوماً ولا حملت ... بمثله ليلة في مقبل العمرِ
مَنْ للأسِرَّة أو مَنْ للأعنة أو ... من للسماحة أو للنفع والضررِ
من للعدى وعوالي الحظ قد عُقدت ... أطراف ألسنها بالغيّ والحصرِ
وطوقت بالثنايا(٢) السود بيضهم ... أعجب بذاك وما منها سوى ذكرِ
أو قمع(٣) كارثةٍ أو دفع آزفة ... أو رفع حادثةٍ تغني عن القدرِ
ويح السماح وويح الجود لو سلما ... واحسرة الدين والدنيا على عمر

وصارت بلاده إلى يوسف بن تاشفين.

وأما **إشبيلية** فاستولى عليها قاضيها **أبو القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد** اللخمي المنذري.

---

(١) بطليوس في (ج) أيضاً؛ وفي (ب): «بطليموس»، وبطليوس بالأندلس من إقليم ماردة، بناها عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي، وهي مدينة جليلة في أرض منبسطة على ضفة نهر كبير يسمى الغؤور. ومن بطليوس إلى إشبيلية ستة أيام، ومنها الى قرطبة ست مراحل.
الحميري، الروض المعطار: ٩٣.

(٢) كذا في(ب)؛ وفي (ج): «بالمنايا».

(٣) كذا في(ب)؛ وفي (ج): «ما قمع».

ثم صارت للأمير **المعتمد بن عباد**.

ثم أخذها منه **ابن تاشفين**.

وأما **سرقسطه** والثغر الأعلى، فصارت بعد منذر بن يحيى لولده، وبعد ولده إلى **سليمان بن أحمد** بن محمد بن هود الجذامي، وتلقب بالمستعين بالله. وكان به من البسالة والشجاعة ما لا يوصف، وهو الذي وجد في زمانه في المعركة بعد ارتفاع الحرب مع الكفار قطعة من بيضة الخوذة الحديد قدر ثلثيها بما حوته من الرأس. فيقال: «إنه لم يُرَ قطٌّ ضربة أقوى منها».

ثم صارت بعده لولده **أحمد بن سليمان**، الملقب بالمقتدر بالله، وهو الذي كسر الطاغية زدمير عظيم الروم بعد أن أشرفوا على الانهزام، وكانت وقعة هايلة.

ثم صارت بعده لولده **عبد الملك بن أحمد بن سليمان**.

ثم صارت بعده لابنه **أحمد بن عبد الملك**، وتلقب بالمنتصر بالله، وعليه انقرضت دولتهم على رأس الخمسماية، فصارت بلادها جميعاً للموحدين.

وأما **طليطلة وطرطوشة وبلنسية** فصارت إلى **إسماعيل بن عبد الرحمن**، وتلقب بالظافر بحول الله.

ثم ملك بعده ولده/ **المأمون يحيى بن إسماعيل**، وهو الذي بنى القصر بطليطلة وأحكمه، فبينما هو نايم إذ سمع منشداً ينشد: /٢٠٥ ب

أتبني بنـــاء الخـــالـــدين وإنمـــا ... بقـــاؤك فيهـا لـــو عقلت قليـــلُ
لقـد كان في ظِـل الأراك كفايـة ... لمن كل يوم يقتضيـه رحـــيلُ

فلم يمض كثير حتى أخذت الفرنج من ولده القادر بالله طليطلة في سنة ثمان وسبعين وأربعماية، وصار هو ببلنسية. ثم قتله بها القاضي **ابن حجاف الأحنف**.

وأما **دانية والجزائر والمرية** فصارت إلى أيدي العامريين إلى أن انتقلت وصارت للملثمين.

وأما مرسية فوليها **بنو طاهر**، ثم صارت إلى **المعتمد بن عباد**، ثم صارت للملثمين.

وأما **غرناطة** فملكها **حبوس بن ناكس** الصنهاجي، ثم صارت بعد ولده للملثمين.

وأما **مالقة** فملكها بنو علي بن حمود العلوي، إلى أن أخذها باديس بن حبوس صاحب غرناطة.

الباب الرابع والعشرون
في ذكر الملثمين من ملوك الغرب[1]

وكان أول مسيرهم من اليمن في أيام أبي بكر الصديق، سيَّرهم إلى جهة الشام، ثم انتقلوا إلى مصر ثم إلى الغرب مع موسى بن نصير، وأحبوا الانفراد، فدخلوا في الصحراء واستوطنوها إلى سنة ثمان وأربعين وأربعماية.

وكان من أمرهم أنهم ينتسبون إلى حمير، فلما كانت هذه السنة توجه رجل منهم اسمه جوهر من قبيلة جدالة إلى إفريقية طالباً الحج، فلما عاد استصحب معه فقيهاً من القيروان، يقال له عبد الله بن ياسين، ليعلم أهل تلك البلاد دين الإسلام، فإنه لم يبق فيهم غير الشهادتين والصلاة[2] في بعضهم. فتوجه عبد الله مع جوهر حتى أتيا قبيلة لمثونة، وهي القبيلة التي منها يوسف بن تاشفين، أمير المسلمين، ودعياهم إلى العمل بشرائع الإسلام، فأجاب أكثرهم وامتنع أقلهم. فقال الفقيه للمجيبين: «يجب عليكم قتال المخالفين، فأقيموا لكم أميراً». فقالوا: «أنت أميرنا!». فامتنع الفقيه، وقال لجوهر: «أنت الأمير!». فامتنع/ ٢٠٦/ أ أيضاً، ثم اتفقا على **أبي بكر بن عمر**، رأس قبيلة لمثونة، فعرضا عليه فقبل، وعقدت له البيعة وسماه الفقيه أمير المسلمين، واجتمع إليه خلق كثير وحرضهم الفقيه على الجهاد وسماهم المرابطين، فقتلوا المخالفين، ثم جرى بين المرابطين وبين أهل سوس قتال شديد قتل في تلك الحرب الفقيه، ثم سار المرابطون إلى سلجماسة، واستولوا عليها وقتلوا صاحبها، وفوض حكومتها إلى يوسف بن تاشفين اللمثوني، وكان رجلاً ديناً حازماً.

---

(١) كذا؛ وفي (ب) و (ج): «في ذكر ملوك الغرب من الملثمين أهل الفضل والهدى واليقين».

(٢) في الأصل: «الصلوة».

ثم اجتمع طوائف المرابطين وملكوا عليهم أبا النصر **يوسف بن تاشفين**، وتلقب بأمير المؤمنين، وقوي أمره وعلا قدره ببلاد الغرب. ولم يزل يحارب ويقاتل من يعاديه حتى توفي سنة خمسماية.

وقام مكانه ابنه **علي بن يوسف بن تاشفين** وفي زمانه ظهر الموحدون وابتدأت دولتهم.

وفي سنة خمس وثلاثين وخمسماية توفي علي المذكور، وقام في الملك بعده ولده **تاشفين بن علي**، ولم يزل الحرب قايماً بينه وبين الملك الكبير أبي محمد حتى سقط من جرف عال، فهلك وقتل كل من كان معه.

ثم ولي أخوه **إسحاق بن علي**، وكان صغير السن، فسار إليه عبد المؤمن الموحدي، فملك بلاده وقتل إسحاق، وهو آخر ملوك المرابطين الملثمين، وكانت مدة ملكهم سبعين سنة، والله سبحانه أعلم.

الباب الخامس والعشرون
في ذكر دولة بني حفص ملوك تونس وإفريقية [1]

وتزعم هذه الطايفة أنهم من ولد عمر بن الخطاب، وجدهم المنسوبون إليه هو أبو حفص عمر صاحب ابن تومرت.

فلما كانت[2] سنة احدى وخمسين وخمسماية، بايع عبد المؤمن لولده محمد بولاية العهد، وطلب من أبي حفص أن ينزل من العهد لولده المذكور، فأجاب أبو حفص إلى خلع نفسه والبيعة لابن عبد المؤمن، فصار بعده ولده عبد الواحد بن أبي حفص.

ثم صار من بعده ابنه أبو زكريا يحيى، وتلقب/ بأمير المؤمنين، وعظم شأنه إلى أن توفي[3]. /٢٠٦ ب

وملك بعده ابنه محمد بن أبي زكريا، وتلقب بالمنتصر[4].

ثم ملك بعده أخوه يحيى بن يحيى، سبعة عشر يوماً.

ثم بعده أخوهما أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص.

---

(١) كذا؛ وفي(ب) و (ج): أضيفت الى العنوان العبارة: «ولمع من وقايعهم مع نصارى إسبانية».

(٢) في الأصل: و«كان».

(٣) توفي سنة ٦٤٧هـ.
ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر: ١٨٨.

(٤) توفي سنة ٦٧٥هـ. وحول سيرة هذا الأمير وما تخللها من أمور طريفة، راجع المصدر نفسه: ١٨٨ ـ ٢٠٠.

ثم انتقل الملك إلى رجل من أهل بجاية يقال له **محمد بن أبي عمارة**، وملك أربع سنين. ثم عاد الملك للحفصيين، وملك منهم بعد ابن أبي عمارة أبو حفص **عمر بن يحيى**.

ثم ملك بعده ولده **عبد الرحمن بن عمر** المذكور، وملك خمسة وعشرين يوماً، ثم خلع.

وملك بعده رجل من الحفصيين يقال له **أبو عبد الله**، وكان يلقب بأبي عصيدة.

ثم ملك بعده **أبو بكر بن عبد الرحمن** المخلوع.

ثم قتله **أبو البقاء**، وتولى مكانه. ثم ملك بعده **أبو يحيى زكريا اللحياني**، من أولاد أبي حفص.

ثم ملك بلاد الغرب أبو **بكر بن يحيى**، ويقال له السباع، فمات.

واستقر الملك بعده **لأبي فارس عبد العزيز**(1) **بن أبي العباس أحمد**، وكان يمشي في الأسواق ويتبختر، ثم قتل.

فقام مكانه ابنه **ثابت بن محمد** [**عبد العزيز**] فقتل، واستولى الإفرنج على طرابلس الغرب، فجمع أبو بكر بن محمد بن ثابت جيشاً وأخذ البلد عنوة.

فلما توفي ولي مكانه **علي بن عمار**(2) **بن محمد بن ثابت**.

وفي سنة ثمانمائة قبض أبو فارس على عليّ بن عمار، وأقام مكانه **يحيى بن أبي بكر** وأخاه عبد الواحد إلى أن استوفى أبو فارس، فقبض عليهما أيضاً فانتهت دولة آل عمار.

وفي سنة سبع وثلاثين وثمانمائة توفي السلطان أبو فارس، وكان حسن السيرة عدلاً في الرعية، واستقر في الملك **المنتصر أبو عبد الله محمد بن الأمير**

---

(1) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «أبو فارس محمد عبد العزيز».

(2) كذا في (ب)؛ وفي(ج): «علي بن عمارة».

محمد المنصور؛ كحّل عمه المعتمد ابن أبي فارس، وقتل أخاه أبا الفضل وولده الفضل، ومات لطول مرضه.

واستقر بعده شقيقه **عثمان بن محمد**، واستمر عثمان في الملك وحسن حاله وطالت مدته، وتوفي.

وتولى مكانه حفيده **يحيى بن مسعود**، واستقام أمره وأظهر العدل ومشى على سيرة/ جده أبي فارس. وكان شحيحاً بالأموال، فأبغضه العسكر بسبب ذلك، فلما خرج عليه عبد المؤمن واشتد الحرب بينهما، انعزل الجند من عند يحيى فبقي هو وجماعة، وكان يقاتل بنفسه ويقول: «أنا يحيى الغريب!»، فقتل وقتل معه عدة من جماعته. ٢٠٧/ أ

وملك تونس بعده **عبد المؤمن بن إبراهيم بن عثمان**، واستقر بكرسيها وأحسن السيرة بأهلها. ثم تولى أخوه **زكريا**.

وفي سنة تسع وتسعين وثمانمائة، وقع فناء عظيم، ومات زكريا مع جملة من مات.

وتولى السلطنة **محمد بن الحسن**، وكان مشتغلاً عن أمور الملك باللهو وشرب الخمر.

وفي أيامه، في سنة ست عشرة وتسعمائة، استولى الإفرنج على وهران[1]، ثم على بجاية، ثم على طرابلس، وبقيت في أيديهم مدة اثنتين وأربعين سنة حتى أخذها منهم سنان باشا، أخو الوزير الأعظم رستم باشا، وزير المرحوم السلطان سليمان من بني عثمان، عام ثمانية وخمسين وتسعمائة.

فلما مات محمد بن الحسن بعد أن ملك أكثر من ثلاثين سنة، تولى مكانه ولده **السلطان حسن**، وكان خلّف أبوه خمساً وأربعين ذكراً. فلما تسلطن الحسن

(١) في الأصل: «وهرارة»؛ وفي (ب): «وهزارة»؛ وفي (ج): «وهرانة»؛ والراجح أن المقصود: «وهران»: وهي مدينة ساحلية من بلاد المغرب، بينها وبين تلمسان سُرى ليلة واحدة. ياقوت ٤/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦.

وضع فيهم السيف وقتلهم عن آخرهم، ولم يفلت منهم إلا أخواه الرشيد وعبد المؤمن، وكانا غايبين.

ثم إن الحسن رام قتل الرشيد، فاستشعر ولحق ببعض أحياء العرب، واشتغل الحسن باللهو وجمع من الملاهي ما يزيد على أربعماية شاب أمرد يفسق بهم، فشق ذلك على أهل البلد، وطلبوا منه ترك ذلك حتى رجموا داره بالحجارة فأبى أن يترك فتنفرت[1] عنه القلوب، فأرسلوا إلى الرشيد ليملكوه، فلم يمكن. فقدم الرشيد إلى عند خير الدين باشا، صاحب الجزائر، والتجأ إليه.

فلما علم ذلك السلطان حسن شق عليه، وأرسل إلى السلطان سليمان يشكو من خير الدين باشا أنه آوى أخاه، وأرسل صحبة الرسول أموالاً وتحفاً، فأجاب إليه السلطان بالوعد، وقال: «طب نفساً، فإنا نأمر خير الدين باشا
٢٠٧/ب باستصحاب/ أخيك معه، فإذا حصل أخوك عندنا أودعناه عندنا، وما خليناه يعود إلى بلادك أبداً!».

فلما قدم خير الدين باشا إلى السلطان ومعه الرشيد، عين له السلطان كل يوم خمسماية درهم جامكية، ومن المأكل ما يكفيه.

ثم إن خير الدين باشا عرض على السلطان بأن العمارة: «لا تطيق بأن تخرج من هنا وتسير مسافة أشهر[2]، ثم تجتمع بالكفار[3]، ولا بد أن تشتوا عمارتكم[4] قريب بلاد الكفار، ثم تسير منها إلى حيث تشاء، فما ثَمَّ موضع تسع فيه عمارتكم غير مينا حلق الواد[ي] أمام تونس!». فقال السلطان: «كيف يمكن ذلك، وهو أمير بلاد تونس؟». فقال: «إن أهل تونس متضجرون من سلطانهم، وهذا أخوه الرشيد عندنا، والناس يحبونه ويطيعونه، فإن أمر السلطان سرت بالعمارة وذكرت

(١) كذا؛ وفي (ب) و (ج): «فنفرت».
(٢) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «شهر».
(٣) كذا في (ج)؛ وفي(ب): «ثم يخرج على الكفار».
(٤) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «تسوي العمارة»؛ ولعل الصحيح: « تنشئوا عمارتكم».

لأهل تونس أن الرشيد معنا، فنملك تونس مع اتفاق من أهله لتكون البلاد كلها للسلطان!». فقال السلطان: «نِعْمَ الرأي!». فسار خير الدين باشا بعمارة عظيمة، ودخل حلق الواد [ي] وأرسى بميناها، وأرسل إلى أهل تونس يخبرهم بقدوم الرشيد، وأنهم جاءوا مدداً له ليملكوه البلاد.

فلما بلغ ذلك أهل تونس قاموا قومة واحدة، وقالوا: «الله ينصر السلطان رشيد!». وساروا نحو العمارة. فلما تيقن الحسن بالقصة، أخذ أهل بيته وأقاربه وأمواله، فهرب إلى أخواله مشايخ العرب، فقام خير الدين باشا، وهو يظهر أن الرشيد معه، فدخل البلد واستولى على التخت، وقتل بعض مشايخ الحفصيين خفية. ثم تحقق أهل البلد بأن الرشيد ما جاء، وإنما هي حيلة عملها خير الدين باشا، فقاموا على خير الدين باشا وقاتلوه، وقتل من أهل تونس ما يزيد على ثلاثين ألف نفس ما بين رجل وامرأة، ثم كف عنهم خير الدين باشا وصالحهم.

ولما بلغ الحسن ذلك، أغار في بعض الليالي على البلد، فقتل من العثامنة المقيمين بها نحو ألف وثلاثماية نفس، ثم ركب البحر وسار/ إلى ٢٠٨/ أ
إسبانية[1]، واستمد من ملكهم على خير الدين باشا، وقال: «أنت تعلم أننا من بيت ملك قديم، وأن خير الدين حرامي جاءنا وأخرجنا عن ملكنا بالحيلة، وأنه إن تمكن هناك مدة قطع عليكم مراكب الميرة والتجارة، فيحصل لكم بذلك منهم مضرة عظيمة!». فأجاب ملك إسبانية[2] إلى مسؤوله ووعده النصر، وعين كل يوم أربعة آلاف دينار إفرنجي لمأكله. وكان مكثه عنده سبعة أيام، ثم سار بعمارة كبيرة نحو أربعماية غراب، فنازل تونس.

فلما رأى أهل تونس ما حل بهم من البلاء العظيم، استأنسوا مع خير الدين باشا وأطاعوه، واتفقوا معه على أن لا يخرج هو من البلد وهم يخرجون ويقاتلون عن دينهم وعن أنفسهم، فاستمر القتال بين الفريقين نحو أحد وثلاثين يوماً. ثم اتفق أن اشتاقت[3] نفس خير الدين باشا إلى الخروج من البلد والقتال مع الكفار،

(١) و (٢) في الأصل و(ب): «اسبنية»؛ وما أثبتناه من (ج).
(٣) في الأصل: «اشتاق»، والتصحيح من (ب) و(ج).

فنزل من القلعة، وفوض أمرها إلى قائده الكبير جعفر آغا، وكان إفرنجياً يبطن الكفر، وكان في البلد بحبوس[1] خير الدين باشا من الأسارى نحو أربعين ألف نفر، فقام جعفر آغا المذكور فأطلقهم من الحبس، ومكّنهم من القلعة وأسوارها ومدافعها، فصار المسلمون بين عدوين: المدافع من البلد والسيف من أمامهم، فانهزموا أقبح هزيمة، فصاروا إما عرضة السيف وإما هلكة تحت سنابك الخيل. والهاربون هلك غالبهم من العطش، ودخل ملك إسبانية البلد، وأجلس الحسن على التخت، وأعطاه الحسن نفائس الأموال، وأعطاه من أسارى المسلمين ما يزيد على سبعين ألف نفس ممن يتهم بموالاة الرشيد.

ثم التمس الحسن أن يؤخر عنده نحو أربعة آلاف إفرنجي يقيمون عند حلق الواد [ي] ويبنوا هناك معقلاً، وذلك في حدود سنة أربعين وتسعماية تقريباً. ثم كثروا وبنوا مدينة مسورة حتى تضرر بهم الخلق كافة، فكان الحسن هو الذي صار سبباً لقرار الكفار هناك.

/٢٠٨ ب ثم إن الحسن لما اطمأنت به الدار، وحصل له القرار، /خرج من البلد إلى قتال صاحب قيروان رجل يقال له ابن الخطيب، وكان يعاديه، وخلف في تونس ولده حميدة. فلما أبعد الحسن، قام أهل البلد وجاءوا إلى حميدة، وقالوا: «لا يخفى عليك ما حل بنا من جهة أبيك المشؤوم، فإن كان لك حاجة بالملك، فقم نبايعك، وإلا دعونا عمك عبد الملك فبايعناه!». فلما رأى حميدة منهم الجد رضي بذلك فبايعوه وقلدوه الأمر.

ولما بلغ الحسن ذلك ترك ابن الخطيب، وركب البحر وعاد إلى إسبانية ثانياً، فقام [ملك] إسبانية بعمارة عظيمة وأرسى في حلق الواد [ي] ونازل تونس، فخرج حميدة ومعه وجوه العرب، فقاتلوا [ملك] إسبانية قتالاً عظيماً حتى أفنوا غالبهم بالقتل، وهرب الحسن فظفر به بعض أهل تونس، فأتوا به إلى حميدة

(١) في الأصل وفي (ب): «جيوش»، والتصحيح بعد مراجعة النسخة (ج)، وهو ما يتفق مع السياق.

فحبسه، ثم هجم عليه أهل البلد، فقالوا: «لا بد من سمل عينيه!». فسمله، واستمر في الحبس حتى مات.

وكان حميدة حميد الفعال في أول مرة، ثم تغير وظلم، ومد النظر إلى حريم الناس على عكس ما كان أبوه يفعله، حتى اجتمع عنده أكثر من ثلاثماية امرأة من بنات الناس، وامتدت أيامه حتى بلغ خمساً وعشرين سنة وثلاثة أشهر ونصفاً.

فلما حان أفول شمس حميدة خرج من تونس إلى قتال بعض أحياء العرب، فلما أبعد عن البلد أرسل أهلها إلى نائب الجزائر قليج علي باشا بتسليم البلد إليه، فقام قليج علي باشا فدخل تونس واستولى على أموال حميدة، وكانت عظيمة على ما يحكى، وخطب بها وبجميع بلاد إفريقية باسم السلطان سليم خان بن السلطان سليمان خان من آل عثمان، وكان ذلك في أواخر شوال، سنة ثمان وسبعين وتسعماية.

ثم إن حميدة جاء بمقدار عشرة آلاف وثمانماية رجل يريد قتال علي باشا، فخرج إليه علي باشا فقاتله وهزمه، واستقر قدم علي باشا في المملكة. ثم إنه أقام رجلاً مكانه، وسار حتى لحق بعمارة السلطان في البحر، وكانوا عازمين على ملاقاة عمارة الكفار.

ثم أن حميدة /استمد من إسبانية كما هو دأب أسلافه، فأمدوه بعمارة كثيرة ٢٠٩/أ نحو ماية وخمسين غراباً، فنازلوا تونس. فلما أحسّ نائب تونس حيدر باشا بغلبة الكفار، خرج هو وأهل البلد جميعاً إلى جهة قيروان، فجاء عسكر الكفار واستولوا على تونس، ثم قبضوا على حميدة فأرسلوه إلى بلاد إسبانية، وكان له أخ يقال له مولى محمد بن الحسن، وكان هرب من أخيه حميدة إلى بلاد الإفرنج، فجاءوا به وأجلسوه على سرير الملك، وليس معه مال ولا عسكر ولا قدرة، وهو كالمأسور والحكم للإفرنج، وتركوا في تونس ثمانية آلاف مقاتل وبنوا معاقل في عدة أماكن، فلله الأمر!.

ولم يزل مولاي محمد المذكور ملكاً بتونس مع ضعف الحال حتى تغلب السلطان الأعظم سليم خان العثماني، وأرسل عمارة عظيمة من البحر صحبة الوزير الأعظم سنان باشا ومعه علي باشا، كاشف وجه البحر، لفتح قلعة حلق الواد [ي]، واسترداد تونس. فوصلوا في اليوم الرابع والعشرين من ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وتسعماية إلى بَرّ تونس، فحاصروا حلق الواد [ي]، وهو من أمنع الحصون في الدنيا، فافتتحوها بعد قتال شديد وقع من الطرفين أناس كثيرة، فقتلوا من بها من الكفار وفتحوا تونس، واستولوا عليها وأسروا صاحبها الإفرنجي، وصادفوا فيها صاحب تونس مولاي محمد قد تحصن فيها خوفاً من العثامنة [1]، فأسروه ثم جاءوا به إلى القسطنطينية وحبس في القلال السبع، وهو آخر من تولى الملك من أهل هذا البيت، والله تعالى أعلم!.

(١) كذا؛ وفي ج: «العثمانية».

الباب السادس والعشرون
في ذكر بني الليث الصفار سلاطين سجستان[1]

وهم ثلاثة أنفار، ومدة ملكهم خمسون سنة.

وكان الليث من أهل سجستان يبيع الصفر، وبعده صار من قطاع الطريق. واتفق انه نقب ليلة[2] خزانة درهم بن نصر أمير سجستان وأخذ الأموال، فوقع نظره في شيء أبيض يبرق، فأخذ منه وذاقه فوجده/ ملحاً، فرد المال الذي أخذه ٢٠٩/ب إلى مكانه، وخرج هو وأصحابه، ولم يأخذوا [منه][3] شيئاً.

فلما أصبح الأمير درهم واطلع على الحال، نادى بالأمان لمن دخل خزانته، ولم يأخذ منها شيئاً ليطلع على سر ذلك. فحضر الليث فسأله[4] لِمَ أخذ المال ورده؟ فقال: «وجدت في خزانتك شيئاً أبيض فذقت منه فوجدته ملحاً، فما رأيت أن آخذ من مالك وأخونك بشيء بعدأن ذقت ملحك!». فحصل عند الأمير منه موقع، وأثبته في ديوانه واستخدمه، وفيما بعد اتخذه رأس العساكر.

فلما توفي الليث ولى الأمير درهم مكانه ولده السلطان يعقوب. ولما توفي الأمير درهم تولى مكانه، في أواسط شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومايتين، فانقادت له جميع العساكر لحسن سيرته، فملك سجستان وبلاد خراسان وكرمان، وكان ذلك في خلافة المهتدي بالله العباسي، فما لبث حتى عظم حجم جريدته

---

(١) كذا؛ وفي(ب) و (ج): «في دولة بني الليث الصفّار سلاطين سيجستان القشاعم والفرسان والأيادي والإحسان».

(٢) لم يرد هذا اللفظ في (ب).

(٣) ما بين الحاصرتين من (ج).

(٤) الأصل: «فسئله».

واتسعت رقعة ولايته، فملك بلاد فارس وخوزستان، واتخذ نيسابور دار ملكه.

وكانت له سياسة لمن معه من الجيوش، سياسة لم يسمع بمثلها فيمن سلف من ملوك الأمم الغابرة من الفرس وغيرهم، وحسن انقيادهم لأمره واستقامتهم لطاعته، لما كان شملهم من إحسانه وغمرهم من بره، وملأ قلوبهم من هيبته ورغبته.

فمما ذكر من ظهور طاعتهم له أنه كان بأرض فارس، وقد أباح للناس أن يربعوا دوابهم، ثم حدث أمر وجب الرحيل عن تلك الكورة، فنادى مناديه بقطع الدواب عن الربيع، وأنه رأى رجلاً من أصحابه قد أسرع إلى دابته وهي ترعى والحشيش في فيها، فأخرجه من فم الدابة ومنعها أن تلوكه بعد سماعه النداء، وأقبل على الدابة كالمخاطب لها، فقال بالفارسية: «أمير كفت اسپان سبنر بنبروند»، وتفسير ذلك أمر الأمير بقطع الدواب عن الرطبة.

/٢١٠ أ وإنه رأى في عسكره في غير هذا الوقت رجلاً من قواده/ والدرع الحديد على بدنه لا ثوب تحته، فقيل له في ذلك فقال: «نادى منادي الأمير: البسوا السلاح! وكنت عرياناً اغتسل من جنابة، فلم يسعني التشاغل بلبس الثياب، فلبست الدرع امتثالاً لأمره».

وقد كان انتخب من أصحابه ألف رجل فجعلهم أصحاب الأعمدة الذهب، كل عمود منها ألف مثقال، ومثلها أصحاب أعمدة الفضة، فإذا كان في الأعياد، وفي اليوم الذي يحتاج في مثله إلى مباهاة[١] الأعداء دفع إليهم تلك الأعمدة، ومشوا في خدمته إجلالاً له.

وكان لا يطلع على سره أحد، ولا يعرف تدابيره غيره[٢] وأكثر نهاره هو خال بنفسه يفكر فيما يدبره.

---

(١) الأصل: «مباهات».

(٢) كذا في (ج)؛ وفي(ب): «وكان لا يطلع على سره غيره ولا يعرف تدابيره أحد سواه».

وكانت وفاته، لسبع بقين من شوال، عام خمسة وستين ومايتين، بجندي سابور، وكانت مدة ملكه اثنتي عشرة سنة.

وتولى مكانه أخوه **عمر و بن الليث**، وسار سيرة حسنة، وزاد في رفعته حتى خطب له بمدينة بغداد، وكان لا يذكر غير اسم الخليفة.

وفي سنة سبع وثمانين ومايتين، كانت الحرب بين إسماعيل بن أحمد الساماني وبين عمرو المذكور بناحية بلخ، وكانت امرأة إسماعيل المذكور معه على عادة الفرس في السفر، فخرجت يوماً إلى حافة نهر تغتسل، وأخرجت عقدها الثمين ووضعته على حافة النهر، فجاء طير فاختطف ذلك العقد وطار به، فلحقته الخيول، فألقى الطائر العقد في بير في البرية، فنزل أعوان السلطان إلى البير فوجدوا في أسفل البير ثلاثماية وسبعين صندوقاً مملوة من الذهب والجواهر، وهي خزينة خصمه الذي خرج لقتاله، وهو عمرو بن الليث، واستبشر بذلك أنه يغلب عمراً، وكان كذلك.

وفي تواريخ الفرس، أن عمرو بن الليث هذا مسكه الملك إسماعيل منفرداً وأسره، ولم يحصل لأحد من عسكره بأس، وذلك أن فرس عمرو عشق فرساً أنثى في جانب خصمه إسماعيل المذكور، فحمله فرسه كرهاً عليه، ولم يستطع ردها إلى أن دخل بين عسكر عدوه فمسكوه. فلما انتصر إسماعيل وأسر عمرو، أرسله إلى الخليفة المعتضد بالله. فلما أدخل إلى مدينة بغداد، وكان رافعا يديه يدعو وهو على جمل قالج، وهو ذو السنامين، وكان أنفذه إلى الخليفة في هدايا تقدمت له، فقال في ذلك الحسن بن محمد:

ألم تَـرَ هـذا الـدهـرَ كيف يكـونُ ... يـكـونُ يسيـراً أمـره وعسيـرا
وحَسْبُـك بـالصَّفـار نبـلاً وعـزة ... يَـروحُ ويغـدو في الجيـوش أميـرا
حَبَـاهم بـأجمـالٍ ولم يـدرِ أنـه ... على جمـلٍ منهـا يُقـاد أسيـرا

فلما مثل بين يدي الخليفة أمر بحبسه ومنع الطعام عنه، فهلك في السجن من الجوع، وقيل اشتهى طعاماً، فوضعوا له قطعة لحم في سطل، فجاء كلب

ووضع عنقه في السطل، وتعلق برقبته، فضحك فسئل عن سبب ضحكه، فقال: «بالأمس كان يحمل ما يحتاج إليه مطبخي في أسفاري على ثلاثماية جمل، واليوم يحملها كلب في عنقه!».

وكانت مدة ملكه ثلاثاً وثلاثين سنة، فتولى الملك بعده ولده[1] **طاهر بن عمرو بن الليث** خمس سنين، وهذا آخر من ملك/ من بني الصفار، وقد انقرضت دولتهم في سنة خمس وثلاثماية، والله أعلم! . ٢١٠/ب

(١) في الأصل: ولد ولده؛ والتصحيح بعد مراجعة النسختين (ب) و (ج).

الباب السابع والعشرون
في ذكر دولة آل سامان بما
وراء النهر وخراسان

ذكر **العتبي** في تاريخه، أن ملك آل سامان كان بما وراء النهر إلى حدود أصفهان، وهم عشرة أنفار، ومدة ملكهمماية سنة وسبعين سنة وستة أشهر.

أولهم:

أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد، وهو الذي قبض على عمرو بن الليث المذكور، وكان منعوتاً بالعدل والرأفة، موسوماً بطاعة الخلافة. توفي ببخارى، ليلة الثلاثاء لأربع عشرة خلت من صفر، سنة خمس وتسعين ومايتين، وقام بالأمر بعده **أبو نصر أحمد بن إسماعيل**، فملك ست سنين وثلاثة أشهر، وفتك به نفر من غلمانه ليلة الخميس لسبع بقين من جمادى الآخرة[١]. وكان مقتدياً بسيرة أبيه في اتباع العدل إلى أن طوت الدنيا صحائف أيامه وسد مسده[٢] ولده **أبو الحسن نصر بن أحمد**، فملك ثلاثين سنة[٣]، وكان رفيع النجاد قوي العماد.

فلما توفي[٤]، تلاه في إرث الملك **نوح بن نصر** وهو الحميد في آرائه سديد في آلائه، فملك اثنتي عشرة سنة وثلاثة أشهر وسبعة أيام، وتوفي

---

(١) وذلك عام ٣٠١هـ.
أبو الفدا، المختصر ٢/٦٧.

(٢) في (ب): «وملك بعده»؛ وفي (ج): «وملك بعده ولده».

(٣) في المصدر نفسه (٢/٩٠): «وكانت ولايته سنة وثلاثة وثلاثين يوماً».

(٤) توفي الملك نصر بن أحمد الساماني عام ٣٣١هـ/٩٤٢م.
المصدر نفسه ٢/٩٠.

ببخارى[١]، يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر، سنة ثلاث وأربعين وثلاثماية.

وانتصب منصبه **عبد الملك بن نوح**، فملك سبع سنين وستة أشهر وأحد عشر يوماً، وعثرت به دابته، فسقط إلى الأرض سقطة حمل منها ميتاً.

وخلفه في الولاية أخوه **منصور بن نوح**، خمس عشرة سنة وتسعة أشهر، وتوفي ببخارى[٢]، يوم الثلاثاء لإحدى عشرة خلت من شوال سنة خمس وستين وثلاثماية.

وولي أمره ولده **نوح بن منصور**، احدى وعشرين سنة وتسعة أشهر [فتوفي[٣].

وولي بعده ولده **منصور بن نوح**، ثم بعد عامين وثب عليه أخوه عبد الملك بن نوح فقبض عليه][٤]، فاعتقله بكتورون بسرخس يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر، سنة تسع وثمانين وثلاثماية.

/٢١١ أ وبويع أخوه **عبد الملك بن نوح**، / فما استقرت قدمه في الولاية حتى خربت على يد السلطان يمين الدولة[٥]، وأمين الملة دعامته وشالت نعامته، فطار إلى بخارى[٦]، وقبض إيلك خان عليه، وانتزع ولايته من يديه، وكانت مدة ملكه ثمانية أشهر وسبعة عشر يوماً.

وتولى بعده **منتصر بن نوح**[٦]، وهو آخر من تولى الملك من هذه الطائفة، فسبحان من لا يزول ملكه ولا يحول!.

---

(١) و(٢) و(٥) الأصل: «بخارا».

(٣) توفي في رجب عام ٣٨٦هـ.
أبو الفدا، المختصر ٢/١٣٣.

(٤) ما بين الحاصرتين ساقط من (أ).

(٥) وهو السلطان محمود بن سبكتكين، وسيرد ذكره في الباب الثامن والعشرين.

(٦) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «إسماعيل بن نوح».

الباب الثامن والعشرون
في ذكر دولة بني سبكتكين(1)

وهم عشرة أنفار، ومدة ملكهم ماية سنة واثنتان وسبعون سنة.

وأول من تولى الملك منهم:

سبكتكين، وسببه أنه ورد بخارى، في أيام نوح بن منصور، أحد ملوك السامانية، المتقدم ذكرهم، وكان وروده في صحبة أبي إسحاق ابن البِتْكين(2)، وهو حاجبه(3). ولما خرج أبو إسحاق المذكور والياً إلى غزنة، انصرف الأمير سبكتكين وعليه مدار أموره، فلم يلبث أبو إسحاق بعد موافاتها أن قضى نحبه(4)، ولم يبق من ذوي قرابته من يصلح لمكانه، ثم وقع اتفاقهم على تولية الأمير سبكتكين فبايعوه على ذلك، وانقادوا لحكمه. فلما تمكن واستحكم شرع في الغزاة والإغارة على أطراف الهند، فافتتح قلاعاً كثيرة، وجرت بينه وبين الهنود حروب يقصر الشرح عن وصفها، ولم يلبث أن اتسعت رقعة ولايته، وعظم حجم جريدته. وآخر الأمر أنه وصل إلى مدينة بلخ(5)، من طوس، فمرض بها، فاشتاق إلى غزنة، فخرج إليها فمات في الطريق قبل وصوله، وذلك في شعبان سنة سبع

---

(1) كذا؛ وفي (ب) و (ج) أضيفت إلى العنوان العبارة: «ذوي رأي صحيح وعقل رصين».

(2) وهو أبو إسحاق بن البتكين صاحب جيش غزنة في الدولة السامانية.
ابن الأثير، الكامل ٧/٨٥ ـ ٨٦؛ أبو الفدا، المختصر ٢/١١٧.

(3) يستفاد من المصدرين نفسيهما أن سبكتكين كان من غلمان أبي إسحاق بن البتكين.

(٤) وذلك عام ٣٦٦هـ/٩٧٦هـ.
المصدران نفساهما.

(٥) يشير ابن الأثير إلى أن سبكتكين قد أقام ببلخ بعد الإستيلاء عليها، وابتنى فيها دوراً ومساكن.
ابن الأثير، الكامل ٧/١٨٤.

وثمانين وثلاثمائة، ونقل تابوته إلى غزنة، وكانت مدة ملكه ثلاثاً وثلاثين سنة[1].
فتولى الملك بعده ولده إسماعيل بعهد منه، وكان أخوه السلطان محمود، بخراسان مقيماً بمدينة بلخ، وإسماعيل بغزنة، فلما بلغه نعي أبيه وتولية أخيه إسماعيل، قصده في جيش عظيم، فظفر به وحبسه، واستولى على الملك.

ولما انتظم له الأمر سيّر له الإمام القادر بالله العباسي خلعة السلطنة، ولقبه بسيف الدولة، ثم يمين الدولة، وفرض على نفسه غزو الهند في كل عام، ولم
٢١١ ب يزل يفتح من بلاد الهند حتى انتهى إلى حيث لم تبلغه في الاسلام راية، ولم تتل به قط سورة ولا آية، فوصل إلى بلد فيه الصنم المعروف بسومنات، وأن هذا الصنم عند الهنود يحيي ويميت، ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، ويزعمون أن الأرواح إذا فارقت الأجسام اجتمعت لديه على مذهب أهل التناسخ، فينشيها فيمن يشاء، وأن مد البحر وجزره[2] عبادة له على قدر طاعته. ولم يبق في بلاد السند والهند أحد إلا وقد تقرب لهذا الصنم بما عزّ عليه، حتى بلغت أوقافه عشرة آلاف قرية مشهورة، وامتلأت خزاينه من أصناف الأموال، وفي خدمته ألف رجل يخدمونه، وثلاثماية رجل يحلقون روس حجيجه ولحاهم عند الورود عليه، وثلاثماية رجل وخمسماية امرأة يغنون ويرقصون عند بابه، ولكل طائفة من هؤلاء رزق معلوم.

وكان بين المسلمين وبين هذه القلعة التي فيها الصنم المذكور مسيرة شهر في مفازة موصوفة بقلة الماء وصعوبة المسالك واستيلاء الرمل على طرقها، فسار إليها السلطان محمود في ثلاثين ألف فارس. فلما وصلوا إلى القلعة وجدوها حصناً منيعاً ففتحوها في ثلاثة أيام، ودخلوا بيت الصنم ووجدوا حوله، من الأصنام الذهب المرصع بأنواع الجوهر، عدة كثيرة محيطة بعرشه يزعمون أنها

(١) وهو خطأ أكيد، والصحيح ما ورد في ابن الأثير وأبو الفدا، حيث جاء أن مدة ملك سبكتكين كانت نحو عشرين سنة، باعتبار أنه ولي الحكم عام ٣٦٦هـ، وتوفي عام ٣٨٧هـ/٩٧٧م. ابن الأثير، المصدر نفسه: ١٨٤؛ أبو الفدا، المختصر ٢/١٣٣.
(٢) الأصل: «وزجره»؛ وما أثبتناه من النسخة (ج).

الملائكة، وأحرق المسلمون الصنم المذكور، فوجدوا في أذنه نيفاً وثلاثين حلقة، فسألهم السلطان محمود عن ذلك، فقالوا: «كل حلقة عبادة ألف سنة!». وكانوا يقولون بقدم العالَم، ويزعمون أن هذا الصنم يعبد منذ أكثر من ثلاثين ألف سنة، فدحض عنها أدناس الشرك.

ومناقب هذا السلطان كثيرة وسيرته من أحسن السير، وكان مولده ليلة عاشوراء سنة احدىٰ وستين وثلاثماية. توفي في ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وأربعماية[1]، وكانت مدة ملكه قريباً من خمس وثلاثين سنة.

وقام بالأمر بعده ولده **محمد** بعهد منه، واجتمعت عليه الكلمة. وكان أخوه أبو سعيد مسعود غايباً فقدم نيسابور، فمال الناس إليه، لأن محمداً كان سيء الخلق والتدبير، منهمكاً في ملاذه[2]. فأجمع الجند على عزل محمد وتفويض الملك إلى **مسعود**، ففعلوا ذلك، / وقبضوا على محمد وحملوه إلى قلعة ووكّلوا ٢١٢/ أ به، فكانت مدة ملكه سنتين.

واستقر الملك للأمير مسعود، فجرى له مع بني سلجوق خطوب يطول شرحها حتى قتل في سنة ثلاثين وأربعماية[3]، ومدة ملكه ثلاث عشرة سنة.

وتولى بعده ولده [**شهاب الدولة مودود**][4].

ثم ابنه **أبو المظفر إبراهيم**، وكان صالحاً عابداً، وكان أكثر مجالسه في الجوامع والمساجد يدبر الملك ويفيد الطالبين بالدرس، فكانت مدة ملكه اثنتين وأربعين سنة[5].

---

(١) كذا؛ وفي ابن الأثير (٧/٣٤٦): أن وفاة السلطان محمود بن سبكتكين كانت في ربيع الآخر عام ٤٢١هـ/١٠٣٠م، وقيل في ١١ صفر من السنة نفسها.

(٢) كذا؛ وفي(ج): «لذاته».

(٣) أورد ابن الأثير وفاة السلطان مسعود في حوادث سنة ٤٣٢هـ.
ابن الأثير، الكامل ٢٦/٨ ـ ٢٧.

(٤) ما بين الحاصرتين من النسخة (ج).

(٥) توفي عام ٤٨١ هـ.
المصدر السابق: ١٤٧.

ثم تولى الملك بعده ولده **أبو الفتح [أرسلان شاه]**[1] مدة.

فلما هلك ملك بعده أخوه **المظفر بهرام شاه**، ولم تزل تتلاشى أمورهم ويختل نظامهم حتى ملك ولده **أبو شجاع خسروشاه**، وهو آخر من ملك من هذه الطايفة، واستولى على الملك السلجوقية، فسبحان من لا يزول ملكه!.

(١) ما بين الحاصرتين من (ج).

الباب التاسع والعشرون
في ذكر دولة بني طولون[1]

ذكر ابن عساكر في تاريخه، أن طولون كان من الأتراك الذين أهداهم نوح بن أسد الساماني عامل بخارى إلى المأمون في سنة مايتين، وأن أحمد بن طولون ولي على مصر في زمن المعتز بالله العباسي في سنة خمسين ومايتين[2]، ثم أضيفت إليه نيابة الشام والثغور وإفريقية، فأقام مدة طويلة، وفتح مدينة أنطاكية، وبنى قلعة يافا، ولم يكن لها قبل ذلك قلعة، وبنى بين مصر والقاهرة الجامع المعروف به[3]، واستقل بالأمر وخطب باسمه.

وكان كثير الصدقات، فقال له يوماً المتولي على صدقاته: «ربما امتدت إليّ اليد المطوقة بالجوهر والمعصم ذو السوار والكم الناعم، أفأمنع هذه الطبقة؟». فقال: «هؤلاء المستورون الذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، إحذر أن تردّ يداً امتدت إليك، واعط من استعطاك، فعلى الله تعالى أجره!».

وكان يتصدق في كل أسبوع ثلاثة آلاف دينار سوى الراتب، ويجري على أهل المساجد في كل شهر ألف دينار. وفرّق على العلماء والصلحاء ببغداد في

(١) كذا؛ وفي (ب) و (ج): «في ذكر دولة بني طولون بالديار المصرية، ولمع من أوصافهم السنية وخصايلهم البهية».

(٢) في ابن الأثير أن ولاية أحمد بن طولون على مصر كانت عام ٢٥٤هـ. ابن الأثير ٥/٣٣٩.

(٣) بناه عام ٢٥٩هـ/ ٨٧٢م، وفرغ من عمارته عام ٢٦٦هـ/٨٧٩م، وقيل ٢٦٥هـ، وبلغت نفقات بنائه ١٢٠ ألف دينار.
ابن دقماق، الانتصار ٤/١٢٢ - ١٢٤.

أيامه ألف ألف دينار، ومايتي ألف دينار. وكان خراج مصر في أيامه أربعة آلاف ألف دينار وثلاثماية ألف دينار.

/٢١٢ ب وكان لابن طولون ما بين رحبة مالك/ بن طوق إلى أقصى بلاد الغرب.

وفي «**النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة**» أن أحمد بن طولون قدم إلى دمشق في سنة سبعين ومايتين، وعمّر على قبر معاوية بباب الصغير قبة عالية وعلق فيها قناديل، وجعل فيها القراء. واستمر ابن طولون مدة يجور ويعسف في الرعية إلى أن اجتمعوا عند السيدة نفيسة، وشكوا من ظلمه. فقالت لهم: «متى يركب؟». قالوا: «في غد». فكتبت رقعة ووقفت في طريقه، وقالت: «يا أحمد بن طولون!». فلما رآها عرفها، فترجل عن فرسه وأخذ منها الرقعة، وقرأها، فإذا فيها: «ملكتم فأسرتمّ، وقدرتم فقهرتم، وخولتم فعسفتم، وردَّت إليكم الأرزاق فقطعتم. هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة، لا سيما من قلوب أوجعتموها، وأجساداً عريتموها، اعملوا ما شئتم فإنا صابرون، وجوروا فإنَّا مستجيرون، واظلموا فإنَّا إلى الله متظلِّمون، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون!». فعدل لوقته.

توفي في عشر ذي القعدة سنة سبعين ومايتين[1]، وخلف سبعة عشر ولداً، وكانت مدة ولايته نحو ست وعشرين سنة.

وتولى بعده ابنه **أبو الجيش خمارويه**، وأقام مدة طويلة. وكان كثير السهر، فاصطنع لنفسه بستاناً بقرب جامع أبيه، وابتنى فيه قصوراً وساق إليه مياهاً جارية، وعمل في وسطه بركة عظيمة مملوة بالزيبق، ووضع عليها تختاً كان ينام عليه لأجل سهره.

وفي شهر ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين ومايتين، ذبحه بعض خدمه على فراشه بدمشق، وحمل إلى مصر، ودفن بها.

وكان سببه، أنه نقل إليه أن جواريه قد اتخذت كل واحدة خصياً، وجعلته لها

(١) حول ظروف وفاة أحمد بن طولون، راجع: ابن الأثير ٦/٥٥ ـ ٥٦.

كالزوج، وقصد خمارويه تقرير بعض الجواري على ذلك، فاجتمع جماعة من الخدم واتفقوا على قتله.

ولما قتل، تولى مكانه ولده **جيش بن خمارويه**، وكان صبياً، فأقام تسعة أشهر، ثم خلعه طغج بن جف أمير دمشق لصباه وتقريبه الأراذل، وتهديده لقواد أبيه، فقتلوه ونهبوا داره، ونهبوا مصر وأحرقوها، / وأجلسوا أخاه **هارون بن** ٢١٣/ أ **خمارويه**، في الولاية، وكانت مدة ولاية أخيه جيش المذكور تسعة أشهر.

ولم يزل هارون والياً مع ضعف من الأمر بسبب اختلاف القواد عليه، واختل نظام مملكته حتى استقل **طغج بن جف** بدمشق وخرج عن طاعته.

وفي سنة اثنتين وتسعين ومايتين، بعث المكتفي جيشاً، فأمَّر عليهم محمد بن سليمان الواثقي، فاستولى على دمشق، وسار حتى دنا من مصر، وجرى بينه وبين عسكر هارون وقعات حتى قتل هارون.

وتولى بالأمر مكانه عمه **أبو المغانم شيبان بن أحمد بن طولون**.

ثم هرب [أبو المغانم] من الجيش تحت الليل، واستولى **محمد بن سليمان** على مصر، وقبض على أولاد طولون، وكانوا بضعة عشر رجلاً، واستصفى أموالهم وقدرها أربعماية حمل جمل من التحف وألف ألف دينار، وحملهم إلى المكتفي ببغداد، وانقرضت دولة الطولونية عن الديار المصرية. وكانت مدة ولايتهم قريباً من أربعين سنة، فسبحان من لا يزول ملكه!.

الباب الثلاثون
في ذكر دولة بني طغج الأخشيدية بالديار المصرية والشامية ونبذة من أخبار آل حمدان لأنهم كانوا ابتهاجاً في وجه الزمان(1)

ذكر **الصوري** في تاريخه أن هذه الطائفة منسوبون إلى عبد الله بن طغج بن جف بن يلتكين بن فور بن خاقان، صاحب سرير الذهب والقصر الجوهر في فرغانة(2)، وكان المعتصم جلب من فرغانة رجالاً اصطنعهم، فكان جف من جملتهم، ومات جف ليلة قتل المتوكل(3). وكان طغج أصغر أولاده فولد له محمد، وهو أول من استولى على مصر والشام، وعبده كافور.

والأصل في أخشيد، أق شيد، معناه الشمس البيضاء، وكل من ملك بفرغانة يسمى الأخشيد كما يدعو الروم ملكها بقيصر، والفرس بكسرى، والعرب بتبّع، والمسلمون بالخليفة، والترك بخاقان، وملك جرجان(4) صول، وملك

(1) كذا؛ وفي (ج): «في ذكر دولة بني طغج الأخشيدية بالديار المصرية والشامية ذوي المفاخر الحسنة والشمايل المرضية، ونبذة ... وجه الزمان».

(2) بالفتح ثم السكون، وهي مدينة كبيرة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان بينها وبين سمرقند خمسون فرسخاً.
ياقوت ٤/٢٥٣ ـ ٢٥٤.

(3) قتل الخليفة المتوكل العباسي، في شوال عام ٢٤٧هـ/٨٦١م.
المسعودي، مروج ٧/١٨٩؛ السيوطي، تاريخ: ٣٥٠.

(4) بالضم ثم السكون، وهي مدينة مشهورة بين طبرستان وخراسان، وقيل إن أول من أحدث بناءها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة. ياقوت ٢/١١٩ ـ ١٢٢.

أذربيجان[1] أصبهيد، وملك طبرستان سالار، وملك الديلم كاسان، وملك الأنباط نمرود، وملك القبط فرعون، وملك اليمن النجاشي[2]، وملك الحبشة كذا في «**البيان الجامع لتاريخ الزمان**».

ولقب محمد بن طغج بالأخشيد، وتولى مصر والديار الشامية من قبل الراضي بالله/ العباسي. ولما ضعف أمر الخلافة وتغلب عمال الأطراف عليها، ٢١٣/ب فاستقر ملك مصر والشام في يد الأخشيد إلى أن مات في ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثماية.

وكان شيخاً من شيوخ المعتزلة، وكان شديد التيقظ في حروبه، وله ثمانية آلاف مملوك يحرسونه بالنوبة، كل يوم ألف مملوك. وهو لا يثق حتى يمضي إلى خيمة الفراش[3]، فينام بها خوفاً على نفسه. وكان جيشه يحتوي على أربعماية ألف رجل.

ولم يزل إلى أن توفي في الوقت المعلوم، وحمل تابوته إلى بيت المقدس ودفن هناك، وكانت مدة ولايته احدى عشرة سنة وثلاثة أشهر.

وفي السنة التي توفي فيها، وجد بداره رقعة مكتوب فيها هذه الكلمات: «اشتغلتم بالشهوات واغتنام اللذات. أوَما علمتم أن الدنيا لو بقيت للعاقل ما وصل إليها الجاهل، ولو دامت لمن مضى ما نالها من بقي؟ فكفى بصحبة ملك يكون في زوال ملكه فرح للعالم. ثقوا بقدرتكم وسلطانكم فإنا بالله واثقون، وهو حسبنا ونعم الوكيل». فبقي الأخشيد بعد سماع هذه الرقعة في فكر إلى أن مات.

---

(١) بالفتح ثم السكون، وفتح الراء، وكسر الباء الموحدة، وياء ساكنة، وجيم، من الاقليم الخامس، حدها من برذعة مشرقاً إلى أرزنجان مغرباً، ويتصل حدها من الشمال ببلاد الديلم، والجبل، والطرم، ويغلب عليها الطابع الجبلي. ومن مدنها المشهورة: تبريز ومراغة. المصدر نفسه ١/١٢٨ ـ ١٢٩.

(٢) كذا في النسخة(ب)؛ وفي النسخة(ج): «تبّع».

(٣) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «خيم الفراشين».

وولي الأمر بعده ابنه أبو القاسم أنوجور، وكان صغيراً فأقيم كافور الأخشيدي الخادم الأسود أتابكاً، فكان يدبر المملكة.

وفي زمانه سار سيف الدولة بن حمدان إلى دمشق وملكها، وأقام بها. واتفق أنه ركب يوماً والشريف العقيقي معه، فرأى الغوطة، فقال: «ما تصلح هذه إلا لرجل واحد!» فقال له العقيقي: «هي لأقوام كثيرة، وغالبها وقف». فقال سيف الدولة: «لو أخذتها تبرأ منها أهلها». فأعلم العقيقي أهل دمشق بذلك، فكاتبوا كافوراً يستدعونه فجاءهم، فأخرجه وولّى على دمشق بدر الأخشيدي.

ولنذكر نبذة من أخبار آل حمدان لأنهم كانوا ابتهاجاً في وجه الزمان

فنقول هم من بني ربيعة، وسيف الدولة علي هو كبيرهم وأميرهم وواسطة عقدهم ونصيرهم، وأخوه ناصر الدولة الحسن ووالدهما عبد الله أبو الهيجاء بن حمدان كان تولى إمارة الحاج من جانب الخلفاء العباسيين وقتل بعد ذلك.

ثم إن الراضي بالله العباسي جعل للأخوين المذكورين ألقاباً سلطانية؛ فجعل لعلي سيف الدولة، وللحسن ناصر الدولة، وأعطى سيف الدولة حلباً وما يتبعها إلى آخر بلاد حمص، وإلى حدود الموصل، وإلى جوانب جيحان[١]، وأعطى ناصر الدولة الحسن الموصل وما يتبعها. وكان ناصر الدولة أكبر سناً، ولكن سيف الدولة أعظم شأناً، وأثقب ذهناً. وكان قد صدر بين الأخوين المذكورين نوع منافسة أدت إلى مناقشة، فكتب سيف الدولة إلى أخيه ناصر الدولة هذه الأبيات يخاطبه، وأجاد:

رضيتُ لك العليا وقد كنت أهلها   وقلت لها بيني وبين أخي فرقُ

(١) ويرد أيضاً «جهان»، وهو نهر يخرج من بلاد الروم ويصب في البحر المتوسط.
G. Demombynes, la Syrie à l'époque des Mamlouks, P. 18-19.

وما كان بي عنها نكول وإنما تجاوزتُ عن حق فتمَّ لك الحقُّ
أما كنت ترضى أن أكون مصلّياً إذا كنتُ أُرضى أن يكون لك السَّبقُ

ومن غريب ما اتفق أن ناصر الدولة تضايق مرة من معز الدولة بن بويه حين قصده بعساكر بغداد، فهرب منه إلى أخيه سيف الدولة المذكور، ووصل إلى حلب في أيام قليلة، فتلقاه سيف الدولة.

وذكر **ابن الأثير** أنه نزع خف أخيه عند قدومه بيده.

ولقد اتسع ملك سيف الدولة، حتى أنه ملك دمشق في زمن كافور الأخشيدي، حين كان متولياً أمور المملكة بمصر.

وكان سبب خروجه ما ذكرناه من محادثته مع الشريف العقيقي في أمر غوطة دمشق.

وكان كثيراً ما يغزو بلاد الكفر، وله مع الدّمَسْتَق الطاغي، أمير النصارى، وقائع وحروب.

وكانت حضرته محط الرحال ومنهل أرباب الكمال، بحيث أن الأفاضل كانوا يقصدونه من جميع الأطراف، لما يجدون عنده من المكارم والألطاف. وكان شاعره المتنبي الشاعر الذي لم تسمح بمثله الأدوار ما دار الفلك الدوار، وكان كاتبه الأمير كشاجم(١)، الفاضل المشهور، وكان خطيبه خطيب الخطباء ابن نبّاته(٢)، صاحب الديوان المشهور، وكان مؤدبه ابن خالويه، وكان سر داره ابن

---

(١) كشاجم لقبه، وهو محمود بن الحسين، أبو الفتح الكاتب، من أهل الرملة من نواحي فلسطين. كان من شعراء سيف الدولة الحمداني ووالده. له تصانيف عدة منها: «أدب النديم»، و«المصايد والمطارد». توفي في حدود سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م.
ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات ٤/ ٩٩ - ١٠٠؛ ابن العماد، شذرات الذهب ٣/ ٣٧ - ٣٨.

(٢) عبد الرحيم بن محمد بن إسماعيل بن نباته، خطيب الخطباء. ولي خطابة حلب لسيف الدولة. توفي بميافارقين سنة ٣٧٤هـ/ ٩٨٤م، وعمره دون الأربعين.
ابن العماد ٣/ ٨٣ - ٨٤.

عمه أبو فراس الحارث، صاحب النظم العجيب، والشعر الغريب، والمكارم الشائعة، والصفات الساطعة التي تزينت بها الدفاتر، ورواها الباذي والحاضر، وسار صيته في الآفاق، وتناقلت أحاديث فضله الرفاق، فأي كتاب ما هو مزيّن بصفاته، وأي دفتر ما هو مطيب بمحاسن سماته، وغالب شعر المتنبي في مدايحه العالية، وفي ذكر محاسنه الغالية، وهو القايل فيه:

لا تَطْلبن كريماً بعد رؤيته إن الكرام بأسخاهم يداً خَتَموا
ولا تبالِ بشعرٍ بعد شاعره قد أفسد القولَ حتى أُحمد الصَّمم

واستمر سيف الدولة يجاهد في الله حق جهاده، ويسعى في دين الإسلام بما يقربه في معاده. ولقد أسر ابن عمه الأمير الكبير، صاحب القدر الرفيع الخطير، الفاضل الشجاع، الواصل إلى مرتبة الاختراع والإبداع، الأمير أبو فراس، وكان حبسه في حصن خرشنه[1]، وهو من الحصون المنيعة، والقلاع الرفيعة. فضايقه من حبسه أشد المضايقة، فأرسل إلى أمه، وكانت مقيمة بمدينة منبج[2]، أن تذهب إلى الملك سيف الدولة إلى حلب، وتطلب منه أن يرسل إلى ملك النصارى ليفديه، فذهبت إليه فردها، وقال لها: «ولدك ابن عمي وخال أولادي، ولكن أنا عجزت، وأنا أنصحه أنه لا ينزل بنفسه إلى الميدان عند وقوع الحرب، لأنه أمير سردار، وليس للسردار شجاعة إلا بثباته تحت علمه، وقد فديته قبل هذه مرتين». فلما رجعت إلى منبج أرسلت إلى ولدها مكتوباً تذكر له فيه أن الملك ردها، فكتبت إليه ما قال لها من النصيحة، فكتب الأمير أبو فراس من حصن خرشنه، وهو في الأسر، قصيدة لا نظير لها يخاطب سيف الدولة، ويعاتبه على ردّ أمه بغير إجابة إلى الفداء، ويذكر إلقاء نفسه في رضاه إلى الردى فقال:

---

(١) بلد قرب ملطية من بلاد الروم، غزاه سيف الدولة، وذكره المتنبي في شعره. ياقوت ٢/٣٥٩.

(٢) مدينة في الشمال الشرقي لبلاد الشام من أعمال حلب، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ.
ياقوت ٥/٢٠٥ ـ ٢٠٧؛ لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية: ١٣٩.

يا حسرة ما أكاد أحملها ... آخرها مزعج وأولها
حزينة[1] بالشام مفردة ... بات بأيدي العدى معللها
تسأل عنه الركبان جاهدة ... بأدمع ما تكاد تهملها[2]
يا من رأى لي بحصن خرشنةٍ ... أسد شرىً في القيود أرجلها!
يا مَنْ رأى الدروبَ شامخةً ... دون لقاء الحبيب أطولها!
بأيٍّ عذرٍ رددت والهةً ... عليك دون الورى معولها!
جاءتك تمتاح ردّ واحدها ... ينتظر الناس كيف تغفلها؟
سمحت مني بمهجةٍ كرمتْ ... أنت على يأسها مؤملها
إن كنت لا[3] تبذل الفداء لها ... فلم أزل في هواك[4] أبذلها!

وهي قصيدة طويلة محاسنها عميمة شاملة، وأرسل إلى أمه مكتوباً يقول فيه:

لولا العجوز بمنبجٍ ... ما خفت أسباب المنيَّهْ
ولكان لي عما قصدت ... من الفدا نَفسٌ أبيَّهْ
لكن أردُت مرادها ... ولو انجذبتُ إلى الدنيّهْ
يا أمّتا لا تحزني ... لله ألطاف خفيَّهْ

ثم بعد ذلك أرسل إليه وفداه واستقبله، وتلقاه ولد سيف الدولة في سنة ثلاث وثلاثماية. ومات في سنة سبع وخمسين وثلاثماية، ودفن عند أمه بميافارقين[5]

(١) كذا؛ وفي الديوان: «عليلة».
(٢) كذا؛ وفي المصدر نفسه: «تمهلها».
(٣) كذا؛ وفي الديوان: «لم».
(٤) كذا؛ وفي المصدر نفسه: «رضاك».
(٥) مدينة في تركية. وميافارقين بالعربية تحريف لاسم «ميفركت» أو «موفركن» الأرمني. أبو الفدا، تقويم: ٢٧٨ ـ ٢٧٩؛ لسترنج، بلدان: ١٤٣.

وتولى الملك بعده ولده سعد الدولة أبو المعالي، وسعد الدولة هذا هو ابن أخت أبي فراس المذكور.

واتفق أن أبا فراس المذكور كان عند سيف الدولة والياً على حمص، فرام بعد موت الملك أن يستقل بملك حمص، فأرسل إليه ابن أخته سعد الدولة يقول له: «يا خال، أعط حمص لنا يا ابن فرغويه!». فامتنع من تسليمها، فقاتله عندصدد ومرين، فانكسر عسكر أبي فراس، وقتل في ذلك المكان، واستمرت جثته ثلاثة أيام ملقاة في البرية، حتى جاء بعض الأعراب وواراها. واستمر سعد الدولة والياً مكان أبيه نحو عشرة أعوام.

ولما مات ناصر الدولة الحسن، أخو سيف الدولة بديار الموصل، تولى بعده ولده أبو تغلب فقتل.

وتولى مكانه أخوه **الغضنفر بن ناصر الدولة**. وصدر لأبي تغلب المذكور مع الملك عضد الدولة بن بويه قصة عجيبة ومصافات غريبة أوجبت انكسار عسكر أبي تغلب وانتصار عضد الدولة، فأرسل أبو تغلب إلى عضد الدولة مكتوباً يلتمس منه العفو والصفح عنه، فقال في ذلك عضد الدولة:

أأفاق حين وطئت ضيقَ خِنَاقه ... يَبْغي الأَمان وكان يبغي صارما
فَلأركبنَّ عزيمةً عضدية ... تَدَعُ الأنوف مدى الزَّمان رَوَاغما

وذكر ابن خلكان أن سيف الدولة جمع لنفسه من غبار الجهاد مع الكفار كثيراً، وصيره لبنةً، وأوصى أن توضع في قبره تحت خده، ففعلوا به ذلك.

واستمر ملك بني حمدان في بلاد حلب والجزيرة وبلاد الموصل ما يقرب من سبعين سنة، ولسيف الدولة شعر لطيف جداً، فمن ذلك أنه قال يوماً هذا البيت مفرداً:

لك قلبي تعلّه ... فدمي لِمَ تُحِلُّهُ؟

وطلب من الأمير أبي فراس أن يجيزه، فقال ارتجالاً:

إن كنت رقّي مـالكـاً   فَـلَكَ الأمـر كُـلُّـهُ

فأعطاه لذلك منبج إقطاعاً.

وله في تشبيه قوس قزح، وأجاد إلى الغاية:

كأذيالِ خودٍ أقبلت في غلايـلٍ   مصبَّغَةً والبعضُ أقصر من بعـضِ

وكان بنو حمدان شيعة، لكن كان تشيعهم خفيفاً، ولم يكونوا كبني بويه؛ فإن بني بويه كانوا في غاية القباحة سبَّابين، ومن أراد استقصاء أخبار ملوك بني حمدان، فلينظر إلى «**يتيمة الدهر**» للثعالبي، والله تعالى أعلم.

وفي سنة تسع وأربعين وثلاثماية مات أنوجور، فأقام كافور أخـاه عليّاً مكانه، فتوفي وهو صغير. واستقل **كافور الأخشيدي** بالمملكة يُدعى له على المنابر بالبلاد المصرية والشامية والحجازية، فأقام سنتين وأربعة أشهر، ومات
/٢١٤ أ بمصر في / سنة سبع وخمسين وثلاثماية.

قال **الذهبي**: «كان كافور عبداً حبشياً خصيّاً، اشتراه الأخشيد بثمانية عشر ديناراً، ثم تقدم عنده لعقله ورأيه، ولم يبلغ أحد من الخصيان ما بلغ كافور».

قال **أبو جعفر مسلم بن عبد الله بن طاهر العلوي**: «كنت أسايركافوراًيوماً، وهو في موكب، فسقطت مقرعته من يده، فبادرت بالنزول وأخذتها من الأرض، وناولتها إليه، فقال: أيها الشريف، أعوذ بالله من بلوغ الغاية، ما ظننت أن الزمان يبلغني حتى يفعل بي هذا!. فكاد يبكي. فلما بلغ باب داره ودعته وسرت، فإذا بالبغال والنجايب(١) بمراكبها، وقال أصحابه: أمر كافور بحمل هذا إليك. وكان ثمنها يزيد على خمسة عشر ألف دينار».

وذكر **ابن الأثير** في تاريخه أن كافوراً كان يوماً سايراً بمصر في موكب عظيم، ومعه الشريف ابن طاطبا العلوي، فنزل كافور عن فرسه ووقف الموكب من خلفه وقدامه، وسجد لله تعالى على الأرض في السوق، ثم ركب على فرسه

---

(١) في الأصل وفي (ب): «الجنايب»، والتصحيح بعد مراجعة (ج).

وسار، فسأله الشريف عن ذلك، فقال: «قد علمت أنه لا يسألني عن هذه المسألة غيرك! . كنت في مبدأ أمري أمرّ من هذا السوق، وأرى في هذا المكان دكان هريسة، وكنت أشتهيها، ولا أقدر على ذلك، فكنت أقنع بالشم وأكتفي به، ولما مَنَّ الله عليَّ بهذه السلطنة العظيمة عزمت على شكر الله تعالى، وكلما كثرت النعم وجب الشكر بمقدارها، أردت أن يشيع عني الشكر بمقدار شيوعها، ونازعتني نفسي في ذلك عدة مواكب، وكانت تغلبني وتمنعني من ذلك، واليوم غلبت أنا نفسي، وأديت الشكر لله تعالى».

ولما مات كافور، وقع الخلف فيمن ينصب بعده، واتفقوا على نصب أبي الفوارس أحمد بن علي بن الأخشيد، وخطب له وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، فأقام شهوراً حتى أتى جوهر القائد من الغرب، فانتزعها منه، فكان جملة الدولة الأخشيدية نحو خمس وثلاثين سنة.

الباب الحادي والثلاثون
في ذكر ملوك جرجان من بني مرداويج الديلمي [1]

ذكر صاحب «**السلوك في دول الملوك**»[2] في أصل الديلم أن باسل بن ضبَّة[3] بـن أد بن طابخة[4] بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، خرج مغاضبا لأبيه، فوقع في أرض الديلم، فتزوج امرأة من العجم، فولدت له ديلم بن باسل، فهو أبو الديلم كلهم، وهم أفخاذ وعشاير، [ومنهم ملوك بني بويه][5]، وكانوا مجوساً لم ينقادوا إلى ملة، فأسلم بعضهم.

وأول من ظهر منهم **أبو الحجاج مرداويج بن زياد الديلمي**[6] فقوي أمره وعظمت جيوشه، واستولى على بلد الجبل[7] والري وأتته الديلم من كل ناحية، واتخذ له سريراً من الذهب وتاجاً مرصعاً بالجوهر، واصطنع كراسي فضة لخواصه، ولم يزل تزداد شوكته.

---

(١) في (ب) و (ج): «الباب الحادي والثلاثون :في ذكر بني مرداويج الديلمي ملوك جرجان المهارسين معركة الأبطال والشجعان».

(٢) يقصد المقريزي المؤرخ المملوكي المعروف، المتوفَّى سنة ٨٤٥هـ/١٤٤٢م.

(٣) في الأصل: «طبية»؛ وفي (ب): «ظيبة»؛ وما أثبتناه من (ج) والمقريزي.

(٤) في الأصل و(ب): «طابحة»؛ وما أثبتناه من (ج) والمقريزي.

(٥) ما بين الحاصرتين من المقريزي، السلوك١/١: ٤٣.

(٦) كذا في النسخ الثلاث؛ وفي المقريزي. «مرداويج بن زيار، وقيل مرداويج بن قاقيج الجيلي الديلمي».
المقريزي، المصدر نفسه: ٤٣.

(٧) وترد «بلاد الجبل»، وهي البلاد المعروفة عند العامة بعراق العجم، ومن مدنها: همذان، ودينور، وقزوين، وقم، وقاشان، والري، وأصبهان، وغيرها.
أبو الفدا، تقويم: ٤٠٨-٤٢٣.

وفي سنة خمس عشرة وثلاثماية، استولى على جرجان، وكتب أبو مسلم الكاتب الأصفهاني بذلك يعلم الخليفة.

/ ٢١٤ ب أرى ناراً أو تأجّج من بعيدٍ/ لها في كلّ ناحيةٍ شعاعُ

واستولى على قزوين، وهمذان، ودينور، وقم، وكاشان، وأصفهان، وطبرستان[١]، واستولى على بقية بلاد الجبل، ونهب البلاد إلى أن وصل إلى حُلوان[٢].

وفي سنة تسع عشرة وثلاثماية، أرسل المقتدر بالله العباسي العساكر، فغلبهم مرداويج، وكان جبّاراً متكبراً.

وفي سنة ثلاث وعشرين وثلاثماية، دخل الحمام، فهجم عليه جماعته، فقتلوه وتولى مكانه أخوه **وشمكير بن زياد** مدة، فوقع بينه وبين ملوك الأطراف حروب كثيرة.

توفّي سنة ست وخمسين وثلاثماية، وسببه أنه كان خرج للصيد فصادفه خنزير مجروح، فهجم عليه، فقام فرسه ورماه فقتله.

وتولى مكانه ولده **بيتون بن وشمكير** مدة، وتوفي في سنة ست وستين وثلاثماية.

وتولى مكانه أخوه **قابوس بن وشمكير**، وكان عالماً فاضلاً شاعراً. وكان قابوس هذا حسن الخط إلى الغاية حتى أن الصاحب بن عباد كان يقول عند رؤيته: «هذا خط قابوس أم جناح الطاووس!»، وينشد قول المتنبي:

(١) لفظة فارسية مؤلفة من قسمين: طبر: الفأس، وستان: الناحية أي ناحية الفأس، وسميت بذلك لكثرة اشتباك أشجارها، ولا يسلك فيها الجيش إلاّ بعد أن يقطع بالطبر (الفأس) الأشجار من بين أيديهم. وهي منطقة شاسعة تقع شرقي كيلان وبلاد الديلم، ومن مدنها: رويان، وناتل، وماطير، وبسطام، وجرجان.
أبو الفدا، تقويم: ٤٣٢ ـ ٤٤٠.

(٢) بالضم ثم بالسكون، وهي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد.
ياقوت ٢/٢٩٠ ـ ٢٩٣.

من خطّه في كل قلب شهوة　　حتى كأن مداده الأهواء

فاستمر إلى أن غضب عليه عضد الدولة وأخرجه من المُلك، فتوجه إلى خراسان، وبقي معزولاً عند بني سامان ثمانيَ عشرة سنةً، ثم تولى بعده جرجان وطبرستان ومازندران وكيلان خمس عشرة سنة، ومن نظمه:

قل للذي بصروف الدهر عيَّرنا　　هل عانَدَ الدهر إلا مَنْ له خطرُ
أما تَرى البحرَ يعلو فوقه جيفٌ　　فيستقرّ بأقصى قعْرِهِ الدررُ
ففي السماء نجومٌ ما لها عددٌ　　وليس يكسف إلا الشمسُ والقمرُ

وما أنشدنيه بلفظه لنفسه، في أواخر رجب الفرد سنة تسع بعد الألف، الأستاذ البارع الكامل المولى العالم الفاضل، فريد دهره ووحيد عصره، العلامة البدري، مولانا الشيخ حسن البوريني، لا زالت شموس علومه ساطعة، وبدر فهومه طالعة، لله دره حيث قال:

صبراً على نوبِ الزمان فإنها　　مخلوقةٌ لنكايةِ الأحرارِ
لا يكسف النجمُ الحقيرُ وإنما　　يَسْري الكُسوفُ لِرفْعة الأقمارِ

وكان قابوس صاحب عنف وتجبر، فخلعه عساكره وولوا مكانه ولده **فلك المعالي منوجهر**، وانقطع هو في عبادة ربه.

فلما توفي في سنة عشرين وأربعماية، تولى مكانه ولده **أنو شروان شاه**، ولم يتم حاله حتى استولى على الملك السلطان محمود بن سبكتكين، وكان آخر العهد بهم، وقد انقرضت دولتهم، والله أعلم!.

الباب الثاني والثلاثون
في ذكر دولة آل بويه ملوك العراق[1] /

ذكر أصحاب التاريخ أن بويه كان رجلاً صعلوكاً من الديلم، وكنيته أبو /٢١٥ أ
شجاع بن فنا خسرو بن تمام. وكان تَرِب اليد فقيراً يصيد السمك، وكان ينتسب إلى الفرس، ويزعم أن جده بهرام جور أحد ملوك الأكاسرة.

ثم إن بويه رأى في منامه كأنه يبول، فخرج من ذكره نار عظيمة استطالت وعلت حتى كادت تبلغ السماء، ثم انفرجت فصارت ثلاث شعب، وتولد من تلك الشعب عدة شعب، فقصه على منجم، فقال له: يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الأرض! . فمضت السنون وولد له خمسة أولاد، مات الإثنان وبقي ثلاثة أولاد هم: عماد الدولة أبو الحسن علي بن بويه، وهو أكبرهم، وركن الدولة أبو علي الحسن، ومعز الدولة أبو الحسين أحمد. وكان عماد الدولة سبب سعادتهم وانتشار صيتهم، فملكوا العراقين والأهواز وفارس، وساسوا أمور الرعية أحسن السياسة، وهم خمسة عشر نفراً، ومدة ملكهم مائة وست وعشرون سنة.

وكان مبدأ ظهورهم في سنة اثنتين وعشرين وثلاثماية، في خلافة المقتدر بالله العباسي، وذلك أن عماد الدولة سار إلى مرداويج، فأقبل عليه وقلده إمارة الكرج، فأحسن السيرة، فافتتح قلاعاً ظفر منها بذخائر كثيرة، فاستمال الرجال حتى شاع ذكره وقصده الناس، وعظم في أعينهم، لأنه كان في تسعماية رجل هزم بهم ما يقارب عشرة آلاف. وبعث أخاه ركن الدولة، فأخذ كازرون[2]، ثم ملك

(١) في (ب): «في ذكر بني بويه ملوك العراق الموصوفين بالنباهة ومكارم الأخلاق»؛ وفي (ج): «في ذكر دولة آل بويه ملوك العراق الموصوفين بالنباهة ومكارم الأخلاق».

(٢) مدينة بفارس بين البحر وشيراز.
ياقوت ٤/٤٢٩ - ٤٣٠.

شيراز وفارس، فعظم شأنه وقصده الرجال من الأطراف، فقام مرداويج وقعد، فقدر الله قتله على يد غلمانه، فسار أكثر جنده إليه واستولى على بغداد، نهار السبت حادي عشر جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وثلاثماية، ونهبوا دار الخلافة حتى لم يبق فيها شيء، وأقام الخليفة المطيع لله، ولم يجعل له أمراً ولا نهياً، ولم يبق بيده إلا ما لا يقوم ببعض حاجته، فملك البصرة والموصل وتمام البلاد. فولى
/٢١٥ ب إمرة بغداد لأخيه معز الدولة، وعين لركن الدولة/ إمارة أصفهان، وهو أقام بمدينة شيراز.

ومن أغرب ما اتفق أنه لما ملك شيراز، اجتمع عساكره وطالبوه بالجوامك والرواتب، ولم يكن عنده ما يعطيهم، وأشرف أمره إلى الإنحلال، فاغتمَّ لذلك. فبينما هو مفكر قد استلقى على ظهره في مجلس أنسه، قد خلا فيه للتفكر والتدبير، إذ رأى حية خرجت من موضع من سقف ذلك البيت، ودخلت في موضع آخر منه، فخاف أن تسقط عليه، فدعا بالفراشين وأمرهم بإحضار سلّم وأن يخرجوا الحية. فلما حضروا وبحثوا فيها وجدوا ذلك السقف يفضي إلى غرفة بين سقفين، فعرفوه بذلك، فأمرهم بفتحها ففتحت، فإذا فيها صناديق وجد فيها خمسماية ألف دينار، فحمل ذلك بين يديه، فقسمه على رجاله، وثبت أمره بعد أن أشرف على الإنخرام.

ثم إنه طلب خياطاً فوصف له خياط كان لصاحب البلد قبله، فأمر بإحضاره، وكان أطروشاً، وكان عنده وديعة لصاحب البلد قبله، فظن في نفسه أنه سعى به إليه وأنه يُطلب بهذا السبب. فلما خاطبه حلف أنه لم يكن عنده سوى اثني عشر صندوقاً لم يدرِ ما فيها، فعجب عماد الدولة من جوابه فأحضرها، فوجدوا فيها أموالاً وثياباً بجملة عظيمة.

وركب يوماً فساخت قوايم فرسه، فحفروا فوجدوا فيه كنزاً عظيماً. وكانت هذه الأسباب من أقوى دلائل سعادته.

توفي في سنة ثمان وثلاثين وثلاثماية، وكانت مدة ملكه تسع سنين.

وتولى الملك بعده ابنه **مؤيد الدولة أبو منصور حسن بن بويه**، وسار سيرة حسنة، وتولى الملك مدة.

فلما توفي تولّى مكانه أخوه **ركن الدولة حسن بن بويه**، ثمان وعشرين سنة.

فلما توفي جلس على سرير الملك **معز الدولة أحمد بن بويه** مدة، وسار سيرة آبائه، / وتوفي. /٢١٦

فتولى مكانه **عضد الدولة خسروشاه** بن حسن أربعاً وثلاثين سنة.

فلما توفي تولى مكانه ولده **أبو الفوارس شرف الدولة شرزيل بن خسرو بن بويه**، وقد استولى على جميع بلاد أبيه، وكان ذلك في خلافة الطائع بالله العباسي.

فلما هلك، ملك مكانه **فخر الدولة علي بن حسن** ثلاث عشرة سنة وأحد عشر شهراً.

ثم تولى بعده ولده **مجد الدولة رستم بن فخر الدولة**، فغلب عليه السلطان محمود بن سبكتكين، واستولى على غالب بلاده.

ثم تولى الملك **بهاء الدولة خسرو بن شرف الدولة** اثنتين وعشرين سنة وشهرين فمات، وخلف ولدين أحدهما سلطان الدولة والآخر شرف الدولة.

تولى الملك بعد أبيه **سلطان الدولة**، اثنتي عشرة سنة وأربعة أشهر.

فلما توفي، تولى الملك أخوه **شرف الدولة** خمس سنين وشهرين.

ولما هلك، ملك مكانه **عماد التقي مرزبان الدولة** مدة.

فلما مات، تولى مكانه ولده **الملك الرحيم بن عماد الدولة**، فجلس على سرير الملك ببغداد، فظفر به السلطان طغرل السلجوقي فقتله.

وملك مكانه أخوه **كيخسرو بن عماد الدولة** مدة وهلك.

فتولى مكانه أخوه **أبو منصور فولادستون بن عماد الدولة**، فوقع بينه وبين أبي سعيد خسروشاه بن عماد الدولة محاربات آلت إلى قتل أبي منصور، واستقل بالملك خسروشاه المذكور، وبه انقرضت دولتهم، وهو آخرهم، واستولى على الملك السلجوقية.

الباب الثالث والثلاثون
في ذكر دولة بني سلجوق في بلاد ما وراء النهر(١)

ذكر الإمام عماد الدين في تاريخه الموسوم بـ«زبدة النصرة ونخبة العصرة»: أن السلجوقية كانوا ذوي عَدد وعُدد لا يدينون لأحد، ولا يدنون من بلد، ينتسبون إلى إبراهيم الخليل، عليه السلام، وهو سلجوق بن دقاق ـ ومعنى دقاق القوس الحديد ـ ابن لقمان بن نعمان بن أيوب بن داود، وكان سؤساً(٢)، وانتهت إليه رياسة الترك. /

ومبدأ حاله أن ملك الترك بيغو(٣) خان، لما شاهد فيه النجابة، جعله قائداً للجيش، ثم أغرته امرأته بقتله، فهاجر سلجوق من دار الحرب إلى دار الإسلام، وأسلم هو وقومه. ٢١٦ ب

ثم حصل لسلجوق اتصال بملوك السامانية، وكان يظاهرهم بمهماتهم. توفي سلجوق بجَنْد [وراء بخارى](٤)، ودفن هناك، وكان عمره نحوماية سنة(٥)،

---

(١) كذا؛ وفي (ب) و (ج): «في ذكر دولة بني سلجوق بما وراء النهر ولمع من حسن سيرهم في هذا الدهر».

(٢) عبارة: «وكان سؤساً» ساقطة من (ب).

(٣) كذا في(ج)؛ وفي(ب): «بيغوا».

(٤) ما بين الحاصرتين من المقريزي ١/١: ٥٠.

(٥) في المختصر في أخبار البشر والسلوك: «مائة وسبعة أعوام».

وخلف من البنين أرْسَلان وميكائيل وموسى، وكان مسكنهم موضعاً يقال له نور بخارى، وذلك من أعمال بخارى، وهم عدة نفر ومدة ملكهم ماية وأربعون سنة.

وأول من ملك منهم **ميكائيل بن سلجوق**، وكان زعيمهم المبجل وعظيمهم المفضل، وكان السلاطين يدعونهم للمهمات ويراعونهم للملمات. فلما دخل السلطان يمين الدولة محمود بن سَبُكْتكين إلى بخارى لمساعدة قدر خان، فامتنع ميكائيل عليه، ولم يمل إليه، فاغتاظ السلطان فقبضه، وعبر به وبأصحابه إلى خراسان. فلما توفي السلطان محمود[1]، أنفذ ولده مسعود لقتالهم عسكراً فقتل منهم عدة وأسر منهم جماعة، ثم بعد ذلك ركب السلجوقية إليه ودخلوا طوس[2] فملكوها، وامتدوا إلى نيسابور[3]، فابتلوها[4]، وذلك في شهر رمضان سنة تسع وعشرين وأربعماية. ولم يلبثوا حتى عظمت شوكتهم واتسعت رقعة ولايتهم.

وتوفي ميكائيل وتولى مكانه ولده **طغرل بك محمد بن ميكائيل**، فأمر ونهى وأخذ وأعطى، وسيّر أخاه داود مع جيش إلى سرخس فملكها، ونهج له طريقة في العدل فسلكها، وكان شديد الاحتمال، سديد الأفعال، ولم تزل تشتد منعته وتقوى شوكته حتى استولى على بلاد خراسان، وطرى على ملك الديلم، فوجد في دورهم دفاين وخزائن، فما توجه إلى بلد إلا ملكه. وكانت وفاته بالري نهار الجمعة ثامن شهر رمضان سنة خمس وخمسين وأربعماية، وكانت مدة ملكه ستّاً وعشرين سنة[5]، وعمره سبعون سنة.

---

(١) توفي السلطان محمود بن سبكتكين في ربيع الآخر عام ٤٢١هـ/١٠٣٠م.
ابن الأثير، الكامل ٣٤٦/٧؛ ابن العماد، شذرات٢٢٠/٣.

(٢) مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ.
ياقوت ٤/٤٩ ـ ٥٠؛ لسترنج: ٤٣٠.

(٣) في الفارسية الحديثة: نيشابور؛ وفي الفارسية القديمة: نيوشاهبور، وهي من المدن الرئيسة في إقليم خراسان.
ياقوت ٣٣١/٥ ـ ٣٣٣؛ لسترنج: ٤٢٤ وما بعدها.

(٤) كذا؛ وفي (ج): «فتأهلوها».

(٥) في المقريزي (١/١: ٥٣): «فكانت مدة ملكه ثمانياً وثلاثين سنة تنقص عشرين يوماً».

حكى **عبد الحميد** أن طغرل بك قال: رأيت في منامي، في مبدأ أمري، كأني رفعت/ إلى السماء وقيل لي: سل حاجتك تُقْضَ! فقلت: ما شيء أحب إلي من طول العمر! فقيل: عمرك سبعون سنة. فكان كذلك. /٢١٧ أ

فلما هلك، ملك بعده ابن أخيه **سليمان بن داود**، وكان توفي أبوه داود، فقام مقامه. ولما خطب باسم سليمان بالري بعد وفاة طغرل بك، مضى أخواه آتسز وأردم إلى قزوين وخطبا باسم ألب أرسلان، وأقبل عضد الدولة ألب أرسلان من نيسابور، لما بلغه موت أبيه، يطوي السهول والوعور، وكان ابن عم أبيه قتلمش بن إسرائيل في كردر[1]، وقد طمع في الملك، ولم يعلم أن ذلك يورطه إلى الهلك، فعارضه في جموعه فتقابلا وتقاتلا، وانجلت المعركة عن قتل قتلمش، وقتل ألب أرسلان من التركمان عدة وافرة، وحاز من أموالهم غنيمة ظاهرة. فلما وصل إلى الري تلقاه الوزير عميد الملك [الكندري][2]، في حشمه وخدمه وكوسه، وعلَّمه وعرَّبه وعجَّمه، وأجلسه على سرير الملك.

وكان ملكاً كريماً حليماً كثير الصدقات، حريصاً على بناء المساجد، وكان يقول: أستحي من الله أن أبني داراً ولا أبني تحتها مسجداً. ثم بعد ذلك سير إلى الوزير المذكور غلامين قتلاه[3]، وكان خصيّاً. وسبب ذلك أن طغرل بك كان أنفذه في ابتداء حاله ليخطب له امرأة، فتزوجها لنفسه وعصاه، ولما ظفر بهأقره في خدمة الوزارة بعد أن خصاه.

ثم إن السلطان المذكور توجه إلى حلب والشام، فحلّ بحلب وشرع في حصارها وأحاط بأسوارها، وصاحبها حينئذ محمود بن صالح بن مرداس من بني كلاب، وكان قائماً بدعوة العلوية. فلما ضاق به الأمر وخاف أن يتسع الخرق عن

(١) في الأصل و(ب): «كردرة»، وما أثبتناه من (ج) والمصادر الجغرافية. وكردر، بفتح أوله ثم السكون، هي ناحية من نواحي خوارزم أو ما يتاخمها من نواحي الترك. ياقوت ٤/٤٥٠.

(٢) ما بين الحاصرتين من ابن الأثير ٨/٩٥.

(٣) في (ب) و (ج): «فقتلاه».

رقعه[1]، خرج ليلاً إلى السلطان ومعه والدته تيعة بنت رثاب النميري [يخضعان ويتضرعان][2]، فعفى السلطان وصفح[3]، وأعاد محموداً إلى مكانه محمود المكانة[4]، وأمنت الشهباء وسكنت الدهماء.

وبلغ السلطان خروج إرمانوس ملك الروم، وقد وصل إلى قرب
/٢١٧ ب أخلاط[5]، / وكان السلطان في خواصه ومعه خمسة عشر ألف فارس من نخب رجاله، فاستعد للمقاتلة والروم في ثلاثماية ألف أو يزيدون، ومعهم ثلاثة آلاف عجلة تحمل أثقالهم، ومن المنجنيقات التي ترمي قنطار حجر مقدار ماية عجل[6].

فتوكل السلطان على الملك الديان، وسار حتى نزل على حافة النهر وكلب[7] الروم نازل بين أخلاط ومنازكرد[8]، وبين العسكرين فرسخ، فقال له إمامه أبو نصر محمد البخاري: إنك تقاتل عن دين الله الذي وعدنا بإظهاره، فالقهم يوم الجمعة، بعد الزوال والناس يدعون لك على المنابر!.

فلما أصبحوا يوم الجمعة ارتجت الأرض بالضجاج، وارتجت السماء بالعجاج إلى أن دنا وقت الزوال، وصدحت على أعواد المنابر الخطباء

---

(١) لفظة: «رقعة» لم ترد في (ب).

(٢) في الأصل: «يخضعان ويضرعان»؛ وفي(ب): «يخضعان له»؛ وما أثبتناه من (ج).

(٣) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «فعفى عنهما وصفح».

(٤) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «وأعاد محموداً لمكانه».

(٥) ويقال: خلاط، بكسر أوله. قال عنها ياقوت (٢/ ٣٨٠ ـ ٣٨١): «البلدة العامرة المشهورة... في الإقليم الخامس، وهي قصبة أرمينية الوسطى».
راجع أيضاً:
Dussand, Topograhpie Historique de la syrie Antique et Medièvale, P.484-486, et 521.

(٦) في (ج): «عجلة»؛ وعبارة «مقدار ماية عجل» لم ترد في (ب).

(٧) في (ب) و(ج): «ملك».

(٨) ويقال: «منازجرد»، بلد مشهور بين أخلاط وبلاد الروم يعد في أرمينية.
ياقوت: ٥: ٢٠٢.

والمجاهدون في إخلاص الدعاء، فتقدم السلطان وثبَّت فؤاده وقوَّى قلبه وسوّى قلبه[١]، وحمل مُتَمَلِّك[٢] الروم بجمعه، وأخذ ببصر الدهر وسمعه، فثبت لهم خيل الإسلام. ثم وثبت وجالت وما وجلت، فوقع الحرب والضرب، فما نجت من أولئك الألوف آحاد، وما سلمت من أعداء الإسلام أعداد، وأسر ملكهم وانكسرت الروم كسرة لا تقبل جبراً.

ومن عجيب ما حُكي أنه كان أهدي مملوك للوزير فردّه على صاحبه، ولم يقبله، فمنعه صاحبه، فقال له الوزير: عسى أن يأتينا بملك الروم!، وذكر ذلك استهزاء به. فاتفق وقوع الملك يوم المصاف في أسر ذلك الغلام، فخلع عليه السلطان وأنعم عليه، وغنم المسلمون غنيمة عظيمة، فأحضر مُتَمَلِّك[٣] الروم بين يديه، فرقَّ له قلب السلطان وأرسله وفك قيده ووصله[٤]، وجعل عليه في كل يوم ألف دينار يؤديها لبيت مال المسلمين. ولما انصرف إلى بلاده محوا من الملك اسمه، وقالوا: هذا من أعداد الملوك ساقط، وزعموا أن المسيح عليه ساخط. ثم بعث إلى/ السلطان بمايتي ألف دينار وجواهر قيمتها تسعون ألف /٢١٨ أ
دينار، واعتذر وحلف أنه لا يملك غيرها، فقبلها السلطان.

وفي سادس ربيع الأول، سنة خمس وستين وأربعماية، قتل السلطان، وكانت مدة ملكه تسع سنين وشهوراً، وقد بلغ من العمر أربعين سنة، ودفن بمرو عند قبر أبيه، وخلف عدة بنين، وهم: ملكشاه، وتكش، وأياز، وتتش، وأرسلان، وأرغون، وبوري برس.

وتولى الملك[٥] ولده جلال الدولة **أبو الفتح ملكشاه بن ألب أرسلان**. فلما جلس على سرير الملك نازعه عمه قاروت بك[٦] الملك، ووقع بينهما حروب

(١) عبارة: «وسوَّى قلبه» لم ترد في (ب) و (ج).
(٢) و (٣) في (ب) و (ج): «ملك».
(٤) في (ب): «وفك قيده وأرسله»؛ وفي (ج): «وفك قيده ووصله إلى أهله».
(٥) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «وتولَّى بعده».
(٦) في الأصل: «قاود»؛ وفي (ب): «قادوا» وما أثبتناه من (ج)، بعد مراجعة ابن الأثير وأبي الفدا.

آلت إلى انهزام قاروت وأسره، فلما ظفر به أمر بخنقه،فمنعه غلام أرمني أعور.

وكان ملكشاه ملكاً شجاعاً مقداماً، سيرته العدل، وكان كثير الغزو حتى بلغ في غزوه إلى حدود قسطنطينية، وقرر ألف ألف دينار تحمل إلى خزانته كل سنة من تلك الممالك، ووضع في البلاد التي افتتحها من الروم خمسين منبراً إسلامياً. وقصد فتح سمرقند وحاضرها وظفر بخانها فأسره[1]، فحمل غاشيته، وسار في ركابه، فأخذه أسيراً إلى العراق، ثم مَنَّ عليه بالإطلاق، ومشى في ركابه سلطان العرب مسلم بن قريش وقبَّل حافر مركوبه.

وكانت ملوك الروم وغزنة وما وراء النهر في ظل حمايته، وكنف رعايته. وكان ملوك الأطراف يقبلون كتبه إجلالاً وتعظيماً له، وكان ناقداً بصيراً يعرف الناس ومقاديرهم، ويضعهم في محلهم.

وكان يعرف بالسلطان العادل، فمن جملة عدله أنه ركب يوماً للصيد، فرأى رجلاً باكياً شاكياً، فسأله عن سبب بكائه، فقال: اشتريت بطيخات بدريهمات[2] لأبيعها وأعود بربحها على عيالي، وأعيد منها رأس مالي، فأخذها رجل من جماعتك من يدي ولم يعطني ثمنها. فقال له السلطان: طب نفساً، فهل تعرفه؟ فقال: لا! ./ وكان البطيخ في أول باكورته ولا يوجد في البلد شيء منه. /٢١٨ ب
فقال السلطان لبعض خواصه: قد اشتهيت بطيخاً فاجتهد لي في تحصيله[3]، ولو واحد! فما زال يطلبه حتى وجده عند بعض الأمراء، فسأله فقال: قد أحضره عبد من عبيدي. فأمر السلطان بإحضار ذلك العبد، فتوقف، فأحضر المتظلم وقال: خذ هذا الأمير فإنه أخذ بطيخك، وإنه مملوكي، وقد وهبته لك فبعه بمهما[4] شئت! . فاشترى الأمير نفسه بثلاثماية دينار، وأثرى صاحب البطيخ بعد إقتاره[5].

(١) وذلك عام ٤٨٢هـ/١٠٨٩م. وللإطلاع على هذه الحادثة، راجع: ابن الأثير ٨/١٤٨ - ١٤٩.
(٢) كذا في(ج)؛ وفي(ب): «بطيخاً بدراهم».
(٣) كذا في(ج)؛ وفي (ب): «فأجتهد في تحصيله».
(٤) كذا في(ج)؛ وفي (ب): «بما».
(٥) كذا في(ج)؛ وفي (ب): «افتقاره».

وكان الناس يأخذون التراب الذي وطئته[1] دابته فيتبركون[2] به.

وكان مغرماً بالصيد، قيل إنه أحصى ما اصطاده بيده فبلغت عدته عشرة آلاف، فتصدق بعشرة آلاف دينار، وبنى منارة من قرون الظبا وحوافر الحمر الوحشية في طريق الحج من الكوفة، تسمى مأذنة القرون[3].

توفي، رحمه الله، في سادس عشر شوال[4]، سنة خمس وثمانين وأربعماية، وعمره ثمان وثلاثون سنة وأشهر[5]. وكانت مدة ملكه عشرين سنة، وحمل تابوته إلى أصفهان ودفن في مدرسته التي بناها، وخلف أربعة بنين وهم: بركيارق، ومحمد، وسنجر، ومحمود.

وكان **محمود** طفلاً عند وفاة أبيه، فبايعوه على السلطنة، لأن أمه تركان[6] خاتون الجلالية من الملوك الإيلخانية[7]، فيما وراء النهر، وكانت مستولدة في أيام ملكشاه[8]، وأن الأمراء كانوا من صنايعها، فاختاروا ولدها فبايعوه، وساروا به إلى أصفهان، فأجلسوه على سرير الملك، فما تم سنة حتى مات محمود وماتت أمه.

(١) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «تطأه».

(٢) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «يتبركون».

(٣) كذا في (ج)؛ وفي(ب): «منارة القرون».
وقد ورد ذكر «منارة القرون» هذه عند ياقوت حيث يقول عنها: «هذه منارة بطريق مكة قرب واقصة. كان السلطان جلال الدولة ملك شاه بن ألب أرسلان خرج بنفسه يشيّع الحاج في بعض سني ملكه، فلما رجع عمل حلقة للصيد، فاصطاد شيئاً كثيراً من الوحش، فأخذ قرون جميع ذلك وحوافره، فبنى بها منارة هناك... والمنارة باقية إلى الآن، مشهورة هناك». ياقوت ٥/٢٠١.

(٤) في ابن الأثير (١٦٣/٨) وأبي الفدا (٢٠٣/٢): والمقريزي (١/١: ٥٣): «نصف شوال».

(٥) في المقريزي: «وعمره سبع ثلاثون سنة وخمسة أشهر».

(٦) كذا في (ج) والمصادر التي بين أيدينا؛ وفي (ب): «بركان».

(٧) ما هنا من (ج)؛ وفي الأصل: «الملوك الخانية»؛ وفي (ب): «الملوك الخانية».

(٨) في(ب) و(ج): «ملك شاه».

وبقي الملك لأخيه **بركيارق**، فجلس على سرير الملك، وكان عالي الهمة لم يكن فيه عيب سوى ملازمته للخمر والإدمان عليه، ودخل بـلاد سمرقنـد وبخارى. وغزا بلاد ما وراء النهر، ووقعت في زمانه فتن وشرور من الأمراء والأجناد بحيث يطول شرحها. توفي في ثالـث[1] شهر ربيع الآخر سنة ثمان
٢١٩/أ وتسعين وأربعماية ببروجرد، وهي بلدة بقرب همدان، / وبلغ من العمر خمساً وعشرين سنة، وأقام في السلطنة اثنتي عشرة سنة وأشهراً.

وتولى الملك بعده **أبو شجاع محمد بن ملكشـاه**، وكان وقوراً مهاباً أديباً لبيباً. فلما جلس على سرير الملك وجد قواعد الدولة بإيالة أخيه مختلة وعقودها منحلة، فأحكم القواعد وأبرم المعاقد.

وكان رجل السـلجقية[2] الكامل، وفحلهم البازل، وله الآثار الحميدة والآراء السديدة. كان يغني الفقير ويجبر الكسير، ويفك الأسير، وينصر الإسلام ويكشف الأظـلام[3]، وصفت له الدنيا ولم يبق له منازع، ثم مرض زماناً طويلاً، فقيل له: مرضك سحري، وإنما سحرتك زوجتك، فأعضل داؤك وأبطل دواؤك!. وحملوا السلطان إلى أن كحّلها وحبسها في بيت ضيق، واعتقلها، وأخرجوا خاتم السلطان، وقالوا إنه أمر بخنقها فخنقوها.

ومن عجيب القدر أن الزوجين توفيا في ساعة واحدة، فالخاتون في بيتها خنقت، والسلطان على فراشه نفسه زهقت[4]، في أواخر سنة احدى عشـرة وخمسماية، وخلف خمس بنين[5]، وهم: محمود، ومسعود، وطغرل، وسليمان،

---

(١) في ابن الأثير (٨/٢٢٣): وأبي الفدا (٢/٢١٨) والمقريزي (١/١: ٥٤): «ثاني شهر ربيع الآخر».

(٢) كذا في(ج)؛ وفي (ب): «السلجوقية».

(٣) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «الظلام».

(٤) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «والسلطان نفسه على فراشه زهقت».

(٥) كذا في (ب) وفي (ج): «ستة بنين»، والولد السادس داود، ويؤكد ذلك ما ورد لاحقاً في النسخ الثلاث.

وسلجق، وكلهم تولوا السلطنة سوى سلجق[١].

ولما آيس السلطان من نفسه أحضر ولده محموداً، وبكى كل منهما، وأمره أن يخرج ويجلس على سرير الملك، وينظر في أمور الناس. فقال له ولده: فإن هذا اليوم غير مبارك!. فقال: صدقت، ولكن على أبيك، وأما عليك فمبارك!. فامتثل أمره وجلس على سرير الملك **أبو القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه** مكان والده، وأحكم قواعده[٢]، وهو يومئذ في سن الحلم[٣]، وكان قويّ المعرفة بالعربية.

وكان محمود الخليقة مودود الطريقة، لكنه بلي بأنواع البلاء من أعوانه، فنغّصوا عليه عيشه وفرقوا خزانته[٤]، واستضعفوا جانبه وطمعوا فيه.

وكان خلف والده من العين والأثاث ما لم يخلفه أحد من ملوك السلجوقية[٥]، فآل الأمر/ أنهم احتاجوا إلى بيع صناديق خزانته[٦] التي فرغت، /٢١٩ ب وطلب السلطان محمود المذكور من الخازن[٧] غالية ليتطيب بها، فلم يجد سوى ثلاثين مثقالاً، فسأل الخازن[٨] عما كان[٩] في خزانة أبيه من الغالية، فقال: كان ما يقارب ماية وثمانين رطلاً. فقال السلطان للحاضرين: اعتبروا بالتفاوت بين الأمرين!.

فلما تلاشت أمور محمود لكونه غير محمود، واختل نظام الملك، فمرض

(١) كذا في(ب)؛ وفي(ج): «سوى سلجق وداود».
(٢) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «قواعد الملك».
(٣) كذا؛ وفي (ب): «وكان في سن الحلم»؛ وفي (ج): «وكان هو يومئذ في سن الحلم».
(٤) و(٦) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «خزاينه».
(٥) في (ب): «وكان خلف والده من الأثاث والعين ما لم يخلفه أحد من السلجوقية»؛ وفي(ج): «وكان خلف والده من العين والأثاث ما لم يخلفه أحد غيره من الملوك السلجوقية».
(٧) و(٨) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «الخازندار».
(٩) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «عما».

ومات في أواخر سنة خمس وعشرين وخمسمـاية[1]، وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة[2]. وأخفوا موته نحو خمسة أشهر، حتى وصل السلطان الأعظم أبو الحارث سنجر بن ملكشاه من خراسان، لتمهيد البلاد واصطلاح أحوال العباد، لأنه كان عماد آل سلجق، وهو شيخ البيت وعظيمه، وحافظ عزه ونديمه، فوصل إلى الري وأصلح ما فسد، إلى أن وصل **السلطان أبو طالب طغرل**[3] **بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان**، واجتمع مع عمه فأجلسه على سرير الملك بهمدان، ودخل السلطان سنجر بعد ثلاثة أيام إلى مقر مملكته خراسان.

ثم بعد ذلك، وقع حروب بين طغرل وبين أخويه مسعود وداود آلت إلى انتصار السلطان عليهما.

فلما استقر له الملك[4]، وأمن من معارضيه انتقل بالوفاة إلى جوار باريه، وذلك في أوائل عام ثمانية وعشرين وخمسمـاية[5]، وكانت مدة ملكه سنتين وشهرين.

وكان، رحمه الله، جامعاً للخلال التي تفتقر إليها السلطنة، من الحزم والتحفظ والعزم، إلا أنه كان مستبداً بآرائه معجباً بأهوائه لا يستشير أحداً في أموره، ولا يسترشد في تدبيره.

فلما هلك، ملك مكانه **أبو الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه**، جلس على

---

(١) في ابن الأثير (٨/٣٣٣) والمقريزي (١/١ : ٥٥) أن السلطان محمود قد توفي في شهر شوال سنة ٥٢٥هـ.

(٢) في المصدرين نفسيهما أن مدة ملك السلطان محمود بلغت «اثني عشرة سنة وتسعة أشهر وعشرين يوماً».

(٣) كذا في (ج)؛ وفي(ب)؛ «طغرلبك».

(٤) كذا في(ج)؛ وفي (ب): «فلما استقر بالملك».

(٥) في ابن الأثير (٨/٣٤٥) والمقريزي (١/١ : ٥٦): «وكانت وفاة الملك طغرل في المحرم من سنة ٥٢٩هـ».

سرير الملك مدة. وكان يصطنع الأراذل ويرفع الأسافل، لا يضمر لعدو سخيمة، ولا يقبل في ولي نميمة.

٢٢٠/ أ توفي في أواخر جمادى الآخرة[١]، / سنة سبع وأربعين وخمسماية، وكانت مدة ولايته تسع عشرة سنة كأنها سنة.

وجلس مكانه ابن أخيه السلطان **ملكشاه بن محمود** على سرير الملك، واشتغل بالانهماك في القصف والعزف، وفوض الأمور كلها إلى وزيره، وما علم أنه يخسر من ربحه ويظلم يومه بطلوع صبحه، فبطر[٢] الوزير وقال للأمراء والأجناد: هذا السلطان لا يصلح للملك، فإنه قد شغلته الخمر عن الأمر، وأغناه الخشف عن التمر، وأنا أرى من الصواب أن نخلعه، ونستدعي أخاه محمداً ونوليه الملك! . فوافقوه على الرأي الرايب[٣]، لأنهم كرهوا استيلاءه وسئموا استعلاءه، فقالوا له: عجِّل هذا الأمر! . فقبض بلنكري[٤] الوزير على السلطان، واعتقله بمرج همدان، وأنفذ إلى أخيه الملك محمد، فقدم **السلطان أبو شجاع محمد بن محمود**، وجلس على سرير الملك بهمدان.

فأول ما أمر بقتل الوزير المذكور، فساء ذلك الأمراء، واجتمعوا بأن أخرجوا **السلطان سليمان** بن محمد بن ملكشاه، وحملوه[٥] إلى همدان. فلما سمع بذلك السلطان محمد انتقل إلى أصفهان بشرذمة يسيرة[٦].

---

(١) في المصدرين نفسيهما: «أول رجب».
(٢) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «فنظر».
(٣) كذا في (ج)؛ وفي(ب): «فوافقوه على الرأي الراتب».
(٤) كذا في (ج) وفي المصادر التي بين أيدينا؛ وفي(ب): «بلنكرلي». ويستفاد من مقالة «مسعود» في دائرة المعارف الاسلامية أن بلنكري الوزير كان يدعى أيضاً «خاص بك».
راجع أيضاً: المقريزي (١/١: ٥٨).
(٥) في الأصل و(ب) «فحملاه»؛ وما أثبتناه من(ج)؛ وهو ما يقتضيه السياق.
(٦) في الأصل: «بشرذته يسيرة»؛ وما أثبتناه بعد مراجعة (ب) و(ج).

واستقر سليمان[١] على سرير الملك وكان وزيره شريباً خميراً[٢]، إذا شرب وقع صريعاً[٣] ونام أسبوعاً، وأرادوا[٤] أن يسعدوه وهو شقي.

فلما وصل السلطان محمد إلى أصفهان منحازاً عن عمه سليمان جمع العساكر ورجع إلى همدان، فوقع بينه وبين الخليفة المقتفي[٥] لأمر الله حتى آل الأمر أنه حاصر بغداد، فما شعر إلا وقد استولى عدوه على همدان، فرجع لحربه.

وكانت وفاته في ثالث عشر ربيع الأول سنة ست وخمسين وخمسماية.

وجلس مكانه ابن أخيه السلطان ركن الدين **أبو المظفر أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه**، فتصاغر له الكبراء، وأتمر له الأمراء، فأدنى وأبعد، وأشقى وأسعد، إلى أن توفي سنة احدى وسبعين وخمسماية[٦].

/٢٢٠ ب وجلس على سرير الملك ولده/ الصغير السلطان **طغرل بن أرسلان بن طغرل**، فشغل به السرير، ونفذت أوامره في الممالك، وما زال أمره مستقيماً.

وكان سيء التدبير يعاقب على التهم بالقتل والتدمير، وكان قد وقع بينه وبين أخيه قزل أرسلان حروب آلت إلى قتل قزل أرسلان على فراشه، ولم يعلم قاتله.

وفي سنة تسع وثمانين وخمسماية، تغلب على المملكة السلطان خورزمشاه، وقتل طغرل في المعركة، وختمت الدولة السلجقية بطغرل، وكان افتتاحها بطغرل، فسبحان من لا يزول ملكه ولا يحول[٧]!.

---

(١) وهو أخو السلطان أبو شجاع محمد بن محمود.

(٢) في(ب): «خمرياً»؛ وفي (ج): «للخمر».

(٣) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «سريعاً».

(٤) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «فأرادوا».

(٥) في الأصل و(ج): «المتقي»؛ والتصحيح بعد مراجعة(ب)، والسيوطي، تاريخ الخلفاء: ٤٣٧.

(٦) يستفاد من ابن الأثير (١٤٣/٩) والمقريزي (١/١: ٦٠) أن وفاة السلطان أرسلان كانت سنة ٥٧٣هـ.

(٧) عبارة «ولا يحول»: لم ترد في (ب).

الباب الرابع والثلاثون
في ذكر دولة الخورزمشاهية بما وراء النهر[1]

ذكر في «**بحر الأنساب**» أن عدد ملوكهم عشرة أنفار، ومدة ملكهم مابة سنة وثمانية وثلاثون سنة.

وأول من ملك منهم **محمد بن أنو شتكين**، وكان مملوكاً تركياً لبعض أمراء السلجوقية، وكان مقدماً عنده لشجاعته ونجابته. ولما سار إلى خراسان وأزال منها الخوارج ومهدها، نظر فيمن يوليه، فوقع على محمد بن أنو شتكين المذكور، فولاه ولقبه خورزمشاه[2]. وذلك في سنة تسعين وأربعماية لكونه نشأ مثل أبيه في النجابة والشجاعة وحسن التدبير. وكان محباً لأهل العلم والدين، عادلاً في رعيته[3].

فلما هلك، ملك مكانه ولده **أتسز**[4]، فسار سيرة أبيه، وكان قد قاد الجيوش في حياة أبيه، وباشر الحروب. وكان السلطان سنجر[5] يصاحبه في أسفاره وحروبه، ثم كثرت السعاية عليه عند السلطان سنجر حتى بغضه، وسار إليه[6]، لينتزع الملك من يده، فانهزم أتسز وقُتل ابنه وخلق كثير من جماعته[7]،

(١) في (ب): «في ذكر دولة الخورزمشاهية، وحسن مآثرهم السنية وخصايلهم المرضية»؛ وفي (ج): «في ذكر دولة الخوارزمشاهية، وحسن مآثرهم السنية وخصائلهم المرضية في الرعية».
(٢) في (ب): «خورزم شاه»؛ وفي (ج): «خوارزمشاه».
(٣) كذا في الأصل و(ب)؛ وفي (ج): «في الرعية».
(٤) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «أتستر».
(٥) يقصد السلطان أبو الحارث سنجر بن ملكشاه السلجوقي.
(٦) إليه: ساقطة من (ج).
(٧) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «وقتل ابنه وخلقاً كثيراً من جماعته».

ثم بعد ذلك صالح سنجر، واستقل بالملك من غير منازع إلى أن توفي في منتصف[1] سنة احدى وخمسين وخمسماية، وكانت مدة ملكه ستين[2] سنة.

/٢٢١ أ ومَلك بعده ابنه **أرسلان شاه بن أتسز**، فقتل جماعة/ من أعمامه، وسمل أخاه، فمرض زماناً ومات في سنة ثمان وستين وخمسماية، وكانت مدة ملكه سبع عشرة سنة.

ومَلك بعده ابنه الأصغر **سلطان شاه محمود** لكونه كان عنده، واستمر الملك في تدبير أمه وكان ابنه الأكبر علاء الدين تكش غايباً، فلما بلغه موت أبيه وتولية أخيه استنكف، وسار إلى ملك الخطا مستنجداً ورغّبه في أموال خورزم وذخائرها، فأنجده بجيش كثيف وجاء إلى خورزم فملكها، واستولى على نيسابور وخزائنها.

ولحق السلطان شاه[3] محمود مع أمه بالمؤيد صاحب نيسابور، فجمع عساكره وسار معه. فلما كان على عشرين فرسخاً من خورزم[4]، خرج إلى تكش وهزمه، وجيء بالمؤيد أسيراً فقتله، ولحق أخاه وظفر بأمه فقتلها. وهرب السلطان محمود وعاد تكش إلى خورزم[5].

وتوفي محمود في سنة تسع وثمانين وخمسماية، واستولى [علاء الدين][6] تكش على بقية بلاد أخيه.

وكان عادلاً عارفاً بالأصول والفقه على مذهب الإمام الأعظم، رحمه الله. توفي في رمضان سنة ست وتسعين وخمسماية، ودفن في مدرسته التي بناها.

(١) في ابن الأثير (٩/٥٠) أن وفاة خوارزم شاه أتسز كانت في «تاسع جمادى الآخرة».
(٢) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «خمسين».
(٣) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «سلطان شاه».
(٤) والمكان المقصود هو بليدة سوبرلي.
ابن الأثير ٩/١١٥.
(٥) في المصدر نفسه تفاصيل وافية عن هذه الواقعة.
(٦) ما بين الحاصرتين من (ج).

وملك بعده ابنه **ملكشاه [محمد بن تكش]** [1]، ولقبوه علاء الدين لقب أبيه. فلما بلغ أخوه هندوخان[2] تولية أخيه، جمع عساكره، وتحارب مع أخيه فلم يقدر عليه، ورجع خايباً خاسراً، واستولى ملكشاه على جميع بلاد ما وراء بلاد النهر. وقسم الملك بين أولاده فجعل ولي عهده **قطب الدين أولغ شاه** دون ابنه الأكبر جلال الدين منكبرتي[3]، وكرمان وكبش ومكران لابنه **غياث الدين**، وبقية البلاد لابنه **ركن الدين**، وأذن لهم في ضرب النوب الخمس له، وهي دبادب أي طبول صغار تقرع عقب الصلوات[4] الخمس، وسماها نوبة ذي القرنين، سبع وعشرين دبدبة، وكانت مصنوعة من الذهب والفضة مرصعة بالجواهر.

وكان وقع بين/ السلطان وبين جنكزخان وقائع أدت إلى المجيء إليه، فلما ٢٢١/ ب بلغه هجوم جنكزخان إلى البلاد الإسلامية، لم يزل يضمحل حاله ويذوب، وتحل به نوائب الخطوب، حتى انتقل إلى جوار الرحمن في أطراف طبرستان في سنة سبع عشرة وستماية. وكانت مدة ملكه احدى وعشرين سنة.

وكان خلع ولده قطب الدين، وعهد لولده الأكبر **جلال الدين [منكبرتي]**[5] فلما جلس على سرير الملك، تيقّن بحلول البوار ونزول الدمار، وخراب الديار بمجيء طائفة التتار، فشرع في تحصين البلاد والقلاع والاحتفاظ بمدن الممالك عن الضياع.

وكان مليكاً عظيماً، وسلطاناً جسيماً، ذا صولة ظاهرة[6]. ودولة باهرة، لكنه عن مقابلة التتار عاجز، ومن مقاتلتهم ناجز[7].

---

(١) ما بين الحاصرتين من (ج).

(٢) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «الهندوخان».

(٣) ساقطة من (ج)؛ وفي (ب): «جنكرلي»، وهو خطأ.

(٤) في الأصل: «الصلوة»؛ وفي (ب): «الصلاة»؛ وما أثبتناه من (ج).

(٥) ساقطة من (ب) و (ج).

(٦) كذا في (ب)، وفي (ج): «ظاهرة».

(٧) سقطت عبارة «ومن مقاتلتهم ناجز» من (ب)؛ وفي (ج): «لكنه عن مقاتلة التتار عاجز، وعن مقابلتهم ناجز».

ثم إن تلك الدواهي المصمية وصلوا إلى بلاد الإسلام، في أوائل سنة خمس عشرة وستماية، وساروا على بسيط القام سير الغمام[١]، فأرادوا إطفاء نور الإيمان، فنهضوا نهضة أناموا فيها الأنام. ولم يزل السلطان يفر منهم مع شرذمة قليلة وهم يتبعون أثره إلى أن وصل إلى حافة نهر جيحون والتتار من خلفه، وقد أدركوه. فلما رأى ذلك خاف على حرمه وأهله، فقتلهم عن آخرهم وألقاهم في نهر جيحون، وعدّى[٢] النهر وذهب إلى باشورة آمد، وصعد إلى جبل الأكراد، فتبعه رجل منهم وبيده حربة فقتله.

وفي تواريخ الفرس أنه كان مختبياً في بعض الأطراف، ولا يعلم به أحد ولم يكن معه سوى رجل واحد من خواصه، فسمع إنساناً يقول: العجب من وقائع الدنيا، إن عسكر جنكزخان وصل إلى القلعة التي بها نساء السلطان! . فلما سمع ذلك، لم يزل يميل إلى جانب الأرض حتى وقع ميتاً، فأخبر الرجل الذي كان معه أنه هو السلطان، فتعجب الناس من ذلك، ولم يجدوا له كفناً، فكفن بشاشه. فسبحان الذي يبقى وما سواه فان! . وكانت الوقعة في منتصف[٣] شوال، سنة ثمان وعشرين وستماية، وبه[٤] انقرضت دولتهم[٥].

(١) في (ب): سقطت لفظة «الغمام»؛ وفي (ج): وردت العبارة كما يلي: «وساروا على بسيطة العالم سير الغمام».

(٢) في الأصل: «وعد»؛ وفي (ب): «وعدا»؛ وما هنا من (ج).

(٣) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «في نصف».

(٤) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «ربها».

(٥) وقد ختم هذا الباب في (ب) بعبارة: «وزالت سلطنتهم، فسبحان من لا يزول ملكه، وهو الدايم على الدوام الأبدي القديم».

الباب الخامس والثلاثون
في ذكر بني سلجوق بحلب والشام[1]

ذكر في «**الدول الإسلامية**» أن أول من تولى الملك بحلب والشام من السلجوقية، **أتسز بن أبق السلجوقي**، لأنه سار إلى فلسطين لفتح تلك البلاد وحاصر دمشق، فملكها صلحاً، ودخلها سنة ثمان وستين وأربعماية، وسكن بدار الإمارة داخل باب/ الفراديس. فكانت مدة إقامته بدمشق ثلاث سنين وأحد وعشرين يوماً. /٢٢٢ ا

وسار السلطان ملكشاه السلجوقي إلى حلب فملكها، وولى عليها **قسيم الدولة آقسنقر**[2]، جد نور الدين الشهيد، كما سيأتي ذكره، وولى دمشق أخاه **تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان** السلجوقي وما يفتحه من تلك النواحي. ولم يزل تتش يجاهد في سبيل الله تعالى حتى فتح حمص.

ففي أثناء ذلك توفي السلطان ملكشاه[3]، فعزم تتش على طلب السلطنة لنفسه، فسار إلى حلب فأطاعه قسيم الدولة آقسنقر لصغر أولاد السلطان، وحمل على أنطاكية، ثم سار إلى ديار بكر وأعمالها إلى أن وصل أذربيجان وهمدان فأطاعوه، وخطبوا باسمه، وبادر إلى أصفهان فاستقبله صاحبها بركياروق[4]، فانهزم تتش منه فلحقه وقتله، فاستقام الأمر لبركياروق، فولى مكان تتش ولده

---

(١) كذا؛ وفي (ب) و (ج): «في ذكر دولة بني سلجوق بحلب والشام، ولمع من وقايعهم فيما مضى من الأيام».

(٢) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «آق سنقر».

(٣) في (ب) و (ج): «ملك شاه».

(٤) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «بركيارق».

رضوان[١]، لكنه لم يتمكن على غالب البلاد التي كانت بيد والده، لأن دمشق غلب عليها أخوه شمس الملوك دقاق بن تتش، فقدم أخوه رضوان فحاصرها، فلم ينل مقصوداً، وعاد إلى حلب، ثم عرض لدقاق مرض طول به[٢]، فتوفي، وقيل إن أمه زينب أرسلت له جارية فسمته في عنقود عنب معلق في شجرته، ثقبته بإبرة فيها خيط مسموم فتهرا جوفه، ومات في سنة ثلاث وتسعين وأربعماية، ودفن بخانقاه الطواويس بدمشق.

وتولى مكانه أخوه **أرتاش بن تتش بن ألب أرسلان**، فلم يقم غير ثلاثة أشهر، ثم إنه توهم فتوجه[٣] إلى الشرق، فهلك هناك، ولم يتم لرضوان الأمر وكان مقره بحلب حتى توفي في سنة سبع وخمسماية.

وتولى مكانه ابن أخيه **ألب أرسلان بن دقاق**، وكان صبياً صغيراً، وكان يدبر أمره أتابكه لؤلؤ الخادم، ثم تنكر له فقتله، ونصب مكانه أخاه **سلطان شاه** مدة، وهو مضمحل الحال وضعيف الأحوال، فخاف أهل حلب من الإفرنج، فاستدعوا
٢٢٢/ب إيلغازي بن أرتق وحكّموه على أنفسهم، فلم يجد مالاً، فصادر/ جماعة، ثم سار إلى مدينة ماردين بنية العود لحمايتها، واستخلف عليها ابنه **حسام الدين تمرتاش**، فانقرض ملك تتش من حلب والشام، والله أعلم[٤].

(١) كذا وردت هذه العبارة في (ج)؛ وفي (ب): «فانهزم فولي مكان تتش ولده رضوان».
(٢) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «ثم عرض لدقاق مرض طويل».
(٣) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «وتوجه».
(٤) عبارة: «والله أعلم» ساقطة من (ب).

الباب السادس والثلاثون
في ذكر دولة بني أرتق
ملوك ماردين وديار بكر[1]

ذكر ابن الأثير في تاريخه أن أرتق بنْ أكسب كان من مماليك السلطان ملكشاه السلجوقي، وله مقام محمود في دولتهم، وكان والياً على حلوان وما إليها[2] من أعمال العراق، ولحق بتتش أخي السلطان ملكشاه، وهو يومئذ صاحب الشام، فأكرمه وولاه على القدس، ثم سار مع تتش إلى حلب وملكها.

ثم هلك أرتق سنة ثلاث وثمانين وأربعماية بالقدس الشريف، وملكه من بعده[3] إبناه إيلغازي وسقمان.

ولما ملك الإفرنج أنطاكية سنة احدى وتسعين وأربعماية، اجتمع الأمراء بالشام والجزيرة وديار بكر، وحاصروها. وكان لسقمان في ذلك المقام المحمود. وطمع صاحب مصر في ارتجاع القدس منهم، وسار إليها الملك الأفضل فحاصرها أربعين يوماً، وملكها بالأمان، فخرج سقمان وأخوه إيلغازي، ابنا أرتق، وابن أخيهما ياقوقي[4]، وابن عمهما سونج[5]. فلحق إيلغاري بالعراق فولِّي شحنة بغداد، وسار سقمان إلى الرها، فأقام بها واستفحل أمره؛ فملك

---

(١) في (ب) و (ج): «في ذكر دولة بني أرتق ملوك ماردين وديار بكر وأخبار ما وقع لهم من الفتح والنصر».

(٢) كذا؛ وفي (ب) و (ج): «يليها».

(٣) في (ب): «وملك بعده»؛ وفي (ج): «وملك من بعده».

(٤) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «ياقوق».

(٥) كذا؛ وفي (ب(و (ج): «سويح».

حصن كيفا، وسار سقمان إلى ماردين، من ديار بكر، فملكها، وجمع الجيوش واستولى على نصيبين.

ثم بعث فخر الملك ابن عمار[1]، صاحب طرابلس، يستنجد سقمان على الإفرنج، عندما ملكوا سواحل الشام، وخاف على طرابلس، وسار سقمان حتى وصل إلى القرينين، فتوفي[2] هناك، فحمله ابنه إبراهيم إلى حصن كيفا، فدفنه بها، وقد سار إيلغازي من بغداد إلى ماردين، فاستولى عليها.

/٢٢٣ أ ولما خشي أهل حلب على مدينتهم/ من الإفرنج، وكانوا[3] استدعوا إيلغازي بن أرتق من ماردين، سلّموا له البلد، وعزلوا رضوان بن تتش لضعف حاله، كما تقدم. وقد وقع بينه وبين الإفرنج وقائع كثيرة، وكان لا يطيل المقام بدار الحرب، لأن أكثر الغزاة الذين كانوا معه [من][4] التركمان يأتونه بحراب دقيق وقديد[5] شاة، فيعجل العود قبل أن تقضي أزوادهم.

ثم توفي إيلغازي بن أرتق في رمضان سنة ست عشرة وخمسماية، ثم تولى بعده ولده الذي بحلب **حسام الدين تمرتـاش**[6]، وملك ابنه **سليمان** ميافارقين إلى أن جاء الإفرنج، وحاصروا حلب وبنوا عليها المساكن، وطال الحصار وقلّت الأقوات، واضطرب أهل البلد، وظهر لهم العجز من صاحبها، ولم يكن في الوقت أقوى من البرسقي، صاحب الموصل، ولا أكثر جمعاً، فاستدعوه ليدافع عنهم الفرنـج[7]، ويملكوه البلد.

فلما أشرف على الفرنـج[8]، ارتحلوا عائدين إلى بلادهم، فخرج أهل البلد فتلقوا البرسقي، فدخل حلب ولم تزل بيده إلى أن هلك.

(١) في (ب) و (ج): «ابن عماد الدين»، وهو خطأ.
(٢) الأصل: «توفي»؛ وما هنا من (ب) و (ج).
(٣) في الأصل: «كانوا»؛ وما هنا من (ب) و (ج).
(٤) ما بين الحاصرتين يقتضيه السياق.
(٥) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «مد»، وهو خطأ.
(٦) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «تمراش».
(٧) و (٨) كذا في (ب)؛ وفي (ج): الالا

وملكها ابنه **عز الدين**، ثم هلك.

فولى السلطان عليها **محمود نور الدين**، ورجع تمرتاش إلى ماردين واستمر بها.

وكان ملك ميافارقين قد صار لحسام الدين تمرتاش، ولم يزل تمرتاش ملكاً بماردين إلى أن هلك سنة سبع وأربعين وخمسماية، وكانت مدة ملكه احدى وثلاثين سنة.

وملك مكانه بماردين ابنه **ألبي بن تمرتاش**، وبقي ملكاً عليها إلى أن مات.

وولى بعده ابنه **إيلغازي بن ألبي** إلى أن مات أيضاً.

ولما توفي قام بالأمر بعده **بولق**، وكان بينه وبين بني أيوب ملوك مصر حروب كثيرة إلى أن هلك.

فملك بعده أخوه **أرتق أرسلان بن قطب الدين إيلغازي** مدة، ثم هلك.

وتولى بعده ابنه السعيد **نجم الدين غازي بن أرتق**[1]، وتوفي في سنة ثمان وخمسين وستماية.

وملك بعده أخوه **المظفر**[2] **قره أرسلان**/ **بن أرتق**. /٢٢٣ ب

فلما هلك، ملك بعده **شمس الدين داود**، فأقام سنة ثم هلك.

وملك بعده أخوه **المنصور نجم الدين غازي بن قره أرسلان** إلى أن توفي في سنة اثنتي عشرة وسبعماية[3].

---

(١) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «السعيد نجم الدين غازي».

(٢) لفظة: «المظفر» ساقطة من (ج).

(٣) في الأصل و (ب) و (ج): «وستماية»، وهو خطأ.
ابن بطوطة: ٢٣٢؛ أبو الفدا، المختصر ٤ (حوادث ٧١٢هـ).

وملك بعده ابنه **الصالح شمس الدين بن صالح** إلى أن توفي، لأربع وخمسين [سنة] من ملكه.

وملك بعده ابنه **المنصور أحمد** إلى أن توفي في سنة تسع وستين وسبعماية، لثلاث سنين من ملكه.

وملك بعده ابنه **الصالح محمود** أربعة أشهر، وخلعه عمه المظفر فخر الدين.

وملك بعده ابنه **مجد الدين عيسى**، وهو آخر من تولى ماردين من هذه الطائفة.

الباب السابع والثلاثون
في ذكر دولة الأتابكية ملوك حلب والشام(١)

ذكر في «الدول الإسلامية» أن أول هذه الطائفة قسيم الدولة آقسنقر. كان مملوكاً للسلطان ملكشاه(٢) السلجوقي. ولما ملك أخوه تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان السلجوقي مدينة حلب في سنة ثمان وسبعين وأربعماية، استنابه فيها، فعصى عليه بعد ذلك، وجرى بينهما حروب آلت إلى أسر آقسنقر وقتله، فدفن بمدرسته المعروفة بالزجاجية داخل حلب. وكان حسن السياسة كثير العدل، وكانت بلاده آمنة.

ولما مات نشأ ولده الأكبر **عماد الدين زنكي** في ظل الدولة السلجوقية، فشب مرموقاً بعين النجدة، وكان شديد الهيبة عظيم السياسة، وكان أشجع خلق الله تعالى. ثم كان له في خدمة السلطان محمود، عند حربه مع أخيه مسعود، مقامات جليلة، فاختصَّه السلطان(٣)، وأضاف إليه شحنكية بغداد وولاية واسط، مضافاً إلى الموصل، وذلك في سنة احدى وعشرين وخمسماية، وسلم إليه ولده فروخ شاه المعروف بالخفاجي ليربيه، ولهذا قيل له أتابك، وهو الذي يربي أولاد الملوك.

ثم سار في سنة اثنتين وعشرين وخمسماية إلى مدينة حلب، وملك في

---

(١) في (ب) و (ج): «في ذكر دولة الأتابكية وأوصافهم الحسنة الزكية».
(٢) في (ب) و (ج): «ملك شاه».
(٣) كذا وردت العبارات «وكان شديد الهيبة... فاختصه السلطان» في (ج)؛ وفي (ب): «وكان شديد الهمة في خدمة السلطان محمود عند حربه مع أخيه مسعود مقامات جليلة، فأحبه السلطان».

٢٢٤ أ طريقه منبجاً من يد حسان، وتلقاه أهل/ حلب واستولى عليها، وأقطع أعمالها للأمراء والأجناد، ثم قبض على صاحب حلب الأمير قطلغ فكحّله[١]، فمات. ثم استولى على مدينة حماه وحمص وبعلبك، وحاصر دمشق فلم يملكها، ثم توجه لفتح قلعة جعبر فحاصرها، فأصبح مقتولاً على فراشه، قتله بعض خواصه فدفن بالرقة، وعمره ستون سنة.

فاستولى بعده ابنه سيف الدين غازي[٢] على الموصل، وابنه الآخر محمود وهو نور الدين الشهيد[٣]، على حلب. ثم توفي سيف الدين، وتولى مكانه أخوه قطب الدين مودود على الموصل.

وكان نور الدين المذكور معتدل القامة أسمر اللون، واسع الجبهة، حسن الصورة، لحيته شعرات في حنكه. وكان مولده يوم الأحد سابع عشر شوال سنة احدى عشرة وخمسماية بمدينة حلب، ونشأ على الخير والصلاح والعبادة، وكان ملكاً زاهداً حنفي المذهب، عابداً عادلاً مستمسكاً بالشريعة، وكان مغرماً بالجهاد في سبيل الله. فتح نيفاً وخمسين حصناً، وملك دمشق وضبط أمورها، وعمر بها البيمارستان المشهور ودار الحديث، وأبطل المكوس.

وكانت[٤] الفرنج تملّكت سواحل الشام إلى عسقلان، ثم طمعوا في ملك دمشق، وكان أهلها يؤدون الضريبة للفرنج[٥].

فلما بلغ ذلك نور الدين الشهيد تجرد لطلب دمشق ولجهاد الفرنج[٦]، فعمل الحيلة وراسل صاحبها[٧] مجير الدين أبق بن طغتكين، واستماله وواصله

(١) كذا؛ وفي (ب): «فحكه»؛ وفي (ج): «فخنقه».
(٢) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «سيف الدين».
(٣) كذا في (ب)، وفي (ج): وردت العبارة كما يلي: «وابنه الآخر نور الدين الشهيد محمود».
(٤) الأصل: «وكان الفرنج هلكت»؛ وفي(ب): «وكانوا الفرنج ملكوا»؛ وما أثبتناه من (ج).
(٥) كذا في(ب)؛ وفي (ج): «للأفرنج».
(٦) كذا في(ب)؛ وفي(ج): «الفرنج».
(٧) في (ب): «وأرسل صاحبها»؛ وفي (ج): «وأرسل إلى صاحبها».

بالهدايا والتحف حتى اعتمد عليه ووثق به، فكان يغريه بالرجال[١] الذين يجد بهم القوة على المدافعة واحداً بعد واحد، ويرسل يقول له: إن فلاناً كاتبني في تسليم دمشق، فيصدق كلامه، ويقتله[٢] مجير الدين حتى قتل جميع من هو شديد من أمرائه، فسار حينئذ نور الدين إلى دمشق، بعد أن كاتب الأمراء الأحداث الذين استمالهم، فوعدوه.

فلما علم ذلك مجير الدين راسل إلى الفرنج[٣] في نصرته[٤] على نور الدين على أن يعطيهم بعلبك فأجابوه[٥] وشرعوا في الحشد، فسبقهم نور الدين إلى دمشق، فثار الأمراء الذين/ كاتبهم وفتحوا له الباب[٦] الشرقي، /٢٢٤ ب فدخل منه وملكها. واعتصم مجير الدين بالقلعة، فراسله في النزول عنها وعوضه مدينة حمص[٧]، فسار إليها، ثم عوضه عن حمص ببالس، فلم يرض بها، وسار إلى بغداد وسكن فيها إلى أن توفي.

ولنور الدين الشهيد وقائع وحروب مع الفرنج[٨]. وكان قد اتسع ملكه حتى خطب له بالحرمين وباليمن، وكان قد شرع لأخذ مصر من السلطان صلاح الدين بن أيوب.

وكفاه منقبة ما ذكره صاحب «**خلاصة الوفا في أخبار دار المصطفى**» أن

---

(١) و (٢) الأصل: «بالأموال»، «ويقبله»؛ وما هنا من (ج)؛ مع الإشارة إلى اختلاف الصياغة في (ب)، حيث وردت العبارات كالتالي: «وكان يغريه برجاله الذين يجد لهم القوة على المدافعة واحداً بعد واحد، ويقول له: إن فلاناً كاتبني في تسليم دمشق، فيصدق كلامه، ويقتل ذلك الرجل حتى قتل مجير الدين المذكور».

(٣) كذا في الأصل؛ وفي (ب) و(ج): «راسل الفرنج».

(٤) الأصل: «نصره»؛ وما هنا من(ب) و(ج).

(٥) كذا؛ وفي(ب) و(ج): «فأجابوه إلى ذلك».

(٦) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «باب».

(٧) في(ب): «فراسله في النزول وعوضه بمدينة حمص»؛ وفي(ج): «فراسله في النزول عنها، فنزل، وعوضه عن دمشق مدينة حمص».

(٨) كذا في(ب)؛ وفي(ج): «الافرنج».

السلطان المذكور رأى النبيّ ﷺ ثلاث مرات في ليلة واحدة، وهو يقول في كل مرة: يا محمود، انقذني من هذين الشخصين، وهما أشقران تجاهه. فاستحضر وزيره قبل الصبح، فذكر ذلك له فقال: هذا أمر حدث بالمدينة المنورة[١]، ليس له غيرك! فتجهز بمقدار ألف راحلة وما يتبعها، حتى دخل المدينة على حين غفلة من أهلها، ثم ذكر قضية الصدقة، وأنه لم يبق إلا رجلان مجاوران من أهل الأندلس نازلان في الرباط التي قبلة حجرة النبيّ[٢] ﷺ فجدوا في طلبهما.

فلما رآهما قال للوزير: هما هذان؟. فسألهما عن حالهما، فقالا: جئنا للمجاورة. فقال لهما: أصدقاني!. وعاقبهما فأقرا أنهما من النصارى، وأنهما وصلا لكي ينقـلا ما[٣] بالحجرة الشريفة باتفاق من ملوكهما، ووجدهما[٤] قد حفرا تحت الأرض من تحت حائط المسجد القبلي لجهة الحجرة الشريفة، ويجعلان التراب في بئر عندهما في الرباط، وقيل كانا يجعلان التراب في محفظتهما ويخرجان يلقيانه في الخارج، فضرب أعناقهما[٥] عند الشباك الذي شرقي الحجرة، خارج المسجد، ثم أحرقا بالنار، وركب[٦] راجعاً إلى الشام، بعد أن حفر خندقاً حوالي[٧] الحجرة الشريفة، وسكب فيه الرصاص والنحاس، واحتفظه[٨] غاية الاحتفاظ.

ومحاسن هذا السلطان أجل من[٩] أن تحصى وتحصر، فمن أراد الوقوف على مناقبه فعليه بـ «**الكواكب الدرِّية في السيرة/النورية**». /٢٢٥ أ

(١) في(ب) و(ج): «النبوية».

(٢) كذا في(ج)؛ وفي(ب): «نازلان في الرباط الذي قبل حجرة النبي».

(٣) في الأصل و(ج): «من»؛ وفي(ب): «لكي ينقلا الحجرة الشريفة».

(٤) كذا في(ج)؛ وفي (ب): «وجدوهم قد حفروا».

(٥) كذا في(ج)؛ وفي(ب): «ويجعلان التراب في بير عندهما فضرب أعناقهما».

(٦) كذا في (ج)؛ وفي(ب): «ثم أحرقهما بالنار ثم ركب».

(٧) كذا في (ج)؛ وفي(ب): «حول».

(٨) كذا؛ وفي(ب): «وحفظ»؛ وفي(ج): «واستحفظه».

(٩) من. ساقطة من(ب) و(ج).

توفي، رحمه الله، نهار الأربعاء حادي عشر شوال سنة تسع وستين وخمسماية بقلعة دمشق من علة الخوانيق، ثم نقل إلى تربته التي أنشأها بقرب سوق الخواصين، وكانت مدة ملكه ثمانياً وعشرين سنة، وعمره ثمان وخمسون سنة[١].

ولما توفي اجتمع الأمراء وأهل الدولة بدمشق وبايعوا لابنه[٢] الملك الصالح إسماعيل، وهو ابن احدى عشرة سنة، وأطاعه الناس وكانوا يراجعون[٣] في جميع أمورهم إلى الملك صلاح الدين بن أيوب صاحب مصر.

ثم بعد ذلك اختلفت الآراء وظهرت الشرور وكثرت الخمور، وعزم الفرنج[٤] على قصد دمشق وانتزاعها من أيدي المسلمين. فلما بلغ ذلك السلطان صلاح الدين، سار من مصر لحفظ دمشق وتربية الملك الصالح لصغر سنّه، واتفق وقوع الفتنة من أهل السنة والشيعة في حلب، فتوجه الملك الصالح إليها، وأقام بها، ودخل السلطان صلاح الدين إلى دمشق وتسلمها بغير قتال ومنازع[٥]، وملك حمص وحماه.

ثم توفي الملك الصالح إسماعيل في منتصف عام سبعة وسبعين وخمسماية، ولم يعقب، فكانت مدة ملكه ثماني سنين، وعهد بالملك لابن عمه **عز الدين مسعود**، صاحب الموصل، ثم استولى السلطان صلاح الدين على حلب، وعوضه عنها سنجار ونصيبين والخابور والرقة وسروج، ولم يزل فيهم بقية متصرفون على الأماكن المذكورة إلى أن أوقع التتار بجلال الدين خورزمشاه[٦]، في سنة ثمان وعشرين وستماية وقتلوه، وانقرضت دولة الأتابكية من الشام والجزيرة أجمع كأن لم يكن [لهم أثر][٧].

(١) عبارة «وعمره ثمان وخمسون سنة»: ساقطة من (ج).
(٢) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «ابنه».
(٣) كذا في(ب)؛ وفي(ج): «يرجعون».
(٤) كذا في(ب)؛ وفي(ج): «الأفرنج».
(٥) كذا في(ج)؛ وفي (ب): «تنازع».
(٦) الأصل: «خورزمشاه»؛ وفي(ب): «خورزم شاه»؛ وما هنا من (ج).
(٧) ما بين الحاصرتين من(ب).

الباب الثامن والثلاثون
في ذكر دولة بني طغتكين بالشام[1]

ذكر في «**تحفة ذوي الألباب**» أن أبا منصور طغتكين كان من رجال تاج الدولة تتش، زوّجه بأم ابنه دقاق[2]، وكان معه لما ذهب إلى الري لقتال ابن أخيه بركياروق، ورجع إلى دمشق بعد قتل تاج الدولة. وكان أتابك دقاق مدة ولايته، وكان شهماً مهيباً[3]، / شديداً على المفسدين، وامتدت أيامه إلى أن توفي في سابع صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسماية، ودفن بدمشق عند المسجد الجديد قبلي المصلى. ٢٢٥/ ب

ذكر **ابن القلانسي** أن المصحف العثماني كان حمله عثمان بن عفان، رضي الله عنه، من المدينة المنورة ووضعه في مسجد طبرية، فحمله طغتكين المذكور، لما خرب طبرية[4] ووضعه في الجامع الأموي بدمشق.

ولمَّا توفي، تولى مكانه ولده **تاج الملوك أبو سعيد بوري[5] بن طغتكين**، وكانت سيرته حسنة، وكان به حلم وسماحة. ولم يزل بدمشق حتى وثب عليه عجميان من الباطنية فجرحاه، فمات منها في حادي عشري رجب، سنة ست وعشرين وخمسماية.

وتولى مكانه ولده **شمس الملوك أبو الفتح إسماعيل بن بوري بن طغتكين**، وكان مقداماً مهيباً، استرد قلعة بانياس من أيدي الكفار في يومين،

---

(١) في (ب) و(ج): «في ذكر دولة بني طغتكين بالشام وحسن سيرتهم في الأنام».
(٢) كذا في(ج)؛ وفي(ب): «زوجه بامرأة ابنه دقاق».
(٣) كذا في(ب)؛ وفي(ج): «مهاباً».
(٤) في(ب): «لما أخرب طبرية»؛ وفي(ج): «لمَّا خرج من طبرية».
(٥) في(ب): «بوزي»، وهو خطأ.

ثم إنه مد يده إلى أخذ الأموال، وعزم على المصادرات للكتاب والعمال فزينت له أمه زمرد فقتل بين يديها[١]، وهو يستغيث إليها. ولما قضى نحبه جعلته في بساط ملفوف، ثم أمرت الأمراء فدخلوا عليه فرأوه مقتولاً. قالت: انظروا إلى سلطانكم، وما حمل به ظلمه للناس[٢]!.

ثم أحضرت أخاه **شهاب الدين محمود بن بوري**، فعقدت له السلطنة، وقامت أمه بتدبير المملكة إلى أن خطبها وتزوجها [ابن][٣] زنكي وكانت الأمور على السداد إلى أن وثبت عليه جماعة من خدمه، فقتلوه في رابع عشري شوال سنة ثلاث وستين وخمسماية.

وتولى الملك بعده **أبو المظفر محمد بن بوري بن طغتكين**، وكان ضعيف السيرة، ولم تطل مدته، فمات في ثامن شعبان سنة أربع وستين[٤] وخمسماية.

وأجلس ابنه **مجير الدين**[٥] **أبق**، وكان صغيراً دون البلوغ، فقام بتدبيره وتربيته أتابكه معين الدين، وكان الأتابك زنكي[٦]، إنما زوج ابنه بأم شهاب الدين، المقدم ذكره، طمعاً في الاستيلاء على دمشق، ولم يظفر بما أمله، فتسلم حمص وقلعتها، ثم إنه حاصر/ دمشق ولم ينل منها شيئاً. ٢٢٦/ أ

فلما آيس عن فتح دمشق أحرق المرج والغوطة ونهب ما فيها، ورحل عائداً إلى بلاده[٧] فتوفي واستولى على الملك الأتابكية، وانقرضت دولة السلجوقية من الشام والبلاد الفراتية أجمع، والله مالك الملك يؤتي الملك من يشاء من عباده[٨].

(١) كذا في(ب)؛ وفي(ج): «فأدخلت عليه أمه زمرد مماليكها فقتلوه بين يديها».
(٢) كذا في (ب)؛ وفي(ج): «وما جل به ظلمه للناس».
(٣) ما أضيف بعد مراجعة (ب) و(ج) وما سيلي في هذه الصفحة.
(٤) الأصل «أربع وثلاثين وخمساية»؛ وفي (ب): «أربع وثمانين وخمساية»؛ وما أثبتناه من (ج).
(٥) اللقب «مجير الدين»: لم يرد في (ج).
(٦) في (ب) و(ج): «الأتابك ابن زنكي».
(٧) كذا في(ب)؛ وفي (ج): «إلى بلده».
(٨) عبارة «من عباده»: لم ترد في(ب).

الباب التاسع والثلاثون
في ذكر دولة بني مرداس[1]

ذكر **الجنابي** في تاريخه، أن أول من تولى الملك بمدينة حلب وتوابعها من هذه الطائفة **صالح بن مرداس الكلبي**، في سنة أربع عشرة وأربعماية، استخلصه من يد أمراء الحاكم بأمر الله الفاطمي، واستمر في الملك مدة إلى أن وصل العسكر من الديار المصرية، فوقع الحرب بينهم، وانجلى بقتل صالح.

وتولى مكانه ولده **نصر بن صالح**[2] إلى سنة تسع وعشرين وأربعماية، فقتل على يد أنو شتكين، من أمراء مصر، وتولى مكانه.

وفي سنة ثلاث وثلاثين وأربعماية توفي أنو شتكين، وتولى مكانه بحلب **ثمال بن صالح بن مرداس** مدة، ثم أقبل ابن ملهم[3]، من أمراء مصر، وحارب ثمالاً واستولى على حلب.

وتولى مكانه **نصر بن نصر بن صالح** بعد حروب وقعت بينهما، وعاد ثمال لحلب بعساكر[4] المصريّة. وكان شجيعاً قوياً، فتولى مدة.

فلما توفي تولى مكانه أخوه **عطية بن صالح**، فلم تطل مدته، فهرب إلى قيصر، فمات هناك.

---

(١) في(ب) و(ج) ورد العنوان كالتالي: «في ذكر دولة بني مرداس، أهل الشدة والبأس».

(٢) في الأصل وفي (ب) و(ج) اختلاف واضطراب في تحديد خليفة صالح بـن مرداس؛ حيث ورد في الأصل: «محمود نصر بن صالح»؛ وفي(ب): «محمود بن نصر بن صالح»؛ وفي (ج): «محمود ابن صالح»؛ ولعل الصحيح ما ورد عند أبي الفدا، وهو ما اعتمدنا.
راجع: أبو الفدا، المختصر ٢: ١٤١ - ١٤٢.

(٣) في (ب) و(ج): «ابن ملثم»؛ وفي المصدر نفسه: «الحسن بن علي بن ملهم».

(٤) كذا في(ب)؛ وفي (ج): «بالعساكر المصرية».

وتولى مكانه **نصر بن محمود**.

فلما توفي، تولى مكانه **أحمد بن نصر بن صالح بن مرداس**، إلى حدود سنة اثنتين وسبعين وأربعماية.

ثم استولى عُلى الديار الحلبية صاحب الموصل **شرف الدولة مسلم بن قريش**، وبه انقرضت دولة بني مرداس، فكانت مدتهم ثمانياً وخمسين سنة[1].

(١) اختتمت النسخة (ب) بعبارة: «والله أعلم».

الباب الأربعون
في ذكر دولة آل براق ملوك كرمان[1]

ذكر أصحاب السير أن آل براق ملكوا كرمان من سنة احدى وعشرين وستماية/ إلى سنة ست وسبعماية، وكانوا تسعة أنفار. /٢٢٦ ب

وأول من تولى الملك منهم بُرَاق، وكان حاجب[٢] كوخان سلطان الخطا. وكان من أمره أن كوخان أرسله إلى خوارزمشاه[٣] للصلح، فأعجبه لحسن تدبيره ورأيه، وأبقاه عنده، فولاه إمارة كرمان، فاستمر أميراً على بلاد كرمان اثنتي عشرة سنة، وتوفي في سنة اثنتين وثلاثين وستماية.

وتولى مكانه ولده السلطان **ركن الدين مبارك** مدة، ثم عزله.

واستولى على الملك ابن عمه **السلطان قطب الدين**، وهو أول من تسلطن من هذه الطائفة، وكانوا أمراء من قبل كوخان[٤]. وكان قطب الدين يميل إلى فعل الخيرات والمبرات، وكانت مدة ملكه ست سنين، وتوفي في سنة ست وخمسين وستماية.

وتولى مكانه ولده السلطان **حجاج**[٥] **بن قطب الدين** ثلاث عشرة سنة، وسار سيرة حسنة.

وفي سنة تسع وستين وستماية، خاف على نفسه من الخان، وهرب إلى

---

(١) في (ب) و(ج): «في ذكر دولة آل براق ملوك كرمان أولي الأفكار الثاقبة والأذهان».

(٢) كذا في(ب)؛ وفي(ج): «صاحب».

(٣) في (ب): خورزم شاه».

(٤) في الأصل و(ب)؛ «قراخان»؛ وفي (ج) ما أثبتناه لانسجامه مع السياق.

(٥) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «الحجاج».

السلطان جلي فالتجأ إليه، واستمر عنده مقدار عشر سنين، فأرسل معه عساكر إلى كرمان.

ففي أثناء الطريق توفي الحجاج، وتولى مكانه أخوه **السلطان سيورغتمش بن قطب الدين**، واستمر في الملك إلى سنة احدى وسبعين وستماية، فعزل.

وولي مكانه **زوجة قطب الدين** مدة، ثم قتلها.

وولي مكانها **السلطان مظفر الدين محمد**، فلم يزل في الملك إلى أن توفي في سنة ثلاث وسبعماية.

فتولى مكانه ابن عمه السلطان **قطب الدين جهان**[١]، وكان ظالماً غاشماً جباراً سفاكاً، عديم الرأي والتدبير، وهو آخر من ملك من هذه الطائفة، وانقرضت دولتهم، واستولى على الملك أمراء المغل.

(١) كذا في (ب)؛ وفي(ج): «السلطان قطب الدين شاه جهان».

الباب الحادي والأربعون
في ذكر دولة الغورية ملوك غزنة [1]

ذكر الجنابي أنّ أصلهم من ترك الخطا، سكنوا في جبال الغور فيما وراء النهر. وكان ابتداء أمرهم في سنة خمس وأربعين وخمسماية، وانتهاء حالهم في سنة تسع / وستماية. ‏/٢٢٧ أ

وأول من ملك منهم سيف الدين محمد بن الحسين. تزوج بنت بهرام شاه الغزنوي [2]، فلما تحقق قصده له، تحيَّلْ عليه [3] إلى أن أمسكه وقتله.

وتولى مكانه أخوه سوري [4] بن الحسين، فسار لغزنة لطلب ثأر أخيه، فغلب عليه بهرام شاه وقتله.

وتولى مكانه أخوه علاء الدين حسن بن الحسين جهانسوز [5]. وكان ملكاً قوياً شجاعاً، فسار إلى بهرام شاه [6] لطلب ثأر أخويه، فلم يقدر على المقاومة وانهزم إلى بلاد الهند.

واستولى مكانه على غزنة السلطان علاء الدين، واستناب أخاه سيف الدين

---

(١) في(ب): «في ذكر دولة ملوك غزنة من الغورية حسنى الخصايل والهمم العلية»؛ وفي (ج): «في ذكر دولة غزنة من الغورية حسنى الخصايل والهمم العلية».

(٢) كذا في (ج)؛ وفي(ب): «الغزني».

(٣) كذا في(ج)؛ وفي(ب): «احتال عليه».

(٤) كذا في(ب)؛ وفي(ج): «سورون»؛مع الاشارة هنا إلى اضطراب في (ب)، حيث وردت ولاية سوري بعد ولاية أخيه علاء الدين حسن

(٥) كذا في (ج)؛ وفي(ب)؛ «جانسبون».

(٦) كذا في(ج)؛ وفي(ب): «بهرام شاه الغزني».

مكانه، وتوجه هو للغور. فلما بلغ بهرام شاه ذلك، عاد إلى غزنة وتولى الملك.

فلما توفي، تولى الملك بعده ولده **خسروشاه**، وبعده عاد السلطان علاء الدين وانتزع الملك من يد خسروشاه وتلقب بالسلطان الأعظم، وحمل على رأسه القبة والطير على قاعدة بني سلجوق. وكان شافعي المذهب، وكان حسن الخط، يكتب المصاحف بخطه ويوقفها على المساجد.

فلما توفي تولى مكانه أخوه **شهاب الدين أبو المظفر**، واستولى على الهند والسند وخراسان والغور. وكان ديناً شجاعاً.

وفي سنة احدى وستماية توجه إلى السند، ففي أثناء الطريق دخل عليه جماعته إلى خيمته، وقتلوه وهو في الصلاة، وولوا مكانه ابن اخته[١] **بهاء الدين شاه**، وكان حاكماً في بلاد باميان[٢]، فتوفي قبل أن يصل إلى مقر سلطنته. وأوصى بالملك لولديه **جلال الدين وعلاء الدين**، فوقع بينهما حروب آلت إلى استيلاء **محمود بن غياث الدين** على الملك، وهو آخر من تولى من هذه الطائفة، وانقرضت دولتهم، فغلب على الملك خورزمشاه وقتله[٣].

---

(١) في(ب) و(ج): «ابن أخيه».

(٢) في(ب): «ناميا» وهو خطأ؛ وباميان أو الباميان في خراسان، وهي مضافة إلى مرو الشاهجان وبرسمها، وهي كثيرة الأنهر.
الحميري، الروض المعطار: ٧٤؛ أبو الفدا، تقويم: ٤٦٦ ـ ٤٦٧.

(٣) عبارة: «وقتله» لم ترد في (ب).

الباب الثاني والأربعون
في ذكر جنكيز خان وكيف فسد وخان

اتفق أهل التاريخ أن الترك أكثر أجناس العالم، وهم أمم لا يحصيهم إلا خالقهم. / ولم يزالوا ببلاد الشرق من أول الخليقة لا يعلم أحد مبتدأها. وهم رجالة[1] يسكنون الخيام المتخذة من اللبود لشدة البرد في بلادهم، وأكثر دوابهم الخيل، وأقواتهم الأرز وألبان الخيل ولحومها، وتعرف ملوكهم بالخان، وهي سمة ملوكهم. ‎/٢٢٧ ب

وهم من بقايا يأجوج ومأجوج، سموا بالترك لأنهم تركوا عن دخول السد، وكانوا مبددين في دشت قبجاق في حدود ممالك[2] الخطا والصين. مسيرة أماكنهم، شرقاً بغرب، ثمانية أشهر، وشمالاً بجنوب مثله، يتوالدون في ذلك البر، ويتهارجون في ذلك السهل والوعر كالحيوانات السايبة، لا حاكم يردعهم، ولا دين ولا اعتقاد يجمعهم.

وهم قبائل وشعوب وأصناف وضروب، وكل طائفة تعدّ غارتها[3]، وتقصد جارتها، وتلعن أختها، وتنهب تختها، وتأكل رختها[4]، لا يعرفون الحلال والحرام، ويعبدون الأوثان والأصنام، ويسجدون للشمس إذا بزغت من الظلام، ويعظمون النجوم ويعبدونها، ويخاطبهم الجن ويرصدونها، وأفخر ملبوسهم جلود الكلاب والنموس، ويأكلون الكلاب والفار، وما وجدوا من صيد القفار،

---

(١) كذا في (ب)؛ وفي(ج): «رجال».
(٢) كذا في(ب)؛ وفي(ج): «ملك».
(٣) في(ب): «بقدر عازتها»؛ وفي(ج): «تغير غارتها»
(٤) كذا في(ب)؛ وفي(ج): «وتأكل سختها».

فهم متمكنون في ذلك المكان حتى بلغ ذو القرنين بين السدين، وساوى على يأجوج ومأجوج بين الصدفين، حتى نبغ منهم هذا اللعين، الطاغية تموجين، الذي يسمى جنكيز خان، وساعده قضاء الديان لأمر يريده الرحمن.

[وكان أصله من قبيلة من تلك التتار تسمى قتات، ظلمة وعتاة.

وفي «**مسالك الأبصار**»(١)، أن جدة جنكيز خان امرأة اسمها الان فوا، وأنها ولدت نودبحر من غير أب، قالوا: وكانت متزوجة ثم مات زوجها، وحملت وهي أيم، فتنكر عليها أقاربها، فذكرت أنها بعض الأيام رأت نوراً دخل في فرجها ثلاث مرات، وطرأ عليها الحمل بعده، وقالت لهم: «إن في حملي ثلاثة ذكور؛ فإن صدق ذلك عند الوضع، وإلا فافعلوا ما بدا لكم!» فوضعت ثلاث توايم من ذلك الحمل، وظهرت براءتها(٢) بزعمهم، اسم أحدهم يوقن، والآخر قوناعي، والثالث نودبحر، وهو جد جنكيز خان](٣).

وكان من ابتداء حاله وأمره أنه خدم عند ملك الخطا المسمى بأونك خان، فقربه الملك وأدناه، فحسده الوزراء وعملوا له المكائد ونصبوا له المصائد، حتى أثّر كلامهم عند الملك فقصده، ولا زال يتبعه حتى كبسه. وكان معه الخبر فأعانه الله ونصره، وكسر الخان وعسكره، وقبض عليه فقتله، واستولى على أمواله ٢٢٨/ أ وذخائره. وكان ذلك في سنة تسع وتسعين وخمسماية، / ثم بعد ذلك تقوّى وقصد سلطان الخطا والصين ألتون خان، بعدد كالرمال ومدد كالجبال، فقبض عليه وأباده، واستصفى ولايته وبلاده. وكانت هذه الكسرة(٤)، والنصرة في سنة احدى وستماية من الهجرة.

(١) لشهاب الدين ابن فضل الله العمري المتوفى عام ٧٤٩ هـ/١٣٤٨ م.
والكتاب عبارة عن موسوعة تتناول شتّى المعارف الانسانية، وهو يقع في مجلدات عدة.

(٢) في الأصل و(ب) و(ج): «برأتها».

(٣) ما بين الحاصرتين ورد على الهامش في الأصل بالقلم نفسه.

(٤) في(ب): «الكبيرة»؛ وفي(ج): «الكسيرة».

وكان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، أعجمياً غجرياً[1]، لا يحسب ولا ينسب، لا طالع الأخبار[2]، ولا اقتفى الآثار، بل أسس بفكره قواعد لو أدركها[3] الاسكندر ودارا[4]، لما وسعهما إلا اقتفاء أثره.

كسر[5] بصدماته الأكاسرة، وقهر بسطواته[6] القياصرة، وعسكره[7] كانوا ما بين مسلمين ومشركين ويهود، ومن لا يدين لمعبود. فلم يتعرض لأحد في دينه، واعتقاده ويقينه.

وأما هو فلم يتقيّد بدين، بل يعظم علماء كل طائفة، واخترع هو لنفسه في الملك قواعد، سلك فيها المقارب والمباعد: ثم لم يكن لهم كتاب ولا خط، ولا لهم قلم يعرفون به قط. فأمر عقلاء مملكته، وأذكياء قبيلته، أن يضعوا له خطاً وقلماً، يكون لهم علماً وعَلَماً، فوضعوا له قلم المغل، ورتّبوا له كتاباً سماه الياسق الكبير[8]، ذكر فيه ما اقتضاه رأيه التعيس، وفكره الخسيس، لكل حسنة مثوبة، ولكل سيئة عقوبة.

فمن أحكامها المظلمة صلب السارق وخنق الزاني، وإن شهد بذلك واحد فلا يحتاج إلى ثان.

ومنها حقية من سبق، سواء كذب أو صدق.

---

(١) في(ب) و(ج): «عجزياً».

(٢) كذا في(ب)؛ وفي(ج): «لا أطلع على الأخبار».

(٣) كذا في(ب)؛ وفي(ج): «لو أدركه».

(٤) دارا: هو ملك الفرس الذي هزمه الاسكندر المقدوني، واستولى على ملكه.

(٥) كذا في (ج)؛ وفي(ب): «كسرى».

(٦) في(ب): «وقسر بسطواته»؛ وفي(ج): «وقهر بسطوته».

(٧) في(ب) و(ج): «وأما عسكره».

(٨) وهو عبارة عن مجموعة من الأنظمة البدائية القائمة على الأعراف والعادات التركية المغولية الوثنية.
انظر: أرنولد، الخلافة: ٦٢، وما يلي من المخطوط.

ومنها استعباد الأحرار، وتوارث الفلاح والأكار[١].

ومنها توريث نكاح الزوجة لأقارب الزوج وتداولهم فوجاً بعد فوج.

ومنها عدم العدة، وحصر الزوجات في عدة[٢].

ومنها الأخذ بقول الجواري والصبيان.

ومنها مطالبة الجار بالجار، ومعاقبة البريء بمرتكب الأوزار.

ومنها منع عفو الحاكم وإن عفا المظلوم عن الظالم[٣] ونحو هذه الخرافات[٤] الباطلة، والهذيانات العاطلة، من القواعد الملعونة على خلاف الشريعة الميمونة.

وكان كرسي مملكته مدينة قراقروم[٥]، وسبب تحركه إلى ممالك الإسلام وتوجه عنان سخطه إلى طلب الإنتقام، هو أنه لما استقر أمره، وانتشر بالظلم
/٢٢٨ب والجور ذكره، / وقع بينه وبين السلطان خورزمشاه من قتل أصحابه، وفتح سد الثغر وبابه، إلى أن قتل السلطان[٦]، وكان من أمره ما كان.

ثم نهض نهضة أنام فيها الأنام، وقام قومة أقام بها ساعات القيام، فتوجه من مشركي التتار، وعساكر الكفار بالبحار الطامية، وجبال النيران الحامية، في سنة خمس عشرة وستماية، ومشوا على ممالك الإسلام، وأرادوا إطفاء نور الإيمان من إشراكهم بظلام، فوصلوا إلى البلاد وهي جنة المرتاد، فاحتووا على جند

(١) كذا في(ج)؛ وفي(ب): «الأوكار».
(٢) كذا في(ج)؛ وفي(ب): «لأقارب الزوج في عدة».
(٣) عبارة: «عن الظالم» ساقطة في(ج).
(٤) كذا في(ج)؛ وفي(ب): «الخلافات».
(٥) ويقال أيضاً «قراقوم »، ومعناها بالتركية الرمل الأسود. كانت قاعدة التتر، وفي جهاتها بلاد المغل، وهم خالصة التتر، ومنها خاناتهم.
أبو الفدا، تقويم: ٥٠٤ ـ ٥٠٥.
(٦) العبارات: «خورزمشاه من قتل أصحابه، وفتح سد الثغر وبابه، إلى أن قتل السلطان» لم ترد في (ب).

[نيسابور](1) وقراها، وولايتها وما والاها، وأظهروا فيها علامات الحشر(2)، فأدهشوا وعَلَّها، وسبكوا أهلها(3)، فقتلوا الخاص والعام، ومدوا إلى ذخايرها النهبَ العام. ثم تنقلوا عن جند إلى ولايات أندكان، وقناكث، وخجند، ومرغينان، وكانت دار ملك أيلك خان. ثم إلى أطراف تركستان، ثم إلى نسف، وأنزار، وسغناق، وهما من أمهات البلاد في تلك الآفاق، فأخذوا وقتلوا أهلها، ودكوا جبلها، وملؤا بجبال القتلى سهلها(4).

فمشوا إلى سهل البلاد(5) ووعْرِها   مَشْيَ الجرادِ على القَصِيلِ الأخضرِ
فكأنهم موسَى على شعر مَشت(6)   أو منجلٍ فوقَ الحصيدِ الأصفرِ
أو شعلةٌ ثار الهوى فتعلّقتْ   فوق الصعيد على الهَشيم الأغبرِ

ثم إن الدواهي المصميَّة، في رابع المحرم سنة سبع عشرة وستماية، وصلوا إلى بخارى، بلدة فضلها لايجارى، قبة الإيمان، وكرسي ملوك بني ساسان(7)، مجمع العلماء والعباد والصلحاء والزاهد(8)، فدخل(9) جنكيز خان إلى المدينة، وطاف بها على هيبة وسكينة، حتى انتهى إلى باب الجامع، فرأى محلاً شريفاً، ومعبداً واسعاً لطيفاً، فقال: هذا بيت السلطان؟. فقالوا: بل بيت الرحمن!. فقال: إن أولى ما أقمنا أفراحنا في بيت من خلق

---

(1) ما بين الحاصرتين إضافة من (ج).
(2) كذا في(ج)؛ وفي(ب): «الحسر».
(3) كذا في(ج)؛ وفي(ب): «فأدهشوا أهلها وكسبوا أكثرها وأقلها».
(4) كذا؛ وفي(ب): «فأخذوا وقتلوا أهلها، ودكوا جبلها وسهلها، وملؤا الجبال والسهول قتلاً، وأحاطوا بها معظم البلاء. وقيل في ذلك»؛ وفي(ج): «فأخذوا وقتلوا ونهبوا أهلها، ودكوا جبلها وسهلها، وملأوا الجبال والسهول قتلى، وأحاطوا بها معظم البلاء».
(5) كذا في(ب)؛ وفي(ج): «الجبال».
(6) في(ب) و(ج): «مشى».
(7) كذا في(ب)؛ وفي(ج): «سامان».
(8) كذا في(ب)؛ و(ج): «مجمع العلماء والصلحاء والعباد والكبراء».
(9) في(ب) و(ج): «فدخل».

أرواحنا، ورزق أشباحنا!». فنزل عن دابته، ودخل الجامع مع جماعته. ثم
/٢٢٩ أ استدعى الخمور[1] والطبول والزمور، فتصدر في مجالس/ العلم والأذكار، ومحاريب الصلوات الكفرة الفجار، من المغل والتتار. ثم أحضروا[2] العلماء والأشراف والكبراء، وأنزلوا بهم الثبور والويل، واستحفظوهم الخيل. ومن جملة الأعيان شخص ولي يُدعي السيد الشريف جلال الدين علي، وهو أعلى سادات ما وراء النهر، قد قبض عليه، وربطوا إلى عنقه يديه، ثم اسطروه مراكبهم، وأنشبوا فيه مخالبهم، وهو واقف بباب الجامع، في هيئة الذليل الخاضع، فرأى الإمام الهمام، علم العلماء الأعلام، الشيخ ركن الدين ابن الإمام، وهو في مثل حاله، فقال: أيها الإمام المفضال،ماهذه الأحوال؟. فأنشد معنى هذا المقال[3]:

أرى حالةً بذَّتْ[4] لساني فليس لي طريق إلى أني أفوه بلفظةِ
أعضُ بها كَفّي وأمعك مقلتي أفي النومِ هذا أم تراه بيقظةِ؟

فأجاب الإمام: ما هذا محل الكلام، كن عبد الإرادة، واتبع ما أراده!.

واستمروا يشربون الخمور على صوت الزمور، ثم أدخلوا الخيل إلى الجامع، وطلبوا لها مرابط ومواضع، ثم أفرغوا خزاين المصاحف والختمات، وظروف الكتب وأوعية الربعات، وصبوا فيها الشعير، وأطعموا فيها الخيل والبغال والحمير، فتبددت الربعات المعظمة، والمصاحف المكرمة، تحت السنابك والحوافر، ومواطىء أقدام كل كافر.

فلما استخلص ما عندهم من الأموال، أمر بقتل الرجال، وأسر النساء والأطفال. ثم أمر بالنهب وهدم البلد والإحراق، وإعدام عينها على الإطلاق؛ فمهما قال فعلوه، فلم يبق منهم ديَّار ولا نافخ نار، وقيل إنه نجا من هذه الواقعة

(١) في(ب) و(ج): «بالخمور».
(٢) كذا في(ب)؛ وفي(ج): «أحضر».
(٣) كذا في(ج)؛ وفي(ب): «فقال: أيها الإمام، ما هذه الأمور العظام، فأنشد وقال».
(٤) كذا في(ب)؛ وفي(ج): «تبدي».

رجل واحد، فوصل إلى خراسان، فسألوه عن هذا الشان كيف كان، فقال لهم بذلك اللسان ما صورته[1]: آمدند، وكندند، وسوختند، وكشتند، ورفتند»، [أي هجموا، وهدموا، وأحرقوا، وأرهقوا، ونهبوا، وذهبوا][2].

ثم توجهوا إلى سمرقند وفعلوا بأهلها ما فعلوا ببخارى، ودور أسوارها مقدار اثني عشر/ فرسخاً، فقس ما في ذلك من الخلائق والأمم، فالكل براهم سيف القلم، كما يبري السيف[3] القلم. ٢٢٩/ ب

ثم غاروا على جميع عراق العجم، ولم يبقوا على ذي روح، وقد انمحت من الوجود أمهات الأمصار، وشملها البوار. وأما القرى والقصبات، والرساتيق والمزدرعات، فأكثر من أن يحصر أو يضبط بحساب ودفتر؛ فأبيد كله وأبير، فالحكم لله العلي الكبير، كل ذلك في أدنى مدة، وأوهى رقدة. وما ذكر ذرة من طور، وقطرة من بحور.

ثم إن جنكيز خان، لما وصل إلى بلاد خراسان، مرض ورجع إلى سرة ملكه المشوم، أيميل وقوقاق وقراقروم، ولم يزل على ذلك، حتى تسلم روحه الخبيثة مالك، في رابع رمضان عام أربعة وعشرين وستماية، فكانت مدة ملكه تزيد على ثلاث وعشرين سنة.

وفي «**مسالك الأبصار**» أنَّ جنكيز خان لما آيس من الحياة وقنط من رحمة الله، جمع أولاده المشاركين [له][4] في فساده، وهم: جغتاي، وأوكتاي، وجرجان، وكاكان، وأورخان، وتولي خان، وأوصاهم بوصايا وطرائق في سياسة الرعايا، وعين لكل من هؤلاء مملكة من الممالك، وأوصى التخت[5] لولده

(١) كذا في(ب)؛ وفي(ج): «وصورته هذه».
(٢) ما بين الحاصرتين من (ج).
(٣) كذا؛ وفي(ب) و(ج): «الباري».
(٤) ما بين الحاصرتين من (ب) و(ج).
(٥) كذا في(ب)؛ وفي(ج): «بالتخت».

الصغير **تولي خان**. واستمرت بعده الفتن، والشرور والمحن، وأغار تولي خان على بقية ممالك الإسلام[١]، وغيّر شعاير[٢] شرايع خير الأنام.

فلما هلك، ملك مكانه ولده **هلاكو بن تولي خان**، والعامة يقولون هلاوون على وزن قلاوون، وهو من أعظم ملوك التتار. وكان حازماً شجاعاً ذا سطوة عظيمة، وهو على قاعدة أسلافه في عدم التقيد بدين، وإنما كانت زوجته طقز خاتون قد تنصرت، واستولى هلاكو المذكور على عراق العرب والعجم، والموصل، والجزيرة، وديار بكر، والروم والشام وغيره، وأباد ملوكها.

ذكر **الذهبي** في تاريخه أن هلاكو سفك دم ألف ألف أو يزيدون، فهل
٢٣٠/أ يقدر/ مؤرخ أن يصف سوء أفعاله[٣]؟ومع هذا، فإن الله تعالى قد وفقه للإسلام، لأن الكفار المغولية ميلوه إلى دين المجوسية، فانقاد إليهم وقصد الممالك الإسلامية بالسوء.

ذكر **البيضاوي** في تاريخه أن الله تبارك وتعالى ألهم إلى بعض أوليائه بفيض فضله، أن يظهروا من كرامات المحمدية عند هلاكو، ومنهم أبو يعقوب ومحمد خواجا دربندي، قدّس الله سرهما، فحضروا عند هلاكو ودخلوا النار[٤]، وشربوا السموم والنحاس المذاب. فلما عاين هلاكو رجع عن الكفر والزندقة، وخاف من الأولياء، وعظم الملة[٥] الإسلامية وأهلها، وكان سبب هلاكه بعلة الصرع، فكان يعتريه في اليوم الواحد مراراً، فمرض، ولم يزل ضعيفاً نحو شهرين. وكانت وفاته في سابع ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وستماية ببلد[٦] مراغة، ونقل إلى قلعة ثلث

---

(١) كذا في(ج)؛ وفي(ب): «وغار تولي خان على بقية البلاد، فاستمرت بعده الفتن بمالك الاسلام».
(٢) لفظة «شعاير»: ساقطة من(ج).
(٣) كذا في(ب)؛ وفي(ج): «فهل يقدر المؤرخون أن يجمعوا ويصفوا سوء أفعاله».
(٤) كذا في(ج)؛ وفي(ب): «ودخل التتار».
(٥) كذا في(ب)؛ وفي(ج): «ملة».
(٦) كذا في(ب)؛ وفي(ج): «في بلد».

من أعمال سَلَمَاس[١]، فدفن بها، وبني عليه قبة، وكان عمره نحو ستين سنة، وخلف من الأولاد سبعة عشر ذكراً.

وتولى الملك بعده ولده **أبغا**، وقيل أخوه **قبلاي**، فامتدت أيامه إلى أن توفي ببلاد همذان، سنة خمس وتسعين وستماية. وكان كرسي مملكته مدينة مآليق أم بلاد الخطا، وكانت[٢] مدة ملك قبلاي اثنتين وثلاثين سنة.

وملك بعده أخوه **أحمد بن هلاكو**، وكان اسمه تكدار، فأظهر دين الإسلام، وتسمى بأحمد، فقتل في جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين وستماية.

وملك بعده **أرغون بن أبغا**[٣]، وكانت مدة ملكه نحو سبع سنين.

ولما هلك ملك بعده أخوه **كيختو بن أبغا**، وكان ينسب إلى الفواحش من اللواط والفسق، واستمر حتى قتل في ربيع الآخر سنة أربع وتسعين وستماية.

وملك بعده **بيدو بن طرغية**[٤] **بن هلاكو**، فلما بلغ قازان[٥]، وهو بخراسان جلوس بيدو على سرير الملك، جمع من أطاعه وسار إلى قتال بيدو، وكان مع قازان أتابكه نيروز، وهو الذي جمع الناس على طاعة قازان.

فلما تقارب الجمعان، علم قازان أنه لا طاقة له ببيدو، فتراسلا واصطلحا، ورجع قازان إلى خراسان، وأقام نيروز عند بيدو، وأخذ في استمالة[٦] قلوب المغل إلى قازان.

فلما استوثق نيروز من المغل، كتب إلى قازان وأمره بالحركة، فتحرك قازان

---

(١) بفتح أوله وثانية مدينة مشهورة بأذربيجان.
ياقوت، معجم ٣: ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٢) كذا في(ب)؛ وفي(ج): «وكان».

(٣) كذا في(ج)؛ وفي(ب): «أتبغا»، وما ورد في الأصل وفي(ج) هو الشائع في المصادر التاريخية.

(٤) كذا في(ب)؛ وفي(ج): «طرغاي»؛ والاسم يرد بالرسمين (طرغية وطرغاي) في المصادر، وكلاهما صحيح.

(٥) كذا في(ب)؛ وفي(ج): «غازان».

(٦) كذا في(ج)؛ وفي(ب): «فاستمال قلوب المغل».

ثانياً، وبلغ بيدو حركته، فقال لنيروز في ذلك، فقال نيروز: أرسلني لأربط قازان وأرسله إليك! . فحلّفه بيدو على ذلك، فحلف نيروز، وسار إلى قازان.

وعمد نيروز إلى قدر، والقدر اسمها بالتركي قازان، فوضع قدراً في جولق وربطه وأرسله إلى بيدو وفاءً بيمينه والتقى الجمعان بنواحي همدان، فقتل بيدو هناك، وكان مقتله في ذي الحجة سنة أربع وتسعين وستماية، فكانت مدة ملك بيدو نحو ثمانية أشهر.

وتولى مكانه قازان بن أرغون بن أبغا بن هلاكو، وقتل أتابكه نيروز، وأقام موضعه قطلوشاه.

وفي سنة تسع وتسعين وستماية، سار قازان المذكور إلى الشام وملكها(١)، ولم يملك قلعتها، وكر راجعاً إلى بلاده وأقام نوابه بالشام ثم خرجت العساكر المصرية لقتال التتار، فلما بلغهم ذلك تركوا المدينة وساروا إلى بلادهم.

فلما بلغ قازان ذلك، أرسل أتابكه قطلوشاه مع عساكر التتار إلى الشام، وكانت الوقعة بين الصنمين والكسوة(٢)، فنصر الله تعالى المسلمين وولت التتار منهزمين، واستمروا يقتلون ويأسرون منهم ما شاءوا، واستمروا يطردونهم إلى قريب الفرات، كما مر، ولم تطل مدة قازان بعد ذلك حتى هلك في سنة ثلاث وسبعماية بنواحي الري، فكانت مدة ملكه ثماني سنين وعشرة أشهر.

وملك بعده أخوه خدابنده بن أرغون بن أبغا بن هلاكو، إلى أن هلك في سابع عشري رمضان سنة ست عشرة وسبعماية.

---

(١) وذلك بعد هزيمته للجيش المملوكي في وقعة وادي الخزندار عام ٦٩٩هـ/١٣٠٠م.
أبو الفدا، المختصر ٤ / ٤٢ ـ ٤٤؛ المقريزي، السلوك ١/٣: ٨٨٦ ـ ٨٨٨.

(٢) وهي وقعة شقحب التي حصلت في ٢ رمضان عام ٧٠٢هـ/١٣٠٢م، والتي انتهت بهزيمة المغول وانحسارهم عن بلاد الشام.
ابن الدواداري، كنز الدرر ٩/ ٢٨ ـ ١٠٠؛ أبو الفدا، المختصر ٤/ ٤٨ ـ ٤٩

وتولى بعده **أبو سعيد** وعمره إذ ذاك ست عشرة سنين[١]، وبقي الحكم لأتابكه[٢]. واستمر ذلك إلى سنة سبع وعشرين وسبعماية[٣]، ولم يصل إلينا خبر من تولى بعده.

اتفق المؤرخون على أنه لم يبق من بني هلاكو من تحقق نسبه، لكثرة ما وقع فيهم من القتل غيرة على الملك[٤]، ومن نجا طلب الاختفاء بشخصه، فخفي نسبه، واستمرت بحار الفتن منهم توتر[٥] وتمور، إلى أن نبغ الأعرج تيمور، فأهلك الحرث والنسل، واختطل المليح[٦] باليسل، وحل بالعالم البأس، وفسدت أحوال الناس.

---

(١) في(ب) و(ج): «فوق عشر سنين».

(٢) ويدعى جوبان، قتل سنة ١٣٢٧/٧٢٧، وقيل غير ذلك.
أبو الفدا، المختصر٤/٩٨ ـ ٩٩، ابن فضل الله العمري، مسالك الأنصار (ممالك بيت جنكيزخان): ١٠٢ ـ ١٠٣؛ ابن خلدون، العبر ٥/٤: ٩٣٤ ـ ٩٣٥؛ ابن حجر؛ الدرر الكامنة ١/٥٤١ ـ ٥٤٢.

(٣) توفي أبو سعيد دون عقب عام ٧٣٦هـ/١٣٣٦م.
له ترجمة مفصلة في: اليوسفي، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر: ٣٣٤ ـ ٣٣٦.

(٤) للمزيد راجع ما ورد في المصدر نفسه (مقدمة التحقيق): ٩٤ وما بعدها.

(٥) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «تثور».

(٦) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «المباح».

الباب الثالث والأربعون
في ذكر تيمور وما فعله من مفاسد الأمور/

وهو أحد الدجالين الموعودين في الأخبار النبوية أن يخرج على جميع /٢٣٠ ب البلاد الإسلامية.

ذكر صاحب «**المنتخب**» له نسباً يتصل به إلى جنكيز خان من جهة النساء.
وكان رجلاً ذا قامة شاهقة، كأنه من بقايا العمالقة، عظيم الجبهة والرأس، شديد القوة والبأس، أبيض اللون مشرباً بحمرة، عظيم الأطراف، عريض الأكتاف، مستكمل البنية، مسترسل اللحية، أعرج اليمناوين، وعيناه كشمعتين، جهير الصوت، لا يهاب الموت. وكان من أبهته وعظمته أن ملوك الأطراف، وسلاطين الأكناف، مع استقلالهم بالخطبة والسكة، كانوا إذا قدموا عليه، وتوجهوا بالهدايا والتقاديم إليه، يجلسون على أعتاب العبودية والخدمة نحواً من مد البصر من سرادقاته، وإذا أراد منهم واحداً أرسل من الخدمة نحوه قاصداً، فينادي ذلك الواحد باسمه، فينهض في الحال، ويعدو نحوه.

وكان بدو أمره وخروجه في حدود الستين وسبعماية، وهو من قرية تسمى خواجه إيلغار، من أعمال الكش، وهي مدينة من مدائن ما وراء النهر، عن سمرقند نحو من ثلاثة عشر شهراً. ذكر أنه لما ولد وسقط على الأرض ذلك السقيط، كان كفاه مملوتين من الدم العبيط، فقال بعضهم: يكون شرطياً. وقال بعض: ينشأ لصاً حرامياً. وقال قوم: يكون قصاباً سفاكاً. وقال آخرون: بل يصير جلاداً بتاكاً.

وكان أبوه رجلاً فقيراً إسكافاً، وهو نشأ شاباً جلداً، لكنه من القلة كان

يتحرم. ففي بعض الليالي سرق غنمة واحتملها، فشعر به الراعي فضربه بسهمين أصاب بأحدهما فخذه فأخطلها، وبالأخرى كتفه فأبطلها، فازداد كسراً على فقره، ولؤماً على شره. ولم يملك سوى ثوب قطن، فباعه واشترى بثمنه رأس ماعز، وقصد الشيخ شمس الدين الفاخوري في مدينة كش، وقد ربط بطرف حبل عنق الماعز، وربط عنقه بالطرف الآخر، وجعل يتشحط على عصا من جريد، حتى
٢٣١/أ دخل على / الشيخ المريد، فصادفه هو والفقراء، مشغولين بالذكر، ومستغرقين فيما هم فيه من الوجد والفكر، فلا زال قائماً في صف النعال حتى أفاقوا من حالهم، وسكتوا عن قالهم.

فلما وقع نظر الشيخ عليه، سارع إلى تقبيل يديه وأكب[١] على رجليه، فتفكر الشيخ ساعة، ثم رفع رأسه إلى الجماعة[٢]، وقال: كان هذا الرجل بذل عرضه وعروضه، واستمدنا في طلب ما لا يساوي عند الله جناح بعوضه، فنرى أن نمده ولا نحرمه ولا نرده. فأمدوه بالدعاء إسعافاً لما طلبه، فأشبهت قصته قصة ثعلبة، ورجع من عند الشيخ، وخرج وعرج، بعدما عرج إلى ما عرج.

ولما قدم خراسان اجتمع مع الشيخ زين الدين أبي بكر الخوافي، وانكب على رجليه، فوضع الشيخ على ظهره يديه، فقال تيمور: لولا أن الشيخ رفع يديه عن ظهري بسرعة لخلته ارتضّ، ولقد تصورت أن السماء قد وقعت على الأرض وأنا بينهما رضضت أشد رض. ثم إنه جلس بين يديه، وقال: يا مولانا الشيخ: لم لا تأمرون ملوككم بالعدل والإنصاف، وأن لا يميلوا إلى الجور والاعتساف؟ فقال له الشيخ: أمرناهم بذلك، فلم يأتمروا، فسلطناك عليهم!. فخرج من فوره من عند الشيخ، وقد قامت منه الحدبة[٣]، وقال[٤]: ملكت الدنيا ورب الكعبة!. فإنه

---

(١) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «وانكب».
(٢) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «ثم رفع رأسه إلى السماء وأشار إلى الجماعة».
(٣) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «الجديدة».
(٤) كذا؛ وفي (ب) و(ج): «وهو قايلاً».

كان يقول: جميع ما نلته بدعوة الشيخ شمس الدين الفاخوري، وهمة الشيخ زين الدين الخوافي، والسيد [محمد][(١)] بركة.

وكان من أمره أنه هو ورفقاءه كانوا يتحرمون في بلاد ما وراء النهر حتى شعر بهم السلطان حسين، حاكم هراة، وظفر به[(٢)] فبعد ضربه أمر بصلبه، وكان للسلطان ولد رأيه غير متين، يدعى الملك غياث الدين، فشفع فيه واستوهبه من أبيه، فقال له أبوه: هذا جغتاي حرامي مادة الفساد، لئن أبقي ليهلكن البلاد والعباد! . فقال له ابنه: وما عسى أن يصدر من نصف آدمي، وقد أصيب بالدواهي ورمي؟ فوهبه إياه، فوكل به من داواه إلى أن اندمل جرحه وبرأ قرحه، فكان في خدمته، فقربه وزوجه شقيقته.

ثم إنه لما غاضبها في بعض/ الأيام فقتلها، ثم لم يسعه إلا الخروج والعصيان، والتمرد والطغيان، إلى أن كان من أمره ما كان، حتى استصفى ممالك ما وراء النهر، وذلت لأوامره جوامع الدهر، شرع في استخلاص البلاد، واسترقاق العباد، فكان يجري في جسد العالم مجرى الشيطان من بني آدم، ويدب في البلاد دبيب السم في الأجساد.

ومن رأيه أنه صاهر المغول[(٣)] وصافاهم، وهادنهم وهاداهم، وتزوج بنت ملكهم قمر الدين خان، فأمن شرهم، وكفى ضرهم.

ثم أرسل إلى مخدومه سلطان هراة الملك غياث الدين الذي كان مغيثه، عملاً بقوله: كتب الله على كل نفس خبيثه أن لا تخرج من الدنيا حتى تسيىء إلى من أحسن إليها، وطلب منه الدخول في طاعته، فأرسل غياث الدين يقول صحبة الرسول: أما كنت خادماً لي وأحسنت إليك، وأسبلت ذيل نعمتي عليك، وذلك بعد أن نجّيتك من الضرب والصلب، فإن لم تكن إنساناً يعرف الإحسان، فكن

---

(١) ما بين الحاصرتين من (ج).
(٢) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «فظفر».
(٣) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «المغل».

كالكلب؟ فعبر جيحون وتوجه إليه، فلم يكن لغياث الدين قوة الوقوف[١] بين يديه، فحصر[٢] نفسه في القلعة، وحسب[٣]، أن يكون له بذلك منعة، فأمنه وقبض عليه، واحتاط على ما ملكت يديه[٤]. وكان حلف أن لا يريق له دماً، ولكن قتله في الحبس جوعاً وظمأ.

ثم عاد إلى خراسان، ونوى الإنتقام من أهل سجستان، فوضع السيف فيهم، وأفناهم عن بكرة أبيهم، ثم خرب المدينة فلم يبق بها شجر ولا مدر، ولا عين ولا أثر، ورحل عنها وليس بها داع ولا مجيب، وما فعل ذلك بهم إلا أنه أولاً منهم أصيب.

ذكر الشيخ عبد اللطيف الكرماني أن الذين تخلصوا من القتل من أهل سجستان هزيمة، لما تراجعوا إليها بعد رجوع تيمور عنها، أرادوا أن يجمعوا بها فأضلوا يوم الجمعة[٥]، وما اهتدوا إليه، حتى أرسلوا إلى كرمان من دلهم عليه.

ولما خلص له جميع ممالك العجم، ودانت له ملوكهم والأمم، بلغه أن
/٢٣٢ أ فيروزشاه[٦]، سلطان الهند، انتقل إلى رحمة الله، ولم يكن له/ ولد خليفة، فسعى أن يتولى تلك الوظيفة، فوصل إليها، وقتل أقيالها، وتسلم أفيالها[٧].

وقد وفد عليه المبشر بأن أحمد، حاكم سيواس، والملك الظاهر برقوق، حاكم مصر والشام، انتقلا إلى دار السلام، فسرَّ بذلك صدره وانشرح، وكاد أن يطير نحوهما من الفرح، فأقام في الهند نايباً، وتوجه نحو مدينة سيواس، وكان بعد وفاة واليها استولى عليها الأمير سليمان بن السلطان بايزيد يلدرم خان بن

(١) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «قوة إلى الوقوف».
(٢) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «فحصن».
(٣) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «فحسب».
(٤) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «على ملك يديه».
(٥) كذا في (ج)؛ وفي (ب)؛ «فأضلوا عن يوم الجمعة».
(٦) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «نيروزشاه».
(٧) لم ترد عبارة: «وتسلم أفيالها» في (ب).

مرادخان بن عثمان خان، فوصل إليها تيمور بتلك السيول الهامية، فقال: «أنا فاتح هذه المدينة والقلعة في ثمانية عشر يوماً!». وكانوا قد حصنوا المدينة والقلعة، فأقام في محاصرتها، وفتحها في اليوم الثامن عشر، وذلك بعد أن خلف لأهل البلد أن لا يريق دمهم، وأن يرعى ذممهم، ويحفظ حرمتهم وحرمهم.

فلما دخل المدينة، ربطهم في الرباق سرباً وحفر لهم في الأرض سرباً، وألقاهم أحياء في تلك الأخاديد، وعدد من أُلقي في تلك الحفر كان[1] ثلاثة آلاف نفر. ثم أطلق النهب[2]، وأتبع الأسر والخراب، وانمحت مراسم نقوشها، فهي خاوية على عروشها.

ولما استوفى سيواس حصداً ورعياً، فوّق سهام الانتقام إلى نحو الممالك الشامية كالجراد المنتشر، فوصل إليها وختل وقتل، وفعل فعلته التي فعل، وقد ذكر تفصيله في ذكر فرج بن برقوق، ولم يتعد منهم أحد جسر يعقوب، فرجع إلى طريقته العوجا حتى وصل إلى الموصل، وهو يمحو آثار الإسلام.

ثم توجه إلى مدينة بغداد، فلما سمع السلطان أحمد ذلك استناب مكانه نايباً، ولحق هو إلى سلطان الروم أبا يزيد خان، فأخذها عنوة يوم عيد الأضحى، فتقرب على زعمه بأن جعل المسلمين قرابين.

ثم أمر عساكره[3] بأن يأتيه كل واحد من أهل بغداد برأسين، ثم أتوا بهم وطرحوا أبدانهم في تلك الميادين، وجمع رؤوسهم، فبنى بها مياذين، وعجز بعض الجند عن رؤوس الرجال، فقطع رؤوس النساء والأطفال.

ثم إن تيمور خرب المدينة، / بعد أن أخذ ما بها من الأموال والخزينة، ٢٣٢/ب وأبقاها عشش البوم والغراب في أماكنهم، فأصبحوا لا تُرى إلا مساكنهم.

ثم ألوى بتلك الأتراك ناحية قراباغ، ونوى السير نحو ممالك الروم، فراسل

---

(١) كان: ساقطة من (ب).

(٢) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «ثم أطلق النهب للنهاب».

(٣) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «عسكره».

سلطانها أبا يزيد المجاهد الغازي، وجعل السلطان أحمد حاكم بغداد، وقرا يوسف حاكم أذربيجان سببا، وذكر أنهما من سطوات سيوفه هربا، فتوجه نحوه، فكان لا يدخل قرية إلا أفسدها، ولا ينزل على مدينة إلا محاها وبدَّدَها.

فلما بلغ السلطان أبا يزيد بمجيء ذلك العنيد، توجه إلى ملاقاته، فاجتمع العسكران على نحو ميل من مدينة أنقرة(١)، واشتغل الحرب بين الفريقين من الضحى إلى العصر، فآلت إلى أسر ابن عثمان، وكان من أمره ما كان، وقتل غالب عسكره من العطش والضموز(٢)، لأنه كان ثامن عشر تموز، وكان نهار الأربعاء سابع عشر ذي الحجة سنة أربع وثمانماية.

ولما وصل لرأس مملكة الروم هذه الوعكة، واندعكت أجسام عساكره أقوى دعكة، ووقع السلطان في مخالبه، وعلم أنه غير ناجٍ من معاطيبه، قال لتيمور: لي إليك ثلاث نصايح، هن لخير الدنيا والآخرة لوايح.

أولاهن: أن لا تقتل رجال الأروام، فإنهم ردء الإسلام، وأنت أولى بنصره الدين لأنك تزعم أنك من المسلمين.

ثانيتهن: أن لا تترك التتار بهذه الديار، ولا تذر على ارض الروم منهم ديَّاراً، فإنك إن تذرهم يملأوها من قبائلهم ناراً، وهم على المسلمين أضر من النصارى.

ثالثتهن: أن لا تمدد يد التخريب في قلاع المسلمين وحصونهم، ولا تجليهم عن مواطن حركتهم وسكونهم؛ فإنها معاقل الدين، وملجأ الغزاة المجاهدين، وهذه أمانة حملتكها، وولاية قلدتكها!.

فقبلها منه بأحسن قبول، وحمل هذه الأمانة ذلك الجهول.

ولما صفا لتيمور شرب ممالك الروم من الكدر، وقضى جيشه من الغارة
٢٣٣/أ الوطر، اندرج/ إلى رحمة ربه السلطان أبو يزيد، وكان معه مكبلاً في قفص من

(١) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «من أنقره».
(٢) «الضموز»: ساقطة في (ج).

حديد، وبعد ما سبكوا الأشباح، وسلبوا الأرواح، ولم يخلص من شرهم من رعايا الروم لا الثلث ولا الربع[1]، [بعد أن جعل أهلها بين المحترقة والمختنقة والموقودة والنطيحة، وما أكل السبع][2]، قرّر كل أمير من أمراء الروم على ولايته، وزاد في رعايته، وأمرهم بأن يخطبوا له وأن يضربوا السكة باسمه، فامتثلوا أوامره، واجتنبوا جواجره[3].

ثم إن تيمور رجع إلى بلاده[4]، وقد بلغ من دنياه المرام، وانتهى أمله إلى الكمال والتمام، ووصل إلى مدينة أنزار وضعف، وانقطع ثلاث ليال وعلم إجمال الانتقال إلى دار الخزي والنكال، وأبى الله أن يخرج تلك الروح النجسة، إلا على صفات ما اخترعه من الظلم وأسسه، فجعل يتناول من عرق الخمر حتى فتتت كبده، ولم ينفعه ماله وولده، وصار يتقيأ دماً، ويأكل يديه حسرة وندماً، فانتقل إلى لعنة الله تعالى[5]، واستقر في اليم زجره وعذابه، وذلك في ليلة الأربعاء سابع عشر شعبان سنة سبع وثمانماية بنواحي مدينة أنزار، وحملوا عظامه إلى سمرقند، وعمره قد جاوز الثمانين، ومدة ملكه واستيلائه مستقلاً ست وثلاثون سنة، وذلك خارج عن مدة خروجه وتحرّمه[6]، ورفع الله تعالى برحمته عن البلاد والعباد العذاب المهين، وقطع دابر القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين.

ما كان ذاك العيشُ إلا سكرةً لـذّاتها رَحَلتْ وحلَّ خمارُها

فلما قضى تيمور نحبه، وكشف الله عن العالم كربه، خلف ولدين أحدهما أمير شاه والآخر شاه رخ، ولم يكن معه أحد من أولاده وأحفاده سوى ولد ولده

(١) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «إلاّ الثلث أو الربع».
(٢) ما بين الحاصرتين من (ب) و (ج).
(٣) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «زواجره».
(٤) الأصل: «رجع لبلاده»؛ وما أثبتناه من (ج).
(٥) «تعالى»: ساقطة من (ج).
(٦) في (ب) و(ج): «وتجرئه».

خليل بن أمير شاه حفيده، فجلس على سرير الملك، وكان أبوه أمير شاه متولي ممالك تبريز، قتله قرا يوسف حاكم أذربيجان.

فلما توفي خليل تولى الملك شاه رخ، واستولى على ممالك ما وراء النهر وخراسان وجميع عراق العجم. /

/٢٣٣ ب وخلف تيمور بنتاً تدعى **سلطان بخت**، كانت مترجلة لا تحب الرجال، وذلك لما أفسدتها النساء البغداديات، لها تواريخ سوء لا ينبغي ذكرها.

الباب الرابع والأربعون
في ذكر دولة الدانشمندية ملوك الروم[1]

ذكر المولى **الجنابي** في تاريخه عن بدو أمرهم أن الذي اشتهر عن البطال الغازي هو **أبو محمد جعفر بن السلطان حسين بن ربيع بن عليّ بن عباس**، سكن بقرية المسيحية الموسومة بمدينة سيد غازي، وبها قبره يزار ويتبرَّك به، زوّج أخته لعمر بن زياد بن عمرو بن معد، فولدت له بنتاً اسمها نظير الجمال، زوجها لعلي بن نصراب، أمير التركمان بالديار الرومية، فولد منها ولد أسماه أحمد ولقبه **دانشمند الغازي**، وهو أول من ملك من هذه الطائفة.

وكان عالماً فاضلاً كاملاً، وعاشر السلطان **طورسان بن علي بن جعفر البطال** بمدينة ملطية، وسار سيرة جده من الجهاد في سبيل الله.

وطلب [دانشمند وطورسان] من الخليفة الإذن في الجهاد فأذن لهما، وولاهما على البلاد التي تفتح لهما. فجمعا من العساكر نحو أربعين ألفاً، وتوجها بنية الجهاد، في شهر رجب سنة ستين وأربعماية[2]، من مدينة ملطية. فعزم السلطان طورسان بنصف العساكر على ساحل البحر الأسود، وهو يغزو الكفار إلى أن وصل لقرب القسطنطينية، فبنى بالجبل[3] الموسوم علم طاغي قلعة عالية. ولم يزل يحارب الكفار، ولم ينجده أحد من المسلمين إلى أن قتل هو ومن معه جميعاً، ولم يبق منهم أحد. يقال إن الدعاء هناك مستجاب.

---

(١) ورد عنوان هذا الباب في (ب) و(ج) كما يلي: «ذكر دولة الدانشمندية ملوك القاتلين بسيفهم كل جبار ظلوم».

(٢) في الأصل وفي (ب): «وستمائة»؛ وما أثبتناه من (ج)، وهو ما ينسجم مع التسلسل التاريخي للأحداث.

(٣) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «بحبل».

والملك دانشمند سار بمن معه من العساكر، حتى وصل إلى مدينة سيواس فبناها، وجعلها مقر سلطنته. وكان جعفر البطال استخلص سيواس من يد الكفار وجعلها دار الإسلام.

وكان الأمير عثمان، جد السلاطين العثمانية، أول ما وصل من بلاد الشرق لتلك الأماكن مع والده أرطغرل، قاصداً السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقي، فأرسله الملك دانشمند الغازي ومعه خمسة آلاف رجل لفتح مدينة قسطموني[١]،
/٢٣٤ أ ففتحها، واستولى / على معدن الفضة، وضرب دراهم باسم السلطان دانشمند، وعزم دانشمند المذكور بنفسه لفتح قلعة نكسار، فأصابه سهم، فقتل.

وتولى مكانه ولده **الملك الغازي محمد**، وكان عالماً فاضلاً ديّناً، مجاهداً في سبيل الله.

وفي سنة ثمان وعشرين وخمسماية، هجم الإفرنج إلى البلاد الشامية، وأخربوا غالبها، فوصل إليهم السلطان المذكور، وأبادهم بالقتل والسبي.

وفي سنة سبع وثلاثين وخمسماية توفي الملك المذكور.

وتولى مكانه ولده **نظام الدين أبو المظفر ياغي يصان** مدة، إلى أن توفي في سنة اثنتين وستين وخمسماية، ودفن بمدينة نكسار[٢].

وتولى بعده **الملك المجاهد جمال الغازي**، ولم تطل مدته حتى توفي.

وتولى مكانه عمه[٣] **الملك إبراهيم**.

(١) وترد أيضاً: «قصطمونية، وقصطموني». أصلها قصطمون، من آسية الصغرى ومن أعظم مدنها.
أبو الفدا، تقويم: ٣٩٢ ـ ٣٩٣؛ لسترنج، بلدان: ١٩١.

(٢) وترد أيضاً: «نيكسار» و«نكيسار»، مدينة من بلاد الروم قريبة من توقات وأماسية. المرجع نفسه: ١٧٤.

(٣) المقطع «بعده الملك المجاهد... عمه»: ساقط في (ج).

ولما توفي إبراهيم المذكور، تولى مكانه ولده **أبو الفداء إسماعيل**. توفي بمدينة نكسار، ودفن بها.

وتولى مكانه **ذو النون بن محمد**، وهو آخر من ملك من هذه الطائفة، واستولى على بلاده آل سلجوق، وبه انقرضت دولتهم.

الباب الخامس والأربعون
في ذكر دولة آل قرمان(١)

كان يقال لجدهم نوره صوفي، أصله أرمني فأسلم، وسكن بمدينة أماسية(٢)، وصار من توابع البابا(٣) إلياس. ولما قتل الشيخ إلياس المذكور، انتقل لمدينة قونية وسكن بها، واعتقد(٤) به أناس كثير حتى السلطان علاء الدين كيقباد السلجوقي، وجعل ولده قرمان مقرباً عنده وزوجه أخته، وولاه إمرة بلاد لارنده، ففتح بلاد سلفكه. ولما توفي السلطان علاء الدين استولى على جميع بلاده، وسمى تلك البلاد باسمه(٥)، واستمر في السلطنة مدة.

فلما توفي، تولى مكانه ولده علاء الدين، وهو الذي حارب السلطان أبا يزيد يلدرم(٦)، وظفر به السلطان أبا يزيد وقتله، وقبض على ولديه علي ومحمد وحبسهما بمدينة بروسا(٧). واستمرا في السجن اثنتي عشرة سنة حتى أطلقهما تيمور، ونصب محمداً، مكان والده في بلاد قرمان.

---

(١) ورد عنوان هذا الباب في (ب) و(ج) كالآتي: «في ذكر دولة آل قرمان القامعين لأهل الشرك والطغيان».

(٢) من مدن بلاد الروم، بينها وبين سنوب ستة أيام.
أبو الفدا، تقويم: ٣٨٢ - ٣٨٣؛ لسترنج: ١٧٤.

(٣) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «بابا».

(٤) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «واعتقده».

(٥) وتعرف ببلاد قرمان أو قرامان، وهي في جنوبي آسيا الصغرى.
Sümer: art. «Karāmān Oghullarî», EI^2, IV, P.643b-650b.

(٦) كذا؛ وفي (ب): «أبا يزيد»؛ وفي (ج): «يلدرم بايزيد».

(٧) وترد أيضاً: «برصى»؛ و«برسا»، وهي مدينة كبيرة من بلاد الروم.
لسترنج: ١٨٩.

وفي سنة أربع عشرة وثمانماية، وقع الحرب بينه وبين السلطان أبا يزيد، وانجلى عن أسر محمد، فأسره السلطان أبا يزيد وأطلقه[1]، بعدما حلَّفه.

وكان أخوه علي هرب، والتجأ بسلطان مصر، فأنجده بعساكر مع ابنه إبراهيم، واستخلص بلاد قرامان من يد محمد، وفوضها إلى علي.

/٢٣٤ ب وبعده تحارب/ ناصر الدين ذو الغادر مع محمد بيك بن قرمان ومسكه، وأرسله إلى سلطان مصر فحبسه هناك.

ولما توفي الملك المؤيد شيخ سلطان مصر، وتولى السلطنة الأمير طط أرسل **محمداً المحبوس** إلى الروم، وأجلسه على سرير الملك.

وتوفي محمد، وتولى مكانه ولده **إبراهيم**.

وكان أعدل هذه الطائفة وأحسنهم، وزوج السلطان مرادخان أخته لإبراهيم المذكور، وصار بينهما اتحاد عظيم. وفيما بعد وقع بينهما عداوة عظيمة آلت إلى الحرب بينهما، ووقع الصلح بينهما.

توفي إبراهيم في سنة تسع وخمسين وثمانماية، وكانت مدة ملكه أربعين سنة، وخلّف ستة أولاد.

وتولى الملك بعده ولده **إسحاق**، وهرب بقية إخوته إلى السلطان محمد خان بن عثمان، فعيّن السلطان محمد خان بلاد قرمان لأرشد أولئك الأولاد الأمير أحمد، وأرسل معه عساكر، فلم يقدر إسحاق على المقاومة، وهرب إلى بلاد الشرق إلى أوزون حسن، سلطان العراق.

وفيما بعد غضب السلطان محمد على الأمير أحمد المذكور، وقرر إمرة قرامان لولده **السلطان مصطفى**، واستمرت بلاد قرمان في يد بني عثمان، وبه انقرضت دولتهم.

---

(١) المقطع «وفي سنة اربع . . . وأطلقه»: ساقط من (ج).

الباب السادس والأربعون
في ذكر آل سلجوق ملوك بلاد الروم[1]

ذكر صاحب «الدول الإسلامية» أن السلجقية[2]، لما انتشروا في البلاد طالبين الملك، دخل منهم **قطلمش بن إسرائيل بن سلجوق**[3] إلى بلاد الروم، وملك مدينة قونية وآقسراي[4] ونواحيها، ثم إنه توجه لبلاد الري ليملكها فلم يقدر، وهجم عليه العساكر فانهزم هو وعسكره، فوجد مقتولاً بين القتلى، وذلك في سنة خمس وستين وأربعماية.

وقام بالأمر بعده ابنه **سليمان بن قطلمش**، واستولى على ما كان بيد أبيه، وافتتح مدينة أنطاكية من يد الروم سنة سبع وسبعين وأربعماية واستضافها إلى بلاده، وسار لحصار حلب فامتنعت عليه، وسألوه الإمهال حتى يكاتبوا السلطان ملكشاه، ودسوا إلى تتش صاحب الشام يستدعونه، فوصل واعترضه سليمان على غير تعبية، فانهزم، وطعن نفسه بخنجر، فمات.

وملك بعده ابنه **قليج**[5] **أرسلان بن/سليمان**، وأقام في سلطانه، وسار حتى ٢٣٥/ أ
استولى على الموصل وديار بكر وأعمالها. ثم سار إلى الموصل لقتال جاولي،

---

(١) ورد عنوان هذا الباب في (ب) و(ج) كما يلي: «في ذكر ملوك الروم من آل سلجوق الكافين لأهل الفجور والفسوق».

(٢) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «السلجوقية».

(٣) في (ب): «قطلمش بن اسرائيل بن سلجوق»؛ وفي (ج): «قتلمش بن اسرائيل بن سلجوق».

(٤) كذا في (ج)؛ وفي(ب): «وأقراي».

(٥) كذا؛ في (ب) و (ج): «قلج».

فوقع بينهما حروب آلت إلى قتل قليج أرسلان، وضربه جاولي بسيفه فقتله، وانهزم[1] عساكره.

وولي مكانه ابنه **مسعود شاه بن قليج أرسلان**، فوقع بينه وبين الدانشمندية من التركمان حروب كثيرة.

ثم توفي مسعود سنة احدى وخمسين وخمسماية، وملك مكانه ابنه **قليج أرسلان**، واستولى على ما كان بيد أبيه من البلاد، ثم قسمها بين أولاده؛ فأعطى قونية بأعمالها لغياث الدين كيخسرو، ومدينة آقسراي، وسيواس لقطب الدين، ومدينة توقاد[2] لركن الدين سليمان، ومدينة أنكورية[3] لمحيي الدين، ومدينة ملطية[4] لعز الدين، وبلاد البستين[5] لمغيث الدين، ومدينة قيسارية[6] لنور الدين محمود، ومدينة نكسار وأماسية لابني أخيه، فوقع بينهم النزاع والمخاصمة.

وبقي السلطان قليج أرسلان ينتقل بين أولاده وأولاد أخيه، من واحد إلى آخر، وهم معرضون عنه ومستثقلون به، حتى مرض وعاد إلى قونية، فتوفي بها.

وتولى مكانه ابنه **غياث الدين كيخسرو** في مدينة قونية، وبقية بنيه على

---

(١) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «فانهزمت».

(٢) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «توقات». وترد أيضاً «دوقاط»، وهي من مدن شمالي بلاد الروم.
أبو الفدا، تقويم: ٣٨٤ ـ ٣٨٥؛ لسترنج: ١٧٤، ١٧٩.

(٣) وهي أنقرة، من مدن الشمال الغربي لبلاد الروم.
أبو الفدا، المصدر نفسه: ٣٨٠ ـ ٣٨١؛ لسترنج، نفسه: ١٧٤.

(٤) مدينة كبيرة من مدن الثغور الجزرية بالشام، على مسافة سبعة أيام تقريباً شرقي حلب.
الأصطخري، المسالك: ٤٦ ـ ٤٧؛ القزويني، آثار البلاد: ٣٧٩.

(٥) ولعله يقصد «البلستين»، أو «البستان»، من مدن بلاد الروم.
انظر: ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر: ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٨١، ٢٢١، ٣٣٦.

(٦) ويرد اللفظ بالصاد، وهي قيسارية الروم، بلدة كبيرة بها دار للسلطنة، في شرقيها مدينة سيواس.
أبو الفدا، تقويم: ٣٨٢ ـ ٣٨٣.

حالهم في ولاياتهم التي قسمها بينهم أبوهم، لكن النزاع وقع بينهم. واستفحل ملك غياث الدين وعظم شأنه إلى أن قتله الشكري صاحب قسطنطينية[١] سنة سبع وستماية.

فلما توفي، ولي بعده ابنه **كيكاوس**، ولقبوه الغالب بالله، وكان عمه طغرل شاه بن قليج أرسلان صاحب أرزن الروم[٢] يطلب الأمر لنفسه، فسار إلى قتال كيكاوس ابن أخيه، وحاصره في سيواس، ثم أفرج عنه حتى ظفر به، فقتله في سنة عشر وستماية.

وملك بعده أخوه **السلطان الملك المجاهد**[٣] **علاء الدين كيقباد**. وكان ملكاً مهيباً وقوراً، يحب الغزو، وقد اتسعت رقعة ملكه ببلاد الروم، ومد يده إلى ما يجاوره من البلاد، وخدم عنده عسكر جلال الدين خورزمشاه بعد مهلكه، فأثبتهم في ديوانه، واستخدمهم. وزوج ابنته لصاحب مصر، وقدمت عليه وفي خدمتها أمير ومعه خمسماية فارس من الروم، وحمل جهازها على ألف جمل ومحفتها بغطاء أطلس أحمر/ مكلّل بالذهب. وكان يوم وصولها إليه يوماً مشهوداً، /٢٣٥ ب
وعمل لها عرس لم يسمع بمثله.

وأول ما فتح مدينة علائية بساحل البحر، وهي حصار قونية وسيواس، وفتح بلاد أرزنجان[٤]، وجمشكزك، وكماخ[٥] مع ضواحيها. وله حروب كثيرة مع

(١) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «تكور لادقية».

(٢) مدينة مشهورة من مدن أرمينية بقرب خلاط، أهلها أرمن، وهناك مدينة أخرى من بلاد الأرمن تدعى أرزن.
ياقوت ١/ ١٥٠ ـ ١٥١؛ ابن سعيد: ١٢٠.

(٣) عبارة «السلطان الملك المجاهد»: ساقطة من (ج).

(٤) بلدة مشهورة من بلاد أرمينية بين بلاد الروم وخلاط، قريبة من أرزن الروم، غالب أهلها أرمن، وفيها مسلمون، وهم أعيان أهلها.
ياقوت ١/ ١٥٠؛ القزويني: ٣٣١ ـ ٣٣٢.

(٥) وترد أيضاً «كَمْنح»، قلعة على الفرات على مسيرة يوم من أرزنجان في يسار النهر، في ضفته الجنوبية. لسترنج: ١٥١.

الكفار وطائفة التتار بحيث يطول شرحها.

توفي في سنة أربع وثلاثين وستماية، وكانت مدة ملكه أربعاً وعشرين سنة.

وملك بعده ابنه **غياث الدين**، وكان ظالماً غاشماً، جبّاراً عسوفاً، وقارن استيلاؤه انقراض دولة السلجوقية. ولم يزل يضمحل حاله ويكثر حروبه إلى أن قتله مماليكه في سنة أربع وخمسين وستماية، وترك ثلاثة أولاد أكبرهم علاء الدين كيقباد، وعز الدين كيكاوس، وركن الدين. وجعل علاء الدين ولي عهده، وكان يخطب باسمهم جميعاً، وأمرهم واحد.

وكان جنكيز خان قد هلك، وولي مكانه ابنه طولو خان، فملك أكثر بلاد الروم، وكان ملوك الروم تحت حكم التتار.

وآخر من تولى الملك من آل سلجوق بالديار الرومية **مسعود بن كيكاوس** إلى سنة ثماني عشرة وسبعماية، وأصابه الفقر، فانحل أمره واضمحل فعله، وبقي الملك للتتار، ثم فشل أمرهم واضمحلت دولتهم، فاستولى على غالب بلادهم بنو عثمان، وتولى على البعض آل قرمـان.

وكانت مدينة صناب[1] وقسطموني، بعد السلطان علاء الدين، بيد أولاد قزل محمد أولهم:

عادل بيك تولى تلك الديار مدة.

فلما توفي، تولى مكانه ولده **بايزيد الزمن**، وكان ديّناً خيراً.

ثم من بعده، تولى مكانه ولده **أسنفديار**[2] مدة.

وبعد وفاته **إبراهيم**.

---

(١) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «سينوب»، وهي بلدة مشهورة في الشمال من قسطموني، على البحر الأسود.

أبو الفدا، تقويم: ٣٩٢ - ٣٩٣؛ لسترنج: ١٧٥.

(٢) كذا في (ج)؛ وفي (ب): «اسفندار».

وبعده **قزل أحمد**، وصار أخوه إسماعيل أتابكاً له.

وفي أيام السلطان محمد خان العثماني، ضبط تلك الديار، وعين لأحمد المذكور إمارة بلاد روم إيلي. وهذه الطائفة يزعمون أنهم من نسل خالد بن الوليد، رضي الله عنه.

وأما ممالك أيدين، تولى عليها صاحبها أيدين بيك، بعد موت السلطان علاء الدين كيقباد، واستقل بتلك البلاد.

وتولى بعده ولده **محمد بيك**.

ثم بعد وفاته تولى ولده **عيسى بيك**، وكان كريم النفس. وفي زمانه صنف/ حاجي باشا كتاب «**الشفا في الطب**» باسمه[1]، فانتزع الملك منهم المرحوم ٢٣٦/ أ السلطان مرادخان العثماني.

وأما مملكة صاروخان، تولى عليها صاحبها **صاروخان** استقلالاً.

وبعده ولده **إلياس بيك**.

ولما توفي تولى مكانه ولده **إسحاق**، فظفر به السلطان بايزد يلدرم[2]، وأسره.

وأما ممالك كرميان، تولى عليها صاحبها **كرميان بيك** مدة.

وبعده ولده **علمشاه**[3].

وبعده ولده **يعقوب بن علمشاه**. وكان صالحاً متورعاً زاهداً في الدنيا، سلّم مفاتيح بلاده للسلطان مرادخان الغازي، فعيِّن له إمرة ببلاد روم إيلي.

ولما توفي السلطان علاء الدين كيقباذ السلجوقي، كان الأمير عثمان، تغمده الله بالرحمة والرضوان، جد السلاطين العثمانية، إذ ذاك، بمدينة قره حصار، كما سنذكره إن شاء الله تعالى.

---

(١) لفظة «باسمه»: ساقطة في (ج).

(٢) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «يلدرم بايزيدخان».

(٣) كذا في (ب)؛ وفي (ج): «علم شاه».

تم المجلد الثاني
ويليه المجلد الثالث
وأوله: الباب السابع والأربعون
في ذكر دولة بني عثمان

الكشاف العام

كشاف الآيات الكريمة

كشاف الأعلام

ـ أ ـ

- ت -

- ث -

- ج -

- خ -

- ش -

- ص -

- ع -

كشاف الأقوام والجماعات

كشاف الأماكن والمواضع

- ب -

- ح -

- خ -

- د -

- ك -

كشاف أبيات الشعر

كشاف الكتب الواردة في المتن

كشاف المصادر والمراجع

- آثار البلاد وأخبار العباد لزكريا القزويني. بيروت، ١٩٦٠م.
- إتعاظ الحنفاء بأخبار الفاطميين الخلفاء للمقريزي، تحقيق الشيال. القاهرة، ١٩٦٧، وما بعدها.
- أخبار الراضي بالله والمتقي لله للصولي. بيروت (نسخة مصورة).
- الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينوري، تحقيق عبد المنعم عامر. القاهرة، ١٩٦٠م.
- الإستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، تحقيق محمد علي البجاوي. القاهرة.
- أسماء المغتالين لابن حبيب، تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة، ١٩٧٣م.
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني. مصر، ١٣٢٣هـ.
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني. القاهرة، ١٩٢٧م.
- الإنتصار لواسطة عقد الأمصار (ج: ٤ ـ ٥). بولاق، ١٣٠٩ ـ ١٣١٠هـ.
- بدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس، تحقيق محمد مصطفى. القاهرة، ١٩٨٢م.
- بدائع الزهور في وقائع الدهور، نشر كالي. استنبول، ١٩٣٢م.
- البداية والنهاية لابن كثير. بيروت، ١٩٦٦م.
- بسط الأرض في الطول والعرض لابن سعيد المغربي، تحقيق فرنيط خينيس. تطوان، ١٩٥٨م.
- بلدان الخلافة الإسلامية لكي لسترنج، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد. بغداد، ١٩٥٤م.
- تاريخ الإسلام للذهبي، مخطوط آيا صوفيا، رقم ٣٠١٣ ـ ٣٠١٤ (المجلدان: ٢٠ ـ ٢١).
- تاريخ الإسلام للذهبي، تحقيق عمر تدمري دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧.

- تاريخ الإسلام للذهبي، تحقيق بشار عواد معروف وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس، بيروت، ١٩٨٨.
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي. بيروت (لا. ت).
- تاريخ الخلفاء للسيوطي. مصر، ١٩٥٢م.
- تاريخ الخلفاء لمحمد بن يزيد، تحقيق محمد مطيع الحافظ. بيروت. ١٩٧٩م.
- تاريخ خليفة بن خياط لخليفة بن خياط، تحقيق أكرم ضياء العمري. بيروت، ١٩٧٧م.
- تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس للديار بكري، بيروت.
- تاريخ دمشق لابن القلانسي، تحقيق سهيل زكار. دمشق ١٩٨٣م.
- تاريخ الرسل والملوك لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم. القاهرة، ١٩٦٠م.
- تاريخ مختصر الدول لابن العبري الملطي، تحقيق أنطوان الصالحاني اليسوعي. بيروت، ١٨٩٠م.
- تاريخ الملك الظاهر لعز الدين ابن شداد باعتناء أحمد حطيط. فيسبادن، ١٩٨٣م.
- تاريخ اليعقوبي لأحمد بن أبي يعقوب المعروف باليعقوبي. بيروت، ١٩٦٠م.
- تالي وفيات الأعيان لابن الصقاعي، تحقيق جاكلين سوبله. دمشق، ١٩٧٤م.
- تجارب الأمم وذيله لمسكويه، تحقيق مرغوليوث. بغداد.
- تحفة ذوي الألباب في من حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب لصلاح الدين الصفدي. مخطوط باريس، Arabe 5827
- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه لابن حبيب، تحقيق محمد محمد أمين. القاهرة، ١٩٧٦ - ١٩٨٢م.
- ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب للمرتضى الزبيدي، تحقيق صلاح الدين المنجد. بيروت، ١٩٨٣م.
- تقويم البلدان لأبي الفدا. باريس، ١٨٤٠م.
- تكملة تاريخ الطبري لابن عبد الملك الهمداني. القاهرة.
- التكملة لوفيات النقلة للمنذري. تحقيق بشار عواد معروف. بيروت، ١٩٨١م.
- التنبيه والإشراف للمسعودي. بيروت.
- تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر، تحقيق عبد القادر بدران. بيروت، ١٩٧٩م.

- جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي. تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة، ١٩٧١م.
- الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين لابن دقماق، تحقيق محمد كمال عز الدين، بيروت، ١٩٨٥.
- خلاصة الذهب المسبوك لعبد الرحمن الإربلي، تحقيق السيد هاشم. بغداد، ١٩٦٤م.
- الخلافة لتوماس أرنولد. ترجمة جميل معلى. دمشق، ١٩٤٧م.
- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلاني. بيروت (لا. ت).
- دول الإسلام للذهبي. حيدر أباد، الدكن، ١٣٦٤هـ. أيضاً ط. بيروت.
- الذيل على الروضتين لأبي شامة. بيروت، ١٩٧٤م.
- ذيل مرآة الزمان لليونيني، مخطوط أحمد الثالث، رقم ٢٩٠٧.
- ذيل مرآة الزمان، لليونيني، حيدر أباد، الدكن، ١٩٥٥ ـ ١٩٦١م.
- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر. الرياض، ١٩٧٦م.
- الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري. تحقيق إحسان عباس. بيروت، ١٩٧٥م.
- الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة. القاهرة، ١٩٦٢م.
- السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١ ـ ٢، تحقيق محمد مصطفى زيادة. القاهرة ١٩٣٤ ـ ١٩٥٨. ج٣ ـ ٤، تحقيق سعيد عاشور. القاهرة، ١٩٧٠ ـ ١٩٧٣م.
- سنا البرق الشامي لعماد الدين الأصفهاني، تحقيق رمضان ششن. بيروت.
- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد للعيني، تحقيق فهيم محمد شلتوت. القاهرة، ١٩٦٧م.
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي، بيروت.
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا للقلقشندي. القاهرة، ١٩١٩ ـ ١٩٢٢م.
- صلة تاريخ الطبري، لعريب بن سعد القرطبي، القاهرة.
- الضوء اللامع في أعيان القرن التاسع للسخاوي. مصر، ١٣٥٢ ـ ١٣٥٥م.
- طبقات الأشراف للبلاذري، القسم الثالث، باعتناء عبد العزيز الدوري. فيسبادن، ١٩٧٨. القسم الرابع، باعتناء إحسان عباس. فيسبادن، ١٩٧٩م.

- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكي. بيروت (لا. ت).
- الطبقات الكبرى لابن سعد. بيروت، ١٩٥٧ ـ ١٩٥٨م.
- العبر في خبر من غبر للذهبي، تحقيق صلاح الدين المنجد. الكويت، ١٩٦٠م وما بعدها.
- العبر وديوان المبتدأ والخبر لابن خلدون. بيروت، ١٩٦٦ ـ ١٩٦٨م.
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين لتقي الدين الفاسي، تحقيق فؤاد سيد ومحمد طاهر الطناحي. القاهرة، ١٩٥٩ ـ ١٩٦٩م.
- العقد الفريد لابن عبد ربه، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري. القاهرة، ١٩٥٦م.
- العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية للخزرجي. تحقيق محمد بسيوني عسل. القاهرة، ١٩١١ ـ ١٩١٤م.
- عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي، المجلدان: ١٢ و ٢٠، بغداد.
- العيون والحدائق لمؤلف مجهول، ج٣ ط. ليدن، وج٤، طبعة المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية بدمشق، ١٩٧٣م.
- غاية النهاية في طبقات القراء لشمس الدين الجزري، تحقيق برجشتراسر. القاهرة، ١٩٣٢ ـ ١٩٣٣م.

الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقى. بيروت، ١٩٦٦م.
- فوات الوفيات والذيل عليها لابن شاكر الكتبي، تحقيق احسان عباس. بيروت، ١٩٧٣ - ١٩٧٧م.
- الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري. بيروت، ١٩٦٧م، أيضاً: طبعة القاهرة.
- كنز الدرر وجامع الغرر، ج٨، تحقيق أ. هارمان، القاهرة، ١٩٧١م. ج ٩، تحقيق هـ. ر. رويمر، القاهرة، ١٩٦٠م.
- الكواكب الدرِّية في السيرة النورية لابن قاضي شهبة.
- لسان العرب لابن منظور. بيروت (لا. ت).
- محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار لمحيي الدين بن العربي. بيروت.

المحبر لابن حبيب، حيدر أباد، الدكن، ١٣٦١هـ.
- المختار من تاريخ ابن الجزري للذهبي. بيروت، ١٩٨٨م.

- مختصر التاريخ لظهير الدين الكازروني، تحقيق مصطفى جواد. بغداد، ١٩٧٠م.
- المختصر في أخبار البشر لأبي الفدا. بيروت (لا.ت).
- مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي، باعتناء باربيه دومينار وباوه دكورتل، ط. طهران، ١٩٧٠م وط. القاهرة.
- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري. بيروت.
- المعارف لابن قتيبة الدينوري. بيروت، ١٩٧٠م.
- معجم البلدان لياقوت الحموي. بيروت، ١٩٧٩م.
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل الحموي، ج٤ - ٥، تحقيق حسنين ربيع وسعيد عاشور. القاهرة، ١٩٧٢ - ١٩٧٧م.
- المكاييل والأوزان الإسلامية، لهنتس، ترجمة كامل العسلي. عمان، ١٩٧٠م.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم لأبي الفرج بن الجوزي. حيدرأباد، الدكن، ١٣٥٨هـ.
- المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار (الخطط) للمقريزي. بولاق، ١٢٧٠هـ.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لابن تغري بردي. القاهرة، ١٩٢٩ وما بعدها.
- النزهة السنية في أخبار الخلفاء والملوك المصرية لابن الطولوني، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين. بيروت، ١٩٨٨م.
- نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر لموسى اليوسفي، تحقيق أحمد حطيط. بيروت، ١٩٨٦م.
- نزهة النفوس والأبدان لابن الصيرفي القاهرة.
- نسب قريش لمصعب الزبيري، تحقيق بروفنسال. القاهرة، ١٩٨٦م.
- النقود الإسلامية المسمى شذور العقود في ذكر النقود للمقريزي. النجف، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.
- نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، مخطوط المكتبة الوطنية (ج ٢٩ - ٣٠)، باريس، Arabe 1578.
- النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد لابن أبي الفضائل، نشر بلوشيه. باريس، ١٩١٩ - ١٩٢٩م.

ـ الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي، باعتناء العديد من المحققين. فيسبادن، ١٩٣١ وما بعدها.

ـ وفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٧٢م.

— GAUDEFROY — DEMOMBYNES (M): *La syrie à l'époque des Mamelouks d'après les auteurs arabes*. Paris, 1923.

— DOZY (R): *Supplément aux dictionnaires arabes*. Leiden, Brill, 1967.

— DUSSAUD (R): *Topograpie de la Syrie Antique et Medievale*. Paris, 1927.

— HUART: *art. «Silāḥ - dār»*. EI, VI, 424a.

— SÜMER (F): *art. «Ḳarāmān Oghullari»*. EI_2, IV, P.643b-650b.

كشاف المحتويات

الباب الخامس
في ذكر خلفاء بني أمية

القسم الثاني
في خلفاء بني أمية بالمغرب

الباب السادس
في ذكر الخلفاء العباسيين

القسم الثاني

الخلفاء العباسية التي أقيمت في مصر

الباب السابع
في ذكر دولة العبيديين الذين تسموا بالفاطميين

الباب الثامن
في دولة بني أيوب

الباب التاسع
في ذكر دولة التركية بالديار المصرية

الباب العاشر
في ذكر ملوك الجراكسة
ملوك مصر والشام